كتاب

كامل التواريخ

تاليف الشيخ العلّامة عزّ الدين ابى الحسن علىّ ابى الكرم محمّد بن
محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانىّ المعروف

بابن الاثير

الجزو الثانى عشر



طبع فى مدينة اوبسالة المحروسة بالمطبع المدرسىّ
سنة ١٨٥٣ المسيحية



كتاب

كامل التواريخ

بسم الله الرحمن الرحيم   ربّ يسّر خيرًا

ذكر حصر صلاح الدين كوكب

سنة ٥٨٤

فى هذه السنة فى المحرّم انحسر الشتآء فسار صلاح الدين من عكّا فيمن تخلّف عنده من العسكر الى قلعة كوكب فحصرها ونازلها ظنًّا منه انّ مُلكها سهلًا وانّ اخذها [عجلًا] وهو فى قلّة من العسكر متيسّر فلمّا رءاها عالية منيفة والوصول اليها متعذّر وكان عنده منها ومن صفد والكرك المقيم المقعد لانّ البلاد الساحليّة من عكّا الى جهة الجنوب كانت قد ملك جميعها ما عدا هذه الحصون وكان يختار ان لا يبقى فى وسطها ما يُشغل قلبه ويقسّم همّه ويحتاج الى حفظه ولئلّا ينال الرعايا والمجتازين منهم الضرر العظيم فلمّا حصر كوكب ورءاها منيعة يبطى مُلكها واخذها رحل عنها وجعل عليها قايماز النجمىّ مستديمًا لحصاره وكان رحيله عنها فى ربيع الاوّل واتاه رسل الملك قلج ارسلان وقزل ارسلان وغيرهما يهنّونه بالفتح والظفر وسار من كوكب الى دمشق ففرح الناس بقدومه وكتب الى البلاد جميعًا باجتماع العساكر بها واقام بها الى ان سار الى الساحل بالبلاد الشامية ۞

ذكر رحيل صلاح الدين الى بلد الفرنج

لمّا اراد صلاح الدين المسير عن دمشق حضر عنده القاضى الفاضل مودّعًا له ومستشيرًا وكان مريضًا وودّعه وسار عن دمشق منتصف ربيع الاوّل الى حمص فنزل على بحيرة قدس غربىّ حمص وجآءته العساكر فاوّل مَن اتاه من اصحاب الاطراف عماد الدين زنكى بن مودود بن اقسنقر صاحب سنجار ونصيبين والخابور وتلاحقت العساكر من الموصل

وديار الجزيرة وغيرها فاجتمعت عليه وكثرت عنده فسار حتّى نزل تحت حصن الاكراد من الجانب الشرقيّ وكنتُ معه حينئذ فاقام يومَيْن وسار جريدة وترك اثقال العسكر موضعها تحت الحصن ودخل الى بلد الفرنج فاغار على صافيثا والعريمة ويحمور وغيرها من البلاد والولايات ووصل الى قريب طرابلس وابصر البلاد وعرف من اين ياتيها واين يسلك منها ثمّ عاد الى معسكره سالمًا وقد غنم العسكر من الدوابّ على اختلاف انواعها ما لا حدّ عليه واقام تحت حصن الاكراد الى اخر ربيع الاخر ✿

ذكر فتح جَبَلة

لمّا اقام صلاح الدين تحت حصن الاكراد اتاه قاضى جبلة وهو منصور بن نبيل يستدعيه اليه ليسلّمها اليه وكان هذا القاضى عند بيمند صاحب انطاكية وجبلة مسموع الكلمة له الحرمة الوافرة والمنزلة العالية وهو يحكم على جميع المسلمين بجبلة ونواحيها على ما يتعلّق بالبيمند فحملته الغيرة للدين على قصد السلطان وتكفّل له بفتح جبلة ولاذقية والبلاد الشماليّة فسار صلاح الدين معه رابع جمادى الاولى فنزل بانطرطوس سادسه فراى الفرنج قد اخلوا المدينة واحتموا فى برجَيْن حصينَيْن كلّ واحد منهما قلعة حصينة ومعقل منيع فخرّب المسلمون دورهم ومساكنهم وسور البلد ونهبوا ما وجدوه من ذخايرهم وكان الداويّة باحد البرجَيْن فحصرهما صلاح الدين فنزل اليه مَن فى احد البرجَيْن بامان وسلّموه فامّنهم وخرّب البرج والقى حجارته فى البحر وبقى الذى فيه الداويّة لم يسلّموه وكان معهم مقدّمهم الذى اسره صلاح الدين يومَ المصافّ وكان قد اطلقه لمّا ملك البيت المقدّس فهو الذى حفظ هذا الحصن فخرّب صلاح الدين ولاية انطرطوس ورحل عنها واتى مرقية وقد اخلاها اهلها ورحلوا عنها وساروا الى المرقب وهى من حصونهم التى لا ترام ولا تحدث احدا نفسه بملكه لعلوّه وامتناعه وهو للاسبتار والطريق تحته فيكون الحصن على يمين المجتاز الى جبلة والبحر عن يساره والطريق مضيق لا يسلكه الّا الواحد بَعد الواحد فاتّفق انّ صاحب صقليّة من الفرنج قد سيّر نجدة الى فرنج الساحل

فى ستّين قطعة من الشوانى وكانوا بطرابلس فلمّا سمعوا بمسير صلاح الدين جآوا ووقفوا فى البحر تحت المرقب فى شوانيهم ليمنعوا مَن يجتاز بالسهام فلمّا راى صلاح الدين ذلك امر بالطارقيات والجفتيات فصُفّتْ على الطريق ممّا يلى البحر من اوّل المضيق الى اخره وجعل ورآءها الرماة فمنعوا الفرنج من الدنوّ اليهم فاجتاز المسلمون عن اخرهم حتّى عبروا المضيق ووصلوا الى جبلة ثامن عشر جمادى الاولى وتسلّمها وقت وصوله وكان قاضيها قد سبق اليها ودخل فلمّا وصل صلاح الدين رفع اعلامه على سورها وسلّمها اليه وتحصّن الفرنج الذين كانوا بها تحصُّنًا واحتموا بقلعتها فما زال قاضى جبلة يخوّفهم ويرغّبهم حتّى استنزلهم بشرط الامان وان ياخذ رهاينهم يكونون عنده الى ان يطلق الفرنج رهاينهم من المسلمين من اهل جبلة وكان بيمند صاحبها قد اخذ رهاين القاضى ومسلمين جبلة وتركهم عنده بانطاكية فاخذ القاضى رهاين الفرنج وجاء روسآء اهل الجبل الى صلاح الدين بطاعة اهله وهو من امنع الجبال واشقّها مسلكًا وفيه حصن يعرف ببكسرايل بين جبلة ومدينة حماة فلكه المسلمون وصار الطريق فى هذا الوقت عليه من بلاد الاسلام الى العسكر وكان الناس يلقون شدّة فى سلوكه وقرّر صلاح الدين احوال جبلة وجعل فيها لحفظها الاميرَ سابق الدين عثمان بن الداية صاحب شيزر وسار عنها ۞

ذكر فتح لاذقيّة

لمّا فرغ السلطان من امر جبلة وسار عنها الى لاذقيّة فوصل اليها فى الرابع والعشرين من جمادى الاولى فترك الفرنج المدينة لعجزهم عن حفظها وصعدوا الى حصنيْن لها على الجبل فامتنعوا بهما فدخل المسلمون المدينة وحصروا القلعتيْن اللتيْن فيهما الفرنج وزحفوا اليهما ونقبوا الاسْوار ستّين ذراعًا وعلّقوه وعظم القتال واشتدّ الامر عند الوصول الى السور فلمّا ايقن الفرنج بالعطب ودخل اليهم قاضى جبلة فخوّفهم من المسلمين فطلبوا الامان فامّنهم صلاح الدين ورفعوا الاعلام الاسلاميّة الى الحصنيْن وكان ذلك فى اليوم الثالث من النزول عليها وكانت عمارة اللاذقيّة من احسن الابنية واكثرها زخرفة مملوّة بالرخام على اختلاف

انواعه فخرّب المسلمون كثيرًا منها ونقلوا رخامها وشعّثوا كثيرًا من بيعها التى قد غرم على كلّ واحدة منها الاموال الجليلة المقدار وسلّمها الى ابن اخيه تقى الدين عمر فعمّرها وحصّن قلعتها حتّى اذا رءاها اليوم مَن رءاها ينكرها فلا يظنّ انّ هذه تلك وكان عظيم الهمّة فى تحصين القلاع والغرامة الوافرة عليها كما فعل بقلعة حماة ۞

ذكر حال اسطول صقليّة

لمّا نازل صلاح الدين لاذقيّة [وصل اسطول صقليّة] الذى تقدّم ذكره فوقف بازآء مينا لاذقيّة فلمّا سلّمها الفرنج الذين بها الى صلاح الدين عزم اهل هذا الاسطول على اخذ مَن يخرج منها من اهلها غيظًا وحنقًا حيث سلّموها سريعًا فسمع بذلك اهل لاذقيّة فاقاموا وبذلوا الجزية وكان سبب مقامهم ثمّ انّ مقدّم هذا الاسطول طلب من السلطان الامان ليحضر عنده فامّنه وحضر [وقبل] الارض بين يديه وقال ما معناه انّك سلطان رحيم كريم وقد فعلتَ بالفرنج ما فعلتَ فذلّوا فاتركهم يكونون مماليكك وجندك تفتتح بهم البلاد والممالك وتردّ عليهم بلادهم والّا جاءك من البحر ما لا طاقة لك به فيعظم عليك الامر ويشتدّ الحال فاجابهم صلاح الدين بنحو من كلامه من اظهار القوّة والاستهانة بكلّ مَن يجئ من البحر وانّهم ان خرجوا اذاقهم ما اذاق اصحابهم من القتل والاسر فصلّب على وجهه ورجع الى اصحابه ۞

ذكر فتح صهيون وعدّة من الحصون

ثمّ رحل صلاح الدين عن لاذقيّة فى السابع والعشرين من جمادى الاولى وقصد قلعة صهيون وهى قلعة منيعة شاهقة فى الهوآء صعبة المرتقى على قرنة جبل يطيف بها وادٍ عميق فيه ضيق فى بعض المواضع بحيث ان حجر المنجنيق يصل منه الى الحصن الّا انّ الجبل متّصل بها من جهة الشمال وقد عملوا لها خندقًا عميقًا لا يرى قعره وخمسة اسوار منيعة فنزل صلاح الدين على هذا الجبل الملتصق بها ونُصبت عليه المنجنيقات ورماها وتقدّم الى ولده الظاهر صاحب حلب فنزل على المكان الضيق من الوادى ونصب عليه المنجنيقات ايضًا فرمى الحصن منه وكان معه من الرجالة الحلبيّين كثير وهم فى الشجاعة بالمنزلة

المشهورة ودام رشق السهام من قسيّ اليد والجرخ والزنبورك والزيار فجرح اكثر مَن بالحصن وهم يُظهرون التجلّد والامتناع وزحف المسلمون اليهم ثانى جمادى الاخرة فتعلّقوا بقرنة من ذلك الجبل قد اغفل الفرنج احكامها فتسلّقوا منها بين الصخور حتّى التحقوا بالسور الاوّل فلكوا منها ثلاثة وغنموا ما فيها من ابقار ودوابّ وذخاير وغير ذلك واحتمى الفرنج بالقلّة التى للقلعة فقاتلهم المسلمون عليها فنادوا وطلبوا الامان فلم يجبهم صلاح الدين اليه فقرّروا على انفسهم مثل قطيعة البيت المقدّس وتسلّم الحصن وسلّمه الى امير يقال له ناصر الدين منكورس صاحب قلعة ابى قُبيس فحصّنه وجعله من احصن الحصون ولمّا ملك المسلمون صهيون تفرّقوا فى تلك النواحى فلكوا حصن بلاطنوس كان مَن به من الفرنج قد هربوا منه وتركوه خوفًا ورعبًا وملك ايضًا حصن العيدو[1] وحصن الجماهرتين فاتّسقت المملكة الاسلاميّة بتلك الناحية الّا انّ الطريق اليها من البلاد الاسلاميّة على عقبة بكسرائيل شاقّ[2] شديد لانّ الطريق السهلة كانت غير مسلوكة لانّ بعضها بيد الاسماعيليّة وبعضها بيد الفرنج ☆

ذكر فتح حصن بكاس والشُغر

ثمّ سار صلاح الدين عن صهيون ثالث جمادى الاخرة فوصل الى قلعة بكاس [فراى الفرنج قد اخلوها وتحصّنوا بقلعة الشغر فلك قلعة بكاس][2] بغير قتال وتقدّم الى قلعة الشغر وهى وبكاس على الطريق السهل المسلوك الى لاذقيّة وجبلة والبلاد التى افتتحها صلاح الدين من بلاد الشام الاسلاميّة فلمّا نازلها رءاها منيعة حصينة لا ترام ولا يوصل اليها بطريق من الطرق الّا انّه امر بزاحفتهم ونصب منجنيق عليهم ففعلوا ذلك ورمى بالمنجنيق فلم يصل من احجاره الى القلعة شىءٌ الّا القليل الذى لا يُوذى فبقى المسلمون عليه ايّامًا لا يرون فيه طمعًا واهله غير مهتمّين بالقتال لامتناعهم عن ضرر يتطرّق اليهم وبلآءٍ ينزل عليهم فبينما صلاح الدين جالس وعنده اصحابه وهم فى ذكر القلعة

[1]) C. P.: العدو 740: العيدو [2]) C. P.

واعمال الحيلة فى الوصول اليها فقال بعضهم هذا الحصن كما قال الله تعالى فَمَا ٱسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا[1] فقال صلاح الدين او ياتى الله بنصر من عنده وفتح فبينما هم فى هذا الحديث واذ قد اشرف عليهم فرنجىّ ونادى بطلب الامان لرسول يحضر عند صلاح الدين فاجيب الى ذلك ونزل رسول وسال انتظارهم ثلاثة ايّام فان جاءهم من يمنعهم والّا سلّموا القلعة بما فيه من ذخاير ودوابّ وغير ذلك فاجابهم اليه واخذ رهاينهم على الوفآء به فلمّا كان اليوم الثالث سلّموها اليه واتّفق يوم الجمعة سادس عشر جمادى الاخرة ، وكان سبب استمهالهم انّهم ارسلوا الى البيمند صاحب انطاكيّة وكان هذا الحصن له يعرّفونه انّهم محصورون ويطلبون منه ان يرحّل عنهم المسلمين فان فعل والّا سلّموها وانّما فعلوا ذلك لرعب قذفه الله تعالى فى قلوبهم والّا فلو اقاموا الدهر الطويل لم يصل اليهم احد ولا بلغ المسلمون منه غرضًا ، فلمّا تسلّم صلاح الدين الحصن سلّمه الى امير يقال له قلج وامره بعمارته ورحل عنه ۞

ذكر فتح سرمينيّة

لمّا كان صلاح الدين مشغولاً بهذه القلاع والحصون سيّر ولده الظاهر غازى صاحب حلب فحصر سرمينيّة وضيّق على اهله واستنزلهم على قطيعة قرّرها عليهم فلمّا انزلهم واخذ منهم المقاطعة هدم الحصن وعفى اثره وعالى[2] بنيانه وكان فيه وفى هذه الحصون من اسارى المسلمين الجمّ الغفير فاطلقوا واُعطوا كسوة ونفقة وكان فتحه فى يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى الاخرة واتّفق انّ فتح هذه المدن والحصون جميعها من جبلة الى سرمينيّة مع كثرتها كان فى ستّ جُمع مع انّها فى ايدى اشجع الناس واشدّهم عداوةً للمسلمين فسبحان مَن اذا اراد ان يسهل الصعب فعل وهى جميعها من اعمال انطاكيّة ولم يبق لها سوى القُصير وبغراس ودرب ساك وسياتى ذكرها ان شآء الله تعالى فى مكانه ۞

ذكر فتح برزية

لمّا رحل صلاح الدين من قلعة الشغر سار الى قلعة برزية وكانت قد وُصفتْ له وهى تقابل حصن افامية وتناصفها فى اعمالها وبينهما

[2]) C. P. et 740; at in C. P. deest: اثره Ups.: وعلى لى [1]) Cor. 18, 96.

بحيرة تجتمع من ماء العاصى وعيون تتفجّر من جبل برزية وغيره وكان اهلها اضرّ شئ على المسلمين يقطعون الطريق ويبالغون فى الاذى فلمّا وصل اليها نزل شرقيّها فى الرابع والعشرين من جمادى الاخرة ثمّ ركب من الغد وطاف عليها لينظر موضعًا يقاتلها منه فلم يجده الّا من جهة الغرب فنصب له هناك [خيمة][1] صغيرة ونزل فيها ومعه بعض العسكر جريدة لضيق المواضع وهذه القلعة لا يمكن ان تقاتل من جهة الشمال والجنوب البتّة فانّها لا يقدر احد يصعد جبلها من هاتين الجهتين واما الجانب الشرقىّ فيمكن الصعود منه لكن لغير مقاتل لعلوّه وصعوبته واما جهة الغرب فانّ الوادى المطيف بجبلها قد ارتفع هناك ارتفاعًا كثيرًا حتّى قارب القلعة بحيث يصل منه حجر المنجنيق والسهام فنزله المسلمون ونصبوا عليه المنجنيقات ونصب اهل القلعة عليها منجنيقًا بطّلها ورايتُ انا من راس جبل عالٍ يشرف على القلعة لكنّه لا يصل منه شئ اليها امراة ترمى من القلعة عن المنجنيق وهى التى بطّلت منجنيق المسلمين فلمّا راى صلاح الدين انّ المنجنيق لا ينتفعون به عزم على الزحف ومكاثرة اهلها بجموعه فقسم عسكره ثلاثة اقسام يزحف قسم فاذا تعبوا وكلّوا عادوا وزحف القسم الثانى فاذا تعبوا وضجروا عادوا وزحف القسم الثالث ثمّ يدور الدور مرّة بعد اخرى حتّى يتعب الفرنج وينصبوا فانّهم لم يكن عندهم من الكثرة ما يتقسّمون كذلك فاذا تعبوا واعيوا سلّموا القلعة . فلمّا كان الغد وهو السابع والعشرون من جمادى الاخرة تقدّم احد الاقسام وكان المقدّم عليهم عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى صاحب سنجار وزحفوا وخرج الفرنج من حصنهم فقاتلهم على فصيلهم ورماهم المسلمون بالسهام من وراء الجفتيات والجنويّات والطارقيات ومشوا اليهم حتّى قربوا الى الجبل فلمّا قاربوا الفرنج عجزوا عن الدنوّ منهم لخشونة المرتقى وتسلّط الفرنج عليهم لعلوّ مكانهم بالنشاب والحجارة فانّهم كانوا يُلقون الحجارة الكبار فتتدحرج الى اسفل الجبل فلا يقوم لها شئ فلمّا تعب هذا القسم

[1]) C. P. et 740.

انحدروا وصعد القسم الثانى وكانوا جلوسًا ينتظرونهم وهم حلقة صلاح الدين الخاصّ فقاتلوا قتالاً شديدًا وكان الزمان حرًّا شديدًا فاشتدّ الكرب على الناس وصلاح الدين فى سلاحه يطوف عليهم ويحرّضهم وكان تقى الدين ابن اخيه كذلك فقاتلوهم الى قريب الظهر ثمّ تعبوا ورجعوا فلمّا رآهم صلاح الدين قد عادوا تقدّم اليهم وبيده جماق يردّهم وصاح فى القسم الثالث وهم جلوس ينتظرون نوبتهم فوثبوا مُلبّين وساعدوا اخوانهم وزحفوا معهم فجآء الفرنج ما لا قبل لهم به وكان اصحاب عماد الدين قد استراحوا فقاموا ايضًا معهم فحينئذ اشتدّ الامر على الفرنج وبلغت القلوب الحناجر وكانوا قد اشتدّ تعبهم ونصبهم فظهر عجزهم عن القتال وضعفهم عن حمل السلاح لشدّة الحرّ والقتال فخالطهم المسلمون فعاد الفرنج يدخلون الحصن فدخل المسلمون معهم وكان طايفة قليلة فى الخيام شرقىّ الحصن فراوا الفرنج قد اهملوا ذلك الجانب لانّهم لا يروا فيه مقاتلًا وليكثروا فى الجهة التى فيها صلاح الدين فصعد تلك الطايفة من العسكر فلم يمنعهم مانع فصعدوا ايضًا الحصن من الجهة الاخرى فالتقوا مع المسلمين الداخلين مع الفرنج فملكوا الحصن عنوةً وقهرًا ودخل الفرنج[1] القلّة التى للحصن واحاط بها المسلمون وارادوا نقبها وكان الفرنج قد رفعوا مَن عندهم من اسرى المسلمين الى سطح القلّة وارجلهم فى القيود والخشب المنقوب فلمّا سمعوا تكبير المسلمين فى نواحى القلعة كبّروا فى سطح القلّة وظنّ[1] الفرنج انّ المسلمين قد صعدوا على السطح فاستسلموا والقوا بايديهم الى الاسر فملكها المسلمون عنوةً ونهبوا ما فيها واسروا وسبوا مَن فيها واخذوا صاحبها واهله وامسَتْ خالية لا ديار بها والقى المسلمون النار فى بعض بيوتهم فاحترقتْ ٭ ومن العجب ما يُحكى من السلامة انّنى رايتُ رجلًا من المسلمين على هذا قد جآء من طايفة من المومنين شمالىّ القلعة الى طايفة اخرى من المسلمين جنوبىّ القلعة وهو يعدو فى الجبل عرضًا فالقيتْ عليه الحجارة وجآءته حجرٌ كبيرة لو نالته لبعجته فنزلت عليه فناداه الناس يحذرونه فالتفت

---

1) ظن

ينظر ما الخبر فسقط على وجهه من عثرة فاسترجع الناس وجآءت الحجر اليه فلمّا قاربته وهو منبطح على وجهه لقيها حجر اخر نابتة فى الارض فوق الرجل فضربتها المنحدرة فارتفعت عن الارض وجازت الرجل ثمّ عادت الى الارض من جانبه الاخر لم ينله منها اذى ولا ضرر وقام يعدو حتى لحق باصحابه فكان سقوطه سبب نجاته فتعست امّ الجبان ، وامّا صاحب برزية فانّه أُسر هو واصحابه وامرأته واولاده ومنهم بنت له معها زوجها فتفرّقهم العسكر فارسل صلاح الدين فى الوقت وبحث عنهم واشتراهم وجمع شمل بعضهم ببعض فلمّا قارب انطاكيّة اطلقهم وسيّرهم اليها وكانت امراة صاحب برزية اخت امراة بيمند صاحب انطاكيّة وكانت تراسل صلاح الدين وتهاديه وتُعلمه كثيرًا من الاحوال التى تؤثر فاطلق هولآء لاجلها ☆

ذكر فتح درب ساك

لمّا فتح صلاح الدين حصن برزية رحل عنه من الغد فاتى جسر الحديد وهو على العاصى بالقرب من انطاكيّة فاقام عليه حتى وافاه مَن تخلّف عنه من عسكره ثمّ سار عنه الى قلعة درب ساك فنزل عليها ثامن رجب وهى من معاقل الداويّة الحصينة وقلاعهم التى يدّخرونها لحماياتهم عند نزول الشدايد فلمّا نزل عليها نصب المنجنيقات وتابع الرمى بالحجارة فهدمت من سورها شيًا يسيرًا فلم يبال مَن فيه بذلك فامر بالزحف عليها ومهاجمتها فبادرها العسكر بالزحف وقاتلوها وكشفوا الرجال عن سورها وتقدّم النقّابون فنقبوا منها برجًا وعلّقوه فسقط واتّسع المكان الذى تريد المقاتلة يدخلون منه وعادوا يومهم ذلك ثمّ باكروا الزحف من الغد وكان مَن فيه قد ارسلوا الى صاحب انطاكيّة يستنجدونه فصبروا واظهروا الجلد وهم ينتظرون جوابه امّا بانجادهم وازاحة المسلمين عنهم وامّا بالتخلّى عنهم ليقوم عذرهم فى التسليم فلمّا علموا عجزه عن نصرتهم وخافوا هجوم المسلمين عليها واخذهم بالسيف وقتلهم واسرهم ونهب اموالهم طلبوا الامان فامّنهم على شرط [ان] لا يخرج احد الّا بثيابه التى عليه بغير مال ولا سلاح ولا اثاث بيت ولا دابّة ولا شئ ممّا بها ثمّ اخرجهم منه وسيّرهم الى انطاكيّة وكان فتحه تاسع عشر رجب ☆

ذكر فتح بغراس

ثمّ سار عن درب ساك الى قلعة بغراس فحصرها بعد ان اختلف اصحابه فى حصرها فنهم مَن اشار به ومنهم مَن نهى عنه وقال هو حصن حصين وقلعة منيعة وهو بالقرب من انطاكيّة ولا فرق بين حصره وحصرها ويحتاج ان يكون اكثر العسكر فى اليزك مقابل انطاكيّة فاذا كان الامر كذلك قلّ المقاتلون عليها ويتعذّر الوصول اليها فاستخار الله تعالى وسار اليها وجعل اكثر عسكره يزكًا مقابل انطاكيّة يُغيرون على اعمالها وكانوا حذرين من الخوف من اهلها ان غفلوا لقربهم منها وصلاح الدين فى بعض اصحابه على القلعة يقاتلها ونصب المنجنيقات فلم يوثر فيها شيأً لعلوّها وارتفاعها فغلب على الظنون تعذُّر فتحها وتاخر مُلكها وشقّ على المسلمين قلّة المآء عندهم الّا انّ صلاح الدين نصب الحياض وامر بحمل المآء اليها فخفّف الامر عليهم فبينما هو على هذه الحال واذ قد فتح باب القلعة وخرج منه انسان يطلب الامان فاجيب الى ذلك فاذن له فى الحضور فحضر وطلب الامان لمن فى الحصن حتى يسلّموه اليه بما فيه على قاعدة درب ساك فاجابهم الى ما طلبوا فعاد الرسول ومعه الاعلام الاسلاميّة فرفعت على راس القلعة ونزل من فيها وتسلّم المسلمون القلعة بما فيها من ذخاير واموال وسلاح وامر صلاح الدين بتخريبه فخُرّب وكان ذلك مضرّة عظيمة على المسلمين فانّ ابن ليون صاحب الارمن خرج اليه من ولايته وهو مجاوره فجدّد عمارته واتقنه وجعل فيه جماعة من عسكره يغيرون منه على البلاد فتاذّى بهم السواد الذى لحلب وهو الى الآن بايديهم ✿

ذكر الهدنة بين المسلمين وصاحب انطاكيّة

لمّا فتح صلاح الدين بغراس عزم على التوجّه الى انطاكيّة وحصرها فخاف البيمند صاحبها من ذلك واشفق منه فارسل الى صلاح الدين يطلب الهدنة وبذل اطلاق كلّ اسير عنده من المسلمين فاستشار مَن عنده من اصحاب الاطراف وغيرهم فاشار اكثرهم باجابته الى ذلك ليعود الناس ليستريحون ويجدّدون ما يحتاجون اليه فاجاب الى ذلك واصطلحوا ثمانية اشهر اوّلها اوّل تشرين الاوّل واخرها اخر ايار وسيّر

رسوله الى صاحب انطاكيّة يستحلفه ويطلق مَن عنده من الاسرى وكان صاحب انطاكيّة فى هذا الوقت اعظم الفرنج شانًا واكثرهم مُلكًا فانّه كان الفرنج قد سلّموا اليه طرابلس بعد موت القمص وجميع اعمالها مضافًا الى ما كان له لانّ القمص لم يخلّف ولدًا فلمّا سُلّمتْ اليه طرابلس جعل ولده الاكبر فيها نايبًا عنه ، وامّا صلاح الدين فانّه عاد الى حلب ثالث شعبان فدخلها وسار منها الى دمشق وفرّق العساكر الشرقيّة كعماد الدين زنكى بن مودود صاحب سنجار والخابور وعسكر الموصل وغيرها ثم رحل من حلب الى دمشق وجعل طريقه على قبر عمر بن عبد العزيز فزاره وزار الشيخ الصالح ابا زكرياء المغربىّ وكان مقيمًا هناك وكان من عباد الله الصالحين وله كرامات ظاهرة وكان مع صلاح الدين الامير عزّ الدين ابو الفليتة قاسم بن المهنّا العلوىّ الحسينىّ وهو امير مدينة النبىّ صلّعم كان قد حضر عنده وشهد معه مشاهده وفتوحه وكان صلاح الدين قد تبارك برؤيته وتيمّن بصحبته وكان يُكرمه كثيرًا وينبسط معه ويرجع الى قوله فى اعماله كلّها ودخل دمشق اوّل شهر رمضان فاشير عليه بتفريق العساكر فقال انّ العمر قصير والاجل غير مامون وقد بقى بيد الفرنج هذه الحصون كوكب وصفد والكرك وغيرها ولا بدّ من الفراغ منها فانّها فى وسط بلاد الاسلام ولا يومن شرُّ اهلها وان اغفلناهم ندمنا فيما بعد والله اعلم ❁

ذكر فتح الكرك وما يجاوره

كان صلاح الدين قد جعل على الكرك عسكرًا يحصره فلازموا الحصار هذه المدّة الطويلة حتّى فنيتْ ازواد الفرنج وذخايرهم واكلوا دوابّهم وصبروا حتّى لم يبق للصبر مجالٌ فراسلوا الملك العادل اخا صلاح الدين وكان جعله صلاح الدين على قلعة الكرك فى جمع من العسكر يحصرها ويكون مطلعًا على هذه الناحية من البلاد لمّا ابعد هو الى درب ساك وبُغراس فوصلته رسل الفرنج من الكرك يبذلون تسليم القلعة اليه ويطلبون الامان فاجابهم الى ذلك وارسل الى مقدّم العسكر الذى يحصرها فى المعنى فتسلّم القلعة منهم وامّنهم وتسلّم ايضًا ما يقاربه من الحصون كالشوبك وهرمز والوعيرة والسلع وفرّغ للقلب من تلك الناحية

والقى الاسلام هناك جرانه وامنت قلوب مَن فى ذلك الشُّقع من البلاد كالقدس وغيره فانّهم كانوا ممّن بتلك الحصون وجلين ومن شرّهم مشفقين ۞

ذكر فتح قلعة صفد

لمّا وصل صلاح الدين الى دمشق واشير عليه بتفريق العساكر وقال لا بدّ من الفرنج من صفد وكوكب وغيرها اقام بدمشق الى منتصف رمضان وسار عن دمشق الى قلعة صفد فحصرها وقاتلها ونصب عليها المنجنيقات وادام الرمى اليها ليلًا ونهارًا بالحجارة والسهام وكان اهلها قد قارب ذخايرهم وازوادهم ان تفنى فى المدّة التى كانوا فيها محاصرين فانّ عسكر صلاح الدين كان يحاصرهم كما ذكرناه فلمّا راى اهله جدّ صلاح الدين فى قتالهم خافوا ان يقيم الى ان يفنى ما بقى معهم من اقواتهم وكانت قليلة ويأخذهم عنوة ويهلكهم او انّهم يضعفون عن مقاومته قبل فناء ما عندهم من القوت فياخذهم فارسلوا يطلبون الامان فامّنهم وتسلّمها منهم فخرجوا عنها وساروا الى مدينة صور وكفى الله المؤمنين شرّهم فانّهم كانوا وسط البلاد الاسلاميّة ۞

ذكر فتح كوكب

لمّا كان صلاح الدين يحاصر صفد اجتمع مَن بصور من الفرنج وقالوا ان فتح المسلمون قلعة صفد لم تبق كوكب ولو انّها معلّقة بالكوكب وحينئذ ينقطع طمعنا من هذا الطرف من البلاد فاتّفق رايهم على انفاذ نجدة لها سرًّا من رجال وسلاح وغير ذلك فاخرجوا مايتى رجل من شجعان الفرنج واجلادهم فساروا الليل مستخفين واقاموا النهار مكمنين فاتّفق من قدر الله تعالى انّ رجلًا من المسلمين الذين يحاصرون كوكب خرج متصيّدًا فلقى رجلًا من تلك النجدة فاستغربه بتلك الارض فضربه ليعلمه بحاله وما الذى اقدمه الى هناك فاقرّ بالحال ودلّه على اصحابه فعاد الجندىّ المسلم الى قايماز النجمىّ وهو مقدّم ذلك العسكر فاعلمه الخبر والفرنجىّ معه فركب فى طايفة من العسكر الى الموضع الذى قد اختفى فيه الفرنج فكبسهم فاخذهم وتتبّعهم فى الشعاب والكهوف فلم يُفلت منهم احدٌ فكان معهم مقدّمان من فرسان الاسبتار فحُملوا الى صلاح الدين وهو على صفد فاحضرهما ليقتلهما وكانت عادته

قتل الداويّة والاسبتاريّة لشدّة عداوتهم للمسلمين وشجاعتهم فلمّا امر بقتلهما قال له احدهما ما اظنّ ينالنا سوء وقد نظرنا الى طلعتك المباركة ووجهك الصبيح وكان رحمه الله كثير العفو يفعل الاعتذار والاستعطاف فيه فيعفو ويصفح فلمّا سمع كلامهما لم يقتلهما وامر بهما فسُجنا ، ولمّا فتح صفد سار عنها الى كوكب ونازلها وحصرها وارسل الى مَن بها من الفرنج يبذل لهم الامان ان سلّموا ويتهدّدهم بالقتل والسبى والنهب ان امتنعوا فلم يسمعوا قوله واصرّوا على الامتناع فجدّ فى قتالهم ونصب عليهم المنجنيقات وتابع رمى الاحجار اليهم وزحف مرّة بعد مرّة وكانت الامطار كثيرة لا تنقطع ليلًا ولا نهارًا فلم يتمكّن المسلمون من القتال على الوجه الذى يريدونه وطال مقامهم عليها وفى اخر الامر زحف اليها دفعات متناوبة فى يوم واحد ووصلوا الى باشورة القلعة ومعهم النقّابون والرماة يحمونهم بالنشاب عن قوس اليد والجروخ فلم يقدر احد منهم ان يخرج راسه من اعلى السور فنقبوا الباشورة فسقطت وتقدّموا الى السور الاعلى فلمّا راى الفرنج ذلك اذعنوا بالتسليم وطلبوا الامان فامّنهم وتسلّم الحصن منهم منتصف ذى القعدة وسيّرهم الى صور فوصلوا اليها واجتمع بها من شياطين الفرنج وشجعانهم كلّ صنديد فاشتدّت شوكتهم وحميت جمرتهم وتابعوا الرسل الى مَن بالاندلس وصقليّة وغيرها من جزاير البحر يستغيثون ويستنجدون والامداد كلّ قليل تاتيهم وكان ذلك كلّه بتفريط صلاح الدين فى اطلاق كلّ من حصره حتّى عضّ بنانه ندمًا واسفًا حيث لم ينفعه ذلك واجتمع للمسلمين بفتح كوكب وصفد من حدّ ايلة الى اقصى اعمال بيروت لا يفصل بينه غير مدينة صور وجميع اعمال انطاكيّة سوى القُصير ولمّا ملك صلاح الدين صفد سار الى البيت المقدّس فعيّد فيه عيد الاضحى ثمّ سار منه الى عكّا فاقام بها حتّى انسلخت السنة ۞

ذكر ظهور طايفة من الشيعة بمصر

فى هذه السنة ثار بالقاهرة جماعة من الشيعة عدّتهم اثنا عشر رجلًا ليلًا ونادوا بشعار العلويّين يال علىّ يال علىّ وسلكوا الدروب ينادون ظنًّا منهم انّ رعيّة البلد يلبّون دعوتهم ويخرجون معهم فيعيدون

الدولة العلويّة ويُخرجون بعض مَن بالقصر محبوسًا منهم ويملكون البلد فلم يلتفت احد منهم اليهم ولا اعارهم سمعه فلمّا راوا ذلك تفرّقوا خايفين فأُخذوا وكُتب بذلك الى صلاح الدين فاهمّه امرهم وازعجه فدخل عليه القاضى الفاضل فاخبره الخبر فقال القاضى الفاضل ينبغى ان تفرح بذلك ولا تحزن ولا تهتمّ حيث علمتَ من بواطن رعيّتك المحبّة لك والنصح وترك الميل الى عدوّك ولو وضعت جماعة يفعلون مثل هذه الحالة لتعلم بواطن اصحابك ورعيّتك وخسرت الاموال الجليلة عليهم لكان قليلًا فسرى عنه وكان هذا القاضى الفاضل صاحب دولة صلاح الدين واكبر مَن بها وسنأتى مناقبه عند وفاته ما تراه ❁

ذكر انهزام عسكر الخليفة من السلطان طغرل

فى هذه السنة جهّز الخليفة الناصر لدين الله عسكرًا كثيرًا وجعل المقدّم عليهم وزيره جلال الدين عبيد الله بن يونس وسيّرهم الى مساعدة قزل ليكفّ الناس طغرل عن البلاد فسار العسكر ثالث صفر الى ان قارب همذان فلم يصل قزل اليهم واقبل طغرل اليهم فالتقوا ثامن ربيع الأوّل بداى مرج عند همذان واقتتلوا فلم يثبت عسكر بغداد بل انهزموا وتفرّقوا وثبت الوزير قايمًا ومعه مصحف وسيف فاتاه من عسكر طغرل مَن اسره واخذ ما معه من خزانة وسلاح ودوابّ وغير ذلك وعاد العسكر الى بغداد متفرّقين وكنتُ حينئذ بالشام فى عسكر صلاح الدين يريد الغزاة فاتاه الخبر مع النجابين بمسير العسكر البغدادىّ فقال كانّكم وقد وصل الخبر بانهزامهم فقال له بعض الحاضرين وكيف ذلك فقال لا شكّ انّ اصحابى واهلى اعرف بالحرب من الوزير واطوع فى العسكر منه ومع هذا فما ارسل احدًا منهم فى سريّة للحرب الّا واخاف عليه وهذا الوزير فغير عارف بالحرب وقريبُ العهد بالولاية ولا يراه الامرآء اهلًا ان يُطاع وفى مقابلة سلطان شجاع قد باشر الحرب بنفسه ومَن معه يطيعه وكان الامر كذلك ووصل الخبر اليه بانهزامهم فقال لاصحابه كنتُ اخبرتُكم بكذا وكذا وقد وصل الخبر بذلك ❁ ولمّا عادت عساكر بغداد منهزمة قال بعض الشعرآء وهو احمد بن الواثق بالله

أُتركونا من جاجات الجريمة طلعةً طلعةً تكون وخيمهْ

بركات الوزير قد شملتْنا فلهذا امورنا مستقيمَهْ
خرجتْ جندنا تريد خراسانَ جميعًا بابّهات عظيمَهْ
بخيول وعدّة وعديد وسيوف مجرّبات قديمَهْ
ووزير وطاق طنب ونفش وخيول معدّة للهزيمَهْ
ثمّ رأوا غرّة العدو قد[1] اقبل ولوآء واحلّ عقد العزيمَهْ
واتونا ولا تخفى حنين بوجوه سود قباح ذميمَهْ
لو راى صاحب الزمان ولو عاين افعالهم وقبح الجريمَهْ
قابل الكلّ بالنكال وناهيك بها سُنّةٌ عليهم مقيمَهْ

كان ينبغى ان تتقدّم هذه الحادثة وانّما اخّرتُها لتتبع الحوادث المتقدّمة بعضها بعضًا لتتعلق كلّ واحدة منها بالاخرى ❁

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة توفّى شيخنا ابو محمّد عبد الله بن علىّ بن عبد الله بن سويدة التكريتىّ كان عالمًا بالحديث وله تصانيف حسنة، وفيها توفّيت سلجوقة خاتون بنت قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان زوجة الخليفة وكانت قبله زوجة نور الدين محمّد بن قرا ارسلان صاحب الحصن فلمّا توفّى عنها تزوّجها الخليفة ووجد الخليفة عليها وجدًا عظيمًا ظهر للناس كلّهم وبنى على قبرها تُربةً بالجانب الغربىّ والى جانب التربة رباطه المشهور بالرملة، وفيها توفّى علآء الدين تنامش وحُمل تابوته الى مشهد الحسن عم، وفيها توفّى خادم الخليفة وكان اكبر امير ببغداد، ومات ابو الفرج بن النقور[2] العدل ببغداد وسمع الحديث الكثير وهو من بيت الحديث رحمه الله ❁

ثمّ دخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة، سنة ٥٨٥

ذكر فتح شقيف ارنوم

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل سار صلاح الدين الى شقيف ارنوم وهو من امنع الحصون ليحصره فنزل بمرج عيون فنزل صاحب الشقيف وهو ارناط صاحب صيدا وكان هذا ارناط من اعظم الناس دهآءً ومكرًا

---

[1] وقد
[2] C. P. 740: النقور Ups.: النعور

فدخل اليه واجتمع به واظهر له الطاعة والمودّة وقال له انا محبّ لك ومعترف باحسانك واخاف ان يعرف المركيس ما بيني وبينك فينال اولادي واهلي منه اذى فانّهم عنده فاشتهي ان تمهّلني حتّى اتوصّل في تخليصهم من عنده وحينيئذ احضر انا وهم عندك ونسلّم لحصن اليك واكون انا وهم في خدمتك نقنع بما تعطينا من اقطاع فظنّ صلاح الدين صدقه فاجابه الى ما سال فاستقرّ الامر بينهما ان يتسلّم الشقيف في جمادى الاخرة واقام صلاح الدين بمرج عيون ينتظر الميعاد وهو قلقٌ مفكّر لقرب انقضآء مدّة الهدنة بينه وبين البيمند صاحب انطاكيّة فامر تقى الدين ابن اخيه ان يسير في مَن معه من عساكره ومَن يأتي من بلاد المشرق ويكون مقابل انطاكيّة لئلّا يغير صاحبها على بلاد الاسلام عند انقضآء الهدنة ؛ وكان ايضًا منزعج الخاطر كثير الهمّ لما بلغه من اجتماع الفرنج بمدينة صور وما يتّصل بهم من الامداد في البحر وانّ ملك الفرنج الذى كان قد اسره صلاح الدين واطلقه بعد فتح القدس قد اصطلح هو والمركيس بعد اختلاف كان بينهما وانّهم قد اجتمعوا في خلق لا تُحصى فانّهم قد خرجوا من مدينة صور الى ظاهرها فكان هذا واشباهه ممّا يزعجه ويخاف من ترك الشقيف ورآء ظهره والتقدّم الى صور وفيها الجموع المتوافرة فتنقطع الميرة عنه الّا انّه مع هذه الاشيآء مقيم على العهد مع ارناط صاحب الشقيف وكان ارناط في مدّة الهدنة يشترى الاقوات من سوق العسكر والسلاح وغير ذلك ممّا يُحصّن به شقيفه وكان صلاح الدين يُحسّن الظنّ واذا قيل له عنه ممّا هو فيه من المكر وانّ قصده المطاولة الى ان يظهر الفرنج من صور وحينيئذ يبدى فضيحته ويظهر مخالفته لا يقبل فيه فلمّا قارب انقضآء الهدنة تقدّم صلاح الدين من معسكره الى القرب من شقيف ارنوم واحضر عنده ارناط وقد بقى من الاجل ثلاثة ايّام فقال له في معنى تسليم الشقيف فاعتذر باولاده واهله وانّ المركيس لم يمكنهم من المجئ اليه وطلب التاخير مدّة اخرى فحينيئذ علم السلطان مكره وخداعه فاخذه وحبسه وامره بتسليم الشقيف فطلب قسّيسًا ذكره

ليحمل رسالة الى مَن بالشقيف ليسلّموه فاحضروه عنده فسارّه بما لم يعلموا فمضى ذلك القسيس الى الشقيف فاظهر اهله العصيان فسيّر صلاح الدين ارناط الى دمشق وسجنه وتقدّم الى الشقيف فحصره وضيّق عليه وجعل عليه مَن يحفظه ويمنع عن الذخيرة والرجال ✿

ذكر وقعة اليَزَك مع الفرنج

لمّا كان صلاح الدين بمرج عيون وعلى الشقيف جآته كُتب من اصحابه الذين جعلهم يَزَكًا فى مقابل الفرنج على صور يخبرونه فيها انّ الفرنج قد اجمعوا على عبور الجسر الذى لصور وعزموا على حصار صيْدا فسار صلاح الدين جريدة فى شجعان اصحابه سوى مَن جعله على الشقيف فوصل اليهم وقد فات الامر وذلك انّ الفرنج قد فارقوا صور وساروا عنها لمقصدهم فلقيهم اليَزَك على مضيق هناك وقاتلوهم ومنعوهم وجرى لهم معهم حرب شديدة يشيب لها الوليد واسروا من الفرنج جماعة وقتلوا جماعة وقُتل من المسلمين ايضًا جماعة منهم مملوك لصلاح الدين كان من اشجع الناس فحمل وحده على صفّ الفرنج فاختلط بهم وضربهم بسيفه يمينًا وشمالًا فتكاثروا عليه فقتلوه رحمه الله ثمّ انّ الفرنج عجزوا عن الوصول الى صيْدا فعادوا الى مكانهم ✿

ذكر وقعة ثانية للغزاة المتطوّعة

لمّا وصل صلاح الدين الى اليزك وقد فاتته تلك الوقعة اقام عندهم فى خيمة صغيرة ينتظر عودة الفرنج لينتقم منهم ويأخذ بثار مَن قتلوه من المسلمين فركب فى بعض الايّام فى عدّة يسيرة على ان ينظر الى مخيم الفرنج من الجبل ليعمل بمقتضى ما يشاهده وظنّ مَن هناك من غزاة العجم والعرب المتطوّعة انّه على قصد المصافّ والحرب فساروا مجدّين واوغلوا فى ارض العدوّ مبعدين وفارقوا الحزم وخلّفوا السلطان ورآء ظهورهم وقاربوا الفرنج فارسل صلاح الدين عدّة من الامرآء يردّونهم ويحمونهم الى ان يخرجوا فلم يسمعوا ولم يقبلوا وكان الفرنج قد اعتقدوا انّ ورآءهم كمينًا فلم يقدموا عليهم فارسلوا مَن ينظر حقيقة الامر فاتاهم الخبر انّهم منقطعون عن المسلمين وليس ورآءهم ما يُخاف فحملت الفرنج عليهم حملة رجل واحد فقاتلوهم فلم يلبثوا ان اذموهم وقُتل معهم جماعة من

المعروفين وشق على صلاح الدين والمسلمين ما جرى عليهم وكان ذلك بتفريطهم فى حق انفسهم رحمهم الله ورضى عنهم وكانت هذه الوقعة تاسع جمادى الاولى فلمّا راى صلاح الدين ذلك انحدر من الجبل اليهم فى عسكره فحملوا على الفرنج فالقوهم الى الجسر وقد اخذوا طريقهم فالقوا انفسهم فى الماء فغرق منهم نحو ماية دارع سوى مَن قُتل وعزم السلطان على مصابرتهم ومحاصرتهم فتسامع الناس فقصدوه واجتمع معه خلق كثير فلمّا راى الفرنج ذلك عادوا الى مدينة صور فلمّا عادوا اليها عاد صلاح الدين الى تبنين ثمّ الى عكّا ينظر حالها ثمّ عاد الى العسكر والمخيّم ۞

ذكــر وقــعــة ثالــثــة

لمّا عاد صلاح الدين الى العسكر اتاه الخبر انّ الفرنج يخرجون من صور للاحتطاب والاحتشاش متبدّدين فكتب الى مَن بعكّا من العسكر وواعدهم بيوم الاثنين ثامن جمادى الاخرة ليلاقوهم من الجانبين ورتّب كمناءَ فى موضع من تلك الاودية والشعاب واختار جماعة من شجعان عسكره وامرهم انّهم اذا حمل عليهم الفرنج قاتلوهم شيئًا من قتال ثمّ تطاردوا لهم واروهم العجزَ عن مقاتلتهم فاذا تبعهم الفرنج فاستجرّوهم الى ان يجوزوا موضع الكمين ثمّ يعطفوا عليهم ويخرج الكمين من خلفهم فخرجوا على هذه العزيمة فلمّا تراءى الجمعان والتقت الفئتان انف فرسان المسلمين ان يظهر عنهم اسم الهزيمة وثبتوا فقاتلوهم وصبر بعضهم لبعض واشتدّ القتال وعظُم الامر ودامت الحرب وطال على الكمناءِ الانتظار فخافوا على اصحابهم فخرجوا من مكامنهم نحوهم مسرعين واليهم قاصدين فاتوهم وهم فى شدّة الحرب فازداد الامر شدّة على شدّة وكان فيهم اربعة امراء من ربيعة طىّ وكانوا يجهلون تلك الارض فلم يسلكوا مسلك اصحابهم فسلكوا الوادى ظنًّا منهم انّه يخرج بهم الى اصحابهم وتبعهم بعض مماليك صلاح الدين فلمّا راهم الفرنج بالوادى علموا انّهم جاهلون فاتوهم وقاتلوهم وامّا المملوك فانّه نزل عن فرسه وجلس على صخرة واخذ قوسه بيده وحمى نفسه وجعلوا يرمونه بسهام الزنبورك وهو يرميهم فجرح منهم جماعة وجرحوه جراحات كثيرة فسقط فاتوه وهو باخر رمق فتركوه وانصرفوا وهم يحسبونه ميتًا ثمّ انّ المسلمين جاؤوا من الغد الى موضعهم فراوا القتلى وراوا المملوك حيًّا فحملوه

فى كسآء وهو لا يكاد يُعرف من الجراحات فايسوا من حياته واعرضوا عليه الشهادة وبشّروه بالشهادة فتركوه ثمّ عادوا اليه فراوه وقد قويت نفسه فاقبلوا عليه بمشروب فعوفى ثمّ كان بعد ذلك لا يحضر مشهدًا الّا كان له فيه الاثر العظيم ✿

ذكر مسير الفرنج الى عكّا ومحاصرتها

لمّا كثر جمع الفرنج بصور على ما ذكرناه من انّ صلاح الدين كان كلّما فتح مدينة او قلعة اعطى اهلها الامان وسيّرهم اليها باموالهم ونسآيهم واولادهم فاجتمع بها منهم عالم كثير لا يُعدّ ولا يُحصى ومن الاموال ما لا يفنى على كثرة الانفاق فى السنين الكثيرة ثمّ انّ الرهبان والقسوس وخلقًا كثيرًا من مشهوريهم وفرسانهم لبسوا السواد واظهروا الحزن على خروج البيت المقدّس من ايديهم واخذهم البترك الذى كان بالقدس ودخل بهم بلاد الفرنج يطوفها بهم جميعًا ويستنجدون اهلها ويستجيرون بهم ويحثّونهم على الاخذ بثار البيت المقدّس وصوّروا المسيح عم وجعلوا صورة رجل عربىّ والعربىّ يضربه وقد جعلوا الدمآء[1] على صورة المسيح عم وقالوا لهم هذا المسيح يضربه محمّد نبىّ المسلمين وقد جرحه وقتله فعظم ذلك على الفرنج فحشروا وحشدوا حتّى النسآء فانّهم كان معهم على عكّا عدّة من النسآء يبارزون الاقران على ما نذكره ان شآء الله تعالى ومن لم يستطع الخروج استاجر مَن يخرج عوضه او يعطيهم مالًا على قدر حالهم فاجتمع لهم من الرجال والاموال ما لا يتطرّق اليه الاحصآء ولقد حدّثنى بعض المسلمين المقيمين بحصن الاكراد وهو من اجناد اصحابه الذين سلّموه الى الفرنج قديمًا وكان هذا الرجل قد ندم على ما كان منه موافقة الفرنج فى الغارة على بلاد الاسلام والقتال معهم والسعى معهم وكان سبب اجتماعى به ما انكره سنة تسعين وخمسمائة ان شآء الله تعالى قال لى هذا الرجل انّه دخل مع جماعة من الفرنج من حصن الاكراد الى البلاد البحريّة التى للفرنج والروم فى اربع شوانى يستنجدون قال فانتهى بنا التطواف الى روميّة الكبرى فخرجنا منها وقد ملانا الشوانى

---

[1] الرماد

نقرة ، وحدّثنى بعض الاسرى منهم انّه له والدة ليس لها ولد سواه ولا يملكون من الدنيا غير بيت باعتْه وجهّزتْه بثمنه وسيّرتْه لاستنقاذ البيت المقدّس فأُخذ اسيرًا وكان عند الفرنج من الباعث الدينىّ والنفسانىّ ما هذا حدّه فخرجوا على الصعب والذلول برًّا وبحرًا من كلّ فجّ عميق ولو لا الله تعالى لطف بالمسلمين واهلك ملك الالمان لمّا خرج على ما نذكره عند خروجه الى الشام والّا كان يقال انّ الشام ومصر كانتا للمسلمين ، فهذا كان سبب خروجهم فلمّا اجتمعوا بصور تموّج بعضهم فى بعض ومعهم الاموال العظيمة والبحر يمدّهم بالاقوات والذخاير والعدد والرجال من بلادهم فضاقت عليهم صور باطنها وظاهرها فارادوا قصد صيْدا وكان ما نذكرناه فعادوا واتّفقوا على قصد عكّا ومحاصرتها ومصابرتها فساروا اليها بفارسهم وراجلهم وقضّهم وقضيضهم ولزموا البحر فى مسيرهم لا يفارقونه فى السهل والوعر والضيق والسعة ومراكبهم تسير مقابلهم فى البحر فيها سلاحهم وذخايرهم ولتكون عدّة لهم ان جاءهم ما لا قبل لهم به ركبوا فيها وعادوا وكان رحيلهم ثامن رجب ونزولهم على عكّا فى منتصفه ولمّا كانوا سايرين كان يزك المسلمين يتخطّفونهم وياخذون المنفرد منهم ، ولمّا رحلوا جآء الخبر الى صلاح الدين برحيلهم فسار حتّى قاربهم ثمّ جمع امرآءه واستشارهم هل يكون المسير محاذاة الفرنج ومقاتلتهم وهم سايرون او يكون فى غير الطريق التى سلكوها فقالوا لا حاجة بنا الى احتمال المشقّة فى مسايرتهم فانّ الطريق وعر وضيق ولا يتهيأ لنا ما نريده منهم والراى اننّا نسير فى الطريق المهيع ونجتمع عليهم عند عكّا فنفرّقهم ونمزّقهم فعلم ميلهم الى الراحة المعجّلة فوافقهم وكان رايه مسايرتهم ومقاتلتهم وهم سايرون وقال انّ الفرنج اذا نزلوا لصقوا بالارض فلا يتهيأ لنا ازعاجهم ولا نيل الغرض منهم والراى قتالهم قبل الوصول الى عكّا فخالفوه فتبعهم وساروا على طريق كفركنّا فسبقهم الفرنج وكان صلاح الدين قد جعل فى مقابل الفرنج جماعة من الامرآء يسايرونهم ويناوشونهم القتال ويتخطّفونهم ولم يقدم الفرنج عليهم مع قلّتهم فلو انّ العساكر اتّبعت راى صلاح الدين فى مسايرتهم ومقاتلتهم قبل نزولهم على عكّا لكان بلغ غرضه وصدّهم عنها ولكن اذا اراد الله امرًا هيّأ اسبابه ، ولمّا

وصل صلاح الدين الى عكّا راى الفرنج قد نزلوا عليها من البحر الى البحر من الجانب الاخر ولم يبق للمسلمين اليها طريق فنزل صلاح الدين عليهم وضرب خيمته على تلّ كيسان وامتدّت ميمنته الى تلّ الغياظيّة وميسرته الى النهر الجارى ونزلت الاثقال بصفوريّة وسيّر الكتب الى الاطراف باستدعآء العساكر فاتاه عسكر الموصل وديار بكر وسنجار وغيرها من بلاد الجزيرة واتاه تقى الدين ابن اخيه واتاه مظفّر الدين بن زين الدين وهو صاحب حرّان والرّها وكانت الامداد تاتى المسلمين فى البرّ وتاتى الفرنج فى البحر وكان بين الفريقَيْن مدّة مقامهم على عكّا حروب كثيرة ما بين صغيرة وكبيرة منها اليوم المشهور ومنها ما هو دون ذلك ولانّ ما عداها كان قتالًا يسيرًا من بعضهم مع بعض فلا حاجة الى ذكره ❊ ولمّا نزل السلطان عليهم لم يقدر على الوصول اليهم ولا الى عكّا حتّى انسلخ رجب ثمّ قاتلهم مستهلّ شعبان فلم ينل منهم ما يريد وبات الناس على تعبيّة فلمّا كان الغد باكرهم القتال بحدّه وحديده واستدار عليهم من ساير جهاتهم من بكرة الى الظهر وصبر الفريقان صبرًا حار له مَن رءاه فلمّا كان وقت الظهر حمل عليهم تقى الدين حملة منكرة من الميمنة على مَن يليه منهم فازاحهم عن مواقفهم فركب بعضهم بعضًا لا يلوى اخٌ على اخ والتجأوا الى مَن يليهم من اصحابهم واجتمعوا بهم واخلوا نصف البلد وملك تقى الدين مكانهم والتصق بالبلد وصار ما اخلوه بيده ودخل المسلمون البلد وخرجوا منه واتّصلت الطرق وزال الحصر عمّن فيه وادخل صلاح الدين اليه مَن اراد من الرجال ومما اراد من الذخاير والاموال والسلاح وغير ذلك ولو انّ المسلمين لزموا قتالهم الى الليل فبلغوا ما ارادوه فانّ للصدمة الاولى روعة لكنّهم لمّا نالوا منهم هذا القدر اخلدوا الى الراحة وتركوا القتال وقالوا نباكرهم غدًا ونقطع دابرهم وكان فى جملة مَن ادخله صلاح الدين الى عكّا من جملة الامرآء حسام الدين ابو الهيجآء السمين وهو من اكابر امرآء عسكره وهو من الاكراد الحطبيّة من بلد اربل وقُتل من الفرنج هذا اليوم جماعة كبيرة ❊

ذكر وقعة اخرى ووقعة العرب

ثمّ انّ المسلمين نهضوا الى الفرنج من الغد وهو سادس شعبان

عازمين على بذل جهدهم واستنفاذ وُسعهم فى استيصالهم فتقدّموا على تعبيتّهم فراوا الفرنج حذرين محتاطين قد ندموا على ما فرّطوا فيه بالامس وهم قد حفظوا اطرافهم ونواحيهم وشرعوا فى حفر خندق يمنع من الوصول اليهم فالحّ المسلمون عليهم فى القتال فلم يتقدّم الفرنج اليهم ولا فارقوا مرابضهم فلمّا راى المسلمون ذلك عادوا عنهم ثمّ انّ جماعة من العرب بلغهم انّ الفرنج تخرج من الناحية الاخرى الى الاحتطاب وغيره من اشغالهم فكمنوا لهم فى معاطف النهر ونواحيه سادس عشر شعبان فلمّا خرج جمع من الفرنج على عادتهم حملت عليهم العرب فقتلوهم عن اخرهم وغنموا ما كان معهم وحملوا الرؤس الى صلاح الدين فاحسن اليهم واعطاهم الخلع ❁

ذكر الوقعة الكبرى على عكّا

لمّا كان بعد هذه الوقعة المذكورة بقى المسلمون الى العشرين من شعبان كلّ يوم يغادون القتال مع الفرنج ويراوحونه والفرنج لا يظهرون من معسكرهم ولا يفارقونه ثمّ انّ الفرنج اجتمعوا للمشورة فقالوا انّ عسكر مصر لم يحضر والحال مع صلاح الدين هكذا فكيف يكون اذا حضرت والراى انّنا نلقى المسلمين غدًا لعلّنا نظفر بهم قبل اجتماع العساكر والامداد اليهم وكان كثير من عسكر صلاح الدين غايبًا عنه بعضها مقابل انطاكيّة ليردّوا غايلة البيمند صاحبها عن اعمال حلب وبعضها فى حمص مقابل طرابلس لتحفظ ذلك الثغر ايضًا وعسكر فى مقابل صور لحماية ذلك البلد وعسكر بمصر يكون بثغر دمياط والاسكندريّة وغيرها والذى بقى من عسكر مصر كانوا لم يصلوا لطول بيكارهم كما ذكرناه قبلُ وكان هذا ممّا اطمع الفرنج فى الظهور الى قتال المسلمين واصبح المسلمون على عادتهم منهم مَن يتقدّم الى القتال ومنهم مَن هو فى خيمته ومنهم مَن قد توجّه فى حاجته من زيارة صديق وتحصيل ما يحتاج اليه هو واصحابه ودوابّه الى غير ذلك فخرج الفرنج من معسكرهم كانّهم الجراد المنتشر يدبّون على وجه الارض قد ملوها طولًا وعرضًا وطلبوا ميمنة المسلمين وعليها تقى الدين عمر بن اخى صلاح الدين فلمّا راى انّ الفرنج نحوه قاصدين حذر هو واصحابه فتقدّموا اليه فلمّا قربوا

منه تاخر عنهم فلمّا راى صلاح الدين الحال وهو فى القلب امدّ تقى الدين برجال من عنده ليتقوّى بهم وكان عسكر ديار بكر وبعض الشرقيّين فى جناح القلب فلمّا راى الفرنج قلّة الرجال فى القلب وانّ كثيرًا منهم قد سار نحو الميمنة مددًا لهم عطفوا على القلب فحملوا حملة رجل واحد فاندفعت العساكر بين ايديهم منهزمين وثبت بعضهم فاستشهد جماعة منهم كالامير مجلى بن مروان والظهير اخو الفقيه عيسى وكان والى البيت المقدّس قد جمع بين الشجاعة والعلم والدين وكالحاجب خليل الهكّارىّ وغيرهم من الشجعان الصابرين فى مواطن الحرب ولم يبق بين ايديهم فى القلب من يردّهم فقصدوا التلّ الذى عليه خيمة صلاح الدين فقتلوا مَن مرّوا به ونهبوا وقتلوا عند خيمة صلاح الدين جماعة منهم شيخنا جمال الدين ابو علىّ بن رواحة الحموىّ وهو من اهل العلم وله شعر حسن وما ورث الشهادة من بعيد فانّ جدّه عبد الله بن رواحة صاحب رسول الله صلّعم قتله الروم يوم موتة وهذا قتله الفرنج يوم عكّا وقتلوا غيره وانحدروا الى الجانب الاخر من التلّ فوضعوا السيف فيمن لقوه وكان من لطف الله تعالى بالمسلمين انّ الفرنج لم يلقوا خيمة صلاح الدين ولو القوها لعلم الناس وصولهم اليها وانهزام العساكر بين ايديهم فكانوا انهزموا اجمعين ، ثمّ انّ الفرنج نظروا وراءهم فراوا امدادهم قد انقطعت عنهم فرجعوا خوفًا ان ينقطعوا عن اصحابهم وكان سبب انقطاعهم انّ الميمنة وقفت مقابلتهم فاحتاج بعضهم يقف مقابلها وحملت ميسرة المسلمين على الفرنج فاشتغل المدد بقتال مَن بها عن الاتّصال باصحابهم وعادوا الى طرف خنادقهم فحملت الميسرة على الفرنج الواصلين الى خيمة صلاح الدين صادفوهم وهم راجعون فقاتلوهم وثار بهم غلمان العسكر ، وكان صلاح الدين لمّا انهزم القلب قد تبعهم يناديهم ويامرهم بالكرّة ومعاودة القتال فاجتمع معه منهم جماعة صالحة فحمل بهم على الفرنج من وراء ظهورهم وهم مشغولون بقتال الميسرة فاخذتهم سيوف الله من كلّ جانب فلم يفلت منهم احدٌ بل قُتل اكثرهم وأُخذ الباقون اسرى وفى جملة من أُسر مقدّم الداويّة الذى كان قد اسره صلاح الدين واطلقه فلمّا ظفر به الآن قتله وكانت عدّة القتلى سوى مَن كان الى جانب البحر نحو

عشرة الاف قتيل فامر بهم فألقوا فى النهر الذى يشرب الفرنج منه وكان عامّة القتلى من فرسان الفرنج فانّ الرجّالة لم يلحقوهم وكان فى جملة الاسرى ثلاث نسوة فرنجيّات كنّ يقاتلن على الخيل فلمّا أُسرن والقى عنهنّ السلاح عُرفن انّهنّ نسآء ، وامّا المنهزمون من المسلمين فمنهم مَن رجع من طبريّة ومنهم مَن جاوز الاردن وعاد ومنهم مَن بلغ دمشق ولو لا انّ العساكر تفرّقت فى الهزيمة لكانوا بلغوا من الفرنج الاستيصال والاهلاك مرادَهم على انّ الباقين بذلوا جُهدهم وجدّوا فى القتال وصمّموا على الدخول مع الفرنج فى معسكرهم لعلّهم يفزعون منهم فجآءهم الصريخ بانّ رحالهم واموالهم قد نُهبت وكان سبب هذا النهب انّ الناس لمّا راوا الهزيمة حملوا اثقالهم على الدوابّ فثار بهم اوباش العسكر وغلمانه فنهبوه واتوا عليه وكان فى عزم صلاح الدين ان يباكرهم القتال والزحف فراى اشتغال الناس بما ذهب من اموالهم وهم يسعون فى جمعها وتحصيلها فامر بالندآء باحضار ما أُخذ فأُحضر منه ما ملأ الارض من المفارش والغيب المملوة والثياب والسلاح وغير ذلك فردّ الجميع على اصحابه ففاته ذلك اليوم ما اراد فسكن روع الفرنج واصلحوا شان الباقين منهم ❁

ذكر رحيل صلاح الدين عن الفرنج وتمكّنهم من حصر عكّا

لمّا قُتل من الفرنج ذلك العدد الكثير جافت الارض من نتن ريحهم وفسد الهوآء والجوّ وجدّت الامزجة فسادًا وانحرف مزاج صلاح الدين وحدث له قولنج مبرح كان يعتاده فحضر عنده الامرآء واشاروا عليه بالانتقال من ذلك الموضع وترك مضايقة الفرنج وحسّنوه له وقالوا قد ضيّقنا على الفرنج ولو ارادوا الانفصال عن مكانهم لم يقدروا والراى انّنا نبعد عنهم بحيث يتمكّنون من الرحيل والعود فان رحلوا فقد كفينا شرّهم وكفوا شرّنا وان اقاموا عاودنا القتال ورجعنا معهم الى ما نحن فيه ثمّ انّ مزاجك منحرف والالم شديدٌ ولو وقع ارجاف لهلك الناس والراى على كلّ تقدير البعد عنهم ووافقهم الاطبّآء على ذلك فاجابهم اليه الى ما يريد الله يفعله وإِذَا أَرَادَ ٱللّٰهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ،[1]

[1]) Cor. 13, 12.

فرحلوا الى الخروبة رابع شهر رمضان وامر مَن بعكّا من المسلمين بحفظها واغلاق ابوابها والاحتياط واعلمهم بسبب رحيله ء فلمّا رحل هو وعساكر امن الفرنج وانبسطوا فى تلك الارض وعادوا حصروا عكّا واحاطوا بها من البحر الى البحر ومراكبهم ايضاً فى البحر تحصرها وشرعوا فى حفر الخندق وعمل السور من التراب الذى يخرجونه من الخندق وجآوا بما لم يكن فى الحساب وكان اليزك كلّ يوم يوافقهم وهم لا يقاتلون ولا يتحرّكون انّما هم معتمدون بحفر الخندق والسور عليهم ليتحصّنوا به من صلاح الدين ان عاد الى قتالهم فحينئذ ظهر راى المشيرين بالرحيل وكان اليزك كلّ يوم يخبرون صلاح الدين بما يصنع الفرنج ويعظمون الامر عليه وهو مشغول بالمرض لا يقدر على النهوض للحرب واشار عليه بعضهم بان يرسل العساكر جميعها اليها ليمنعهم من الخندق والسور ويقاتلوهم ويتخلّف هو عنهم فقال اذا لم احضر معهم لا يفعلون شيأً وربّما كان من الشرّ اضعاف ما نرجوه من الخير فتاخّر الامر الى ان عوفى فتمكّن الفرنج وعملوا ما ارادوا واحكموا امورهم وحصّنوا نفوسهم بما وجدوا اليه السبيل وكان مَن بعكّا يخرجون اليهم كلّ يوم ويقاتلونهم وينالون منهم بظاهر البلد ۞

ذكر وصول عسكر مصر والاسطول المصرىّ فى البحر

فى منتصف شوّال وصلت العساكر المصريّة ومقدّمها الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن ايّوب فلمّا وصل قويت نفوس الناس به وبمن معه واشتدّت ظهورهم واحضر معه من الات الحصار من الدرق والطارقيّات والنشاب والاقواس شيأً كثيراً ومعهم من الرجّالة الجمّ الغفير وجمع صلاح الدين من البلاد الشاميّة راجلاً كثيراً وهو على عزم الزحف اليهم بالفارس والراجل ووصل بعده الاسطول المصرىّ ومقدّمه الامير لؤلؤ وكان شهمًا شجاعًا مقدامًا خبيرًا بالبحر والقتال فيه ميمون النقيبة فوصل بغتة فوقع على بُطْسة كبيرة للفرنج فغنمها واخذ منها اموالا كثيرة وميرة عظيمة فادخلها الى عكّا فسكنت نفوس مَن بها بوصول الاسطول وقوى جنانهم ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى صفر خُطب لولىّ العهد ابى نصر محمّد ابن الخليفة الناصر لدين الله ببغداد ونثرت الدنانير والدراهم وارسل الى البلاد فى اقامة

الخطبة ففعل ذلك، وفيها فى شوّال ملك الخليفة تكريت وسبب ذلك انّ صاحبها وهو الامير عيسى قتله اخوته وملكوا القلعة بعده فسيّر الخليفة اليهم عسكرًا فحصروها وتسلّموها ودخل اصحابه الى بغداد فاعطوا اقطاعًا، وفيها فى صفر فُتح الرباط الذى بناه الخليفة بالجانب الغربىّ من بغداد وحضر الخلق العظيم فكان يومًا مشهودًا، وفى هذه السنة فى رمضان مات شرف الدين ابو سعد عبد الله بن محمّد بن هبة الله بن ابى عصرون الفقيه الشافعىّ بدمشق وكان قاضيها واضرّ وولى القضآء بعده ابنه وكان الشيخ من اعيان الفقهآء الشافعيّة، وفيها فى ذى القعدة توفّى الفقيه ضيآء الدين عيسى الهكّارىّ بالخروبة مع صلاح الدين وهو من اعيان امرآء عسكره ومن قدمآء الاسديّة وكان فقيهًا جنديًّا شجاعًا كريمًا ذا عصبيّة ومروّة وهو من اصحاب الشيخ الامام ابى القسم بن البَرْزىّ تفقّه عليه بجزيرة ابن عمر ثمّ اتّصل باسد الدين شيركوه فصار امامًا له فراى من شجاعته ما جعل له اقطاعًا وتقدّم عند صلاح الدين تقدّمًا عظيمًا، وفيها فى صفر توفّى شيخنا ابو العبّاس احمد بن عبد الرحمن بن وهبان المعروف بابن افضل الزمان بمكّة وكان رحمه الله عالمًا متبحّرًا فى علوم كثيرة خلاف فقه مذهبه والاصولَيْن والحساب والفرايض والنجوم والهيئة والمنطق وغير ذلك وختم اعماله بالزهد ولبس الخشن واقام بمكّة حرسها الله تعالى مجاورًا فتوفّى بها وكان من احسن الناس صُحبةً وخُلُقًا، وفيها فى ذى القعدة مات ابو طالب المبارك بن المبارك الكرخىّ مدرّس النظاميّة وكان من اصحاب ابى الحسن بن الخلّ وكان صالحًا خيّرًا له عند الخليفة والعامّة حُرمة عظيمة وجاه عريض وكان حسن الخطّ يضرب به المثل ❊

ثمّ دخلت سنة ستّ وثمانين وخمسماية، سنة ٥٨٦

ذكر وقعة الفرنج واليزك وعود صلاح الدين الى منازلة الفرنج

قد ذكرنا رحيل صلاح الدين عن عكّا الى الخروبة[1] لمرضه فلمّا برأ اقام بمكانه الى ان ذهب الشتآء وفى مدّة مقامه بالخروبة[2] كان يزكه[3] وطلايعه لا تنقطع عن الفرنج فلمّا دخل صفر من سنة ستّ وثمانين

---

[1] الخرونة [2] الخزونه [3] بركه

وخمسمائة سمع الفرنج انّ صلاح الدين قد سار للصيد وراى العسكر الذى فى اليزك عندهم قليلًا وانّ الوحل الذى فى مرج عكّا كثير يمنع من سلوكه مَن اراد ان يُنجد اليزك فاغتنموا ذلك وخرجوا من خندقهم على اليزك وقت العصر فقاتلهم المسلمون وحموا انفسهم بالنشاب واحجم الفرنج عنهم حتّى فنى نشابهم فحملوا عليهم حينئذ حملة رجل واحد فاشتدّ القتال وعظم الامر وعلم المسلمون انّه لا ينجيهم الّا الصبر وصدق القتال فقاتلوا قتال مستقتل الى ان جآء الليل وقُتل من الفريقَيْن جماعة كثيرة وعاد الفرنج الى خندقهم ۰ ولمّا عاد صلاح الدين الى المعسكر سمع خبر الوقعة فندب الناس الى نصر اخوانهم فاتاه الخبر انّ الفرنج عادوا الى خندقهم فاقام ثمّ انّه راى الشتآء قد ذهب وجآءته العساكر من البلاد القريبة منه دمشق وحمص وحماة وغيرها فتقدّم من الخروبة[1] نحو عكّا فنزل بتلّ كيسان وقاتل الفرنجَ كلّ يوم ليشغلهم عن قتال مَن بعكّا من المسلمين فكانوا يقاتلون الطايفتَيْن ولا يسأمون ۞

ذكر احراق الابراج ووقعة الاسطول

كان الفرنج فى مدّة مقامهم على عكّا قد عملوا ثلاثة ابراج من الخشب عالية جدًّا طول كلّ برج منها فى السمآء ستّون ذراعًا وعملوا كلّ برج منها خمس طبقات كلّ طبقة مملوّة من المقاتلة وقد جمع اخشابها من الجزاير فانّ مثل هذه الابراج العظيمة لا يصلح لها من الخشب الّا القليل النادر وغشوها بالجلود والخلّ والطين والادوية التى تمنع النار من احراقها واصلحوا الطرق لها وقدّموها نحو مدينة عكّا من ثلاث جهات وزحفوا بها من العشرين من ربيع الاوّل فاشرفت على السور وقاتل مَن بها مَن عليه فانكشفوا وشرعوا فى طمّ خندقها فاشرف البلد على ان يُملك عنوةً وقهرًا فارسل اهله الى صلاح الدين انسانًا سبح فى البحر فاعلمه ما هم فيه من الضيق وما قد اشرفوا عليه من اخذهم وقتلهم فركب هو وعساكره وتقدّموا الى الفرنج وقاتلهم من جميع جهاتهم قتالًا عظيمًا دايمًا يشغلهم عن مكاثرة البلد فافترق الفرنج فرقتَيْن فرقة

---

1) الخزونة

تقاتل صلاح الدين وفرقة تقاتل اهل عكّا الّا انّ الامر قد خفّ عن مَن بالبلد ودام القتال ثمانية ايّام متتابعة اخرها الثامن والعشرين من الشهر وسَئِم الفريقان القتال وملّوا منه لملازمته ليلًا ونهارًا والمسلمون قد تيقنوا استيلآء الفرنج على البلد لما راوا من عجز مَن فيه عن دفع الابراج فانّهم لم يتركوا حيلة الّا وعملوها فلم يُفِد ذلك ولم يُغن عنهم شيأ وتابعوا رمى النفط الطيار عليها فلم يوثر فيها فايقنوا بالبوار والهلاك فاتاهم الله بنصر من عنده واذنٍ من احراق الابراج وكان سبب ذلك انّ انسانًا من اهل دمشق كان مولعًا بجمع الات النفّاطين وتحصيل عقاقير تقوى عمل النار فكان مَن يعرفه يلومه على ذلك وينكره عليه وهو يقول هذه حالة لم اباشرها بنفسى انّما اشتهى معرفتها وكان بعكّا لامر يريده الله فلمّا راى الابراج قد نُصبت على عكّا شرع فى عمل ما يعرفه من الادوية المقوية للنار بحيث لا يمنعها شئ من الطين والخلّ وغيرهما فلمّا فرغ منها حضر عند الامير قراقوش وهو متولّى الامور بعكّا والحاكم فيها وقال له يامر المنجنيقىّ ان يرمى فى المنجنيق المحاذى لبرج من هذه الابراج ما اعطيه حتّى احرقه وكان عند قراقوش من الغيظ والخوف على البلد ومَن فيه ما يكاد يقتله فازداد غيظًا بقوله وحرد عليه فقال له قد بالغ اهل هذه الصناعة فى الرمى بالنفط وغيره فلم يُفلحوا فقال له مَن حضر لعلّ الله تعالى قد جعل الفرج على يد هذا ولا يضرّنا ان نوافقه على قوله فاجابه الى ذلك وامر المنجنيقىّ بامتثال امره فرمى عدّة قدور نفطًا وادوية ليس فيها نار فكان الفرنج اذا راوا القدر لا يحرق شيأ يصيحون ويرقصون ويلعبون على سطح البرج حتّى علم انّ الذى القاه قد تمكّن من البرج القى قدرًا مملوّة وجعل فيها النار فاشتعل البرج والقى قدرًا ثانية وثالثة فاضطرمت النار فى نواحى البرج واعجلت مَن فى طبقاته الخمس عن الهرب والخلاص فاحترق هو ومَن فيه وكان فيه من الزرديات والسلاح شئ كثير وكان طمع الفرنج بما راوا انّ القدور الاولى لا تعمل يحملهم على الطمانينة وترك السعى فى الخلاص حتّى عجّل الله لهم النار فى الدنيا قبل الاخرة فلمّا احترق البرج الاوّل انتقل الى الثانى وقد هرب مَن فيه لخوفهم فاحرقه وكذلك الثالث وكان يومًا مشهودًا لم ير

الناس مثله والمسلمون ينظرون ويفرحون وقد اسفرت وجوههم بعد الكآبة فرحًا بالنصر وخلاص المسلمين من القتل لانّهم ليس فيهم احد الّا وله في البلد امّا نسيب وامّا صديق وحمل ذلك الرجل الى صلاح الدين فبذل له الاموال الجزيلة والاقطاع الكثير فلم يقبل منه الحبّة الفرد وقال انّما عملته لله تعالى ولا اريد الجزآء الّا منه وسُيّرت الكُتب الى البلاد بالبشاير وارسل يطلب العساكر الشرقيّة فاوّل من اتاه عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى وهو صاحب سنجار وديار الجزيرة ثمّ اتاه علآء الدين ولد عزّ الدين مسعود بن مودود بن زنكى سيّره ابوه مقدّمًا على عسكره وهو صاحب الموصل ثمّ وصل زين الدين يوسف صاحب اربل وكان كلّ منهم اذا وصل يتقدّم الى الفرنج بعسكره وينضمّ اليه غيرهم ويقاتلونهم ثمّ ينزلون ووصل الاسطول من مصر فلمّا سمع الفرنج بقربه جهّزوا الى طريقه اسطولاً ليلقاه ويقاتله فركب صلاح الدين في العساكر جميعها وقاتلهم من جهاتهم ليشتغلوا بقتاله عن قتال الاسطول ليتمكّن من دخول عكّا فلم يشتغلوا عن قصده بشىءٍ فكان القتال بين الفريقَيْن برًّا وبحرًا وكان يومًا مشهودًا لم يورّخ مثله واخذ المسلمون من الفرنج مركبًا فيه من الرجال والسلاح واخذ الفرنج من المسلمين مثل ذلك الّا انّ القتل في الفرنج كان اكثر منه في المسلمين ووصل الاسطول الاسلامىّ سالمًا ۞

ذكر وصول ملك الالمان الى الشام وموته

في هذه السنة خرج ملك الالمان من بلاده وهم نوع من الفرنج من اكثرهم عددًا واشدّهم باسًا وكان قد ازعجه مُلك الاسلام البيت المقدّس فجمع عساكره وازاح علّتهم وسار عن بلاده وطريقه على القسطنطينيّة فارسل ملك الروم بهذا الى صلاح الدين يعرّفه الخبر ويعد انّه لا يمكنه من العبور في بلاده فلمّا وصل ملك الالمان الى القسطنطينيّة عجز ملكه عن منعه من العبور لكثرة جموعه لكنّه منع عنهم الميرة ولم يمكّن احدًا من رعيّته من حمل ما يريدونه اليهم فضاقت بهم الازواد والاقوات وساروا حتّى عبروا خليج القسطنطينيّة وصاروا على ارض بلاد الاسلام وهي مملكة الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن قتلمش بن سلجق فلمّا وصلوا الى اوايلها ثار بهم التركمان الارج فما زالوا يسايرونهم ويقتلون

مَن انفرد ويسرقون ما قدروا عليه وكان الزمان شتآءً والبرد يكون فى
تلك البلاد شديدًا والثلج متراكمًا فاهلكهم البرد والجوع والتركمان فقلّ
عددهم فلمّا قاربوا مدينة قونية خرج اليهم الملك قطب الدين ملكشاه
بن قلج ارسلان ليمنعهم فلم يكن له بهم قوّة فعاد الى قونية وبها ابوه
قد حجر ولده المذكور عليه وتفرّق اولاده فى بلاده وتغلّب كلّ واحد
منهم على ناحية منها فلمّا عاد عنهم قطب الدين اسرعوا السير فى اثره
فنازلوا قونية وارسلوا الى قلج ارسلان هديّة وقالوا له ما قصدنا بلادك
ولا اردناها وانّما قصدنا البيت المقدّس وطلبوا منه ان ياذن لرعيّته فى
اخراج ما يحتاجون اليه من قوت وغيره فاذن فى ذلك فاتاهم ما يريدون
فشبعوا وتزوّدوا وساروا ثمّ طلبوا من قطب الدين ان يامر رعيّته بالكفّ
عنهم وان يسلّم اليهم جماعة من امرآيه رهاين وكان يخافهم فسلّم اليهم
نيّفًا وعشرين اميرًا كان يكرههم فساروا بهم معهم ولم يمتنع اللصوص وغيرهم
من قصدهم والتعرّض اليهم فقبض ملك الالمان وقيّدهم فمنهم مَن هلك فى
اسره ومنهم مَن فدى نفسه وسار ملك الالمان حتّى اتى بلاد الارمن وصاحبها
لافون بن اصطفانة ابن ليون فامدّهم بالاقوات والعلوفات وحكّمهم فى بلاده
واظهر الطاعة لهم ، ثمّ ساروا نحو انطاكيّة وكان فى طريقهم نهرٌ فنزلوا
عنده ودخل ملكهم اليه ليغتسل فغرق فى مكان منه لا يبلغ المآء وسط
الرجل وكفى الله شرّه وكان معه ولد له فصار ملكًا بعده وسار الى
انطاكيّة فاختلف اصحابه عليه فاحبّ بعضهم العود الى بلاده فتخلّف عنه
وبعضهم مال الى تمليك اخ له فعاد ايضًا وسار فيمَن صحّت نيّته له فعرضهم
وكانت نيّفًا واربعين الفًا ووقع فيهم الوبآء والموت فوصلوا الى انطاكيّة وكانّهم
قد نُبشوا من القبور فتبرّم بهم صاحبها وحسّن لهم المسير الى الفرنج
على عكّا فساروا على جبلة ولاذقيّة وغيرهما من البلاد التى ملكها المسلمون
وخرج اهل حلب وغيرها اليهم واخذوا منهم خلقًا كثيرًا ومات اكثر مَن
أُخِذ فبلغوا طرابلس واقاموا بها ايّامًا فكثر فيهم الموت فلم يبق منهم
الّا نحو الف رجل فركبوا فى البحر الى الفرنج الذين على عكّا ولمّا
وصلوا وراوا ما نالهم فى طريقهم وما هم فيه من الاختلاف عادوا الى بلادهم
فغرقت بهم المراكب ولم ينج منهم احدٌ ، وكان الملك قلج ارسلان

يكاتب صلاح الدين باخبارهم ويعده انّه يمنعهم من العبور في بلاده فلمّا عبروها وخلفوها ارسل يعتذر بالعجز عنهم لانّ اولاده حكموا عليه وحجروا عليه وتفرّقوا عنه وخرجوا عن طاعته، وامّا صلاح الدين عند وصول الخبر بعبور ملك الالمان فانّه استشار اصحابه فاشار كثير منهم عليه بالمسير الى طريقهم ومحاربتهم قبل ان يتّصلوا بمن على عكّا. فقال بل نقيم الى ان يقربوا منّا وحينئذ نفعل ذلك لئلّا يستسلم مَن بعكّا من عساكرنا، لكنّه سيّر مَن عنده من العساكر منها عسكر حلب وجبلة ولاذقيّة وشيزر وغير ذلك الى اعمال حلب ليكونوا من اطراف البلاد يحفظونها من عاديتهم وكان حال المسلمين كما قال الله عزّ وجلّ اذْ جَآءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَاِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ وَبَلَغَتْ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللّٰهِ ٱلظُّنُونَا هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُومِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا[1] فكفى الله شرّهم وردّ كيدهم في نحرهم ومن شدّة خوفهم انّ بعض امرآء صلاح الدين كان له ببلد الموصل قرية وكان اخى رحمه الله يتولّاها فحصل دخلها من حنطة وشعير وتبن فارسل اليه في بيع الغلّة فوصل كتابه يقول لا تبع الحبّة الفرد واستكثر لنا من التبن ثمّ بعد ذلك وصل كتابه يقول تبيع الطعام فما بنا حاجة اليه ثمّ انّ ذلك الامير قدم الموصل فسالناه عن المنع من بيع الغلّة ثمّ الاذن فيها بعد مدّة يسيرة فقال لمّا وصلت الاخبار بوصول ملك الالمان ايقنا انّنا ليس لنا بالشام مقام فكتبت بالمنع من بيع الغلّة لتكون ذخيرة لنا اذا جينا اليكم فلمّا اهلكهم الله تعالى واغنى عنها كتبت ببيعها والانتفاع بثمنها ۞

ذكر وقعة للمسلمين والفرنج على عكّا

وفي هذه السنة في العشرين من جمادى الاخرة خرجت الفرنج فارسها وراجلها من ورآء خنادقهم وتقدّموا الى المسلمين وهم كثير لا يحصى عددهم وقصدوا نحو عسكر مصر ومقدّمهم الملك العادل ابو بكر بن ايّوب وكان المصريّون قد ركبوا واصطفّوا للقآء الفرنج فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديدًا فانحاز المصريّون عنهم ودخل الفرنج خيامهم ونهبوا اموالهم

---

[1]) Cor. 33, 10. 11.

فعطف المصريّون عليهم فقاتلوهم من وسط خيامهم فاخرجوهم عنها وتوجّهت طايفة من المصريّين نحو خنادق الفرنج فقطعوا المدد عن اصحابهم الذين خرجوا وكانوا متّصلين كالنمل فلمّا انقطعت امدادهم القوا بايديهم واخذتهم السيوف من كلّ ناحية فلم ينج منهم الّا الشريد وقتل منهم مقتلة عظيمة يزيد عدد القتلى على عشرة الاف قتيل ، وكانت عساكر الموصل قريبة من عسكر مصر وكان مقدّمهم علآء الدين خرمشاه بن عزّ الدين مسعود صاحب الموصل فحملوا ايضًا على الفرنج وبالغوا فى قتالهم ونالوا منهم نيلًا كثيرًا هذا جميعه ولم يباشر القتال احد من الحلقة الخاصّ التى مع صلاح الدين ولا احدٌ من الميسرة وكان بها عماد الدين زنكى صاحب سنجار وعسكر اربل وغيرهم ولمّا جرى على الفرنج هذه الحادثة خمدت جمرتهم ولانتْ عريكتهم واشار المسلمون على صلاح الدين بمباكرتهم القتال ومناجزتهم وهم على هذه الحال من الهلع والجزع فاتّفق انّه وصله من الغد كتاب من حلب يخبر فيه بموت ملك الالمان وما اصاب اصحابه من الموت والقتل والاسر وما صار امرهم اليه من القلّة والذلّة واشتغل المسلمون بهذه البشرى والفرح بها عن قتال مَن بازايهم وظنّوا انّ الفرنج اذا بلغهم هذا الخبر ازدادوا وهنًا على وهنهم وخوفًا على خوفهم فلمّا كان بعد يومَين اتت الفرنج امداد فى البحر مع كند من الكنود البحريّة يقال له الكند هرى ابن اخى ملك افرنسيس لابيه وابن اخى ملك انكلتار[1] لامّه ووصل معه من الاموال شىٌ كثير يفوق الاحصآء فوصل الى الفرنج فجنّد الاجناد وبذل الاموال فعادت نفوسهم قويت واطمانّت واخبرهم انّ الامداد واصلة اليهم يتلوا بعضها بعضًا فتماسكوا وحفظوا مكانهم ثمّ اظهروا انّهم يريدون الخروج الى لقآء المسلمين وقتالهم فانتقل صلاح الدين من مكانه الى الخروبة[2] فى السابع والعشرين من جمادى الاخرة ليتّسع المجال وكانت المنزلة قد انتنتْ بريح القتلى ، ثمّ انّ الكند هرى نصب منجنيقًا ودبّابات وعرّادات فخرج مَن بعكّا من المسلمين فاخذوها وقتلوا عندها كثيرًا من الفرنج ثمّ انّ الكند هرى بعد اخذ منجنيقاته اراد ان ينصب منجنيقًا فلم

1) انكلبار 2) الخزونة

يتمكن من ذلك لانّ المسلمين بعكّا كانوا يمنعون من عمل ستاير يستتر بها مَن يرمى من المنجنيق فعمل تلّا من تراب بالبعد من البلد ثمّ انّ الفرنج كانوا ينقلون التلّ الى البلد بالتدريج ويستترون به ويقربونه الى البلد فلمّا صار من البلد بحيث يصل من عنده حجر منجنيق ونصبوا وراءه منجنيقين وصار التلّ سترة لها وكانت الميرة قد قلّت بعكّا فارسل صلاح الدين الى الاسكندريّة يامرهم بانفاذ الاقوات واللحوم وغير ذلك فى المراكب الى عكّا فتاخّر انفاذها فسيّر الى نايبه بمدينة بيروت فى ذلك فسيّر بُطسة عظيمة مملوّة من كلّ ما يريدونه وامر مَن بها فلبسوا ملبس الفرنج وتشبّهوا بهم ورفعوا عليها الصلبان فلمّا وصلوا الى عكّا لم يشكّ الفرنج انّها لهم فلم يتعرّضوا لها فلمّا حاذت مينا عكّا ادخلها مَن بها ففرح بها المسلمون وانتعشوا وقويت نفوسهم وتبلّغوا بما فيها الى ان اتتهم الميرة من الاسكندريّة وخرجت ملكة من الفرنج من داخل البحر فى نحو الف مقاتل فأُخذت بنواحى الاسكندريّة وأُخذ مَن معها ثمّ انّ الفرنج وصلهم كتاب من بابا وهو كبيرهم الذى يصدرون عن امره وقوله عندهم كقول النبيّين لا يُخالَف والمحرّم عندهم من حرّمه والمقرّب من قرّبه وهو صاحب روميّة الكبرى يامرهم بملازمة ما هم بصدده ويُعلمهم انّه قد ارسل الى جميع الفرنج يامرهم بالمسير الى نجدتهم برًّا وبحرًا ويعلمهم بوصول الامداد اليهم فازدادوا قوّة وطمعًا ٭

ذكر خروج الفرنج من خنادقهم

لمّا تتابعت الامداد الى الفرنج وجنّد لهم الكندهرى جمعًا كثيرًا بالاموال التى وصلت معه عزموا على الخروج من خنادقهم ومناجزة المسلمين فتركوا على عكّا مَن يحصرها ويقاتل اهلها وخرجوا حادى عشر شوّال فى عدد كالرمل كثرةً وكالنار جمرةً فلمّا راى صلاح الدين ذلك نقل اثقال المسلمين الى قيمون وهو على ثلاثة فراسخ عن عكّا وكان قد عاد اليه مَن فرّق من عساكره لمّا هلك ملك الالمان ولقى الفرنج على تعبية حسنة وكان اولاده الافضل علىّ والظاهر غازى والظافر ممّا يلى القلب واخوه العادل ابو بكر فى الميمنة ومعه عساكر مصر ومَن انضمّ اليه وكان فى الميسرة عماد الدين صاحب سنجار وتقى الدين صاحب حماة ومعز

الدين سنجرشاه صاحب جزيرة ابن عمر مع جماعة من امرآيه واتّفق ان صلاح الدين اخذه مغس كان يعتاده فنصب له خيمة صغيرة على تلّ مشرف على العسكر ونزل فيها ينظر اليهم فسار الفرنج شرقيّ نهر هناك حتى وصلوا الى راس النهر فشاهدوا عساكر الاسلام وكثرتها فارتاعوا لذلك ولقيهم الجالشيّة وامطروا عليهم من السهام ما كاد يستر الشمس فلمّا راوا ذلك تحوّلوا الى غربيّ النهر ولزمهم الجالشيّة يقاتلونهم والفرنج قد تجمّعوا ولزم بعضهم بعضًا وكان غرض الجالشيّة ان تحمل الفرنج عليهم فيلقاهم المسلمون ويلتحم القتال فيكون الفصل ويستريح الناس وكان الفرنج قد ندموا على مفارقة خنادقهم فلزموا مكانهم وباتوا ليلتهم تلك فلمّا كان الغد عادوا نحو عكّا ليعتصموا بخندقهم والجالشيّة فى اكتافهم يقاتلونهم تارة بالسيوف وتارة بالرماح وتارة بالسهام وكلّما قُتل من الفرنج قتيل اخذوه معهم لئلّا يعلم المسلمون ما اصابهم فلو لا ذلك الامر الذى حدث بصلاح الدين لكانت هى الفصل وانّما للّه امرٌ هو بالغه ، فلمّا بلغ الفرنج خندقهم ولم يكن لهم بعدها ظهور منه عاد المسلمون الى خيامهم وقد قتلوا من الفرنج خلقًا كثيرًا ، وفى الثالث والعشرين من شوّال ايضًا كمن جماعة من المسلمين وتعرّض للفرنج جماعة اخرى فخرج اليهم اربع مايئة فارس فقاتلهم المسلمون شيأً من قتال وتطاردوا لهم وتبعهم الفرنج حتّى جازوا الكمين فخرجوا عليهم فلم يفلت منهم احد واشتدّ الغلآء على الفرنج حتى بلغت الغرارة الحنطة اكثر من مايئة دينار صوريّ فصبروا على هذا وكان المسلمون يحملون اليهم الطعام من البلدان منهم الامير اسامة مستحفظ بيروت كان يحمل الطعام وغيره ومنهم سيف الدين علىّ بن احمد المعروف بالمشطوب كان يحمل من صيدا ايضًا اليهم وكذلك من عسقلان وغيرها ولو لا ذلك لهلكوا جوعًا خصوصًا فى الشتآء عند انقطاع مراكبهم عنهم لهيج البحر ❁

ذكر تسيير البدل الى عكّا والتفريط فيه حتّى أُخذتْ

لمّا هجم الشتآء وعصفت الرياح خاف الفرنج على مراكبهم التى عندهم لانّها لم تمكّن من المينا فسيّروها الى بلادهم صور والجزاير فانفتح الطريق الى عكّا فى البحر فارسل اهلها الى صلاح الدين يشكون الضجر

والملالة والسامة وكان بها الامير حسام الدين ابو الهيجآ لسمين مقدّمًا على جندها فامر صلاح الدين باقامة البدل وانفاذه اليها واخراج مَن فيها وامر اخاه الملك العادل بمباشرة ذلك فانتقل الى جانب البحر ونزل تحت جبل حيفا وجمع المراكب والشوانى وكلّما جآءه جماعة من العسكر سيّرهم اليها واخرج عوضهم فدخل اليها عشرون اميرًا وكان بها ستّون اميرًا فكان الذين دخلوا قليلًا بالنسبة الى الذين خرجوا واهمل نُوّاب صلاح الدين تجنيد الرجال وانفاذهم وكان على خزانة ماله قوم من النصارى وكانوا اذا جآءهم جماعة قد جُنّدوا تعنّتوهم بانواع شتّى تارة باقامة معرفة وتارة بغير ذلك فتفرّق بهذا السبب خلق كثير وانضاف الى ذلك توانى صلاح الدين ووثوقه بنوّابه واهمال النوّاب فانحسر الشتآء والامر كذلك وعادت مراكب الفرنج الى عكّا وانقطع الطريق الّا من سابح يأتى بكتاب وكان من جملة الامرآء الذين دخلوا الى عكّا سيف الدين علىّ بن احمد المشطوب وعزّ الدين ارسل مُقدّم الاسديّة بعد جاولى وغيرهم وكان دخولهم عكّا اوّل سنة سبع وثمانين وكان قد اشار جماعة على صلاح الدين بان يرسل الى مَن بعكّا النفقات الواسعة والذخاير والاقوات الكثيرة ويامرهم بالمقام فانّهم قد جرّبوا وتدرّبوا واطمأنّت نفوسهم على ما هم فيه فلم يفعل وظنّ فيهم الضجر والملل وانّ ذلك يحملهم على الضجر والفشل فكان الامر بالضدّ ۞

ذكر وفاة زين الدين يوسف صاحب اربل ومسير اخيه مظفّر الدين اليها

كان زين الدين يوسف ابن زين الدين علىّ صاحب اربل قد حضر عند صلاح الدين بعساكره فمرض ومات ثامن عشر شهر رمضان وذكر العماد الكاتب فى كتابه البرق الشامىّ قال جينا الى مظفّر الدين نعزّيه باخيه وظننّا به الحزن وليس له اخ غيره ولا ولد يشغله عنه فاذ هو فى شغل شاغل عن العزآء مهتمّ بالاحتياط على ما خلفه وهو جالس فى خيام اخيه المتوفّى وقد قبض على جماعة من امرآيه واعتقلهم [وعجل عليهم][1] وما اغفلهم منهم بُلداجى[2] صاحب قلعة خفتيذكان[3] وارسل

---

[1]) C. P. et 740.

[2]) C. P. 740: بلد اخى Ups.: بلد اخو

[3]) C. P. et 740. Ups.: ختبيه كان

الى صلاح الدين يطلب منه اربل لينزل عن حرّان والرها فاقطعه ايّاها واضاف اليها شهرزور واعمالها ودربند قرابلى[1] وبنى قفجاق ولمّا مات زين الدين كاتب مَن كان باربل مجاهدَ الدين قايماز لهواهم فيه وحسن سيرته كانت فيهم وطلبوه اليهم ليملّكوه فلم يجسر هو ولا صاحبه عزّ الدين اتابك مسعود بن مودود على ذلك خوفًا من صلاح الدين وكان اعظم الاسباب فى تركها انّ عزّ الدين كان قد قبض على مجاهد الدين فتمكّن زين الدين من اربل ثمّ انّ عزّ الدين اخرج مجاهد الدين من القبض وولّاه نيابته وقد ذكرنا ذلك اجمع فلمّا ولّاه النيابة عنه لم يمكّنه وجعل معه انسانًا كان من بعض غلمان مجاهد الدين فكان يشاركه فى الحكم ويحلّ عليه ما يعقده فلحق مجاهد الدين من ذلك غيظ شديد فلمّا طُلب الى اربل قال لمن يثق اليه لا افعل لئلّا يحكم فيها فلان ويكفّ يدىّ عنها فجآء مظفّر الدين اليها وملكها وبقى غصّة فى حلق البيت الاتابكىّ لا يقدرون على اساغتها وسنذكر ما اعتمده معهم مرّة بعد اخرى ان شآء الله تعالى

ذكر مُلك الفرنج مدينة شلب وعودها الى المسلمين

فى هذه السنة ملك ابن الرنك وهو من ملوك الفرنج غرب بلاد الاندلس مدينة شلب وهى من كبار مدن المسلمين بالاندلس واستولى عليها فوصل الخبر بذلك الى الامير ابى يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب الغرب والاندلس فتجهّز فى العساكر الكثيرة وسار الى الاندلس وعبر المجاز وسيّر طايفة كثيرة من عسكره فى البحر ونازلها وحصرها وقاتل مَن بها قتالًا شديدًا حتّى ذلّوا وسالوا الامان فامّنهم وسلّموا البلد وعادوا الى بلادهم وسيّر جيشًا من الموحّدين ومعهم جمع كثير من العرب ففتحوا اربع مدن كان الفرنج قد ملكوها قبل ذلك باربعين سنة وفتكوا فى الفرنج فخافهم ملك طليطلة من الفرنج وارسل يطلب الصلح فصالحه خمس سنين وعاد ابو يوسف الى مرّاكش وامتنع من هذه الهدنة طايفة من الفرنج لم يرضوها ولا امكنهم اظهار الخلاف فبقوا متوقّفين حتّى دخلت

---

[1]) قرابلى

سنة احدى وتسعين وخمسماية فتحركوا وسنذكر خبرهم هناك ان شاء الله تعالى ☆

ذكر الحرب بين غياث[1] الدين وسلطان شاه بخراسان

كان سلطان شاه اخو خوارزم شاه قد تعرّض الى بلاد غياث الدين ومعزّ الدين ملكىْ الغوريّة من خراسان فتجهّز غياث الدين وخرج من فيروزكوه الى خراسان سنة خمس وثمانين وخمسماية فبقى يتردّد بين بلاد الطالقان وبنّجده[2] ومرو وغيرها يريد حرب سلطان شاه فلم يزل كذلك الى ان دخلت سنة ستّ وثمانين جمع سلطان شاه عساكره وقصد غياث الدين فتصافّا واقتتلا فانهزم سلطان شاه واخذ غياث الدين بعض بلاده وعاد الى غزنة ☆

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل تسلّم الخليفة الناصر لدين الله حديثة عانة وكان سيّر اليها جيشًا حصروها سنة خمس وثمانين فقاتلوا عليها قتالًا شديدًا ودام الحصار وقُتل من الفريقَيْن خلق كثير فلمّا ضاقت عليهم الاقوات سلّموها على اقطاع عيّنوها ووصل صاحبها واهلها الى بغداد واعطوا اقطاعًا ثمّ تفرّقوا فى البلاد واشتدّت الحاجة بهم حتّى رايتُ بعضهم وانّه يتعرّض بالسؤال الى بعض خدم الناس فعوذ بالله من زوال نعمته وتحوّل عافيته ؞ وفى هذه السنة توفّى مسعود بن البادر وكان مكثرًا من الحديث حسن الخطّ خيّرًا ثقةً ؞ وفيها توفّى ابو حامد محمّد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورىّ بالموصل كان قاضيًا وقبلها ولى قضاة حلب وجميع الاعمال وكان رئيسًا جوادًا ذا مروّة عظيمة يرجع الى دين واخلاق ☆

ثمّ دخلت سنة سبع وثمانين وخمسماية ؞

سنة ٥٨٧

ذكر حصر عزّ الدين صاحب الموصل لجزيرة

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل سار اتابك عزّ الدين مسعود بن مودود بن زنكى صاحب الموصل الى جزيرة ابن عمر فحصرها وكان بها صاحبها

---

[1]) C. P.: شهاب

[2]) C. P. 740: ناجده Up.s: ىاجده

سنجر شاه بن سيف الدين غازى بن مودود وهو ابن اخى عزّ الدين وكان سبب حصره انّ سنجر شاه كان كثير الاذى لعمّه عزّ الدين والشناعة عليه والمراسلة الى صلاح الدين فى حقّه تارة يقول انّه يريد قصد بلادك وتارة يقول انّه يكاتب اعدآءك ويحثّهم على قصدك الى غير ذلك من الامور المونبة وعزّ الدين يصبر على ما يكره لامور تارة للرحم وتارة خوفًا من تسليمها الى صلاح الدين ، فلمّا كان فى السنة الماضية سار صاحبها الى صلاح الدين وهو على عكّا فى جملة مَن سار من اصحاب الاطراف واقام عنده قليلًا وطلب دستورًا للعود الى بلده فقال له صلاح الدين عندنا من اصحاب الاطراف جماعة منهم عماد الدين صاحب سنجار وغيرها وهو اكبر منك ومنهم ابن عمّك عزّ الدين وهو اصغر منك وغيرهم ومتى فتحتَ هذا الباب اقتدى بك غيرُك فلم يلتفت الى قوله واصرّ على ذلك وكان عند صلاح الدين جماعة من اهل الجزيرة يستغيثون على سنجر شاه لانّه ظلمهم واخذ اموالهم واملاكهم فكان يخافه لهذا ولم يزل فى طلب الاذن فى العود الى البلد الى عيد الفطر من سنة ستّ وثمانين فركب تلك الليلة سنجر [شاه] وجآء الى خيمة صلاح الدين واذن لاصحابه فى المسير فساروا بالانتقال وبقى جريدة فلمّا وصل الى خيمة صلاح الدين ارسل يطلب الاذن وكان صلاح الدين قد بات محمومًا وقد عرق فلم يمكن ان ياذن له فبقى كذلك متردّدًا على باب خيمته الى ان اذن له فلمّا دخل عليه هنّاه بالعيد واكبّ عليه يودّعه فقال له ما علمنا بصحّة عزمك على الحركة فتصبر علينا حتّى نرسل ما جرت به العادة فما يجوز ان تنصرف عنّا بعد مقامك عندنا على هذا الوجه فلم يرجع وودّعه وانصرف وكان تقى الدين عمر ابن اخى صلاح الدين قد اقبل من بلده حماة فى عسكره فكتب اليه صلاح الدين يامره باعادة سنجر شاه طوعًا او كرهًا ، فحكى لى عن تقى الدين انّه قال ما رايتُ مثل سنجر شاه لقيتُه بعقبة فيق فسالتُه عن سبب انصرافه فغالطنى فقلتُ له سمعتُ بالحال ولا يليق ان تنصرف بغير تشريف السلطان وهديته فيضيع تعبك وسالتُه العود فلم يَصْغ الى قولى فكلّمنى كانّنى بعض

[مماليكه][1] فلمّا رايتُ ذلك منه قلتُ له ان رجعتَ بالتى هى احسن والّا اعدتّك كارهًا فنزل عن دابّته واخذ ذيلى وقال قد استجرتُ بك وجعل يبكى فعجبتُ من حماقته اوّلًا وذلّته ثانيًا فعاد معى فلمّا عاد بقى عند صلاح الدين عشرة ايّام وكتب صلاح الدين الى عزّ الدين اتابك يامره بقصد الجزيرة ومحاصرتها واخذها وانّه يرسل الى طريق سنجر شاه ليقبض عليه اذا عاد فخاف عزّ الدين انّ صلاح الدين قد فعل ذلك مكيدة ليشنع عليه بنكث العهد فلم يفعل شيئًا من ذلك بل ارسل اليه يقول اريد خطّك بذلك ومنشورًا منك بالجزيرة فتردّدت الرسل فى ذلك الى ان انقضت سنة ستّ وثمانين فاستقرّت القاعدة بينهما فسار عزّ الدين الى الجزيرة فحصرها اربعة اشهر وايّامًا اخرها شعبان ولم يملكها بل استقرّت القاعدة بينه وبين سنجر شاه على يد رسول صلاح الدين فانّه كان قد ارسل بعد قصدها يقول انّ صاحب سنجار وصاحب اربل وغيرهما قد شفعا فى سنجر شاه فاستقرّ الصلح على ان لعزّ الدين نصف اعمال الجزيرة ولسنجر [شاه] نصفها وتكون الجزيرة بيد سنجر شاه من جملة النصف وعاد عزّ الدين الى الموصل وكان صلاح الدين بعد ذلك يقول ما قيل لى عن احد شئ من الشرّ فرايته الّا كان دون ما يقال فيه الّا سنجر شاه فانّه كان يقال لى عنه اشيآء استعظمتُها فلمّا رايتُه صغر فى عينى ما قيل ✿

ذكر عبور تقى الدين الفراة وملكه حرّان وغيرها من البلاد الجزريّة ومسيره الى خلاط وموته

فى هذه السنة فى صفر سار تقى الدين من الشام الى البلاد الجزريّة حرّان والرّها كان قد اقطعه ايّاها عمّه صلاح الدين بعد اخذها من مظفّر الدين مضافًا الى ما كان له بالشام وقرّر معه انّه يُقطع البلاد للجند ويعود وهم معه ليتقوّى بهم على الفرنج فلمّا عبر الفراة واصلح حال البلاد سار الى ميّافارقين وكانت له فلمّا بلغها تجدّد له طمع فى غيرها من البلاد المجاورة لها فقصد مدينة حانى[2] من ديار بكر فحصرها وملكها

---

[1]) C. P. et 740. [2]) حانى

وكان فى سبع مائة فارس فلمّا سمع سيف الدين بكتمر صاحب خلاط بملكه حانى[1] جمع عساكره وسار اليه فاجتمعت عساكره اربعة الاف فارس فلمّا التقوا اقتتلوا فلم يثبت عسكر خلاط لتقى الدين بل انهزموا وتبعهم تقى الدين ودخل بلادهم وكان بكتمر قد قبض على مجد الدين ابن رشيق وزير صاحبه شاه ارمن وسجنه فى قلعة هناك فلمّا انهزم كتب الى مستحفظ القلعة يامره بقتل ابن رشيق فوصل القاصد وتقى الدين قد نازل القلعة فاخذ الكتاب وملك القلعة واطلق ابن رشيق وسار الى خلاط فحصرها ولم يكن فى كثرة من العسكر فلم يبلغ منها غرضًا فعاد عنها وقصد ملازكرد وحصرها وضيّق على من بها وطال[2] مقامه عليها [فلما ضاق عليهم الامر طلبوا منه المهلة ايامًا ذكرها فاجابهم اليها][3] ومرض تقى الدين فمات قبل انقضآء الاجل بيومَيْن وتفرّقت العساكر عنها وحمله ابنه واصحابه ميتًا الى ميّافارقين وعاد بكتمر قوى امره وثبت مُلكه بعد ان اشرف على الزوال وهذه لحادثة من الفرج بعد الشدّة فانّ ابن رشيق نجا من القتل وبكتمر نجا من ان يوخذ ۞

ذكر وصول الفرنج من الغرب فى البحر الى عكّا

وفى هذه السنة وصلت امداد الفرنج فى البحر الى الفرنج الذين على عكّا وكان اوّل مَن وصل منهم الملك فليب[4] ملك افرنسيس وهو من اشرف ملوكهم نسبًا وان كان ملكه ليس بالكثير وكان وصوله اليها ثانى عشر ربيع الاوّل ولم يكن فى الكثرة التى ظنّوها وانّما كان معه ستّ بُطس كبار عظيمة فقويت به نفوس مَن على عكّا منهم ولجّوا فى قتال المسلمين الذين فيها وكان صلاح الدين بشفرعم[5] فكان يركب كلّ يوم ويقصد الفرنج ليشغلهم بالقتال عن مزاحفة البلد وارسل الى الامير اسامة مستحفظ بيروت يامره بتجهيز ما عنده من الشوانى والمراكب وتشحينها بالمقاتلة وتسييرها فى البحر ليمنع الفرنج من الخروج الى عكّا ففعل ذلك وسيّر الشوانى فى البحر فصادفت خمسة مراكب مملوّة رجالاً من اصحاب ملك انكلتار[6] الفرنج كان قد سيّرهم بين يديه وتاخّر هو بجزيرة قبرس ليملكها

[1]) حانى [2]) C. P. Ups.: وكان [3]) C. P. [4]) فلبب [5]) شفرعم [6]) انكبار

فاقتتلت شوانى المسلمين مع مراكب الفرنج فاستظهر المسلمون عليهم واخذوهم وغنموا ما معهم من قوت ومتاع ومال واسروا الرجال وكتب ايضًا صلاح الدين الى مَن بالقرب من النوّاب له يامرهم بمثل ذلك ففعلوا ، واما الفرنج الذين على عكّا فانّهم لازموا قتال مَن بها ونصبوا عليها سبع منجنيقات رابع جمادى الاولى [فلمّا راى صلاح الدين ذلك تحوّل من شفرعم[1] ونزل عليهم لئلّا يتعب[2] العسكر كلّ يوم فى المجئ اليهم والعود عنهم فقرب منهم وكانوا كلّما تحرّكوا للقتال ركب وقاتلهم من وراء خندقهم فكانوا يشتغلون بقتاله[3] فيخفّ القتال عمّن بالبلد ثمّ وصل ملك انكلتار ثالث عشر جمادى الاولى][4] وكان قد استولى فى طريقه على جزيرة قبرس واخذها من الروم فانّه لمّا وصل اليها غدر بصاحبها وملكها جميعًا فكان ذلك زيادة فى مُلكه وقوّة للفرنج فلمّا فرغ منها سار عنها الى مَن على عكّا من الفرنج فوصل اليهم فى خمس وعشرين قطعةً كبارًا مملوةً رجالاً واموالاً فعظم به شرّ الفرنج واشتدّت نكايتهم فى المسلمين وكان رجل زمانه شجاعة ومكرًا وجلدًا وصبرًا وبُلى المسلمون منه بالداهية التى لا مثل لها ولمّا وردت الاخبار بوصوله امر صلاح الدين بتجهيز بطسة كبيرة مملوءة من الرجال والعدد والاقوات فتجهّزت وسُيّرت من بيروت وفيها سبع مائة مقاتل فلقيها ملك انكلتار[5] مصادفة فقاتلها وصبر مَن فيها على قتالها فلمّا ايسوا من الخلاص نزل مقدّم مَن بها الى اسفلها وهو يعقوب الحلبىّ مقدّم الجندارية يعرف بغلام ابن شقتين[6] فخرقها خرقًا واسعًا لئلّا يظفر الفرنج بمن فيها وما معهم من الذخاير فغرق جميع ما فيها وكانت عكّا محتاجة الى رجال لما ذكرناه من سبب نقصهم ثمّ انّ الفرنج عملوا دبّابات وزحفوا بها فخرج المسلمون وقاتلوهم بظاهر البلد واخذوا تلك الكباش فلمّا راى الفرنج انّ ذلك جميعه لا ينفعهم عملوا تلًّا كبيرًا من التراب مستطيلًا وما زالوا يقرّبونه الى البلد ويقاتلون من ورايه لا ينالهم من البلد اذًى حتّى صار على نصف علوّه فكانوا يستظلّون به ويقاتلون

---

1) C. P. شعرعم, 740: سفرعم 2) 740: تتبع 3) 740: بقتاله
4) C. P. et 740. in C. P. et 740. 5) انكمار 6) Verba يعرف -- شقتين desunt

من خلفه فلم يكن للمسلمين فيه حيلة لا بالنار ولا بغيرها فحينئذ عظمت المصيبة على مَن بعكّا من المسلمين فارسلوا الى صلاح الدين يعرّفونه حالهم فلم يقدر لهم على نفع ☆

ذكر مُلك الفرنج عكّا

فى يوم الجمعة سابع عشر جمادى الاخرة استولى الفرنج لعنهم الله على مدينة عكّا وكان اوّل وهن دخل على مَن بالبلد انّ الامير سيف الدين علىّ ابن احمد الهكّارىّ المعروف بالمشطوب كان فيها ومعه عدّة من الامرآء كان هو امثلهم واكبرهم خرج الى ملك افرنسيس وبذل له تسليم البلد بما فيه على ان يُطلق المسلمين الذين فيه ويمكّنهم من اللحاق بسلطانهم فلم يجبه الى ذلك فعاد علىّ ابن احمد الى البلد فوهن مَن فيه وضعُفت نفوسهم وتخاذلوا واهمّتهم انفسهم ثمّ انّ اميرَيْن ممّن كان بعكّا لمّا راوا ما فعلوا بالمشطوب وانّ الفرنج لم يجيبوا الى الامان اتّخذوا الليل جملًا وركبوا فى شينىّ صغير وخرجوا سرًّا من اصحابهم ولحقوا بعسكر المسلمين وهم عزّ الدين ارسل الاسدىّ وابن عزّ الدين جاولى وسنقر الوشاقىّ ومعهم غيرهم فلمّا اصبح الناس وراوا ذلك ازدادوا وهنًا الى وهنهم وضعفًا الى ضعفهم وايقنوا بالعطب ثمّ انّ الفرنج ارسلوا الى صلاح الدين فى معنى تسليم البلد فاجابهم الى ذلك والشرط بينهم ان يُطلق من اسرائهم بعدد مَن فى البلد ليطلقوا هم مَن بعكّا وان يسلّم اليهم صليب الصلبوت فلم يقنعوا بما بذل فارسل الى مَن بعكّا من المسلمين يامرهم ان يخرجوا من عكّا يدًا واحدة ويتركوا البلد بما فيه ووعدهم انّه يتقدّم الى تلك الجهة التى يخرجون منها بعساكره ويقاتل الفرنج فيها ليلحقوا به فشرعوا فى ذلك واشتغل كلّ منهم باستصحاب ما يملكه فما فرغوا من اشغالهم حتّى اسفر الصبح فبطل ما عزموا عليه لظهوره فلمّا عجز الناس من حفظ البلد وزحف اليهم الفرنج بحدّهم وحديدهم فظهر مَن بالبلد على سوره يحرّكون اعلامهم ليراها المسلمون وكانت هى العلامة اذا اخترمهم امر فلمّا راى المسلمون ذلك ضجّوا بالبكآء والعويل وحملوا على الفرنج من جميع جهاتهم طلبًا منهم انّ الفرنج يشتغلون عن الذين بعكّا وصلاح الدين يحرّضهم وهو فى اوّلهم وكان الفرنج قد خفّوا عن خنادقهم ومالوا

الى جهة البلد فقرب المسلمون من خنادقهم حتّى كادوا يدخلونها عليهم ويضعون السيف فيهم فوقع الصوت فعاد الفرنج ومنعوا المسلمين وتركوا فى مقابلة مَن بالبلد مَن يقاتلهم فلمّا راى المشطوب انّ صلاح الدين لا يقدر على نفع ولا يدفع عنهم ضرًّا خرج الى الفرنج وقرّر معهم تسليم البلد وخروج مَن فيه باموالهم وانفسهم وبذل لهم عن ذلك مايتىْ الف دينار وخمسماية اسير من المعروفين واعادة صليب الصلبوت واربعة عشر الف دينار للمركيس صاحب صور فاجابوه الى ذلك وحلفوا له عليه وان يكون مدّة تحصيل المال والاسرى الى شهرَيْن فلمّا حلفوا له سلّم البلد اليهم ودخلوه سِلمًا فلمّا ملكوه غدروا واحتاطوا على مَن فيه من المسلمين وعلى اموالهم وحبسوهم واظهروا انّهم يفعلون ذلك ليصل اليهم ما بذل لهم وراسلوا صلاح الدين فى ارسال المال والاسرى والصليب حتّى يُطلقوا مَن عندهم فشرع فى جمع المال وكان هو الامان له انما يخرج ما يصل اليه من دخْل البلاد اوّلاً باوّل فلمّا اجتمع عنده من المال مائة الف دينار جمع الامرآء واستشارهم فاشاروا بان لا يرسل شيأً حتّى يعاود يستحلفهم على اطلاق اصحابه وان يضمن الداويّة ذلك لانّهم اهل دين يرون الوفآء فراسلهم صلاح الدين فى ذلك فقال الداويّة لا نحلف ولا نضمن لانّنا نخاف غدر مَن عندنا وقال ملوكهم اذا سلّمتم الينا المال والاسرى والصليب فلنا الخيار فيمن عندنا فحينئذٍ علم صلاح الدين عزمهم على الغدر فلم يرسل اليهم شيأً واعاد الرسالة اليهم وقال نحن نسلّم اليكم هذا المال والاسرى والصليب ونعطيكم رهنًا على الباقى وتطلقون اصحابنا وتضمن الداويّة الرهن ويحلفون على الوفآء لهم فقالوا لا نحلف انّما ترسل الينا المائة الف دينار التى حصلتَ والاسرى والصليب ونحن نطلق من اصحابكم مَن نريد ونترك مَن نريد حتّى يجئ باقى المال فعلم الناس حينئذٍ غدرهم وانّما يُطلقون غلمان العسكر والفقرآء والاكراد ومن لا يوبه له ويمسكون عندهم الامرآء وارباب الاموال ويطلبون منهم الفدآء فلم يجبهم السلطان الى ذلك ٥ فلمّا كان اليوم الثلاثآء السابع والعشرين من رجب ركب الفرنج وخرجوا الى ظاهر البلد بالفارس والراجل وركب المسلمون اليهم وقصدوهم وحملوا عليهم فانكشفوا عن مواقفهم واذ اكثر مَن كان عندهم من

المسلمين قتلى قد وضعوا فيهم السيف واستبقوا الامرآء والمقدّمين ومَن كان له مال وقتلوا مَن سواهم من سوادهم واصحابهم ومَن لا مال له فلمّا راى صلاح الدين ذلك تصرّف فى المال الذى كان جمعه وسيّر الاسرى والصليب الى دمشق ۞

ذكر رحيل الفرنج الى ناحية عسقلان وتخريبها

لمّا فرغ الفرنج لعنهم الله من اصلاح امر عكّا برزوا منها فى الثامن والعشرين من رجب وساروا مستهلّ شعبان نحو حيفا[1] مع شاطئ البحر لا يفارقونه فلمّا سمع صلاح الدين برحيلهم نادى فى عسكر بالرحيل فساروا وكان على اليزك ذلك اليوم الملك الافضل ولد صلاح الدين ومعه سيف الدين ايازكوش وعزّ الدين جورديك وعدّة من شجعان الامرآء فضايقوا الفرنج فى مسيرهم وارسلوا عليهم من السهام ما كاد يحجب الشمس ووقعوا على ساقة الفرنج فقتلوا منها جماعة واسروا جماعة وارسل الافضل الى والده يستمدّه ويعرّفه الحال فامر العساكر بالمسير اليه فاعتذروا بانّهم ما ركبوا باهبّة الحرب وانّما كانوا على عزم المسير لا غير فبطل المدد وعاد ملك الانكلتار[2] الى ساقة الفرنج فحماها وجمعهم وساروا حتّى اتوا حيفا[1] فنزلوا بها ونزل المسلمون بقيمون[3] قرية بالقرب منهم واحضر الفرنج من عكّا عوض مَن قُتل منهم وأُسر ذلك اليوم وعوض ما هلك من الخيل ثمّ ساروا الى قيسارية والمسلمون يسايرونهم ويتخطّفون منهم مَن قدروا عليه فيقتلونه لانّ صلاح الدين كان قد اقسم انّه لا يظفر باحد منهم الّا قتله بمن قتلوا ممّن كان بعكّا فلمّا قاربوا قيسارية لاصقهم المسلمون وقاتلوهم اشدّ قتال فنالوا منهم نيلًا كثيرًا ونزل الفرنج بها وبات المسلمون قريبًا منهم فلمّا نزلوا خرج من الفرنج جماعة فابعدوا عن جماعتهم فاوقع بهم المسلمون الذين كانوا فى اليزك فقتلوا منهم واسروا منهم ثمّ ساروا من قيسارية الى ارسوف وكان المسلمون قد سبقوهم اليها ولم يمكنهم مسايرتهم لضيق الطريق فلمّا وصل الفرنج اليهم حمل المسلمون عليهم حملة منكرة لحقوهم بالبحر ودخله بعضهم فقُتل منهم كثير فلمّا

---

1) خيفا 2) الانكلمار 3) نعمون

راى الفرنج ذلك اجتمعوا وحملت الخيّالة على المسلمين حملة رجل واحد فولّوا منهزمين لا يلوى احدٌ على احد وكان كثير من الخيّالة والسوقة قد الفوا القيام وقت الحرب قريبًا من المعركة فلمّا كان ذلك اليوم كانوا على حالهم فلمّا انهزم المسلمون عنهم قُتل منهم كثير والتجا المنهزمون الى القلب وفيه صلاح الدين فلو علم الفرنج انّها هزيمة لتبعهم واشتهرت الهزيمة وهلك المسلمون لكنّ كان بالقرب من المسلمين شعرة كثيرة الشجر فدخلوها وظنّها الفرنج مكيدة فعادوا وزال عنهم ما كانوا فيه من الضيق وقُتل من الفرنج كند كبير من طواغيتهم وقُتل من المسلمين مملوك لصلاح الدين اسمه اياز الطويل وهو من الموصوفين بالشجاعة والشهامة لم يكن فى زمانه مثله فلمّا نزل الفرنج نزل المسلمون واعنّة خيلهم بايديهم ثمّ سار الفرنج الى يافا فنزلوها ولم يكن بها احد من المسلمين فملكوها ولمّا كان من المسلمين بارسوف من الهزيمة ما ذكرناه سار صلاح الدين عنهم الى الرملة واجتمع باثقاله بها وجمع الامرآء واستشارهم فيما يفعل فاشاروا عليه بتخريب عسقلان وقالوا له قد رايتَ ما كان منّا بالامس واذا جآء الفرنج الى عسقلان ووقفنا فى وجوههم نصدّهم عنها فهم لا شكّ يقاتلونا لننزاح عنها وينزلون عليها فاذا كان ذلك عُدْنا الى مثل ما كنّا عليه على عكّا ويعظم الامر علينا لانّ العدوّ قد قوى باخذ عكّا وما فيها من الاسلحة وغيرها ونحن قد ضعُفنا بما خرج عن ايدينا ولم تطُل المدّة حتّى نستجدّ غيرها فلم تسمح نفسه بتخريبها وندب الناس الى دخولها وحفظها فلم يجبه احد الى ذلك وقالوا ان اردتَ حفظها فادخل انت معنا او بعض اولادك الكبار والّا فما يدخلها منّا احد لئلّا يصيبنا ما اصاب اهل عكّا ، فلمّا راى الامر كذلك سار الى عسقلان وامر بتخريبها فخربت تاسع عشر شعبان والقيتْ حجارتها فى البحر وهلك فيها من الاموال والذخاير التى للسلطان والرعيّة ما لا يمكن حصره وعفّى اثرها حتّى لا يبقى للفرنج فى قصدها مطمع ، ولمّا سمع الفرنج بتخريبها اقاموا مكانهم ولم يسيروا اليها وكان المركيس لعنه الله لمّا اخذ الفرنج عكّا قد احسّ من ملك انكلتار بالغدر به فهرب من عنده الى مدينة صور وهى له وبيده وكان رجل الفرنج رأيًا وشجاعة وكلّ هذه الحروب هو اثارها

فلمّا خربت عسقلان ارسل الى ملك انكلتار يقول له مثلك لا ينبغى ان يكون ملكًا ويتقدّم على الجيوش نسمع انّ صلاح الدين قد خرّب عسقلان وتقيم مكانك يا جاهل لمّا بلغك انّه قد شرع فى تخريبها كنتَ سرتَ اليه مجدًّا فرحّلته وملكتها صفوًا عفوًا بغير قتال ولا حصار فانّه لا خرّبها الّا وهو عاجز عن حفظها وحقّ المسيح لو انّنى معك كانت عسقلان اليوم بايدينا لم نخرب منها غير برج واحد ، فلمّا خرّبت عسقلان رحل صلاح الدين عنها ثانى شهر رمضان ومضى الى الرملة فخرّب حصنها وخرّب كنيسة لدّ وفى مدّة مقامه لتخريب عسقلان كانت العساكر مع الملك العادل ابى بكر بن ايّوب تُجاهَ الفرنج ثمّ سار صلاح الدين الى القدس بعد تخريب الرملة فاعتبره وما فيه من سلاح وذخاير وقرّر قواعده واسبابه وما يحتاج اليه وعاد الى المخيّم ثامن رمضان وفى هذه الايّام خرج ملك انكلتار من يافا ومعه نفر من الفرنج من معسكرهم فوقع به نفر من المسلمين فقاتلوهم قتالاً شديدًا وكاد ملك انكلتار يؤسر ففداه بعض اصحابه بنفسه فتخلّص الملك وأُسر ذلك الرجل ، وفيها ايضًا كانت وقعة بين طايفة من المسلمين وطايفة من الفرنج انتصرْ المسلمون ✿

ذكر رحيل الفرنج الى نطرون

لمّا راى صلاح الدين انّ الفرنج قد لزموا يافا ولم يفارقوها وشرعوا فى عمارتها رحل من منزلته الى النطرون ثالث عشر رمضان وخيّم به فراسله ملك انكلتار يطلب المهادنة فكانت الرسل تتردّد الى الملك العادل ابى بكر بن ايّوب اخى صلاح الدين فاستقرّت القاعدة انّ انكلتار يُزوّج اخته من العادل ويكون القدس وما بايدى المسلمين من بلاد الساحل للعادل ويكون عكّا وما بيد الفرنج من البلاد لاخت انكلتار مُضافًا الى مملكة كانت لها داخل البحر قد ورثتْها من زوجها وان يرضى الداويّة بما يقع الاتّفاق عليه فعرض العادل ذلك على صلاح الدين فاجاب اليه فلمّا ظهر الخبر اجتمع القسيسون والاساقفة والرهبان الى اخت انكلتار وانكروا عليها فامتنعت من الاجابة وقيل كان المانع منه غير ذلك والله اعلم وكان العادل وملك انكلتار يجتمعون بعد ذلك ويتجاريان حديث الصلح وطلب من العادل ان يُسمعه غناء المسلمين فاحضر له مغنّية

تضرب بالجنك فغنّت له فاستحسن ذلك ولم يتمّ بينهما صلح وكان ملك انكلتار يفعل ذلك خديعةً ومكرًا ثمّ انّ الفرنج اظهروا العزم على قصد بيت المقدس فسار صلاح الدين الى الرملة جريدة وترك الاثقال بالنطرون وقرب من الفرنج وبقى عشرين يومًا ينتظرهم فلم يبرحوا فكان بين الطايفتَيْن مدّة المقام عدّة وقعات فى كلّها ينتصر المسلمون على الفرنج وعاد صلاح الدين الى النطرون ورحل الفرنج من يافا الى الرملة ثالث ذى القعدة على عزم قصد البيت المقدّس فقرب بعضهم من بعض فعظم الخطب واشتدّ الحذر فكان كلّ ساعة يقع الصوت فى العسكرَيْن باللقآء فلقوا من ذلك شدّة شديدة واقبل الشتآء وحالت الاحوال والامطار بينهما ۞

ذكر مسير صلاح الدين الى القدس

لمّا راى صلاح الدين انّ الشتآء قد هجم والامطار متوالية متتابعة والناس منها فى ضنك وحرج ومن شدّة البرد ولبس السلاح والسهر فى تعب دايم وكان كثير من العساكر قد طال بيكارها فاذن لهم فى العود الى بلادهم للاستراحة والاراحة وسار هو الى البيت المقدّس فيمن بقى معه فنزلوا جميعًا داخل البلد فاستراحوا ممّا كانوا فيه ونزل هو بدار الاقصى مجاور بيعة قامة وقدم اليه عسكر مصر مقدّمهم الامير ابو الهيجآء السمين فقويت نفوس المسلمين بالقدس وسار الفرنج من الرملة الى النطرون ثالث ذى الحجّة على عزم قصد القدس فكانت بينهم وبين يزك المسلمين وقعات أسر المسلمون فى وقعة منها نيّفًا وخمسين فارسًا من مشهورى الفرنج وشجعانهم وكان صلاح الدين لمّا دخل القدس امر بعمارة سوره وتجديد ما رثّ منه فاحكم الموضع الذى مُلك البلد منه واتقنه وامر بحفر خندق خارج الفصيل وسلّم كلّ برج الى امير يتولّى عمله فعمل ولده الافضل من ناحية باب عمود الى باب الرحمة وارسل اتابك عزّ الدين مسعود صاحب الموصل جماعة من الجصّاصين لهم فى قطع الصخر اليدُ الطولى فعملوا له هناك برجًا وبدنة وكذلك جميع الامرآء ثمّ انّ الحجارة قلّت عند العمّالين فكان صلاح الدين رحمه الله يركب وينقل الحجارة بنفسه على دابّته من الامكنة البعيدة فيقتدى به العسكر فكان يجمع عنده من العمّالين فى اليوم الواحد يعملون قدر عدّة ايّام ۞

ذكر عود الفرنج الى الرملة

فى العشرين من ذى الحجّة عاد الفرنج الى الرملة وكان سبب عودهم انّهم كانوا ينقلون ما يريدونه من الساحل فلمّا ابعدوا عنه كان المسلمون يخرجون على مَن يجلب لهم الميرة فيقطعون الطريق ويغنمون ما معهم ثمّ انّ ملك انكلتار قال لمن معه من الفرنج الشاميّين صوّروا الىّ مدينة القدس فانى ما رايتُها فصوّروها له فراى الوادى يحيط بها ما عدا موضع يسير من جهة الشمال فسأل عن الوادى وعن عمقه فاخبر انّه عميق وعرُ المسلك فقال هذه مدينة لا يمكن حصرُها مهما صلاح الدين حىٌّ وكلمة المسلمين مجتمعة لانّنا ان نزلنا فى الجانب الذى يلى المدينة بقيت ساير الجوانب غير محصورة فيدخل اليهم منها الرجال الذخاير وما يحتاجون اليه وان نحن افترقنا فنزل بعضّنا من جانب الوادى وبعضنا من الجانب الاخر جمع صلاح الدين اصحابه وواقع احدى الطايفتيْن ولم يمكن الطايفة الاخرى انجاد اصحابهم لانّهم ان فارقوا مكانهم خرج مَن بالبلد من المسلمين فغنموا ما فيه وان تركوا فيه مَن يحفظه وساروا نحو اصحابهم فالى ان يتخلّصوا من الوادى ويلحقوا بهم قد فرغ صلاح الدين منهم هذا سوى ما يتعذّر علينا من ايصال ما يحتاج اليه من العلوفات والاقوات فلمّا قال لهم ذلك علموا صدقه وراوا قلّة الميرة عندهم وما يجرى للجالبين لها من المسلمين فاشاروا عليه بالعود الى الرملة فعادوا خايبين خاسرين ☆

ذكر قتل قزل ارسلان

فى شعبان من هذه السنة قُتل قزل ارسلان واسمه عثمان بن ايلدكز وقد ذكرنا انّه ملك البلاد بعد وفاة اخيه البهلوان ملك أرّان واذربيجان وهمذان واصفهان والرىّ وما بينهما واطاعه صاحب فارس وخوزستان واستولى على السلطان طغرل فاعتقله فى بعض القلاع ودانت له البلاد وفى اخر امره سار الى اصفهان والفتن بها متّصلة من لدن توفّى البهلوان الى ذلك الوقت فتعصّب على الشافعيّة واخذ جماعة من اعيانهم فصلبهم وعاد الى همذان وخطب لنفسه بالسلطنة وضرب النوب الخمس ثمّ انّه دخل ليلة قُتل الى منزله لينام وتفرّق اصحابه فدخل اليه مَن قتله على فراشه ولم

يُعرف قاتله فاخذ اصحابه صاحب بابه ظنًّا وتخمينًا، وكان كريمًا حسن الاخلاق يحبّ العدل ويوثره ويرجع الى حلم وقلّة عقوبة ❁

ذكـــر عـــدّة حـــوادث

فى هذه السنة قدم معزّ الدين قيصر شاه بن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم على صلاح الدين فى رمضان وكان سبب قدومه انّ والده عزّ الدين قلج ارسلان فرّق مملكته على اولاده واعطى ولده هذا ملطيّة واعطى ولده قطب الدين ملك شاه سيواس فاستولى قطب الدين على ابيه وحجر عليه وازالّ حكمه والزمه ان ياخذ ملطيّة من هذا اخيه وسلّمها اليه فخاف معزّ الدين فسار الى صلاح الدين ملتجيًا اليه معتضدًا به فاكرمه صلاح الدين وزوّجه بابنة اخيه الملك العادل فامتنع قطب الدين من قصده وعاد معزّ الدين الى ملطيّة فى ذى القعدة، وحدّثنى مَن اثق به قال رايتُ صلاح الدين وقد ركب ليودّع هذا معزّ الدين فترجّل له معزّ الدين وترجّل صلاح الدين وودّعه راجلاً فلمّا اراد الركوب عضده هذا معزّ الدين وركّب وسوّى ثيابه علاء الدين خرمشاه بن عزّ الدين صاحب الموصل قال فعجبتُ من ذلك، وقلتُ ما تبالى يا ابن ايّوب اىّ موتة تموت يركّبك ملك سلجوقىّ وابن اتابك زنكى، وفيها توفّى حسام الدين محمّد بن عمر بن لاجين وهو ابن اخت صلاح الدين، وعلم الدين سليمان بن جندر[1] وهو من اكابر امرآء صلاح الدين ايضًا، وفى رجب توفّى الصفى بن القابض وكان متولّى دمشق لصلاح الدين بحكم فى جميع بلاده ❁

سنة ٥٨٨

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمايةٍ،

ذكر عمارة الفرنج عسقلان

فى هذه السنة فى المحرّم رحل الفرنج نحو عسقلان وشرعوا فى عمارتها وكان صلاح الدين بالقدس فسار ملك انكلتار جريدة من عسقلان الى يزك المسلمين فواقعهم وجرى بين الطايفتَيْن قتال شديد انتصف بعضهم من بعض وفى مدّة مقام صلاح الدين بالقدس ما برحت سراياه تقصد الفرنج

---

[1] حمدر

فتارة تواقع طايفة منهم وتارة تقطع الميرة عنهم ومن جملتها سريّة كان مقدّمها فارس الدين ميمون القصرىّ وهو من مقدّمى المماليك الصلاحيّة خرج على قافلة كبيرة للفرنج فاخذها وغنم ما فيها ۞

ذكر قتل المركيس وملك الكند هرى

فى هذه السنة فى ثالث عشر ربيع الاخر قُتل المركيس الفرنجىّ لعنه الله صاحب صور وهو اكبر شياطين الفرنج وكان سبب قتله انّ صلاح الدين راسل مقدّم الاسماعيليّة وهو سنان ان ارسل من يقتل ملك انكلتار وان قتل المركيس فله عشرة آلاف دينار فلم يمكنهم قتل ملك انكلتار ولم يره سنان مصلحة لهم لئلّا يخلو وجه صلاح الدين من الفرنج ويتفرّغ لهم وشَرِهَ فى اخذ المال فعدل الى قتل المركيس فارسل رجلَين فى زىّ الرهبان واتّصلا بصاحب صيدا وابن بارزان صاحب رملة[1] وكانا مع المركيس بصور فاقاما معهما ستّة اشهر يظهران العبادة فانس بهما المركيس ووثق اليهما فلمّا كان بعد التاريخ عمل الاسقف بصور دعوة للمركيس فحضرها واكل طعامه وشرب مُدامه وخرج من عنده فوثب عليه الباطنيّان المذكوران فجرحاه جراحًا وثيقة وهرب احدهما ودخل كنيسة يختفى فيها فاتّفق انّ المركيس حُمل اليها ليشدّ جراحه فوثب عليه ذلك الباطنىّ فقتله وقُتل الباطنيّان بعده ونسب الفرنج قتله الى وضْع من ملك انكلتار لينفرد بملك الساحل الشامىّ فلمّا قُتل ولى بعده مدينة صور كند من الفرنج من داخل البحر يقال له الكند هرى وتزوّج بالملكة فى ليلته ودخل بها وهى حامل وليس للحمل عندهم ممّا يمنع النكاح وهذا الكند هرى هو ابن اخت ملك افرنسيس من ابيه وابن اخت ملك انكلتار من امّه وملك هذا كند هرى بلاد الفرنج بالساحل بعد عود ملك انكلتار وعاش الى سنة اربع وتسعين وخمسمائة فسقط من سطح فمات وكان عاقلًا كثير المداراة والاحتمال ولمّا رحل ملك انكلتار الى بلاده ارسل هذا كند هرى الى صلاح الدين يستعطفه ويستميله يطلب منه خلعة وقال انت تعلم انّ لبس القباء والشربوش عندنا عيب وانا البسهما

---

[1]) C. P. et 740. Ups.: صالة

منك محبّة لك فانفذ اليه خلعة سنيّة منها القباء والشربوش فلبسهما بعكّا ✿

ذكر نهب بنى عامر البصرة[1]

فى هذه السنة فى صفر اجتمع بنو عامر فى خلق كثير واميرهم عميرة وقصدوا البصرة وكان الامير بها اسمه محمّد بن اسمعيل ينوب عن مقطعها الامير طغرل مملوك الخليفة الناصر لدين الله فوصلوا اليها يوم السبت سادس صفر فخرج اليهم الامير محمّد فيمَنْ معه من الجند فوقعت الحرب بينهم بدرب الميدان بجانب الخريبة[2] ودام القتال الى اخر النهار فلمّا جآء الليل ثلم العرب فى السور عدّة ثلم ودخلوا البلد من الغد فقاتلهمْ اهل البلد فقُتل بينهم قتلى كثيرة من الفريقَيْن ونهبت العرب الخانات بالشاطئ وبعض محالّ البصرة وعبر اهلها الى شاطئ الملّاحين وفارق العرب البلد فى يومهم وعاد اهله اليه وكان سبب سرعة العرب فى مفارقة البلد انّهم بلغهم انّ خفاجة والمنتفق قد قاربوهم فساروا اليهم وقاتلوهم اشدّ قتال فظفرت عامرٌ وغنمت اموال خفاجة والمنتفق وعادوا الى البصرة بكرة الاثنين وكان الامير قد جمع من اهل البصرة والسواد جمعًا كثيرًا فلمّا عادت عامر قاتلهم اهل البصرة ومَن اجتمع معهم فلم يقوموا للعرب وانهزموا ودخل العرب البصرة ونهبوها وفارق البصرة اهلها ونُهبت اموالهم وجرت امور عظيمة ونُهبت القسامل[3] وغيرها يومَيْن وفارقها العرب وعاد اهلها اليها وقد رايتُ هذه القصّة بعينها فى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة والله اعلم ✿

ذكر ما كان من ملك انكلتار

فى تاسع جمادى الاولى من هذه السنة استولى الفرنج على حصن الداروم فخرّبوه ثمّ ساروا الى البيت المقدّس وصلاح الدين فيه فبلغوا بيت نوبة[4] وكان سبب طمعهم انّ صلاح الدين فرّق عساكره الشرقيّة وغيرها لاجل الشتآء ويستريحوا وليحضر البدل عوضهم وسار بعضهم مع ولده الافضل واخيه العادل الى البلاد الجزريّة لما نذكره ان شآء الله تعالى وبقى من حلقته الخاصّ بعض العساكر المصريّة فظنّوا انّهم ينالون غرضًا ،

---

[1]) In C. P. et 740 hoc caput proxime antecedenti præmissum est.
[2]) C. P.: الخريبة Ups.: الحريمة
[3]) C. P. et 740. Ups.: نهب امل
[4]) دوبة

فلمّا سمع صلاح الدين بقربهم منه فرّق ابراج البلد على الامراء وسار الفرنج من بيت نوبة[1] الى قلونية سلخ الشهر وهى فرسخين من القدس فصبّ المسلمون عليهم البلآء وتابعوا ارسال السرايا قِبَل الفرنج منهم بما لا قِبَل لهم به وعلموا انّهم اذا نازلوا القدس كان الشرّ اليهم اسرع والتسلّط عليهم امكن فرجعوا القهقهرى وركب المسلمون اكتافهم بالرماح والسهام ولمّا بَعُد الفرنج عن يافا سيّر صلاح الدين سريّة من عسكره اليها فقاربوها وكمنوا عندها فاجتاز بهم جماعة من فرسان الفرنج مع قافلة فخرجوا عليهم فقتلوا منهم واسروا وغنموا وكان ذلك اخر جمادى الاولى ۞

ذكر استيلآء الفرنج على عسكر للمسلمين وقَفَل

فى تاسع جمادى الاخرة بلغ الفرنج الخبر بوصول عسكر من مصر ومعهم قفل كبير ومقدّم العسكر فلك الدين سليمان اخو العادل لامّه ومعه عدّة من الامرآء فاسرى الفرنج اليهم فواقعهم بنواحى الخليل فانهزم الجند ولم يُقتل منهم احد من المشهورين انّما قُتل من الغلمان والاصحاب وغنم الفرنج خيامهم والاتهم وامّا القفل فانّه أُخذ بعضه. وصعد من نجا جبل الخليل فلم يقدم الفرنج على اتباعهم ولو اتبعوهم نصف فرسخ لاتوا عليهم وتمزّق من نجا من القفل وتقطّعوا ولقوا شدّة الى ان اجتمعوا ء حكى لى بعض اصحابنا وكنّا قد سيّرنا معه شيأً للتجارة الى مصر وكان قد خرج فى هذا القفل قال لمّا وقع الفرنج علينا كنّا قد رفعنا احمالنا للسير فحملوا علينا واوقعوا بنا فضربتُ جمالى وصعدتُ الجبل ومعى عدّة اجمال لغيرى فلحقنا قوم من الفرنج فاخذوا الاجمال التى فى صحبتى وكنتُ بين ايديهم بمقدار رمية سهم فلم يصلوا الىّ فنجوتُ بما معى وسرتُ لا ادرى اين اقصد واذ قد لاح لى بنآء كبير على جبل فسالتُ عنه فقيل لى هذا الكرك فوصلتُ اليه ثمّ عُدْتُ منه الى القدس سالمًا وسلم هذا الرجل من القدس سالمًا فلمّا بلغ بُزاعة عند حلب اخذه الحرامية فنجا من العطب وهلك عند ظنّه السلامة ۞

ذكر سير الافضل والعادل الى بلاد الجزيرة

---

[1]) نوبه

قد تقدّم ذكر موت تقى الدين عمر ابن صلاح الدين واستيلاء ولده ناصر الدين محمّد على بلاد الجزيرة فلمّا استولى عليها ارسل الى صلاح الدين يطلب تقريرها عليه مُضافًا الى ما كان لابيه بالشام فلم يرَ صلاح الدين انّ مثل تلك البلاد تُسلَّم الى صبىّ فما اجابه الى ذلك فحدث نفسه بالامتناع على صلاح الدين لاشتغاله بالفرنج فطلب الافضل علىّ ابن صلاح الدين من ابيه ان يُقطعه ما كان لتقى الدين وينزل عن دمشق فاجابه الى ذلك وامره بالمسير اليها فسار الى حلب فى جماعة من العسكر وكتب صلاح الدين الى اصحاب البلاد الشرقيّة مثل صاحب الموصل وصاحب سنجار وصاحب الجزيرة وصاحب ديار بكر وغيرها يامرهم بانفاذ العساكر الى ولده الافضل ، فلمّا راى ولد تقى الدين ذلك علم انّه لا قوّة له بهم فراسل الملك العادل عمّ ابيه يسأله اصلاح حاله مع صلاح الدين فانهى ذلك الى صلاح الدين واصلح حاله وقرّر قاعدته بان يقرّر له ما كان لابيه بالشام وتوخذ منه البلاد الجزريّة واستقرّت القاعدة على ذلك واقطع صلاح الدين البلاد الجزريّة وهى حرّان والرها وسميساط وميّافارقين وحانى العادل وسيّره الى ابن تقى الدين ليتسلّم منه البلاد ويُسيره الى صلاح الدين ويُعيد الملك الافضل ابن ادركه فسار العادل فلحق الافضل بحلب فاعاده الى ابيه وعبر العادل الفراة وتسلّم البلاد من ابن تقى الدين وجعل نوّابه فيها واستصحب ابن تقى الدين معه وعاد الى صلاح الدين بالعساكر وكان عوده فى جمادى الاخرة من هذه السنة ۞

ذكر عود الفرنج الى عكّا

لمّا عاد الملك الافضل فيمن معه وعاد الملك العادل وابن تقى الدين فيمن معهما من عساكرهما ولحقتهم العساكر الشرقيّة عسكر الموصل وعسكر ديار بكر وعسكر سنجار وغير ذلك من البلاد واجتمعت العساكر بدمشق ايقن الفرنج انّهم لا طاقة لهم بها اذا فارقوا البحر فعادوا نحو عكّا يُظهرون العزم على قصد بيروت ومحاصرتها فامر صلاح الدين ولده الافضل ان يسير اليها فى عسكره والعساكر الشرقيّة جميعها معارضًا للفرنج فى مسيرهم نحوها فسار الى مرج العيون واجتمعت العساكر معه فاقام هنالك ينتظر مسير الفرنج فلمّا بلغهم ذلك اقاموا بعكّا ولم يفارقوها ۞

ذكر ملك صلاح الدين يافا

لمّا رحل الفرنج نحو عكّا كان قد اجتمع عند صلاح الدين عسكر حلب وغيره فسار الى مدينة يافا وكانت بيد الفرنج فنازلها وقاتل مَن بها منهم وملكها فى العشرين من رجب بالسيف عنوةً ونهبها المسلمون وغنموا ما فيها وقتلوا الفرنج واسروا كثيرًا وكان بها اكثر ما اخذوه من عسكر مصر والقفل الذى كان معهم وقد ذُكر ذلك وكان جماعة من المماليك الصلاحيّة قد وقفوا على ابواب المدينة وكلّ مَن خرج من الجند ومعه شئٌ من الغنيمة اخذوه منه فان امتنع ضربوه واخذوا ما معه قهرًا ثمّ زحفت العساكر الى القلعة فقاتلوا عليها اخر النهار وكادوا ياخذونها فطلب مَن بالقلعة الامان على انفسهم وخرج البترك الكبير الذى لهم ومعه عدّة من اكابر الفرنج فى ذلك وتردّدوا وكان قصدهم منع المسلمين عن القتال فادركهم الليل وواعدوا المسلمين ان ينزلوا بكرة غد ويسلّموا القلعة فلمّا اصبح الناس طالبهم صلاح الدين بالنزول عن الحصن فامتنعوا واذا قد وصلهم نجدة من عكّا وادركهم ملك انكلتار فاخرج مَن بيافا من المسلمين واتاه المدد من عكّا وبرز الى ظاهر المدينة واعترض المسلمين وحده وحمل عليهم فلم يتقدّم اليه احد فوقف بين الصفّين واستدعا طعامًا من المسلمين ونزل اكل فامر صلاح الدين عسكره بالحملة عليهم وبالجدّ فى قتالهم فتقدّم اليه بعض امرآيه يعرف بالجناح وهو اخو المشطوب بن علىّ ابن احمد الهكّارىّ فقال له يا صلاح الدين قل لمماليكك الذين اخذوا امس الغنيمة وضربوا الناس بالجاقات يتقدّمون فيقاتلون اذا كان القتال فنحن واذا كانت الغنيمة فلهم فغضب صلاح الدين من كلامه وعاد عن الفرنج وكان رحمه الله حليمًا كريمًا لمقدرة ونزل فى خيامه واقام حتّى اجتمعت العساكر وجآء اليه ابنه الافضل واخوه العادل وعساكر الشرق فدخل بهم الى الرملة لينظر ما يكون منه ومن الفرنج فلزم الفرنج يافا ولم يبرحوا منها ✿

ذكر الهدنة مع الفرنج وعود صلاح الدين الى دمشق

فى العشرين من شعبان من هذه السنة عقدت بين المسلمين والفرنج لمدّة ثلاث سنين وثمانية اشهر اوّلها هذا التاريخ وافق اوّل ايلول وسبب

الصلح انّ ملك انكلتار لمّا راى اجتماع العساكر وانّه لا يمكنه مفارقة ساحل البحر وليس بالساحل للمسلمين بلد يطمع فيه وقد طالت غيبته عن بلاده راسل صلاح الدين فى الصلح واظهر من ذلك ضدّ ما كان يظهره اولًا فلم يجبه صلاح الدين الى ما طلب ظنًّا منه انّه يفعل ذلك خديعةً ومكرًا وارسل يطلب منه المصافّ والحرب فاعاد الفرنجىّ رسله مرّة بعد مرّة وترك تتمّة عمارة عسقلان وعن غزّة والداروم والرملة وارسل الى الملك العادل فى تقرير هذه القاعدة فاشار هو وجماعة الامرآء بالاجابة الى الصلح وعرّفوه ما عند العسكر من الضجر والملل وما قد هلك من اسلحتهم ودوابّهم ونفد من نفقاتهم وقالوا انّ هذا الفرنجىّ انّما طلب الصلح ليركب البحر ويعود الى بلاده فان تاخّرت اجابته الى ان يجىء الشتآء وينقطع الركوب فى البحر نحتاج نبقى هاهنا سنة اخرى وحينيٍّذ يعظم الضرر على المسلمين واكثروا القول له فى هذا المعنى فاجاب حينيٍّذ الى الصلح فحضر رسل الفرنج وعقدوا الهدنة وتحالفوا على هذه القاعدة وكان فى جملة مَن حضر عند صلاح الدين باليان بن بارزان[1] الذى كان صاحب الرملة ونابلس فلمّا حلف صلاح الدين قال له ما عمل احد فى الاسلام ما عملتَ ولا هلك من الفرنج مثل ما هلك منهم هذه المدّة فانّنا احصينا مَن خرج الينا فى البحر من المقاتلة فكانوا ستّمائة الف رجل ما عاد منهم الى بلادهم من كلّ عشرة واحد بعضهم قتلتَهم انت وبعضهم مات وبعضهم غرق ٥ ولمّا انفصل امر الهدنة اذن صلاح الدين للفرنج فى زيارة بيت المقدس فزاروه وتفرّقوا وعادت كلّ طايفة الى بلادها واقام بالساحل الشامىّ ملكًا على الفرنج والبلاد التى بايديهم الكند هرى وكان خيّر الطبع قليل الشرّ رفيقًا بالمسلمين محبًّا لهم وتزوّج بالملكة التى كانت تملك بلاد الفرنج قبل ان يملكها صلاح الدين كما ذكرناه ٥ وامّا صلاح الدين فانّه بعد تمام الهدنة سار الى البيت المقدّس وامر باحكام سوره وعمل المدرسة والرباط والبيمارستان وغير ذلك من مصالح المسلمين ووقف عليها الوقوف وصام رمضان بالقدس وعزم على الحجّ والاحرام منه

---

[1] بالىان بن ىاران

فلم يمكنه ذلك فسار عنه خامس شوّال نحو دمشق واستناب بالقدس اميرًا اسمه جورديك وهو من المماليك النوريّة ولمّا سار عنه جعل طريقه على الثغور الاسلاميّة كنابلس وطبريّة وصفد وتبنين وبيروت وتعهّد هذه البلاد وامر باحكامها فلمّا كان فى بيروت اتاه بيمند صاحب انطاكيّة واعمالها واجتمع به وخدمه فخلع عليه صلاح الدين وعاد الى بلده فلمّا عاد رحل صلاح الدين الى دمشق فدخلها فى الخامس والعشرين من شوّال وكان يوم دخوله اليها يومًا مشهودًا وفرح الناس به فرحًا عظيمًا لطول غيبته وذهاب العدوّ عن بلاد الاسلام ✿

ذكر وفاة قلج ارسلان

فى هذه السنة منتصف شعبان توفّى الملك قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش بن سلجوق السلجوقى بمدينة قونية وكان له من البلاد قونية واعمالها واقصرا وسيواس وملطية وغير ذلك من البلاد وكانت مدّة ملكه نحو تسع وعشرين سنة وكان ذا سياسة حسنة وهيبة عظيمة وعدل وافر وغزوات كثيرة الى بلاد الروم فلمّا كبر فرّق بلاده على اولاده فاستضعفوه ولم يلتفتوا اليه وحجر عليه ولده قطب الدين وكان قلج ارسلان قد استناب فى مدينة ملكه رجلًا يُعرف باختيار الدين حسن فلمّا غلب قطب الدين على الامر قتل حسنًا ثمّ اخذ والده وسار به الى قيساريّة ليأخذها من اخيه الذى سلّمها اليه ابوه فحصرها مدّة فوجد والده قلج ارسلان فرصة فهرب ودخل قيساريّة وحده فلمّا علم قطب الدين ذلك عاد الى قونية واقصرا فملكهما ولم يزل قلج ارسلان يتحوّل من ولد الى ولد وكلّ منهم يتبرّم به حتّى مضى الى ولده غياث الدين كيخسرو صاحب مدينة برغلوا فلمّا رآه فرح به وخدمه وجمع العساكر وسار هو معه الى قونية فملكها وسار الى اقصرا ومعه والده قلج ارسلان فحصرها فمرض ابوه فعاد به الى قونية فتوفّى بها ودُفن هناك وبقى ولده غياث الدين فى قونية مالكًا لها حتّى اخذها منه اخوه ركن الدين سليمان على ما نذكره ان شآء الله تعالى وقد حدّثنى بعض من اثق اليه من اهل العلم بما يحكيه وكان قد وصل تلك البلاد

بغير هذا ونحن نذكره قال انّ قلج ارسلان قسم بلاده بين اولاده في حياته فسلّم دوقاط الى ابنه ركن الدين سليمان وسلّم قونية الى ولده كيخسروا غياث الدين وسلّم انقرة وهي التى تسمّى انكشوريّة الى ولده محيى الدين وسلّم ملطيّة الى ولده معزّ الدين قيصر شاه وسلّم ابلستين الى ولده مغيث الدين وسلّم قيساريّة الى ولده نور الدين محمود وسلّم سيواس واقصرا الى ولده قطب الدين وسلّم نكسار[1] الى ولد اخر[2] وسلّم اماسيا الى ولد اخيه هذه امّهات البلاد وينضاف الى كلّ بلد من هذه ما يجاورها من البلاد الصغار التى ليست مثل هذه ثمّ انّه ندم على ذلك واراد ان يجمع الجميع لولده الاكبر قطب الدين وخطب له ابنة صلاح الدين يوسف صاحب مصر والشام ليقوى به فلمّا سمع باقى اولاده بذلك امتنعوا عليه وخرجوا عن طاعته وزال حكمه عنهم فسار يتردّد بينهم على سبيل الزيارة فيقيم عند كلّ واحد منهم مدّة وينتقل الى الاخر ثمّ انّه مضى الى ولده كيخسروا صاحب قونية على عادته فخرج اليه ولقيه وقبّل الارض بين يديه وسلّم قونية اليه وتصرّف عن امره فقال لكيخسروا[3] اريد اسير الى ولدى الملعون محمود وهو صاحب قيساريّة وتجئ انت معى لاخذها منه فتجهّز وسار معه وحصر محمودًا بقيساريّة فمرض قلج ارسلان وتوفّى عليها فعاد كيخسروا وبقى كلّ واحد من الاولاد على البلد التى بيده وكان قطب الدين صاحب اقصرا وسيواس اذا اراد ان يسير من احدى المدينتين الى الاخرى يجعل طريقه على قيساريّة وبها اخوه نور الدين محمود وليست على طريقه انّما كان يقصدها ليظهر المودّة لاخيه والمحبّة له وفى نفسه الغدر فكان اخوه محمود يقصده ويجتمع به ففى بعض المرّات نزل بظاهر البلد على عادته وحضر اخوه محمود عنده غير محتاط فقتله قطب الدين والقى راسه الى اصحابه واراد اخذ البلد فامتنع من به من اصحاب اخيه عليه ثمّ انّهم سلّموه اليه على قاعدة استمرّت بينهم وكان عند محمود امير كبير وكان يحذّره من اخيه قطب الدين ويخوّفه فلم يصغ اليه وكان جوادًا كثير الخير والتقدّم فى

---

[1]) 740: نكمسار Ups.: نكبسار [2]) 740. Ups.: اخيه [3]) كيخسروا

الدولة عند نور الدين فلمّا قتل قطب الدين اخاه قتل حسنًا معه والقاه على الطريق فجآء كلب ياكل من لحمه فثار الناس وقالو لا سمعًا ولا طاعة هذا رجل مسلم وله هاهنا مدرسة وتربة وصدقات دارّة وافعال حسنة لا نتركه تاكله الكلاب فامر به فدُفن في مدرسته ، وبقى اولاد قلج ارسلان على حالهم ثمّ ان قطب [الدين] مرض ومات فسار[1] اخوه ركن الدين سليمان صاحب دوقاط الى سيواس وهي تجاوره فملكها ثمّ سار منها الى قيساريّة واقصرا ثمّ بقى مديدة وسار الى قونية وبها اخوه غياث الدين فحصره بها وملكها ففارقها غياث الدين الى الشام ثمّ الى بلد الروم وكان من امره ما نذكره ان شآء الله تعالى ثمّ سار بعد ذلك الى ركن الدين الى نكسار[2] واماسيا فملكها وسار الى ملطيّة سنة سبع وتسعين وخمسمائة فملكها وفارقها اخوه معزّ الدين الى الملك العادل ابى بكر بن ايّوب وكان هذا معزّ الدين تزوّج ابنة العادل فاقام عنده واجتمع لركن الدين مُلك جميع الاخوة ما عدا انقرة فانّها منيعة لا يوصل اليها فجعل عليها عسكرًا يحصرها صيفًا وشتآء ثلاث سنين فتسلّمها سنة احدى وستّمائة ووضع على اخيه الذى كان بها مَن يقتله اذا فارقها فلمّا سار عنها قُتل وتوفّى ركن الدين فى تلك الايّام ولم يسمع خبر قتل اخيه بل عاجله الله تعالى لقطع رحمه ، وانّما اوردنا هذه الحادثة هاهنا لنُتبع بعضًا بعضًا ولانى لم اعلم تواريخ كلّ حادثة منها لأُثبته فيه ✿

ذكر ملك شهاب الدين اجمير[3] وغيرها من الهند

قد ذكرنا سنة ثلاث وثمانين غزوة شهاب الدين الغورىّ الى بلد الهند وانهزامه وبقى الى الآن وفى نفسه الحقد العظيم على الجند الغوريّة الذين انهزموا وما الزمهم من الهوان فلمّا كان هذه السنة خرج من غزنة وقد جمع عساكره وسار فيها يطلب غزوة الهند الذى هزمه تلك النوبة فلمّا وصل الى برشاوور تقدّم اليه شيخ من الغوريّة كان يدلّ عليه فقال له قد قربنا من العدوّ وما يعلم احد اين يمضى ولا من يقصد ولا تردّ على الامرآء سلامًا وهذا لا يجوز فعله فقال له السلطان اعلم

---

1) فسار   2) نكسار   3) C. P. et 740: اجمير Ups.: جمير

انّنى منذ هزمنى هذا الكافر ما نمتُ مع زوجتى ولا غيّرتُ ثياب البياض عنّى وانا ساير الى عدوّى ومعتمد على الله تعالى لا على الغوريّة ولا على غيرهم فان نصرنى الله سبحانه نصر دينه فمن فضله وكرمه وان انهزمنا فلا تطلبونى فما انهزمتُ ولو هلكتُ تحت حوافر الخيل فقال له الشيخ سوف ترى بنى عمّك من الغوريّة ما يفعلون فينبغى ان تكلّمهم وتردّ سلامهم ففعل ذلك وبقى امرآء الغوريّة يتضرّعون ويقولون سوف ترى ما نفعل وسار الى ان وصل الى موضع المصافّ الاوّل وجازه مسيرة اربعة ايّام واخذ عدّة مواضع من بلاد العدوّ فلمّا سمع الهندىّ تجهّز وجمع عساكره وسار يطلب المسلمين فلمّا بقى بين الطايفتيْن مرحلة عاد شهاب الدين ورآءه والكافر فى اعقابه اربع منازل فارسل الكافر اليه يقول له اعطنى يدك انّك تصافقنى فى باب غزنة حتّى اجئ ورآءك والّا فنحن متقلبين ومثلك لا يدخل البلاد شبيه اللصوص ثمّ يخرج هاربًا ما هذا فعل السلاطين فاعاد الجواب انّنى لا اقدر على حربك وتمّ على حاله عايدًا الى ان بقى بينه وبين بلاد الاسلام ثلاثة ايّام والكافر فى اثره يتبعه حتّى لحقه قريبًا من مرندة[1] فجرد شهاب الدين من عسكره سبعين الفًا وقال اريد هذه الليلة تدورون حتّى تكونوا ورآء عسكر العدوّ وعند صلاة الصبح تاتون انتم من تلك الناحية وانا من هذه الناحية ففعلوا ذلك وطلع الفجر ومن عادة الهنود انّهم لا يبرحون من مضاجعهم الى ان تطلع الشمس فلمّا اصبحوا حمل عليهم عسكر المسلمين من كلّ جانب وضربت الكوسات فلم يلتفت ملك الهند الى ذلك وقال مَن يقدم علىّ انا هذا والقتل قد كثر فى الهنود والنصر قد ظهر للمسلمين فلمّا راى ملك الهند ذلك احضر فرسًا له سابقًا وركب ليهرب فقال له اعيان اصحابه انّك حلفتَ لنا انّك لا تخلينا وتهرب فنزل عن الفرس وركب الفيل ووقف موضعه والقتال شديد والقتل قد كثر فى اصحابه فانتهى المسلمون اليه واخذوه اسيرًا وحينيئذ عظم القتل والاسر فى الهنود ولم ينج منهم الّا القليل وأحضر الهندىّ بين يدى شهاب الدين فلم يخدمه فاخذ

---

[1]) C. P.: مرندة 740: مرندة Ups.: مرمرة

بعض الحجاب بلحيته وجذبه الى الارض حتّى اصابها جبينه واقعده بين يدى شهاب الدين فقال له شهاب الدين لو استاسرتَنى ما كنتَ تفعل بى فقال الكافر قد استعملتُ لك قيدًا من ذهب اقيدك به فقال شهاب الدين بل نحن ما نجعل لك من القدر ما نقيدك وغنم المسلمون من الهنود اموالاً كثيرة وامتعة عظيمة وفى جملة ذلك اربعة عشر فيلاً من جملتها الفيل الذى جرح شهاب[1] الدين فى تلك الوقعة وقال ملك الهند لشهاب الدين ان كنتَ طالب بلاد فما بقى فيها مَن يحفظها وان كنتَ طالب مال فعندى اموال تحمل اجمالك كلّها ؞ فسار شهاب الدين وهو معه الى الحصن الذى له يعوّل عليه وهو اجمير[2] فاخذه واخذ جميع البلاد التى تقاربه واقطع الجميع البلاد لمملوكه قطب الدين ايبك وعاد الى غزنة وقتل ملك الهند ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة قُبض على امير الحاجّ طاشتكين ببغداد وكان نعم الامير عادلاً فى الحاجّ رفيقًا بهم محبًّا لهم له اورادٌ كثيرة من صلوات وصيام وكان كثير الصدقة لا جرم وقفت اعماله بين يديه فخلص من السجن على ما نذكره ان شآء الله تعالى ؞ وفيها خرج السلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل من الحبس بعد موت قزل ارسلان بن ايلدكز والتقى هو وقتلغ اينانج[3] ابن البهلوان بن ايلدكز فانهزم اينانج[3] الى الرىّ على ما نذكره ان شآء الله تعالى سنة تسعين وخمسمائة ؞ وفيها فى رجب توفّى الامير السيد علىّ بن المرتضى العلوىّ الحنفىّ مدرّس جامع السلطان ببغداد وفى شعبان منها توفّى ابو علىّ الحسن بن هبة الله ابن البُوقىّ الفقيه الشافعىّ الواسطىّ وكان عالمًا بالمذهب انتفع به الناس ۞

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة ؞ سنة ٥٨٩

ذكر وفاة صلاح الدين وبعض سيرته

فى هذه السنة فى صفر توفّى صلاح الدين يوسف بن ايّوب بن شاذى صاحب مصر والشام والجزيرة وغيرها بدمشق ومولده بتكريت وقد

---

1) صلاح 2) حمير 3) قتلغ ادماخ

ذكرنا سبب انتقالهم منها وملكهم مصر سنة اربع وستّين وخمسمائة وكان سبب مرضه ان خرج يتلقى الحاجّ فعاد ومرض من يومه مرضًا حادًّا بقى به ثمانية ايّام وتوفّى رحمه الله وكان قبل مرضه قد احضر ولده الافضل عليًّا واخاه الملك العادل ابا بكر واستشارهما فيما يفعل وقال قد تفرّغنا من الفرنج وليس لنا في هذه البلاد شاغل فاىّ جهة نقصد فاشار عليه اخوه العادل بقصد خلاط لانّه كان قد وعده اذا اخذها ان يسلّمها اليه واشار ولده الافضل بقصد بلد الروم التى بيد اولاد قلج ارسلان وقال هى اكثر بلادًا وعسكرًا ومالاً واسرع مأخذًا وهى ايضًا طريق الفرنج اذا خرجوا على البرّ فاذا ملكناها منعناهم من العبور فيها فقال كلاكما مقصّر ناقص الهمّة بل اقصد انا بلد الروم وقال لاخيه تأخذ انت بعض اولادى وبعض العسكر وتقصد خلاط فاذا فرغتُ انا من بلد الروم جيتُ اليكم وندخل منها اذربيجان ونتّصل ببلاد العجم فما فيها مَن يمنع عنها ثمّ اذن لاخيه العادل في المضى الى الكرك وكان له وقال له تجهّز واحضر لتسير فلمّا سار الى الكرك مرض صلاح الدين وتوفّى قبل عوده ، وكان رحمه الله كريمًا حليمًا حسن الاخلاق متواضعًا صبورًا على ما يكره كثير التغافل عن ذنوب اصحابه يسمع من احدهم ما يكره ولا يُعلمه بذلك ولا يتغيّر عليه وبلغنى انّه كان يومًا جالسًا وعنده جماعة فرمى بعض المماليك بعضًا بسرموز فاخطاته ووصلت الى صلاح الدين فاخطاته ووقعت بالقرب منه فالتفت الى الجهة الاخرى يكلّم جليسه ليتغافل عنها ، وطلب مرّة الماء فلم يحضر وعاود الطلب في مجلس واحد خمس مرّات فلم يحضر فقال يا اصحابنا والله قد قتلنى العطش فاحضر الماء فشربه ولم ينكر التوانى في احضاره ، وكان مرّة قد مرض مرضًا شديدًا ارجف عليه بالموت فلمّا برئ منه وادخل الحمام كان الماء حارًّا فطلب ماء باردًا فاحضره الذى يخدمه فسقط من الماء شئ على الارض فناله منه شئ فتالّم له لضعفه ثمّ طلب البارد ايضًا فاحضر فلمّا قاربه سقطت الطاسة على الارض فوقع الماء جميعه عليه فكاد يهلك فلم يزد على ان قال للغلام ان كنتَ تريد قتلى فعرّفنى فاعتذر اليه فسكت عنه ، وامّا كرمه فانّه كان كثير البذل لا يقف في شئ يخرجه ويكفى

دليلًا على كرمه انّه لمّا مات لم يخلّف فى خزاينه غير دينار واحد صورى واربعين درهمًا ناصريّة وبلغنى انّه اخرج فى مدّة مقامه على عكّا قبالة الفرنج ثمانية عشر الف دابّة من فرس وبغل سوى الجمال وامّا العين والثياب والسلاح فانّه لا يدخل تحت الحصر ولمّا انقرضت الدولة العلويّة بمصر اخذ من ذخايرهم من ساير الانواع ما يفوت الاحصآء ففرّقه جميعه ❊ وامّا تواضعه فانّه كان ظاهرًا لم يتكبّر على احد من اصحابه وكان يعيب الملوك المتكبّرين بذلك وكان يحضر عنده الفقرآء والصوفيّة ويعمل لهم السماع فاذا قام احدهم لرقص او سماع يقوم له فلا يقعد حتّى يفرغ الفقير ولم يلبس شيئًا ممّا ينكره الشرع وكان عنده علم ومعرفة وسمع الحديث واسمعه وبالجملة فكان نادرًا فى عسكره كثير المحاسن والافعال الجميلة عظيم الجهاد فى الكفّار وفتوحه تدلّ على ذلك وخلّف سبعة عشر ولدًا ذكرًا ❊

ذكر حال اهله واولاده بعده

لمّا مات صلاح الدين بدمشق كان معه بها ولده الاكبر الافضل نور الدين علىّ وكان قد حلّف له العساكر جميعها غير مرّة فى حياته فلمّا مات ملك دمشق والساحل والبيت المقدّس وبعلبكّ وصرخد وبصرى وبانياس وهونين وتبنين[1] وجميع الاعمال الى الداروم وكان ولده الملك العزيز عثمان بمصر فاستولى عليها واستقرّ ملكه بها وكان ولده الظاهر غازى بحلب فاستولى عليها وعلى جميع اعمالها مثل حارم وتلّ باشر واعزاز وبرزية[2] ودرب ساك ومنبج وغير ذلك وكان بحماة محمود بن تقى الدين عمّه فاطاعه وصار معه وكان بحمص شيركوه بن محمّد بن شيركوه فاطاع الملك الافضل وكان الملك العادل بالكرك قد سار اليه كما ذكرنا فامتنع فيه ولم يحضر عند احد من اولاد اخيه فارسل اليه الملك الافضل يستدعيه ليحضر عنده فوعده ولم يفعل فاعاد مراسلته وخوّفه من الملك العزيز صاحب مصر ومن اتابك عزّ الدين صاحب الموصل فانّه كان قد سار عنها الى بلاد العادل الجزريّة على ما نذكره ويقول له ان حضرتَ جهّزتُ العساكر وسرتُ الى بلادك حفظتُها وان اقمتَ قَصَدَكَ اخى الملك

---

[1] تونين ([2] برزية (

العزيز لما بينكما من العداوة واذا ملك عزّ الدين بلادك فليس له دون الشام مانع وقال لرسوله ان حضر معك والّا فقُلْ له قد امرنى ان سرتَ اليه بدمشق عُدْتُ معك وان لم تفعل اسير الى الملك العزيز احالفه على ما يختار فلمّا حضر الرسول عنده وعده بالمجئ فلمّا راى ان ليس معه منه شئٌ غير الوعد أبلغه ما قيل له فى معنى موافقة العزيز فحينئذ سار الى دمشق وجهّز الافضل معه عسكرًا من عنده وارسل الى صاحب حمص وصاحب حماة والى اخيه الملك الظاهر[1] بحلب يحثّهم على انفاذ العساكر مع العادل الى البلاد الجزريّة ليمنعها من صاحب الموصل ويخوّفهم ان هم لم يفعلوا وممّا قال لاخيه الظاهر قد عرفتَ محبة اهل الشام لبيت اتابك فوالله لئن ملك عزّ الدين حرّان ليقومَنّ اهل حلب عليك ولتخرجنّ منها وانت لا تعقل وكذلك يفعل فى اهل دمشق فاتّفقت كلمتهم على تسيير العساكر معه فجهّزوا عساكرهم وسيّروها الى العادل وقد عبر الفراة فعسكر عساكرهم بنواحى الرها بمرج الريحان وسنذكر ما كان منه ان شآء الله تعالى ✿

ذكر مسير اتابك عزّ الدين الى بلاد العادل وعوده بسبب مرضه

لمّا بلغ اتابك عزّ الدين مسعود بن مودود بن زنكى صاحب الموصل وفاة صلاح الدين جمع اهل الراى من اصحابه وفيهم مجاهد الدين قايماز كبير دولته والمقدّم على كلّ مَن فيها وهو نايبه فيهم واستشارهم فيما يفعل فسكتوا فقال له بعضهم وهو اخى مجد الدين ابو السعادات المبارك انا ارى انّك تخرج مسرعًا جريدة فيمن خفّ من اصحابك وحلقتك الخاصّ وتتقدّم الى الباقين باللحاق بك وتعطى مَن هو محتاج الى شئٍ ما يتجهّز به ويلحق بك الى نصيبين وتكاتب اصحاب الاطراف مثل مظفّر الدين ابن زين الدين صاحب اربل وسنجر شاه ابن اخيك صاحب جزيرة ابن عمر واخاك عماد الدين صاحب سنجار ونصيبين تعرّفهم انّك قد سرْتَ وتطلب منهم المساعدة وتبذل لهم اليمين على ما يلتمسونه فتى راوك قد سرْتَ خافوك وان اجابك اخوك صاحب سنجار ونصيبين الى الموافقة والّا بدأتَ

---

[1] القاهر

بنصيبين اخذتُها وتركتُ فيها من يحفظها ثمّ سرتُ نحو الخابور وهو
له ايضًا فاقطعه[1] وتركتُ عسكره مقابل اخيك يمنعه من الحركة ان
ارادها او قصدتَ الرقّة فلا تمنع نفسها وتاتى حرّان وانرها فليس فيها
مَن يحفظهما لا صاحبٌ ولا عسكرٌ ولا ذخيرة فانّ العادل اخذها من ابن
تقى الدين ولم يقم فيهما ليصلح حالهما وكان القوم يتكلّمون على قوّتهم
فلم يظنّوا هذا الحادث فاذا فرغتَ من ذلك الطرف عُدْتَ الى مَن امتنع
من طاعتك فقاتلته وليس وراءك ما تخاف عليه فانّ بلدك عظيم لا يبالى
بكلّ مَن وراءك ، فقال مجاهد الدين المصلحة انّنا نكاتب اصحاب الاطراف
وناخذ رأيهم فى الحركة ونستميلهم فقال له اخى ان اشاروا بترك الحركة
تقبلون منهم قال لا قال فانّهم لا يشيرون الّا بتركها لانّهم لا
يرون ان يقوى هذا السلطان خوفًا منه وكانّى بهم يغالطونكم مهما البلاد
الجزريّة فارغة من صاحب وعسكر فاذا جآء اليها مَن يحفظها جاهروكم
بالعداوة ، ولم يمكنه اكثر من هذا القول خوفًا من مجاهد الدين حيث
راى ميله الى ما تكلّم به فانفصلوا على ان يكاتبوا اصحاب الاطراف فكاتبوهم
فكلّ اشار بترك الحركة الى ان ينظر ما يكون من اولاد صلاح الدين
وعمّهم فتثبّط ، ثمّ انّ مجاهد الدين كرّر المراسلات الى عماد الدين صاحب
سنجار يعده ويستميله فبينما هم على ذلك اذ جآءهم كتاب الملك العادل
من المناخ بالقرب من دمشق وقد سار عن دمشق الى بلاده يذكر
فيه موت اخيه وانّ البلاد قد استقرّت لولده الملك الافضل والناس متّفقون
على طاعته وانّه هو المدبّر لدولة الافضل وقد سيّره فى عسكر جمّ كثير
العدد لقصد ماردين لمّا بلغه انّ صاحبها تعرّض الى بعض القرى التى
له وذكر من هذا النحو شيًّا كثيرًا فظنّوه حقًّا وامّا قوله لا ريب فيه
ففتروا عن الحركة وذلك الراى فسيّروا الجواسيس فاتتهم الاخبار بانّه فى
ظاهر حرّان من نحو مائتى خيمة لا غير فعادوا تحرّكوا فالى ان تقرّرت
القواعد بينهم وبين صاحب سنجار واقبلت العساكر الشاميّة التى سيّرها
الافضل وغيره الى العادل فامتنع بها وسار اتابك عزّ الدين عن الموصل

---

[1]) 740: فاقطعته

الى نصيبين واجتمع هو واخوه عماد الدين بها وساروا على سنجار نحو الرها وكان العادل قد عسكر قريبًا منها بمرج الريحان فخافهم خوفًا عظيمًا فلمّا وصل اتابك عزّ الدين الى تلّ موزن[1]. مرض بالاسهال فاقام عدّة ايّام فضعُفت من الحركة وكثر مجئ الدم منه فخاف الهلاك فترك العساكر مع اخيه عماد الدين وعاد جريدة فى مايتى فارس ومعه مجاهد الدين واخى مجد الدين فلمّا وصل الى دنيسر استولى عليه الضعف فاحضر اخى وكتب وصيّة ثمّ سار فدخل الموصل وهو مريض اوّل رجب ۞

ذكر وفاة اتابك عزّ الدين وشئ من سيرته

فى هذه السنة توفّى اتابك عزّ الدين مسعود بن مودود بن زنكى بن اق سنقر صاحب الموصل بالموصل وقد ذكرنا عوده اليها مريضًا فبقى فى مرضه الى التاسع والعشرين من شعبان فتوفّى رحمه الله ودُفن بالمدرسة التى انشاها مقابل دار المملكة وكان قد بقى ما يزيد على عشرة ايّام لا يتكلّم الّا بالشهادتين وتلاوة القران واذا تكلّم بغيرها استغفر الله ثمّ عاد الى ما كان عليه فرُزق خاتمة خير رضى الله عنه وكان رحمه الله خيّر الطبع كثير الخير والاحسان لا سيّما الى شيوخ قد خدموا اباه فانّه كان يتعهّدهم بالبرّ والاحسان والصلة والاكرام ويرجع الى قولهم ويزور الصالحين ويقرّبهم ويشفعهم وكان حليمًا قليل المعاقبة كثير الحياء لم يكلّم جليسًا له الّا وهو مطرق وما قال فى شئ يُسئله لا حياءً وكرم طبع وكان قد حجّ ولبس بمكّة حرسها الله خرقة التصوّف وكان يلبس تلك الخرقة كلّ ليلة ويخرج الى مسجد قد بناه فى داره ويصلّى فيه نحو ثُلث الليل وكان رقيق القلب شفيقًا على الرعيّة بلغنى عنه انّه قال بعض الايّام انّنى سهرت الليلة كثيرًا وسبب ذلك انى سمعتُ صوت نائحة فظننتُ انّ ولد فلان قد مات وكان قد سمع انّه مريض قال فضاق صدرى وقُمْتُ من فراشى ادور فى السطح فلمّا طال علىّ الامرُ ارسلتُ خادمًا الى الجاندارية فارسل منهم واحدًا يستعلم الخبر فعاد وذكر انسانًا لا اعرفه فسكن بعض ما عندى فنمتُ ولم يكن الرجل الذى ظنّ انّ ابنه مات

---

1) مودن

من اصحابه انّما كان من رعيّته ، كان ينبغى ان تتاخّر وفاته وانّما قدّمناها لنتتبع اخباره بعضها بعضًا ✿

ذكر قتل بكتمر صاحب خلاط

فى هذه السنة اوّل جمادى الاولى قُتل سيف الدين بكتمر صاحب خلاط وكان بين قتله وموت صلاح الدين شهران فانّه اسرف فى اظهار الشماتة بموت صلاح الدين فلم يمهله الله تعالى ولمّا بلغه موت صلاح الدين فرح فرحًا كثيرًا وعمل تختًا جلس عليه ولقّب نفسه بالسلطان المعظم صلاح الدين وكان لقبه سيف الدين فغيّره وسمّى نفسه عبد العزيز وظهر منه اختلال وتخليط وتجهّز ليقصد ميّافارقين يحصرها فادركته منيته ، وكان سبب قتله انّ هزار ديناري وهو ايضًا من مماليك شاه ارمن ظهير الدين كان قد قوى وكثر جمعه وتزوّج ابنة بكتمر فطمع فى الملك فوضع عليه مَن قتله فلمّا قُتل ملك بعده هزار دينارى بلاد خلاط واعمالها ، وكان بكتمر ديّنًا خيّرًا صالحًا كثير الخير والصلاح والصدقة محبًّا لاهل الدين والصوفيّة كثير الاحسان اليهم قريبًا منهم ومن ساير رعيّته محبوبًا اليهم عادلاً فيهم وكان جوادًا شجاعًا عادلاً فى رعيّته حسن السيرة فيهم ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة شتّى شهاب الدين ملك غزنة فى برشاوور[1] وجهّز مملوكه ايبك فى عساكر كثيرة فادخله بلاد الهند يغنم ويسبى ويفتح من البلاد ما يمكنه فدخلها وعاد خرج هو وعساكره سالمًا قد ملوًا ايديهم من الغنايم ، وفيها فى رمضان توفّى سلطان شاه صاحب مرو وغيرها من خراسان وملك اخوه علآء الدين تكش بلاده وسنذكره سنة تسعين ان شآء الله ، وفيها امر الخليفة الناصر لدين الله بعمارة خزانة الكتب بالمدرسة النظاميّة ببغداد ونقل اليها من الكتب النفيسة أُلوفًا لا يوجد مثلها ، وفيها فى ربيع الاوّل فُرغ من عمارة الرباط الذى امر بانشآيه الخليفة ايضًا بالحريم الظاهرىّ غربىّ بغداد على دجلة وهو من احسن الربط

---

1) شاوور

ونقل اليه كتبًا كثيرة من احسن الكتب، وفيها ملك الخليفة قلعة من بلاد خوزستان وسبب ذلك لانّ صاحبها سوسيان[1] بن شملة جعل فيها دزدارًا فاساء السيرة مع جندها فغدر به بعضهم فقتله ونادوا بشعار الخليفة فارسل اليها وملكها، وفيها انقضّ كوكبان عظيمان وسمع صوت هدّة عظيمة وذلك بعد طلوع الفجر وغلب ضوؤها القمر وضوء النهار، وفيها مات الامير داود بن عيسى بن محمّد بن ابى هاشم امير مكّة وما زالت مكّة تكون له تارة ولاخيه مكثر تارة الى ان مات ٥٠

سنة ٥٩٠ ثم دخلت سنة تسعين وخمسماية،

ذكر الحرب بين شهاب الدين وملك بنارس الهندىّ

كان شهاب الدين الغورىّ ملك غزنة قد جهّز مملوكه قطب الدين وسيّره الى بلد الهند للغزاة فدخلها فقتل فيها وسبى وغنم وعاد فلمّا سمع به ملك بنارس وهو اكبر ملك فى الهند ولايته من حدّ الصين الى بلاد ملاوا طولاً ومن البحر الى مسيرة عشرة ايّام من لهاوور[2] عرضًا وهو ملك عظيم فعندها جمع جيوشه وحشرها وسار يطلب بلاد الاسلام ودخلت سنة تسعين فسار شهاب الدين الغورىّ من غزنة بعساكره نحوه فالتقى العسكران على ماخون وهو نهر كبير يقارب دجلة بالموصل وكان مع الهندىّ سبع ماية فيل ومن العسكر على ما قيل الف الف رجل ومن جملة عسكر عدّة امرآء مسلمين كانوا فى تلك البلاد ابٌ عن جدّ من ايّام السلطان محمود بن سبكتكين يلازمون شريعة الاسلام ويواظبون على الصلوات وافعال الخير فلمّا التقى المسلمون والهنود اقتتلوا فصبر الكفّار لكثرتهم وصبر المسلمون لشجاعتهم فانهزم الكفّار ونُصر المسلمون وكثر القتل فى الهنود حتّى امتلأت الارض وجافت وكانوا لا ياخذون الّا الصبيان والجوارى وامّا الرجال فيقتلون واخذ منهم تسعين فيلًا وباقى الفيلة قُتل بعضها وانهزم بعضها وقتل ملك الهند ولم يعرفه احدٌ الّا انّه كانت اسنانه قد ضعفت اصولُها فامسكوها بشريط الذهب فلذلك عرفوه فلمّا انهزم الهنود دخل شهاب الدين بلاد بنارس وحمل من خزاينها

---

1) Cod. 740. Ups.: سوسان

2) لهاوون

على الف واربع مائة جمل وعاد الى غزنة ومعه الفيلة التى اخذها من جملتها فيل ابيض حدّثنى مَن رآه لمّا أُخذت الفيلة وقدمت الى شهاب الدين وأُمرت بالخدمة فخدمت جميعها الّا الابيض فانّه لم يخدم ولا يعجب احدٌ من قولنا الفيلة تخدم فانّها تفهم ما يُقال لها ولقد شاهدتُ فيلاً بالموصل وفيّاله يحدثه فيفعل ما يقول له ❀

ذكر قتل السلطان طغرل ومُلك خوارزم شاه الرىّ ووفاة اخيه سلطان شاه

قد ذكرنا سنة ثمان وثمانين خروج السلطان طغرل بن الب ارسلان بن طغرل بن محمّد بن ملكشاه بن الب ارسلان السلجقىّ من الحبس ومُلكه همذان وغيرها وكان قد جرى بينه وبين قتلغ اينانج[1] بن البهلوان صاحب البلاد حرب انهزم فيها قتلغ اينانج[2] وتحصّن بالرىّ وسار طغرل الى همذان وارسل قتلغ اينانج[2] الى خوارزم شاه علآء الدين تكش يستنجده فسار اليه فى سنة ثمان وثمانين فلمّا تقاربا ندم قتلغ اينانج[2] على استدعآء خوارزم شاه وخاف على نفسه فمضى من بين يديه وتحصّن فى قلعة له فوصل خوارزم شاه الى الرىّ وملكها وحصر قلعة طبرك[3] ففتحها فى يومَيْن وراسله طغرل واصطلحا وبقيت الرىّ فى يد خوارزم شاه فرتّب فيها عسكرًا يحفظها وعاد الى خوارزم لانّه بلغه انّ اخاه سلطان [شاه] قد قصد خوارزم فجدّ فى السير خوفًا عليها فاتاه الخبر وهو فى الطريق انّ اهل خوارزم منعوا سلطان شاه عنها ولم يقدر على القرب منها وعاد عنها خايبًا فشتّى خوارزم شاه بخوارزم فلمّا انقضى الشتآء سار الى مرو لقصد اخيه سنة تسع وثمانين فتردّدت الرسل بينهما فى الصلح فبينما هم فى تقرير الصلح واذ قد ورد على خوارزم شاه رسول من مستحفظ قلعة سرخس لاخيه سلطان شاه يدعوه ليسلّم اليه القلعة لانّه قد استوحش من صاحبه سلطان شاه فسار خوارزم شاه اليه مجدًّا فتسلّم القلعة وصار معه وبلغ ذلك سلطان شاه ففتّ ذلك فى عضده وتزايد كمده فمات سلخ رمضان سنة تسع وثمانين وخمسماية فلمّا سمع خوارزم شاه بموته سار من ساعته الى مرو فتسلّمها وتسلّم مملكة اخيه سلطان شاه

---

[1]) اىانح [2]) ىطلع اىانح [3]) C. P. Ups.: طغرك

جميعها وخزاينه وارسل الى ابنه علآء الدين محمّد وكان يلقب حينئذ قطب الدين وهو بخوارزم فاحضره فولّاه نيسابور وولّى ابنه الكبير ملكشاه مرو وذلك فى ذى الحجّة سنة تسع وثمانين. فلمّا دخلت سنة تسعين وخمسمائة قصد السلطان طغرل بلد الرىّ فاغار على مَن به من اصحاب خوارزم شاه [ففرّ منه قتلغ اينانج بن البلوان وارسل الى خوارزم شاه][1] يعتذر ويسال انجاده مرّة ثانية ووافق ذلك وصول رسول الخليفة الى خوارزم شاه يشكوا من طغرل ويطلب منه قصد بلاده ومعه منشور باقطاعه البلاد فسار من نيسابور الى الرىّ فتلقاه قتلغ اينانج[2] ومَن معه بالطاعة وساروا معه فلمّا سمع السلطان طغرل بوصوله كانت عساكره متفرّقة فلم يقف ليجمعها بل سار اليه فيمن معه فقيل له انّ الذى يفعله ليس براى والمصلحة ان تجمع العساكر فلم يقبل وكان فيه شجاعة بل تمّم مسيره فالتقى العسكران بالقرب من الرى فحمل طغرل بنفسه فى وسط عسكر خوارزم شاه فاحاطوا به والقوه عن فرسه وقتلوه فى الرابع العشرين من شهر ربيع الاوّل وحمل راسه الى خوارزم شاه فسيّره من يومه الى بغداد فنُصب بها بباب النوبى[3] عدّة ايّام وسار خوارزم شاه الى همدان وملك تلك البلاد جميعها. وكان الخليفة الناصر لدين الله قد سيّر عسكرًا الى نجدة خوارزم شاه وسيّر له الخلع السلطانيّة مع وزيره مؤيّد الدين ابن القصّاب فنزل على فرسخ من همدان فارسل اليه خوارزم شاه يطلبه اليه فقال مؤيّد الدين ينبغى ان تحضر انت وتلبس الخلعة من خيمتى وتردّدت الرسل بينهما فى ذلك فقيل لخوارزم شاه انّها حيلة عليك حتّى تحضر عنده ويقبض عليك فدخل خوارزم شاه اليه قصدًا لاخذه فاندفع بين يديه الى بعض الجبال فامتنع به فرجع خوارزم شاه الى همدان ولمّا ملك همدان وتلك البلاد سلّمها الى قتلغ اينانج[4] واقطع كثيرًا منها لمماليكه وجعل المقدّم عليهم مياجق[5] وعاد الى خوارزم ✿

ذكر مسير وزير الخليفة الى خوزستان وملكها

فى هذه السنة فى شعبان خلع الخليفة الناصر لدين الله على النايب

---

1) C. P. 2) قتلغ ادىاىح 3) الموىى 4) ىلىع ىىاىح 5) مىاحى

فى الوزارة مؤيّد الدين ابى عبد الله محمّد بن علىّ المعروف بابن القصّاب
خلع الوزارة وحُكّم فى الولاية وبرز فى رمضان وسار الى بلاد خوزستان
وولى الاعمال بها وصار له فيها اصحاب واصدقآء ومعارف وعرف البلاد ومن
اىّ وجه يمكن الدخول اليها والاستيلآء عليها فلمّا ولى ببغداد نيابة
الوزارة اشار على الخليفة بان يرسله فى عسكر اليها ليملكها له وكان عزمه
انّه اذا ملك البلاد واستقرّ فيها اقام مظهرًا للطاعة مستقلًّا بالحكم فيها
ليامن على نفسه فاتّفق انّ صاحبها ابن شملة توفّى واختلف اولاده بعده
فراسل بعضهم مؤيّد الدين يستنجده لما بينهم من الصحبة القديمة فقوى
الطمع فى البلاد فجُهّزت العساكر وسيّرت معه الى خوزستان فوصلها سنة
احدى وتسعين وجرى بينه وبين اصحاب البلاد مراسلات ومحاربة عجزوا
عنها وملك مدينة تستر فى المحرّم وملك غيرها من البلاد وملك القلاع
منها قلعة الناظر وقلعة كاكرد وقلعة الاموج وغيرها من الحصون والقلاع
وانفذ بنى شملة اصحاب بلاد خوزستان الى بغداد فوصلوا فى ربيع الاوّل ۞

ذكر حصر العزيز مدينة دمشق

فى هذه السنة وصل الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين وهو
صاحب مصر الى مدينه دمشق فحصرها وبها اخوه الاكبر الملك الافضل
علىّ بن صلاح الدين وكنتُ حينئذ بدمشق فنزل بنواحى ميدان
الحصى فارسل الافضل الى عمّه الملك العادل ابى بكر بن ايّوب وهو صاحب
الديار الجزريّة يستنجده وكان الافضل غاية الواثق به والمعتمد عليه وقد
سبق ما يدلّ على ذلك فسار الملك العادل الى دمشق هو والملك الظاهر
غازى بن صلاح الدين صاحب حلب وناصر الدين محمّد بن تقى الدين
صاحب حماة واسد الدين شيركوه بن محمّد بن شيركوه صاحب حمص
وعسكر الموصل وغيرها كلّ هولآء اجتمعوا بدمشق واتّفقوا على حفظها علمًا
منهم انّ العزيز ان ملكها اخذ بلادهم فلمّا راى العزيز اجتماعهم علم انّه
لا قدرة له على البلد فتردّدت الرسل حينئذ فى الصلح فاستقرّت القاعدة
على انّ يكون البيت المقدّس وما جاوره من اعمال فلسطين للعزيز وتبقى
دمشق وطبرية واعمالها الغور للافضل على ما كانت عليه وان يعطى
الافضل اخاه الملك الظاهر جبلة ولاذقيّة وان يكون للعادل بمصر اقطاعه

الاوّل واتّفقوا على ذلك وعاد العزيز الى مصر ورجع كلّ واحد من الملوك الى بلده ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة كانت زلزلة فى ربيع الاوّل بالجزيرة والعراق وكثير من البلاد سقطت منها الجبّانة التى عند مشهد امير المومنين علىّ عم ، وفيها فى جمادى الاخرة اجتمعت زعب وغيرها من العرب وقصدوا مدينة النبىّ صلعم فخرج اليهم هاشم بن قاسم اخو امير المدينة فقاتلهم فقتل هاشم وكان امير المدينة قد توجّه الى الشام فلهذا طمعت العرب فيه ، وفيها توفّى القاضى ابو الحسن احمد بن محمّد بن عبد الصمد الطّرسوسىّ الحلبىّ بها فى شعبان وكان من عباد الله الصالحين رحمه الله تعالى ۞

سنة ٥٩١ ثم دخلت سنة احدى وتسعين وخمسماية ،

ذكر ملك وزير الخليفة همذان وغيرها من بلاد العجم

قد ذكرنا ملك مويّد الدين بن القصّاب بلاد خوزستان فلمّا ملكها سار منها الى ميسان[1] من اعمال خوزستان فوصل اليه قتلغ اينانج[2] بن البهلوان صاحب البلاد وقد تقدّم ذكر تغلّب خوارزم شاه عليها ومعه جماعة من الامرآء فاكرمه وزير الخليفة واحسن اليه وكان سبب مجيئه انّه جرى بينه وبين عسكر خوارزم شاه ومقدّمهم مياجق[3] مصاف عند زنجان[4] واقتتلوا فانهزم قتلغ اينانج[2] عسكره وقصد عسكر الخليفة ملتجيًا الى مويّد الدين الوزير فاعطاه الوزير الخيل والخيام وغير ذلك ممّا يحتاج اليه وخلع عليه وعلى من معه من الامرآء ورحلوا الى كرمانشاه[5] ورحل منها الى همذان وكان بها ولد خوارزم شاه ومياجق[6] والعسكر الذى معهما فلمّا قاربهم عسكر الخليفة فارقها الخوارزميّون وتوجّهوا الى الرىّ واستولى الوزير على همذان فى شوّال من هذه السنة ثمّ رحل هو وقتلغ اينانج[7] خلفهم فاستولوا على كلّ بلد جازوا به منها خرّقان ومزدغان وساوة وآوة وساروا الى الرىّ ففارقها الخوارزميّون الى خُوار[8] الرىّ فسيّر الوزير خلفهم عسكرًا ففارقها الخوارزميّون الى دامغان وبسطام وجرجان فعاد عسكر

1) C. P. Ups.: دسسار 2) قيلغ نمائج 3) مماحق 4) Cfr. J. As. 1847, I, 170. لجان 5) كرهاشاهان 6) ومياحق 7) قتلغ اسائج 8) جوار

الخليفة الى الرىّ فاقاموا بها فاتّفق قتلغ اينانج ومَن معه من الامرآء على الخلاف على الوزير وعسكر الخليفة لانّهم راوا البلاد قد خلت من عسكر خوارزم شاه فطمعوا فيها فدخلوا الرىّ فحصرها وزير الخليفة ففارقها قتلغ اينانج وملكها الوزير ونهبها العسكر فامر الوزير بالندآء بالكفّ عن النهب وسار قتلغ اينانج ومَن معه من الامرآء الى مدينة آوة وبها شحنة الوزير فنعهم من دخولها فساروا عنها ورحل الوزير فى اثرهم نحو همدان فبلغه وهو فى الطريق انّ قتلغ اينانج قد اجتمع معه عسكر وقصد مدينة كرج وقد نزل على دربند هناك فطلبهم الوزير فلمّا قاربهم التقوا واقتتلوا قتالاً شديدًا فانهزم قتلغ اينانج ونجا بنفسه ورحل الوزير من موضع المصافّ الى همدان فنزل بظاهرها فاقام نحو ثلاثة اشهر فوصله رسول خوارزم شاه تكش وكان قد قصدهم منكرًا اخذة البلاد من عسكره ويطلب اعادتها وتقرير قواعدها والصلح فلم يجب الوزير الى ذلك فسار خوارزم شاه مجدًّا الى همدان وكان الوزير مؤيّد الدين [ابن] القصّاب قد توفّى فى اوايل شعبان فوقع بينه وبين عسكر الخليفة مصافّ نصف شعبان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة فقُتل بينهم كثير من العسكرين وانهزم عسكر الخليفة وغنم الخوارزميّون منهم شياً كثيرًا وملك خوارزم شاه همدان ونبش الوزير من قبره وقطع راسه وسيّره الى خوارزم واظهروا انّه قتله فى المعركة ثمّ انّ خوارزم شاه اتاه من خراسان ما اوجب ان يعود اليها فترك البلاد وعاد الى خراسان ۞

ذكر غزو [ابن] عبد المؤمن الفرنج بالاندلس

فى هذه السنة فى شعبان غزا ابو يوسف يعقوب بن عبد المؤمن صاحب بلاد المغرب والاندلس بلاد الفرنج بالاندلس وسبب ذلك انّ الفنش ملك الفرنج بها ومعه ملكة مدينة طليطلة كتب الى يعقوب كتاباً نسختة باسمك اللهمّ فاطر السموات والارض امّا بعد ايّها الامير فانّه لا يخفى على كلّ ذى عقل لازب ولا ذى لبّ ثاقب انّك امير الملّة الحنيفيّة كما انا امير الملّة النصرانيّة وانّك مَن لا يخفى عليه ما هم عليه روسآء الاندلس من التخاذل والتواكل واهمال الرعيّة واشتمالهم على الراحات وانا اسومهم الخسف

واخلى الديار واسبى الذرارى وامثل بالكهول واقتل الشباب ولا عذر لك فى التخلّف عن نصرتهم وقد امكنتْك يد القدرة وانتم تعتقدون انّ الله فرض عليكم قتال عشرة منّا بواحد منكم والأن خفّف الله عنكم وعلّم انّ فيكم ضعفًا فقد فرض عليكم قتال اثنين منّا بواحد منكم ونحن الأن نقاتل عددًا منكم بواحد منّا ولا تقدرون دفاعًا ولا تستطيعون امتناعًا ثمّ حُكى لى عنك انّك اخذتَ فى الاحتفال واشرفتَ على ربوة القتال وتمطل نفسك عامًا بعد عام تقدّم رجلًا وتؤخّر اخرى ولا ادرى الجبن ابطأ بك ام التكذيب بما انزل عليك ثمّ حُكى لى عنك انّك لا تجد سبيلًا للحرب لعلّك ما يسوغ لك التقحّم فيها فها انا اقول لك ما فيه واعتذر عنك ولك ان توفينى بالعهود والمواثيق والأيمان ان تتوجّه بجملة مَن عندك فى المراكب والشوانى واجوز اليك بجملتى وابارزك فى اعزّ الاماكن عندك فان كانت لك فغنيمة عظيمة جآءت اليك وهدية مثلت بين يديك وان كانت لى كانت يدى العليا عليك واستحققتُ امارة الملّتين والتقدّم على الفئتين والله يسهّل الارادة ويوفّق السعادة بمنّه لا ربّ غيره ولا خيرَ الّا خيره، فلمّا وصل كتابه وقرأه يعقوب كتب فى اعلاه هذه الاية ارْجِعْ اِلَيْهِمْ فَلَنَاتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ [1] واعاده اليه وجمع العساكر العظيمة من المسلمين وعبر المجاز الى الاندلس، وقيل كان سبب عبوره الى الاندلس انّ يعقوب لمّا قاتل الفرنج سنة ستّ وثمانين وصالحهم بقى طايفة من الفرنج لم ترض الصلح كما ذكرناه فلمّا كان الأن جمعت تلك الطايفة جمعًا من الفرنج وخرجوا الى بلاد الاسلام فقتلوا وسبوا وغنموا واسروا وعاثوا فيها عيثًا شديدًا فانتهى ذلك الى يعقوب فجمع العساكر وعبر المجاز الى الاندلس فى جيش يضيق عنه الفضآء، فسمعت الفرنج بذلك فجمعت قاصيهم ودانيهم واقبلوا اليه مجدّين على قتاله واثقين بالظفر لكثرتهم فالتقوا تاسع شعبان شمالىّ قرطبة عند قلعة رباح [2] بمكان يعرف بمرج الحديد فاقتتلوا قتالًا شديدًا فكانت الدايرة اولًا على المسلمين ثمّ عادت على الفرنج فانهزموا اقبح هزيمة

---

1) Cor. 27, 37.

2) رداح

وانتصر المسلمون عليهم وَجَعَلَ ٱللَّهُ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي ٱلسُّفْلَى وَكَلِمَتُهُ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ[1] وكان عدد من قُتل من الفرنج مايَة الف وستّة واربعين الفًا وأُسر ثلاثة عشر الفًا وغنم المسلمون منهم شيأً عظيمًا فمن الخيام مايَة الف وثلاثة واربعون الفًا ومن الخيل ستّة واربعون الفًا ومن البغال مايَة الف ومن الحمير مايَة الف وكان يعقوب قد نادى فى عسكره مَن غنم شيأً فهو له سوى السلاح واحصى ما حُمل اليه منه فكان زيادة على سبعين الف لبس وقُتل من المسلمين نحو عشرين الفًا ولمّا انهزم الفرنج اتّبعهم ابو يوسف فرءاهم قد اخذوا قلعة رباح وساروا عنها من الرعب والخوف فملكها وجعل فيها واليًا وجندًا يحفظونها وعاد الى مدينة اشبيليّة ، وامّا الفنش فانّه لمّا انهزم حلق راسه ونكس صليبه وركب حمارًا واقسم ان لا يركب فرسًا ولا بغلًا حتّى تُنصر النصرانيّة فجمع جموعًا عظيمة وبلغ الخبر بذلك الى يعقوب فارسل الى بلاد الغرب مرّاكش وغيرها يستنفر الناس من غير اكراه فاتاه من المتطوّعة والمرتزقين جمع عظيم فالتقوا فى ربيع الاوّل سنة اثنتين وتسعين وخمسمايَة فانهزم الفرنج هزيمة قبيحة وغنم المسلمون ما معهم من الاموال والسلاح والدوابّ وغيرها وتوجّه الى مدينة طليطلة فحصرها وقاتلها قتالًا شديدًا وقطع اشجارها وشنّ الغارة على ما حولها من البلاد وفتح فيها عدّة حصون فقتل رجالها وسبى حريمها وخرّب دورها وهدم اسوارها فضعفت النصرانيّة حينئذ وعظم امر الاسلام بالاندلس وعاد يعقوب الى اشبيليّة فاقام بها فلمّا دخلت سنة ثلاث وتسعين سار عنها الى بلاد الفرنج وذلّوا واجتمع ملوكهم وارسلوا يطلبون الصلح فاجابهم اليه بعد ان كان عازمًا على الامتناع مُريد الملازمة للجهاد الى ان يفرغ منهم فاتاه خبر علىّ بن اسحق الملثّم الميورقىّ انّه فعل بافريقية ما نذكره من الافاعيل الشنيعة فترك عزمه وصالحهم مدّة خمس سنين وعاد الى مرّاكش اخر سنة ثلاث وتسعين وخمسمايَة ❁

ذكر فعلة الملثّم بافريقية

لمّا عبر ابو يوسف يعقوب صاحب المغرب الى الاندلس كما ذكرنا

[1]) Cor. 9, 40.

واقام مجاهدًا ثلاث سنين انقطعت اخباره عن افريقية فقوى طمع علىّ بن اسحق الملثم الميورقى وكان بالبرّيّة مع العرب فعاود قصد افريقية فانبث جنوده فى البلاد فخربوها واكثروا الفساد فيها فمحيت آثار تلك البلاد وتغيّرت وصارت خالية من الانيس خاوية على عروشها واراد المسير الى بجاية ومحاصرتها لاشتغال يعقوب بالجهاد واظهر انّه اذا استولى على بجاية سار الى المغرب فوصل الخبر الى يعقوب بذلك فصالح الفرنج على ما ذكرناه وعاد الى مراكش عازمًا على قصده واخراجه من البلاد كما فعله سنة احدى وثمانين وخمسمائة وقد ذكرناه ✿

ذكر مُلك عسكر الخليفة اصفهان

فى هذه السنة جهّز الخليفة الناصر لدين الله جيشًا وسيّره الى اصفهان ومقدّمهم سيف الدين طغرل مقطع بلد اللحف من العراق وكان باصفهان عسكر لخوارزم شاه مع ولده وكان اهل اصفهان يكرهونهم فكاتب صدر الدين الخجندىّ رئيس الشافعيّة باصفهان الديوانَ ببغداد يبذل من نفسه تسليم البلد الى مَن يصل من الديوان من العساكر وكان يعدّ الحاكم باصفهان على جميع اهلها فسيّرت العساكر فوصلوا الى اصفهان ونزلوا بظاهر البلد وفارقه عسكر خوارزم شاه وعادوا الى خراسان وتبعهم بعض عسكر الخليفة فتحفظوا منهم واخذوا من ساقة العسكر مَن قدروا عليه ودخل عسكر الخليفة الى اصفهان وملكوها ✿

ذكر ابتداء حال كوكجه ومُلكه بلد الرىّ وهمذان وغيرها

لمّا عاد خوارزم شاه الى خراسان كما ذكرنا ثمّ انّ المماليك الذين للبهلوان والامراء اتّفقوا وقدّموا على انفسهم كوكجه وهو من اعيان البهلوانيّة واستولوا على الرىّ وما جاورها من البلاد وساروا الى اصفهان لاخراج الخوارزميّة منها فلمّا قاربوها سمعوا بعسكر الخليفة عندها فارسل الى مملوك الخليفة سيف الدين طغرل يعرض نفسه على خدمة الديوان ويظهر العبودية وانّه انّما قصد اصفهان فى طلب العساكر الخوارزميّة وحيث رآهم فارقوا اصفهان وسار فى طلبهم فلم يدركهم وسار عسكر الخليفة من اصفهان الى همذان ، وامّا كوكجه فانّه تبع الخوارزميّة الى طبس وهى من بلاد الاسماعليّة وعاد فقصد اصفهان وملكها وارسل الى بغداد يطلب ان يكون له الرىّ

وخوار[1] الرىّ وساوة وقمّ وقاجان وما ينضمّ اليها فى حدّ مزدغان ويكون اصفهان وهمذان وزنجان[2] وقزوين لديوان الخليفة فاجيب الى ذلك وكتب له منشور بما طلب وأُرسلت له الخلع فعظم شانه وقوى امره وكثرت عساكره وتعظّم على اصحابه ❊

ذكر حصر العزيز دمشق ثانية وانهزامه عنها

وفى هذه السنة ايضًا خرج الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين من مصر فى عساكره الى دمشق يريد حصرها فعاد عنها منهزمًا وسبب ذلك انّ مَن عنده من مماليك ابيه والمعروفون بالصلاحيّة فخر الدين جركس وسرا سنقر وقراجا وغيرهم كانوا منحرفين عن الافضل علىّ بن صلاح الدين لانّه كان قد اخرج مَن عنده منهم مثل ميمون القصرىّ وسنقر الكبير وايبك وغيرهم فكانوا لا يزالون يخوّفون العزيز من اخيه ويقولون انّ الاكراد والمماليك الاسديّة من عسكر مصر يريدون اخاك ونخاف ان يميلهم اليه ويخرجوك من البلاد والمصلحة ان ناخذ دمشق، فخرج فى العام الماضى وعاد كما ذكرناه فتجهّز هذه السنة ليخرج فبلغ الخبر الى الافضل فسار من دمشق الى عمّه الملك العادل فاجتمع به بقلعة جعبر ودعاه الى نصرته وسار من عنده الى حلب الى اخيه الملك الظاهر غازى فاستنجد به وسار الملك العادل من قلعة جعبر الى دمشق فسبق الافضلَ اليها ودخلها وكان الافضل لثقته به قد امر نوّابه بادخاله الى القلعة ثمّ عاد الافضل من حلب الى دمشق، فارسل مقدّم الاسديّة وهو سيف الدين ايازكوش وغيره منهم ومن الاكراد ابو الهيجاء السمين وغيره الى الافضل والعادل بالانحياز اليهما والكون معهما ويامرهما بالاتّفاق على العزيز والخروج من دمشق ليسلّموه اليهما وكان سبب الانحراف عن العزيز وميلهم الى الافضل انّ العزيز لمّا ملك مصر مال الى المماليك الناصريّة وقدّمهم ووثق بهم ولم يلتفت الى هولآء الامرآء فاتّفقوا من ذلك ومالوا الى اخيه فلمّا ارسلوا الى الافضل والعادل فأنفا على ذلك واستقرّت القاعدة بحضور رسل الامرآء انّ الافضل يملك الديار المصريّة ويسلّم دمشق الى عمّه الملك

---

1) جوار 2) زنجان

العادل وخرجا من دمشق فانحاز اليهما من ذكرنا فلم يمكن العزيز المقام بل عاد منهزمًا يطوى المراحل خوف الطلب ولا يصدّق بالنجاة وتساقط اصحابه عنه الى ان وصل الى مصر، وامّا العادل والافضل فانّهما ارسلا الى القدس وفيه نايب العزيز فسلّمه اليهما وسارا فيمَنْ معهما من الاسديّة والاكراد الى مصر فراى العادل انضمامة العساكر الى الافضل واجتماعهم عليه فخاف انّه ياخذ مصر ولا يسلّم اليه دمشق فارسل حينئذ سرًّا الى العزيز يامره بالثبات وان يجعل بمدينة بلبيس مَن يحفظها وتكفّل بانّه يمنع الافضل وغيره من مقاتلة مَن بها فجعل العزيز الناصريّة ومقدّمهم فخر الدين جركس بها ومعهم غيرهم ووصل العادل والافضل الى بلبيس فنازلوا مَن بها من الناصريّة واراد الافضل مناجزتهم او تركهم بها والرحيل الى مصر فمنعه العادل من الامرَيْن وقال هذه عساكر الاسلام فاذا اقتتلوا فى الحرب فمَن يردّ العدوّ الكافر وما بها حاجة الى هذا فانّ البلاد لك وبحكمك ومتى قصدتَّ مصر والقاهرة واخذتَّهما قهرًا زالت هيبة البلاد وطمع فيها الاعداء وليس فيها مَن يمنعك عنها وسلك معه مثال هذا فطالت الايّام وارسل الى العزيز سرًّا يامره بارسال القاضى الفاضل وكان مطاعًا عند البيت الصلاحىّ لعلوّ منزلته كانت عند صلاح الدين فحضر عندهما واجرى ذكر الصلح وزاد القول ونقص وانفسخت العزايم واستقرّ الامر على ان يكون للافضل القدس وجميع البلاد بفلسطين وطبريّة والاردن وجميع ما بيده ويكون للعادل اقطاعه الذى كان قديمًا ويكون مقيمًا بمصر عند العزيز وانّما اختار ذلك لانّ الاسديّة والاكراد لا يريدون العزيز فهم يجتمعون معه فلا يقدر العزيز على منعه عمّا يريد فلمّا استقرّ الامر على ذلك وتعاهدوا عاد الافضل الى دمشق وبقى العادل بمصر عند العزيز ۞

ذكر عدّة حوادث

فى ذى القعدة تاسع عشره وقع حريق عظيم ببغداد بعقد المصطنع فاحترقت المربعة التى بين يديه ودكان ابن البخيل الهرّاس وقيل كان ابتداؤها من دار ابن البخيل ۞

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وخمسماية ‹ سنة ٥٩٢

ذكر ملك شهاب الدين بهنكر[1] وغيرها من بلد الهند

في هذه السنة سار شهاب الدين الغوريّ صاحب غزنة الى بلد الهند وحصر قلعة بهنكر[1] وهي قلعة عظيمة منيعة فحصرها فطلب اهلها منه الامان على ان يسلّموا اليه فامّنهم وتسلّمها واقام عندها عشرة ايّام حتّى رتّب جندها واحوالها وسار عنها الى قلعة كوالير[2] وبينهما مسيرة خمسة ايّام وفي الطريق نهر فجازه ووصل الى كوالير[2] وهي قلعة منيعة حصينة على جبل لا يصل اليها حجر منجنيق ولا نشاب وهي كبيرة فاقام عليها صفرًا جميعه يحاصرها فلم يبلغ منها غرضًا فراسله مَن بها في الصلح فاجابهم اليه على ان يُقرّ القلعة بايديهم على مال يحملونه اليه فحملوا اليه فيلًا حمله ذهب فرحل عنها الى بلاد آى وسور[3] فاغار عليها ونهبها وسبى وأسر ما يعجز العادّ حصره ثمّ عاد الى غزنة سالمًا ❊

ذكر ملك العادل مدينة دمشق من الافضل

في هذه السنة في السابع والعشرين من رجب ملك الملك العادل ابو بكر ابن ايّوب مدينة دمشق من ابن اخيه الافضل عليّ ابن صلاح الدين وكان ابلغ الاسباب في ذلك وثوق الافضل بالعادل وانّه بلغ من وثوقه انّه ادخله بلده وهو غايب عنه ولقد ارسل اليه اخوه الظاهر غازي صاحب حلب يقول له اخرج عمّنا من بيننا فانّه لا يجيّ علينا منه خير ونحن ندخل لك تحت كلّ ما تريد وانا اعرف به منك واقرب اليه فانّه عمّي مثل ما هو عمّك وانا زوج ابنته ولو علمتُ انه يريد لنا خيرًا لكنتُ انا اولى به منك فقال له الافضل انت سيّئ الظنّ في كلّ احد ايّ مصلحة لعمّنا في ان يوذينا ونحن اذا اجتمعت كلمتنا وسيّرنا معه العساكر من عندنا كلّنا ملك من البلاد اكثر من بلادنا ونربح سوء الذكر وهذا كان ابلغ الاسباب ولا يعلمها كلّ احد وامّا غير هذا فقد ذكرنا مسير العادل والافضل الى مصر وحصارهم بلبيس وصلحهم مع الملك العزيز ابن صلاح الدين ومقام العادل معه بمصر فلمّا

[1]) C. P.: نهنكر

[2]) 740. C. P. et Ups.: كواكير

[3]) C. P.: اصى وسور :740 الصى وصور

اقام عنده استمالة وقرّر معه انّه يخرج معه الى دمشق ويأخذها من اخيه ويسلّمها اليه فسار معه من مصر الى دمشق وحصروها واستمالوا اميرًا من امرآء الافضل يقال له العزيز [ابن] ابى غالب الحمصىّ وكان الافضل كثير الاحسان اليه والاعتماد عليه والوثوق به فسلّم اليه بابًا من ابواب دمشق يُعرف بالباب الشرقىّ ليحفظه فمال الى العزيز والعادل ووعدهما انّه يفتح لهما الباب ويدخل العسكر منه الى البلد غفلةً ففتحه اليوم السابع والعشرين من رجب وقت العصر وادخل الملك العادل منه ومعه جماعة من اصحابه فلم يشعر الافضل الّا وعمّه معه فى دمشق وركب الملك العزيز ووقف بالميدان الاخضر غربىّ دمشق فلمّا راى الافضل انّ البلد قد مُلك خرج الى اخيه وقت المغرب واجتمع به ودخلا كلاهما البلد واجتمعا بالعادل وقد نزل فى دار اسد الدين شيركوه وتحادثوا فاتّفق العادل والعزيز على ان اوهما الافضل انّهما يبقيان عليه البلد خوفًا انّه ربّما جمع مَن عنده من العسكر وثار بهما ومعه العامّة فاخرجهم من البلد لانّ العادل لم يكن فى كثرة واعاد الافضل الى القلعة وبات العادل فى دار شيركوه وخرج العزيز الى الخيم فبات فيها وخرج العادل من الغد الى جوسقه فاقام به وعساكره فى البلد فى كلّ يوم يخرج الافضل اليهما ويجتمع بهما فبقوا كذلك ايّامًا ثمّ ارسلا اليه واقرّاه بمفارقة القلعة وتسليم البلد على قاعدة ان تُعطى قلعة صرخد له ويُسلّم جميع اعمال دمشق فخرج الافضل ونزل فى جوسق بظاهر البلد غربىّ دمشق وتسلّم العزيز القلعة ودخلها واقام بها ايّامًا فجلس يومًا فى مجلس شرابه فلمّا اخذت منه الخمر جرى على لسانه انّه يعيد البلد الى الافضل فنقل ذلك الى العادل فى وقته فحضر المجلس فى ساعته والعزيز سكران فلم يزل به حتّى سلّم البلد اليه وخرج منه وعاد الى مصر وسار الافضل الى صرخد وكان العادل يذكر انّ الافضل سعى فى قتله فلهذا اخذ البلد منه وكان الافضل ينكر ذلك ويتبرّأ منه وَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ[1] ۞

---

[1]) Cor. 2, 107.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة هبّت ريح شديدة بالعراق واسودّت لها الدنيا ووقع رمل احمر واستعظم الناس ذلك وكبّروا واشتعلت الاضوآء بالنهار ، وفيها قُتل صدر الدين محمود بن عبد اللطيف بن محمّد بن ثابت[1] الخجندى رئيس الشافعيّة باصفهان قتله فلك الدين سنقر الطويل شحنة اصفهان بها وكان قدم بغداد سنة ثمان وثمانين وخمسمائة واستوطنها وولى النظر فى المدرسة النظاميّة ببغداد ولمّا سار مؤيّد الدين ابن القصّاب الى خوزستان سار فى صحبته فلمّا ملك الوزير اصفهان اقام ابن الخجندىّ بها فى بيته وملكه ومنصبه فجرى بينه وبين سنقر الطويل شحنة اصفهان للخليفة منافرة فقتله سنقر ، وفى رمضان درّس مجير الدين ابو القاسم محمود بن المبارك البغدادىّ الفقيه الشافعىّ بالمدرسة النظاميّة ببغداد ، وفى شوّال منها اثبت نصير الدين ناصر بن مهدى العلوىّ الرازىّ فى الوزارة ببغداد وكان قد توجّه الى بغداد لمّا ملك ابن القصّاب الرىّ ، وفيها ولى ابو طالب يحيى بن سعيد بن زيادة ديوان الانشآء ببغداد وكان كاتبًا مُفلقًا وله شعر جيّد ، وفى صفر منها توفّى الفاخر محمود بن علىّ القُوفانى[2] الفقيه الشافعىّ بالكوفة عايدًا من الحجّ وكان من اعيان اصحابه محمّد بن يحيى ، وفى رجب منها توفّى ابو الغنايم محمّد بن علىّ بن المعلّم الشاعر الهُرثىّ والهرث بضمّ الهآء والثآء المثلثة قرية من اعمال واسط عن احدى وتسعين سنة ، وفى رابع شعبان منها توفّى الوزير مؤيّد الدين ابو الفضل محمّد بن علىّ ابن القصّاب بهمدان وقد ذكرنا من كفايته ونهضته ما فيه كفاية ۞

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، سنة ٥٩٣

ذكر ارسال الامير ابى الهيجآء الى همدان وما فعله

وصل الى بغداد امير كبير من امرآء مصر اسمه ابو الهيجآء ويُعرف بالسمين لانّه كان كثير السمن وكان من اكابر امرآء مصر وكان فى اقطاعه اخيرًا البيت المقدّس وغيره ممّا يجاوره فلمّا ملك العزيز والعادل مرتبة دمشق من الافضل اخذ القدس منه ففارق الشام وعبر الفراة الى الموصل

---

[1] ثابت [2] العوفانى

ثمّ انحدر الى بغداد لانّه طُلب من ديوان الخلافة فلمّا وصل اليها اكرم اكرامًا كثيرًا ثمّ امر بالتجهيز والمسير الى همدان مقدّمًا على العساكر البغداديّة فسار اليها والتقى عندها بالملك اوزبك بن البهلوان واميرِ علم وابنه وابن سطمش وغيرهم وهم قد كاتبوا الخليفة بالطاعة فلمّا اجتمع بهم ووثقوا اليه ولم يحذروه فقبض على اوزبك وابن سطمش وابن قرا بموافقة من امير علم فلمّا وصل الخبر بذلك الى بغداد انكرت هذه الحال على ابى الهيجاء وامر بالافراج عن الجماعة وسُيّرت لهم الخلع من بغداد تطييبًا لقلوبهم فلم يسكنوا بعد هذه الحادثة ولا امنوا ففارقوا ابا الهيجاء السمين فخاف الديوان فلم يرجع اليه ولم يمكنه ايضًا المقام فعاد يريد اربل لانّه من بلدها هو فتوفّى قبل وصوله اليها وهو من الاكراد الحكميّة من بلد اربل *

ذكر مُلك العادل يافا من الفرنج ومُلك الفرنج بيروت من المسلمين وحصر الفرنج تبنين ورحيلهم عنها

فى هذه السنة فى شوّال ملك العادل ابو بكر بن ايّوب مدينة يافا من الساحل الشامىّ هو بيد الفرنج لعنهم الله وسبب ذلك انّ الفرنج كان قد ملكهم الكند هرى على ما ذكرناه قبلُ وكان الصلح قد استقرّ بين المسلمين والفرنج ايّام صلاح الدين يوسف بن ايّوب رحمه الله تعالى فلمّا توفّى وملك اولاده بعده كما ذكرناه جدّد الملك العزيز الهدنة مع الكند هرى وزاد فى مدّة الهدنة وبقى ذلك الى الآن وكان بمدينة بيروت امير يُعرف باسامة وهو مقطعها فكان يرسل الشوانى تقطع الطريق على الفرنج فاشتكا الفرنج من ذلك غير مرّة الى الملك العادل بدمشق والى الملك العزيز بمصر فلم يمنعا اسامة من ذلك فارسلوا الى ملوكهم الذين داخل البحر يشتكون اليهم ما يفعل بهم المسلمون ويقولون ان لم تنجدونا والّا اخذ المسلمون البلاد فامدّهم الفرنج بالعساكر الكثيرة وكان اكثرهم من ملك الالمان وكان المقدّم عليهم قسّ يعرف بالخنصليز[1] فلمّا سمع العادل بذلك ارسل الى العزيز بمصر يطلب العساكر وارسل الى ديار

---

[1] بالحصكيز (

الجزيرة والموصل يطلب العساكر فجآءته الامرآء واجتمعوا على عين الجالوت فاقاموا شهر رمضان وبعض شوّال ورحلوا الى يافا وملكوا المدينة وامتنع مَن بها بالقلعة التى لها فخرّب المسلمون المدينة[1] وحصروا القلعة فملكوها عنوةً وقهرًا بالسيف فى يومها وهو يوم الجمعة واخذ كلّ ما بها غنيمة واسرًا وسبيًا ووصل الفرنج من عكّا الى قيساريّة ليمنعوا المسلمين عن يافا فوصلهم الخبر بها بملكها فعادوا وكان سبب تاخّرهم انّ ملكهم الكند هرى سقط من موضع عالٍ بعكّا فمات فاختلفت احوالهم فتاخّروا لذلك ، وعاد المسلمون الى عين الجالوت فوصلهم الخبر بانّ الفرنج على عزم قصد بيروت فرحل العادل والعسكر فى ذى القعدة الى مرج العيون وعزم على تخريب بيروت فسار اليها جمع من العسكر وهدموا سور المدينة سابع ذى الحجّة وشرعوا فى تخريب دورها وتخريب القلعة فمنعهم اسامة من ذلك وتكفّل بحفظها ، ورحل الفرنج من عكّا الى صيدا وعاد عسكر المسلمين من بيروت فالتقوا الفرنج بنواحى صيدا وجرى بينهم مناوشة فقُتل من الفريقَيْن جماعة وحجز بينهم الليل وسار الفرنج تاسع ذى الحجّة فوصلوا الى بيروت فلمّا قاربوها هرب منها اسامة وجميع مَن معه من المسلمين فملكوها صفوًا عفوًا بغير حرب ولا قتال فكانت غنيمة باردة ، فارسل العادل الى صيدا مَن خرّب ما كان بقى منها فانّ صلاح الدين كان قد خرّب اكثرها وسافرت العساكر الاسلاميّة الى صور فقطعوا اشجارها وخرّبوا ما لها من قُرًى وابراج فلمّا سمع الفرنج بذلك رحلوا من بيروت الى صور واقاموا عليها ونزل المسلمون عند قلعة هونين واذن للعساكر الشرقيّة بالعود ظنًّا منه انّ الفرنج يقيمون ببلادهم واراد ان يعطى العساكر المصريّة دستورًا بالعود فاتاه الخبر منتصف المحرّم انّ الفرنج يريدون ان يحصروا حصن تبنين فسيّر العادل اليه عسكرًا يحمونه ويمنعون عنه ورحل الفرنج من صور ونازلوا تبنين اوّل صفر سنة اربع وتسعين وقاتلوا مَن به وجدّوا فى القتال ونقبوه من جهاتهم فلمّا علم العادل بذلك ارسل الى العزيز بمصر يطلب منه ان يحضر هو بنفسه ويقول له ان حضرتَ والّا فلا يمكن حفظ هذا

---

[1] القلعة

الثغر فسار العزيز مجدًّا فيمن بقى معه من العساكر وامّا مَن تحصّن بتبنين فانّهم لمّا رءاوا النقوب قد خرّبت تلّ القلعة ولم يبق الّا ان يملكوها بالسيف نزل بعض مَن فيها الى الفرنج يطلب الامان على انفسهم واموالهم ليسلّموا القلعة وكان المرجع الى القسيس الخنصلير[1] من اصحاب ملك الالمان فقال لهولآء المسلمين بعض الفرنج الذين من ساحل الشام ان سلّمتم الحصن استاسركم هذا وقتلكم فاحفظوا نفوسكم فعادوا كانّهم يراجعون مَن فى القلعة ليسلّموا فلمّا صعدوا اليها صرّوا على الامتناع وقاتلوا قتال مَن يحمى نفسه فحموها الى ان وصل الملك العزيز الى عسقلان فى ربيع الاوّل فلما سمع الفرنج بوصوله واجتماع المسلمين وانّ الفرنج ليس لهم ملك يجمعهم وان امرهم الى امراة وهى الملكة فاتّفقوا وارسلوا الى ملك قبرس واسمه هيمرى فاحضروه وهو اخو الملك الذى أُسر بحطّين كما ذكرناه فزوّجه بالملكة زوجة الكند هرى وكان رجلًا عاقلًا يحبّ السلامة والعافية فلمّا ملكهم لم يعد الى الزحف على الحصن ولا قاتل واتّفق وصول العزيز اوّل شهر ربيع الاخر ورحل هو والعساكر الى جبل الخليل الذى يعرف بجبل عاملة فاقاموا ايّامًا والامطار متداولة فبقى الى ثالث عشر الشهر ثمّ سار وقارب الفرنج وارسل رُماة النشاب فرموهم ساعة وعادوا ورتّب العساكر ليزحف الى الفرنج ويجدّ فى قتالهم فرحلوا الى صور خامس عشر الشهر المذكور ليلًا ثمّ رحلوا الى عكّا فسار المسلمون فنزلوا اللجون وتراسلوا فى الصلح وتطاول الامر فعاد العزيز الى مصر قبل انفصال الحال وسببُ رحيله انّ جماعة من الامرآء وهم ميمون القصرى واسامة وسراسنقر والحجاف وابن المشطوب وغيرهم قد عزموا على الفتك به وبفخر الدين جركس مدبّر دولته والله سبحانه وتعالى اعلم بذلك فلمّا سمع بذلك سار الى مصر وبقى العادل وتردّدت الرسل بينه وبين الفرنج فى الصلح فى شعبان سنة اربع وتسعين فلمّا انتضم الصلح عاد العادل الى دمشق وسار منها الى ماردين من ارض الجزيرة فكان ما نذكره ان شآء الله تعالى ✩

---

1) الخمصكير

ذكر وفاة سيف الاسلام ومُلك ولده

فى شوّال من هذه السنة توفّى سيف الاسلام طغتكين ابن ايّوب اخو صلاح الدين وهو صاحب اليمن بزبيد وقد ذكرنا كيف ملك وكان شديد السيرة مُضيّقًا على رعيّته يشترى اموال التجار لنفسه ويبيعها كيف شآء واراد مُلك مكّة حرسها الله تعالى فارسل الخليفة الناصر لدين الله الى اخيه صلاح الدين فى المعنى فمنعه من ذلك وجمع من الاموال ما لا يُحصى حتّى انّه من كثرته كان يسبك الذهب ويجعله كالطاحون ويدّخره، ولمّا توفّى ملك بعده ابنه اسمعيل وكان اهوج كثير التخليط بحيث انّه ادّعى انّه قرشىّ من بنى أُميّة وخطب لنفسه بالخلافة وتلقّب بالهادى فلمّا سمع عمّه الملك العادل ذلك سآه واهمّه وكتب اليه يلومه ويُوبّخه ويامره بالعود الى نسبه الصحيح وبترك ما ارتكبه ممّا يضحك الناس منه فلم يلتفت اليه ولم يرجع وانضاف الى ذلك انّه اسآء السيرة مع اجناده وامرآيه فوثبوا عليه فقتلوه وملّكوا بعده اميرًا من مماليك ابيه ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى ربيع الاخر توفّى ابو بكر عبد الله بن منصور ابن عمران الباقلّانىّ المقرى الواسطىّ بها عن ثلاث وسبعين سنة وثلاثة اشهر وايّام وهو اخر مَن بقى من اصحاب القلانسىّ، وفى جمادى الاخرة توفّى قاضى القُضاة ابو طالب علىّ بن البُخارىّ ببغداد ودُفن بتربته فى مشهد باب النبن[1]، وفيها فى ربيع الاخر توفّى ملكشاه بن خوارزم شاه تكش بنيسابور وكان ابوه قد جعله فيها واضاف اليه عساكر جميع بلاده التى بخراسان وجعله ولىّ عهده فى المُلك وخلف ولدًا اسمه هندوخان فلمّا مات جعل فيها ابوه خوارزم شاه بعده ولده الاخر قطب الدين محمّدًا وهو الذى ملك بعد ابيه وكان بين الاخوين عداوة مستحكمة أَفْضَتْ الى انّ محمّدًا لمّا ملك بعد ابيه هرب هندوخان بن ملكشاه منه على ما نذكره، وفيها توفّى شيخنا ابو القاسم يعيش بن صدقة بن علىّ الفراتىّ[2] الضرير الفقيه الشافعىّ كان اماما فى الفقه مدرّسا صالحاً

---

1) النبن . 2) العراتى

كثير الصلاح سمعتُ عليه كثيرًا لم ار مثله رحمه الله تعالى ولقد شاهدتُ منه عجبًا يدلّ على دينه وارادته بعمله وجه الله تعالى وذلك انّى كنتُ اسمع عليه ببغداد سنن ابى عُبد الرحمان النَساىّ وهو كتاب كبير والوقت ضيّق لانى كنتُ مع الحجاج قد عُدْنا من مكّة حرسها الله فبينما نحن نسمع عليه مع اخى الاكبر مجد الدين ابى السعادات واذ قد اتاه انسان من اعيان بغداد وقال له قد برز الامر لتحضر لامر كذا فقال انا مشغول بسماع هولآء السادة ووقتهم يفوت والذى يُراد منّى لا يفوت فقال انا لا احسن انكر هذا فى مقابل امر الخليفة فقال لا عليك قُلْ قال ابو القاسم لا احضر حتّى يفرغ السماع فسالناه ليمشى معه فلم يفعل ذلك وقال اقروًا فقرأنا فلمّا كان الغد واذ قد حضر غلام لنا وذكر انّ امير الحاجّ الموصلىّ قد رحل فعظم الامر علينا فقال ولِمَ يعظم عليكم العود الى اهلكم وبلدكم فقلنا لاجل فراغ هذا الكتاب فقال اذا رحلتم استعير دابّة واركبها فاسير معكم وانتم تقرؤون فاذا فرغتم عُدْتُ فمضى الغلام ليتزوّد ونحن نقرأ فعاد وذكر انّ الحاجّ لم يرحلوا ففرغنا من الكتاب فانظر الى هذا الدين المتين يردّ امر الخليفة وهو يخافه ويرجوه ويريد يسير معنا ونحن غربآء لا يخافنا ولا يرجونا ۞

ثم دخلت سنة اربع وتسعين وخمسماية ٥ سنة ٥٩٤

ذكر وفاة عماد الدين ومُلك ولده قطب الدين محمّد

فى هذه السنة فى المحرّم توفّى عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى بن اقسنقر صاحب سنجار ونصيبين والخابور والرقّة وقد تقدّم ذكره كيف ملكها سنة تسع وسبعين وكان رحمه الله عادلاً حسن السيرة فى رعيّته عفيفًا عن اموالهم واملاكهم متواضعًا يحبّ اهل العلم والدين ويحترمهم ويجلس معهم ويرجع الى اقوالهم الّا انّه كان بخيلًا شديد البُخل وملك بعده ابنه قطب الدين محمّد وتولّى تدبير دولته مجاهد الدين يرنقش مملوك ابيه وكان ديّنًا خيّرًا عادلاً حسن السيرة كثير البرّ والاحسان الى الفقرآء وكان رحمه الله شديد التعصّب على مذهب الحنفيّة[1] كثير الذمّ

1) الشافعى

للشافعيّة فمن تعصّبه انّه بنى مدرسة للحنفيّة بسنجار وشرط ان يكون
النظر للحنفيّة من اولاده دون الشافعيّة وشرط ان يكون البوّاب والفرّاش
على مذهب ابى حنيفة وشرط للفقهآء طبيخًا يطبخ ذلك كلّ يوم
وهـذا نـظـر حـسـن رحـمـه الله ✿

ذكر مُلك نور الدين نصيبين

فى هذه السنة فى جمادى الاولى سار نور الدين ارسلان شاه بن
مسعود بن مودود صاحب الموصل الى مدينة نصيبين فملكها واخذها من
ابن عمّه قطب الدين محمّد وسبب ذلك انّ عمّه عماد الدين كان
له نصيبين فتطاول نوّابه بها واستولوا على عدّة قُرًى من اعمال بين
النهرَيْن من ولاية الموصل وهى تجاور نصيبين فبلغ الخبر مجاهدَ الدين
قايماز القايم بتدبير مملكة نور الدين بالموصل كلّها والمرجوع اليه فيها فلم
يعلم مخدومه بذلك لما علم من قلّة صبره على احتمال مثل هذا وخاف
ان يجرى خلف بينهم فارسل من عنده رسولاً الى عماد الدين فى المعنى
وقبّح هذا الفعل الذى فعله النوّاب بغير امره وقال انّنى ما اعلمتُ نور
الدين بالحال لئلّا يخرج عن يدك فانّه ليس كوالده واخاف يبدوا منهٔ
ما يخرج الامر فيه عن يدىّ فاعاد الجواب انّهم لم يفعلوا الّا ما امرتُهم
به وهذه القرى من اعمال نصيبين فتردّدت الرسل بينهما فلم يرجع
عماد الدين عن اخذها فحينئذ اعلم مجاهدُ الدين نورَ الدين بالحال
فارسل نور الدين رسولاً من مشايخ دولته ممّن خدم جدّهم الشهيد
زنكى ومن بعده وحمّله رسالة فيها بعض الخشونة فمضى الرسول فلحق
عماد الدين قد مرض فلمّا سمع الرسالة لم يلتفت وقال لا اعيد ملكى
فاشار الرسول من عنده حيث هو من مشايخ دولتهم بترك وتسليم ما
اخذه وحذّره عاقبة ذلك فاغلظ عليه عماد الدين القول وعرّض بذمّ
نور الدين واحتقاره ؞ فعاد الرسول وحكى لنور الدين جليّة الحال فغضب
نور الدين وعزم على المسير الى نصيبين واخذها من عمّه فاتّفق انّ
عمّه مات وملك بعده ابنه فقوى طمعه فنعه مجاهد الدين فلم يمتنع
وتجهّز وسار اليها ؞ فلمّا سمع قطب الدين صاحبها سار اليها من سنجار
فى عسكره ونزل عليها ليمنع نور الدين عنها فوصل نور الدين وتقدّم

الى البلد وكان بينهما نهر فجازه بعض امرآيه وقاتل مَن بازآيه فلم يثبتوا
له فعبر جميع العسكر النوريّ وتمّت الهزيمة على قطب الدين فصعد
هو ونايبه مجاهد الدين يرنقش[1] الى قلعة نصيبين وادركهم الليل فخرجوا
منها هاربين الى حرّان وراسلوا الملك العادل ابا بكر بن ايّوب صاحب
حرّان وغيرها وهو بدمشق وبذلوا له الاموال الكثيرة لينجدهم ويعيد
نصيبين اليهم واقام نور الدين بنصيبين مالكها فتضعضع عسكره بكثرة
الامراض وعودهم الى الموصل وموت كثير منهم ووصل العادل الى الديار الجزريّة
فحينئذ فارق نور الدين نصيبين وعاد الى الموصل فى شهر رمضان فلمّا
فارقها تسلّمها قطب الدين ، وممّن توفّى من امرآء الموصل عزّ الدين
جورديك وشمس الدين عبد الله ابن ابرهيم وفخر الدين عبد الله بن
عيسى المهرانيّان ومجاهد الدين قايماز وظهير الدين يولق بن بلنكرى[2]
وجمال الدين محاسن وغيرهم ولمّا عاد نور الدين الى الموصل قصد العادل
قلعة ماردين فحصرها وضيّق على اهلها على ما نذكره ان شآء الله تعالى ۞

ذكر مُلك الغوريّة مدينة بلخ من الخطا الكافر

فى هذه السنة ملك بهآء الدين سام بن محمّد بن مسعود وهو
ابن اخت غياث الدين [وشهاب الدين] صاحبَىْ غزنة وغيرها وله باميان
مدينةَ بلخ وكان صاحبها تُركيًّا اسمه اربه وكان يحمل الخراج كلّ سنة
الى الخطا بما ورآء النهر فتوفّى هذه السنه فسار بهآء الدين سام الى
المدينة فملكها وتمكّن منها وقطع الحمل الى الخطا وخطب لغياث الدين
وصارت من جملة بلاد الاسلام بعد ان كانت فى طاعة الكافر ۞

ذكر انهزام الخطا من الغوريّة

وفى هذه السنة عبر الخطا نهر جيحون الى ناحية خراسان فعاثوا
فى البلاد وافسدوا فلقيهم عسكر غياث الدين الغوريّ وقاتلهم فانهزم الخطا ،
وكان سبب ذلك انّ خوارزم شاه تكش كان قد سار الى بلد الريّ
وهمذان واصفهان وما بينهما من البلاد وملكها وتعرّض الى عساكر الخليفة
واظهر طلب السلطنة والخطبة ببغداد فارسل الخليفة الى غياث الدين

---

[1] برنقش   [2] برلق بن بلنكرى

ملك الغور وغزنة [بامره][1] بقصد بلاد خوارزم شاه [ليبعود عن قصد العراق وكان خوارزم شاه][2] قد عاد الى خوارزم فراسله غياث الدين يقبّح له فعله ويتهدّده بقصد بلاده واخذها فارسل خوارزم شاه الى الخطا يشكوا اليهم من غياث الدين ويقول ان لم تدركوه بانفاذ العساكر والّا اخذ غياث الدين بلاده كما اخذ مدينة بلخ وقصد بعد ذلك بلادهم ويتعذّر عليهم منعه ويعاجزون عنه ويضعفون عن ردّه عن ما وراء النهر فجهّز ملك الخطا جيشًا كثيفًا وجعل مقدّمهم المعروف بطاينكوا وهو كالوزير فساروا وعبروا جيحون فى جمادى الاخرة وكان الزمان شتآء وكان شهاب الدين الغورىّ اخو غياث الدين ببلاد الهند والعساكر معه وغياث الدين به من النقرس ما يمنعه من الحركة انّما يحمل فى محفة والذى يقود الجيش ويباشر الحروب اخوه شهاب الدين فلمّا وصل الخطا الى جيحون سار خوارزم شاه الى طوس عازمًا على قصد هراة ومحاصرتها وعبر الخطا النهر ووصلوا الى بلاد الغور مثل كرزبان وشبرقان وغيرهما وقتلوا واسروا ونهبوا وسبوا كثيرًا لا يُحصى فاستغاث الناس بغياث الدين فلم يكن عنده من العساكر ما يلقاهم بها فرلسل الخطا بهآء الدين سام ملك باميان يامرونه بالافراج عن بلخ او انّه يحمل ما كان مَن قبله يحمله من المال فلم يجبهم الى ذلك وعظمت المصيبة على المسلمين بما فعله الخطا فانتدب الامير محمّد بن جربك[3] الغورىّ وهو مقطع الطالقان من قبل غياث الدين وكان شجاعًا وكاتب الحسين بن خرميل[4] وكان بقلعة كرزبان واجتمع معهما الامير حرّوش[5] الغورىّ وساروا بعساكرهم الى الخطا فبيّتوهم وكبسوهم ليلًا ومن عادة الخطا انّهم لا يخرجون من خيامهم ليلًا ولا يفارقونها فاتاهم هولآء الغوريّة وقاتلوهم واكثروا القتل فى الخطا وانهزم مَن سلم منهم من القتل واين ينهزمون والعسكر الغورىّ خلفهم وجيحون بين ايديهم وظنّ الخطا انّ غياث الدين قد قصدهم فى عساكره فلمّا اصبحوا وعرفوا مَن قاتلهم وعلموا انّ غياث الدين بمكانه قويت قلوبهم وثبتوا عامّة نهارهم فقُتل من الفريقَين خلق

---

1) C. P. et 740. 2) C. P. et 740. 3) جرديك 4) بدمتل

5) حرّوس

عظيم ولحقت المتطوّعة بالغوريّين واتاهم مدد من غياث الدين وهم فى الحرب فثبت المسلمون وعظمت نكايتهم فى الكفّار وحمل الامير حرّوش على قلب الخطا وكان شيخًا كبيرًا فاصابه جراحة توفّى منها ثمّ انّ محمود بن جربك[1] وابن خرميل حملا فى اصحابهما وتنادوا الّا يرمى احد بقوس ولا يطعن برمح واخذوا اللتوت وحملوا على الخطا فهزمهم ولحقوهم بجيحون فمن صبر قُتل ومَن القى نفسه فى المآء غرق ووصل الخبر الى ملك الخطا فعظم عليه وارسل الى خوارزم شاه يقول له انت قتلتَ رجالى واريد عن كلّ قتيل عشرة الاف دينار وكان القتلى اثنا عشر الفًا وانفذ اليه مَن ردّه الى خوارزم والزموه بالحضور عنده فارسل حينئذ خوارزم شاه الى غياث الدين يُعرّفه حاله مع الخطا ويشكوا اليه ويستعطفه غير مرّة فاعاد الجواب يامره بطاعة الخليفة واعادة ما اخذه الخطا من بلاد الاسلام فلم ينفصل بينهما حال ۞

ذكر مُلك خوارزم شاه مدينة بخارى

لمّا ورد رسول ملك الخطا على خوارزم شاه بما ذكرناه اعاد الجواب انّ عسكرك انّما قصد انتزاع بلخ ولم ياتوا الى نُصرتى ولا اجتمعتُ بهم ولا امرتُهم بالعبور وان كنت فعلت ذلك فانا مقيم بالمال المطلوب منّى ولكن حيث عجزتم انتم عن الغوريّة عُدْتم علىّ بهذا القول وهذا المطلب وامّا انا فقد اصلحتُ الغوريّة ودخلتُ فى طاعتهم ولا طاعة لكم عندى فعاد الرسول بالجواب فجهّز ملك الخطا جيشًا عظيمًا وسيّره الى خوارزم فحصرها فكان خوارزم شاه يخرج اليهم كلّ ليلة ويقتل منهم خلقًا عظيمًا واتاه من المتطوّعة خلق كثير فلم يزل هذا فعله بهم حتّى اتى على اكثرهم فدخل الباقون الى بلادهم ورحل خوارزم شاه فى اثارهم وقصد بخارى فنازلها وحصرها وامتنع اهلها منه وقاتلوه مع الخطا حتّى انّهم اخذوا كلبًا اعور والبسوه قبا وقلنسوة وقالوا هذا خوارزم شاه لانّه كان اعور وطافوا به على السور ثمّ القوه فى منجنيق [الى] العسكر وقالوا هذا سلطانكم وكان الخوارزميّون يسبّونهم ويقولون يا اجناد الكفّار انتم قد ارتددتم عن الاسلام فلم يزل

[1] جرنك (

هذا دأبهم حتّى ملك خوارزم شاه البلد بعد أيّام يسيرة عنوةً وعفا عن اهله واحسن اليهم وفرّق فيهم مالاً كثيرًا واقام بها مدّة ثمّ عاد الى خوارزم ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى ذى الحجّة توفّى ابو طالب يحيى بن سعيد بن زيادة كاتب الانشآء بديوان الخليفة وكان عالمًا فاضلاً له كتابة حسنة وكان رجلًا عاقلًا خيّرًا كثير النفع للناس وله شعر جيّد ، وفيها حصر الملك العادل ابو بكر بن ايّوب قلعة ماردين فى شهر رمضان وقاتل من بها وكان صاحبها حسام الدين يولق[1] ارسلان بن ايلغازى بن البى ابن تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق كلّ هولآء ملوك ماردين وقد تقدّم من اخبارهم ما يعلم به محلّهم وكان صبيًّا والحاكم فى بلده ودولته مملوك ابيه النظّام يرنقش وليس لصاحبه معه حكم البتّة فى شئ من الامور ولمّا حصر العادل ماردين ودام عليها سلّم اليه بعض اهلها الربض بمخامرة منهم فنهب العسكر اهله نهبًا قبيحًا وفعلوا بهم افعالا عظيمة لم يسمع بمثلها فلمّا تسلّم الربض تمكّن من حصر القلعة وقطع الميرة عنها وبقى عليها الى ان رحل عنها سنة خمس وتسعين على ما نذكره ان شآء الله ، وفيها توفّى الشيخ ابو علىّ الحسن بن مسلم بن ابى الحسن القادسىّ الزاهد المقيم ببغداد والقادسيّة التى ينسب اليها قرية بنهر عيسى من اعمال بغداد وكان من عباد الله الصالحين العاملين ودُفن بقريته ، وابو المجد علىّ بن ابى الحسن علىّ بن الناصر بن محمّد الفقيه الحنفىّ مدرّس اصحاب ابى حنيفة ببغداد وكان من اولاد محمّد بن الحنفية ابن امير المومنين علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه ۞

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة

سنة ٥٩٥

ذكر وفاة الملك العزيز وملك اخيه الافضل ديار مصر

فى هذه السنة فى العشرين من المحرّم توفّى الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن ايّوب صاحب ديار مصر وكان سبب موته انّه خرج الى الصيد فوصل الى الفيّوم متصيّدًا فراى ذيبًا فركض فرسه فى

---

[1] دولق

طلبه فعثر الفرس فسقط عنه فى الارض ولحقته حمى فعاد الى القاهرة
مريضًا فبقى كذلك الى ان توفى فلمّا مات كان الغالب على امره مملوك
والده فخر الدين جهاركس[1] وهو الحاكم فى بلده فاحضر انسانًا كان
عندهم من اصحاب الملك العادل ابى بكر بن ايّوب واراه العزيز ميّتًا وسيّره
الى العادل وهو يحاصر ماردين كما ذكرناه ويستدعيه ليملّكه البلاد فسار
القاصد مجدًّا فلمّا كان بالشام راى بعض اصحاب الافضل علىّ بن صلاح
الدين فقال له قل لصاحبك انّ اخاه العزيز توفّى وليس فى البلاد مَن
يمنعها فليسر اليها فليس دونها مانع وكان الافضل محبوبًا الى الناس
يريدونه فلم يلتفت الافضل الى هذا القول واذ قد وصله رسل الامرآء
من مصر يدعونه اليهم ليملّكوه وكان السبب فى ذلك انّ الامير سيف
الدين يازكج[2] مقدّم الاسديّة والفرقة الاسديّة والامرآء الاكراد يريدونه
ويميلون اليه وكان المماليك الناصريّة الذين هم ملك ابيه يكرهونه فاجتمع
سيف الدين مقدّم الاسديّة وفخر الدين جهاركس[3] مقدم الناصريّة ليتّفقوا
على مَن يولّونه الملك فقال فخر الدين نولّى ابن الملك العزيز فقال سيف
الدين انّه طفل وهذه البلاد ثغر الاسلام ولا بدّ من قيم بالملك يجمع
العساكر ويقاتل بها والراى انّنا نجعل الملك فى هذا الطفل الصغير ونجعل
معه بعض اولاد صلاح الدين يدبّره الى ان يكبر فانّ العساكر لا تطيع
غيرهم ولا تنقاد لامير فاتّفقا على هذا فقال جهاركس[4] فمن يتولّى هذا
فاشار يازكج بغير الافضل فجرى بينه وبين جهاركس[4] منازعة لئلّا يتّهم
وينفر جهاركس عنه فامتنع من ولايته فلم يزل يذكر من اولاد صلاح
الدين واحدًا بعد أخر الى ان ذكر اخرهم الافضل فقال جهاركس[4]
هو بعيد عنّا وكان بصرخد مقيمًا فيها من حين أُخذت منه دمشق
فقال يازكج نرسل اليه مَن يطلبه مجدًّا فاخذ جهاركس[4] يغالطه فقال
يازكج نمضى الى القاضى الفاضل وناخذ رايه فاتّفقا على ذلك وارسل يازكج
يعرّفه ذلك ويشير بتمليك الافضل فلمّا اجتمعا عنده وعرّفاه صورة الحال
اشار بالافضل فارسل يازكج فى الحال القصّاد ورآءه فسار عن صرخد لليلتَيْن

---

1) اياس جركس 2) ايازكوش 3) اياز جركس 4) جركس

بقيتا من صفر متنكّرًا فى تسعة عشر نفسًا لانّ البلاد كانت للعادل
ويضبط نوّابه الطرق لئلّا يجوز الى مصر ليجئ العادل ويملكها فلمّا
قارب الافضل القدس وقد عدل عن الطريق المؤدّى اليه لقيه فارسان قد
ارسلا اليه من القدس فاخبراه انّ مَن بالقدس قد صار فى طاعته وجدّ
فى السير فوصل الى بلبيس خامس ربيع الاوّل ولقيه اخوته وجماعة الامرآء
المصريّة وجميع الاعيان فاتّفق انّ اخاه الملك المؤيّد مسعودًا صنع له طعامًا
وصنع له فخر الدين مملوك ابيه طعامًا فابتدا بطعام اخيه ليمين حلفها
اخوه انّه يبدا به فظنّ جهاركس[1] انّه فعل هذا انحرافًا عنه وسوء
اعتقاد فيه فتغيّرت نيّته وعزم على الهرب فحضر عند الافضل وقال انّ
طايفةً من العرب قد اقتتلوا ولئن لم تمض اليهم تصلح بينهم يودّى ذلك
الى فساد فاذن له الافضل فى المضى اليهم ففارقه وسار مجدًّا حتّى وصل
الى البيت المقدّس ودخله وتغلّب عليه ولحقه جماعة من الناصريّة منهم
قراجة الزرد كش[2] وسراسنقر واحضروا عندهم ميمون القصرىّ صاحب نابلس
وهو ايضًا من المماليك الناصريّة فقويت شوكتهم به واجتمعت كلمتهم على
خلاف الافضل وارسلوا الى الملك العادل وهو على ماردين يطلبونه اليهم ليدخلوا
معه الى مصر ليملكوها فلم يسر اليهم لانّه كانت اطماعه قد قويت فى
اخذ ماردين وقد عجز مَن بها عن حفظها وانّه ياخذها والذى يريدونه
لا يفوته واما الافضل فانّه دخل الى القاهرة سابع ربيع الاوّل وسمع
بهرب جهاركس[1] فاهمّه ذلك وتردّدت الرسل بينه وبينهم ليعودوا اليه فلم
يزدادوا الّا بُعدًا ولحق بهم جماعة من الناصريّة ايضًا فاستوحش الافضل
من الباقين فقبض عليهم وهم شقيرة[3] وايبك[4] فطيس والبكى الفارس وكلّ
هولآء بطلٌ مشهور ومقدّم مذكور سوى من ليس مثلهم فى التقدّم وعُلوّ
القدر واقام الافضل بالقاهرة واصلح الامور وقرّر القواعد والمرجع فى جميع
الامور الى سيف الدين يازكج ۞

ذكر حصر الافضل مدينة دمشق وعوده عنها

لمّا ملك الافضل مصر واستقرّ بها ومعه ابن اخيه الملك العزيز اسم

1) جركس 2) C. P. et 740. Ups.: الركرمش 3) 740: شقير
4) Ups. repetit: وايبك C. P.: سُنقر

الملك له لصغره واجتمعت الكلمة على الافضل بها وصل اليه رسول اخيه الملك الظاهر غازى صاحب حلب ورسل ابن عمّه اسد الدين شيركوه بن محمّد بن شيركوه صاحب حمص يحثّانه على الخروج الى دمشق واغتنام الفرصة بغيبة العادل عنها وبذلا له المساعدة بالمال والنفس والرجال فبرز من مصر منتصف جمادى الاولى من السنة على عزم المسير الى دمشق واقام بظاهر القاهرة الى ثالث رجب ورحل فيه وتعوّق فى مسيره ولو بادر وعجّل المسير لملك دمشق لكنه تاخّر فوصل الى دمشق ثالث عشر شعبان فنزل عند جسر الخشب على فرسخ ونصف من دمشق وكان العادل قد ارسل اليه نوّابه بدمشق يعرّفونه قصد الافضل لهم ففارق ماردين وخلّف ولده الكامل محمّدًا فى جميع العساكر على حصارها وسار جريدة فجدّ فى السير فسبق الافضل فدخل دمشق قبل الافضل بيومَين واما الافضل فانّه تقدّم الى دمشق من الغد وهو رابع عشر شعبان ودخل ذلك اليوم بعينه طايفة يسيرة من عسقلان الى دمشق من باب السلامة وسبب دخولهم انّ قومًا من اجناده ممّن بيوتهم مجاورة الباب اجتمعوا بالامير مجد الدين اخى الفقيه عيسى الهكّارىّ وتحدّثوا معه فى ان يقصد هو والعسكر باب السلامة ليفتحوه لهم فاراد مجد الدين ان يختصّ بفتح الباب وحده فلم يُعْلِم الافضل ولا اخذ معه احدًا من الامرآء بل سار وحده بمفرده ومعه نحو خمسين فارسًا من اصحابه ففُتِح له الباب فدخله هو ومَن معه فلمّا رءاهم عامّة البلد نادوا بشعار الافضل واستسلم مَن به من الجند ونزلوا عن الاسوار وبلغ الخبر الى الملك العادل فكاد يستسلم وتماسك واما الذين دخلوا البلد فانّهم وصلوا الى باب البريد فلمّا راى عسكر العادل بدمشق قلّة عددهم وانقطاع مددهم وثبوا بهم واخرجوهم منه وكان الافضل قد نصب خيمه بالميدان الاخضر وقارب عسكره الباب الحديد وهو من ابواب القلعة فقدّر الله تعالى ان اشير على الافضل بالانتقال الى ميدان الحصى ففعل ذلك فقويت نفوس مَن فيه وضعفت نفوس العسكر المصرىّ ثمّ انّ الامرآء الاكراد منهم تحالفوا فصاروا يدًا واحدةً يغضبون لغضب احدهم ويرضون لرضى احدهم فظنّ الافضل وباقى الاسديّة انّهم فعلوا بقاعدة بينهم وبين الدمشقيّين فرحلوا من موضعهم وتاخّروا فى العشرين من

شعبان ووصل اسد الدين شيركوه صاحب حمص الى الافضل لخامس والعشرين من شعبان ووصل بعده الملك الظاهر صاحب حلب ثانى عشر شهر رمضان وارادوا الزحف الى دمشق فنعهم الملك الظاهر مكرًا باخيه وحسدًا له ولم يشعر اخوه الافضل بذلك، واما الملك العادل فانه لما راى كثرة العساكر وتتابع الامداد الى الافضل عظم عليه فارسل الى المماليك الناصرية بالبيت المقدس يستدعيهم اليه فساروا سلخ شعبان فوصل خبرهم الى الافضل فسيّر اسد الدين صاحب حمص ومعه جماعة من الامرآء الى طريقهم ليمنعوهم فسلكوا غير طريقهم فجآء اوليك ودخلوا دمشق خامس رمضان فقوى العادل بهم قوّة عظيمة وايس الافضل ومن معه من دمشق وخرج عسكر دمشق فى شوّال فكبسوا العسكر المصرى فوجدوهم قد حذروهم فعادوا عنهم خاسرين واقام العسكر على دمشق ما بين قوّة وضعف وانتصار وتخاذل حتى ارسل الملك العادل خلف ولده الملك الكامل محمّد وكان قد رحل عن ماردين على ما نذكره ان شآء الله تعالى وهو بحرّان فاستدعاه اليه بعسكره فسار على طريق البرّ فدخل الى دمشق ثانى عشر صفر سنة ستّ وتسعين وخمسمائة فعند ذلك رحل العسكر عن دمشق الى ذيل جبل الكسوة سابع عشر صفر واستقرّ ان يقيموا بحوران حتى يخرج الشتآء فرحلوا الى راس المآء وهو موضع شديد البرد فتغيّر العزم عن المقام واتّفقوا على ان يعود كلّ منهم الى بلده فعاد الظاهر صاحب حلب واسد الدين صاحب حمص الى بلادهما وعاد الافضل الى مصر فكان ما نذكره ان شآء الله تعالى

ذكر وفاة يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وولاية ابنه محمّد

فى هذه [السنة] ثامن عشر ربيع الاخر وقيل جمادى الاولى توفّى ابو يوسف يعقوب بن ابى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب والاندلس بمدينة سلا وكان قد سار اليها من مرّاكش وكان قد بنى مدينة محاذية لسلا وسمّاها المهديّة من احسن البلاد وانزههما فسار اليها يشاهدها فتوفّى بها وكانت ولايته خمس عشرة سنة وكان ذا جهاد للعدوّ ودين وحسن سيرة وكان يتظاهر بمذهب الظاهريّة واعرض عن مذهب مالك فعظم امر الظاهريّة فى ايّامه وكان بالمغرب منهم خلق كثير يقال لهم الحزميّة

منسوبون الى ابن محمّد بن حزم رئيس الظاهريّة الّا انّهم مغمورون بالمالكيّة ففى ايّامه ظهروا وانتشروا ثمّ فى اخر ايّامه استقصى الشافعيّة على بعض البلاد ومال اليهم ✿

ذكر عصيان اهل المهديّة على يعقوب وطاعتها لولده محمّد

كان ابو يوسف يعقوب صاحب المغرب لمّا عاد من افريقية كما ذكرناه سنة احدى وثمانين وخمسمائة استعمل ابا سعيد عثمان وابا علىّ يونس بن عمر اينتى[1] وهما وابوهما من اعيان الدولة فولّى عثمان مدينة تونس وولّى اخاه المهديّة وجعل قايد الجيش بالمهديّة محمّد بن عبد الكريم وهو شجاع مشهور فعظمت نكايته فى العرب فلم يبق منهم الّا من يخافه فاتّفق انّه اتاه الخبر بانّ طايفة من عوف نازلين بمكان فخرج اليهم وعدل عنهم حتّى جازهم ثمّ اقبل عايدًا يطلبهم واتاهم الخبر بخروجه اليهم فهربوا من بين يديه فلقيهم امامهم فهربوا وتركوا المال والعيال من غير قتال فاخذ الجميع ورجع الى المهديّة وسلّم العيال الى الوالى واخذ من الاسلاب والغنيمة ما شآء وسلّم الباقى الى الوالى والى الجند ثمّ انّ العرب من بنى عوف قصدوا ابا سعيد بن عمر اينتى[1] فوحّدوا وصاروا من حزب الموحّدين واستجاروا به فى ردّ عيالهم واموالهم فاحضر محمّد بن عبد الكريم وامره باعادة ما اخذ لهم من النعم فقال اخذه الجند ولا اقدر على ردّه فاغلظ له فى القول واراد ان يبطش به فاستمهله الى ان يرجع الى المهديّة ويسترد من الجند ما يجده عندهم وما عدم منه غرم العوض عنه من ماله فامهله فعاد الى المهديّة وهو خايف فلمّا وصلها جمع اصحابه واعلمهم ما كان من ابى سعيد وحالفهم على موافقته فحلفوا له فقبض على ابى علىّ يونس وتغلّب على المهديّة وملكها فارسل اليه ابو سعيد فى معنى اطلاق اخيه يونس فاطلقه على اثنا عشر الف دينار فلمّا ارسلها اليه ابو سعيد فرّقها فى الجند واطلق يونس وجمع ابو سعيد العساكر واراد قصد محاصرته فارسل محمّد بن عبد الكريم الى علىّ بن اسحق الملثّم فحالفه واعتضد به فامتنع ابو سعيد من قصده ومات يعقوب وولى ابنه محمّد فسيّر عسكرًا

---

1) نيتى

مع عمّه فى البحر وعسكرًا اخر فى البرّ مع ابن عمّه لحسن ابن ابى حفص بن عبد المؤمن فلمّا وصل عسكر البحر الى بجاية وعسكر البرّ الى قسنطينة الهوى هرب الملثّم ومَن معه من العرب من بلاد افريقية الى الصحرآء ووصل الاسطول الى المهديّة فشكا محمّد بن عبد الكريم ما لقى من ابى سعيد وقال انا على طاعة امير المومنين محمّد ولا اسلمها الى ابى سعيد وانّما اسلمها الى من [يرسله] امير المومنين فارسل محمّد مَن يتسلّمها منه وعاد الى الطاعة ❁

ذكر رحيل عسكر الملك العادل عن ماردين

فى هذه السنة زال لحصار عن ماردين ورحل عسكر الملك العادل عنها مع ولده الملك الكامل وسبب ذلك انّ الملك العادل لمّا حصر[1] ماردين عظم ذلك على نور الدين صاحب الموصل وغيره من ملوك ديار بكر والجزيرة وخافوا ان ملكها لا يُبقى عليهم الّا انّ العجز عن منعه [حملهم][2] على طاعته فلمّا توفّى العزيز صاحب مصر وملك الافضل مصر كما ذكرناه وبينه وبين العادل اختلافٌ فارسل اخذ عسكر مصر من عنده وارسل الى نور الدين صاحب الموصل وغيره من الملوك يدعوهم الى موافقته فاجابوه الى ذلك فلمّا رحل الملك العادل عن ماردين الى دمشق كما ذكرناه برز نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل عنها ثانى شعبان وسار الى دنيسر فنزل عليها ووافقه ابن عمّه قطب الدين محمّد بن زنكى بن مودود صاحب سنجار وابن عمّه الاخر سنجر شاه بن غازى بن مودود صاحب جزيرة ابن عمر فاجتمعوا كلّهم بدنيسر الى ان عيّدوا عيد الفطر ثمّ ساروا عنها سادس شوّال ونزلوا بحَرْزَم[3] وتقدّم العسكر الى تحت الجبل ليرتادوا موضعًا للنزول وكان اهل ماردين قد عدمت الاقوات عندهم وكثرت الامراض فيهم حتّى انّ كثيرًا منهم كان لا يطيق القيام فلمّا راى النظام وهو لحاكم فى دولة صاحبها ذلك ارسل الى ابن العادل فى تسليم القلعة اليه الى اجل معلوم ذكره على شرط ان يتركهم يدخل اليهم من الميرة ما يقوتهم حسبُ فاجابهم الى ذلك وتحالفوا عليه ورفعوا اعلامهم الى راس القلعة وجعل ولد العادل بباب القلعة اميرًا لا

---

[1] حصر (C. P.
[2] C. P.
[3] C. P. 740: حرزم Ups.: حردم

يترك يدخلها من الاطعمة الّا ما يكفيهم يومًا بيوم فاعطى مَن بالقلعة ذلك الامير شيأً فمكّنهم من ادخال الذخاير الكثيرة فبينما هم كذلك اذ اتاهم خبر وصول نور الدين صاحب الموصل فقويت نفوسهم وعزموا على الامتناع فلمّا تقدّم عسكره الى ذيل جبل ماردين قدّر الله تعالى انّ الملك الكامل بن العادل نزل بعسكر من ربض ماردين الى لقآء نور الدين وقتاله ولو اقاموا بالربض لم يمكن نور الدين ولا غيره الصعود اليهم ولا ازالتهم لكن نزلوا ليقضى الله امرًا كان مفعولًا فلمّا اصحروا من الجبل اقتتلوا وكان من عجيب الاتّفاق انّ قطب الدين صاحب سنجار وكان قد واعد العسكر العادلىّ ان ينهزم اذا التقوا ولم يُعلم بذلك احدًا من العسكر فقدّر الله تعالى انّه لمّا نزل العسكر العادلىّ واصطفّت العساكر للقتال لجت قطب الدين الضرورة بالزحمة الى ان وقف فى سفح بجبل ماردين ليس اليه طريق للعسكر العادلىّ ولا يرى لحرب الواقعة بينهم وبين نور الدين ففاته ما اراده من الانهزام ء فلمّا التقى العسكران واقتتلوا حمل ذلك اليوم نور الدين بنفسه واصطلى لحرب الناس انفسهم بين يديه فانهزم العسكر العادلىّ وصعدوا فى الجبل الى الربض وأُسر منهم كثير فحُملوا الى بين يدى نور الدين فاحسن اليهم ووعدهم الاطلاق اذا انفصلوا ولم يظنّ انّ الملك الكامل ومَن معه يرحلون عن ماردين سريعًا فجآءهم امرٌ لم يكن فى الحساب فانّ الملك الكامل لمّا صعد الى الربض راى اهل القلعة قد نزلوا الى الذين جعلوهم بالربض من العسكر فقاتلوهم ونالوا منهم ونهبوا فالقى الله الرعب فى قلوب الجميع فاعملوا رايهم على مفارقة الربض ليلًا فرحلوا ليلة الاثنين سابع شوّال وتركوا كثيرًا من اثقالهم ورحالهم وما اعدّوه فاخذه اهل القلعة ولو ثبت العسكر العادلى بمكانه لم يمكن احد ان يقرب منهم ولمّا رحلوا نزل صاحب ماردين حسام الدين يولق بن ايلغازى[1] الى نور الدين ثمّ عاد الى حصنه وعاد اتابك الى دنيسر ورحل عنها الى راس عين على عزم قصد حرّان وحصرها فاتاه رسولٌ من الملك الظاهر يطلب الخطبة والسكّة وغير ذلك فتغيّرت نيّة نور الدين وفتر عزمه عن حصرها

---

1) يرلق بن ايلغاى

فعزم على العود الى الموصل فهو يقدّم الى العود رجْلًا ويوخّر اخرى ان اصابه مرض فتحقّق عزم العود الى الموصل فعاد اليها وارسل رسولًا الى الملك الافضل والملك الظاهر يعتذر عن عوده بمرضه فوصل الرسول ثانى ذى الحجّة اليهم وهم على دمشق وكان عود نور الدين من سعادة الملك العادل فانّه كان هو وكلّ مَن عنده ينتظرون ما يجئ من اخباره فانّ مَن بحرّان استسلموا فقدّر الله تعالى انّه عاد فلمّا عاد جآء الملك الكامل الى حرّان وكان قد سار على ماردين الى ميّافارقين فلمّا رجع نور الدين سار الكامل الى حرّان وسار الى ابيه بدمشق على ما ذكرناه فازداد به قـوّة والافـضـل ومَن مـعـه ضُـعْـفًـا ٭

ذكر الفتنة بفيروزكوه من خراسان

فى هذه السنة كانت فتنة عظيمة بعسكر غياث الدين ملك الغور وغزنة وهو بفيروزكوه عمّت الرعيّة والملوك والامرآء وسببها انّ الفخر محمّد بن عمر بن الحسين الرازىّ الامام المشهور الفقيه الشافعىّ كان قدم الى غياث الدين مفارقًا لبهآء الدين سام[1] صاحب باميان وهو ابن اخت غياث الدين فاكرمه غياث الدين واحترمه وبالغ فى اكرامه وبنى له مدرسة بهراة بالقرب من الجامع فقصده الفقهآء من البلاد فعظم ذلك على الكراميّة وهم كثيرون بهراة وامّا الغوريّة فكلّهم كراميّة وكرهوه وكان اشدّ الناس عليه الملك ضيآء الدين وهو ابن عمّ غياث الدين وزوج ابنته فاتّفق ان حضر الفقهآء من الكراميّة والحنفيّة والشافعيّة عند غياث الدين بفيروزكوه للمناظرة وحضر فخر الدين الرازىّ والقاضى مجد الدين عبد المجيد بن عمر[2] المعروف بالقدوة وهو من الكراميّة الهيصميّة[3] وله عندهم محلّ كبير لزهده وعلمه وبيته فتكلّم الرازىّ فاعترض عليه ابن القدوة وطال الكلام فقام غياث الدين فاستطال عليه الفخر وسبّه وشتمه وبالغ فى اذاه وابن القدوة لا يزيد على ان يقول لا يفعل مولانا الّا[4] واخذك الله استغفر الله فانفصلوا على هذا وقام ضيآء الدين فى هذه الحادثة وشكى الى غياث الدين وذمّ الفخر ونسبه الى الزندقة ومذهب الفلاسفة فلم يصْغ

---

1) سامه 2) عم 3) الهيصمية 4) لا

غياث الدين اليه فلمّا كان الغد وعظ ابن عمر[1] المجد بن القدوة بالجامع فلمّا صعد المنبر قال بعد ان حمد الله وصلّى على النبىّ صلّعم لا اله الّا الله ربّنا امنّا بما انزلتَ واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ، ايّها الناس انّا لا نقول الّا ما صحّ عندنا عن رسول الله صلّعم وامّا علم ارسطاطاليس وكفريّات ابن سينا وفلسفة الفارابىّ فلا نعلمها فلاىّ حال يُشتم بالامس شيخ من شيوخ الاسلام ويذبّ عن دين الله وعن سنّة نبيّه وبكى وضجّ الناس وبكى الكراميّة واستغاثوا واعانهم من يوثر بُعد الفخر الرازىّ عن السلطان وثار الناس من كلّ جانب وامتلأ البلد فتنةً وكادوا يقتتلون ويجرى ما يهلك فيه خلق كثير فبلغ ذلك السلطانَ فارسل جماعة من عنده الى الناس وسكّنهم ووعدهم باخراج الفخر من عندهم وتقدّم اليه بالعود الى هراة فعاد اليها ❊

ذكر مسير خوارزم شاه الى الرىّ

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل سار خوارزم شاه علاء الدين تكش الى الرىّ وغيرها من بلاد الجبل لانّه بلغه انّ نايبه بها مياجق قد تغيّر عن طاعته فسار اليه فخافه مياجق فجعل يفرّ من بين يديه وخوارزم شاه فى طلبه يدعوه الى الحضور عنده وهو يمتنع فاستامن اكثر اصحابه الى خوارزم شاه وهرب هو فحصل بقلعة من اعمال مازندران[2] فامتنع بها فسارت العساكر فى طلبه فأُخذ منها واحضر بين يدى خوارزم شاه فامر بحبسه بشفاعة اخيه اقاجة ، وسُيّرت الخلع من الخليفة لخوارزم شاه ولولده قطب الدين محمّد وتقليد بما بيده من البلاد فلبس الخلعة واشتغل بقتال الملاحدة فافتتح قلعة على باب قزوين تسمّى ارسلان كشاه[3] وانتقل الى حصار أَلَمُوت فقتل عليها صدر الدين محمّد بن الوزان رئيس الشافعيّة بالرىّ وكان قد تقدّم عنده تقدّمًا عظيمًا قتله الملاحدة وعاد خوارزم شاه الى خوارزم فوثب الملاحدة على وزيره نظام المُلك مسعود بن علىّ فقتلوه فى جمادى الاخرة سنة ثلاث وتسعين فامر تكش ولده قطب الدين بقصد الملاحدة فقصد قلعة ترشيش[4] وهى من قلاعهم فحصرها فاذعنوا له

---

[1]) عم [2]) بازندران [3]) C. P. 740: كساه Ups.: شاه
[4]) C. P. 740: درسمش Ups.: برشيش

بالطاعة وصالحوه على مائة الف دينار ففارقها وانّما صالحهم لانّه بلغه خبر مرض ابيه وكانوا يراسلونه بالصلح فلا يفعل فلمّا سمع بمرض ابيه لم يرحل حتّى صالحهم على المال المذكور والطاعة ورحل ٭

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل توفّى مجاهد الدين قايماز رحمه الله بقلعة الموصل وهو الحاكم فى دولة نور الدين والمرجوع اليه فيها وكان ابتدآء ولايته قلعة الموصل فى ذى الحجّة سنة احدى وسبعين وخمسمائة وولى اربل سنة تسع [وخمسين] وخمسماية فلمّا مات زين الدين علىّ كوكج سنة ثلاث وستّين بقى هو الحاكم فيها ومعه مَن يختاره من اولاد زين الدين ليس لواحد منهم معه حكم وكان عاقلًا اديبًا خبيرًا فاضلًا يعرف الفقه على مذهب ابى حنيفة ويحفظ من التاريخ والاشعار والحكايات شيأً كثيرًا وكان كثير الصوم يصوم من كلّ سنة نحو اربعة اشهر وله اوراد كثيرة حسنة كلّ ليلة ويكثر الصدقة وكان له فراسة حسنة فيمن يستحقّ الصدقة ويعرف الفقير المستحقّ ويبرّهم وبنى عدّة جوامع منها الجامع الذى بظاهر الموصل بباب الجسر وبنى الرُّبط والمدارس والخانات فى الطرق وله من المعروف شئ كثير رحمه الله فلقد كان من محاسن الدنيا ؞ وفيها فارق غياث الدين صاحب غزنة وبعض خراسان مذهب الكراميّة وصار شافعىّ المذهب وكان سبب ذلك انّه كان عبده انسان يعرف بالفخر مبارك شاه يقول الشعر بالفارسيّة متفنّنًا فى كثير من العلوم فاوصل الى غياث الدين الشيخ وجيه الدين ابا الفتح محمّد بن محمود المروروذىّ [1] الفقيه الشافعىّ فاوضح له مذهب الشافعىّ وبيّن له فساد مذهب الكراميّة فصار شافعيًّا وبنى المدارس للشافعيّة وبنى بغزنة مسجدًا لهم ايضًا واكثر مراعاتهم فسعى الكراميّة فى اذى وجيه الدين فلم يقدّرهم الله تعالى على ذلك ؞ وقيل انّ غياث الدين واخاه شهاب الدين لمّا ملكا فى خراسان قيل لهما انّ الناس فى جميع البلاد يزرون على الكراميّة ويحتقرونهم والراى ان تفارقوا مذاهبهم فصارا شافعيّين وقيل انّ شهاب الدين كان حنفيًّا والله

---

1) المرزودى

اعلم ، وفى هذه السنة توفّى ابو القاسم يحى بن علىّ بن فضلان الفقيه الشافعىّ وكان اماما فاضلا ودرّس ببغداد وكان من اعيان اصحاب [محمّد بن يحيى][1] يحيى النيسابورىّ ٭

ثم دخلت سنة ستّ وتسعين وخمسماية ،

سنة ٥٩٦

ذكر ملك العادل الديار المصريّة

قد ذكرنا سنة خمس وتسعين حصر الافضل والظاهر ولدى صلاح الدين دمشق ورحيلهما الى راس المآء على عزم المقام بحوران الى ان يخرج الشتآء فلمّا اقاموا براس المآء وجد العسكر بردًا شديدًا لانّ البرد فى ذلك المكان فى الصيف موجود فكيف فى الشتآء فتغيّر العزم على المقام واتّفقوا على ان يعود كلّ انسان منهم الى بلده ويعودوا الى الاجتماع فتفرّقوا تاسع ربيع الاوّل فعاد الظاهر وصاحب حمص الى بلادهما وسار الافضل الى مصر فوصل بلبيس فاقام بها ووصلته الاخبار بانّ عمّه الملك العادل قد سار من دمشق قاصدًا مصر ومعه المماليك الناصريّة وقد حلّفوه على ان يكون ولد الملك العزيز هو صاحب البلاد وهو المدبّر للملك الى ان يكبر فساروا على هذا وكان عسكره بمصر قد تفرّق عن الافضل من الخشبى فسار كلّ منهم الى اقطاعه ليربعوا دوابّهم فرام الافضل جمعهم من اطراف البلاد فاعجله الامر عن ذلك ولم يجتمع منهم الّا طايفة يسيرة ممّن قرب اقطاعه ووصل العادل فاشار بعض الناس على الافضل ان يخرّب سور بلبيس ويقيم بالقاهرة واشار غيرهم بالتقدّم الى اطراف البلاد ففعل ذلك فسار عن بلبيس ونزل موضعًا يقال له السايح فى طرف البلاد والتقى هو والعادل سابع ربيع الاخر فانهزم الافضل ودخل القاهرة ليلًا وفى تلك الليلة توفّى القاضى الفاضل عبد الرحيم بن علىّ البيسانىّ كاتب الانشآء لصلاح الدين ووزيره فحضر الافضل الصلاة عليه ، وسار العادل فنزل على القاهرة وحصرها فجمع الافضل مَن عنده من الامرآء واستشارهم فراى منهم تخاذلًا فارسل رسولًا الى عمّه فى الصلح وتسليم البلاد اليه واخذ العوض عنها وطلب دمشق فلم يجبه العادل فنزل عنها [الى] حرّان

---

[1]) 740.

والرّها فلم يجبه فنزل الى ميّافارقين وحانى وجبل جور فاجابه الى ذلك وتحالفوا عليه وخرج الافضل من مصر ليلة السبت ثامن عشر ربيع الاخر واجتمع بالعادل وسار الى صرخد ودخل العادل الى القاهرة يوم السبت ثامن عشر ربيع الاخر ولمّا وصل الافضل الى صرخد ارسل مَن تسلّم ميّافارقين وحانى وجبل جور فامتنع نجم الدين ايّوب بن الملك العادل من تسليم ميّافارقين وسلّم ما عداها فتردّدت الرسل بين الافضل والعادل فى ذلك والعادل يزعم انّ ابنه عصاه فامسك عن المراسلة فى ذلك لعلمه انّ هذا فعل بامر العادل ، ولمّا ثبت قدم العادل بمصر قطع خطبة الملك المنصور بن الملك العزيز فى شوّال من السنة وخطب لنفسه وحاقق الجند فى اقطاعاتهم واعترضهم فى اصحابهم ومَن عليهم من العسكر المقرّر فتغيّرت لذلك نيّاتهم فكان ما نذكره سنة سبع وتسعين ان شآء الله ✿

ذكر وفاة خوارزم شاه

فى هذه السنة فى العشرين من رمضان توفّى خوارزم شاه تكش بن ايل[1] ارسلان صاحب خوارزم وبعض خراسان والرىّ وغيرها من البلاد الجباليّة بشهرستانة بين نيسابور وخوارزم وكان قد سار من خوارزم الى خراسان وكان به خوانيق فاشار عليه الاطبّآء بترك الحركة فامتنع وسار فلمّا بلغ شهرستانة اشتدّ مرضه ومات ولمّا اشتدّ مرضه ارسلوا الى ابنه قطب الدين محمّد يستدعونه ويعرّفونه شدّة مرض ابيه فسار اليهم وقد مات ابوه فولى المُلك بعده ولُقّب علآء الدين لقب ابيه وكان لقبه قطب الدين وأَمر فحُمل ابوه ودُفن بخوارزم فى تربة عملها فى مدرسة بناها كبيرة عظيمة وكان عادلًا حسن السيرة له معرفة حسنة وعلم يعرف الفقه على مذهب ابى حنيفة ويعرف الاصول ، وكان ولده علىّ شاه باصفهان فارسل اليه اخوه خوارزم شاه محمّد يستدعيه فسار اليه فنهب أهل اصفهان خزانته ورحله فلمّا وصل الى اخيه ولّاه حرب خراسان والتقدّم على جندها وسلّم اليه نيسابور وكان هندوخان ملكشاه بن خوارزم شاه تكش يخاف عمّه محمّدًا فهرب منه ونهب كثيرًا من خزاين جدّه تكش لمّا مات وكان

---

1) البـ

معه وسار الى مرو ولمّا سمع غياث الدين ملك غزنة وفاة خوارزم شاه
امر ان لا تضرب نوبته ثلاثة ايّام وجلس للعزآء على ما بينهما من العداوة
والمحاربة فعل ذلك عقلاً منه ومروّة ❁ ثمّ انّ هندوخان جمع جمعًا كثيرًا
بخراسان فسيّر اليه عمّه خوارزم شاه جيشًا مقدّمهم جقر التركىّ فلمّا
سمع هندوخان بمسيرهم هرب عن خراسان وسار الى غياث الدين يستنجده
على عمّه فاكرم لقاءه وانزاله واقطعه ووعده النصرة فاقام عنده ودخل
جقر مدينة مرو وبها والدة هندوخان واولاده فاستظهر عليهم واعلم صاحبه
فامره بارسالهم الى خوارزم مكرمين فلمّا سمع غياث الدين ذلك ارسل الى
محمّد بن جربك[1] صاحب الطالقان يامره ان يرسل جقر يتهدّده ففعل
وسار من الطالقان فاخذ مرو الروذ[2] والخمس قُرى وتسمّى بالفارسيّة بنج ده
وارسل الى جقر يامره باقامة الخطبة بمرو لغياث الدين او يفارق البلد
فاعاد الجواب يتهدّد ابن جربك[1] ويتوعّده وكتب اليه سرًّا يساله ان
ياخذ له امانًا من غياث الدين ليحضر خدمته فكتب الى غياث الدين
بذلك فلمّا قرأ كتابه علم انّ خوارزم شاه ليس له قوّة فلهذا طلب
جقر الانحياز اليه فقوى طمعه فى البلاد وكتب الى اخيه شهاب الدين
يامره بالخروج الى خراسان ليتّفقا على اخذ بلاد خوارزم شاه محمّد ❁

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى جمادى الاخرة وثب الملاحدة الاسماعيليّة على نظام
الملك مسعود بن علىّ وزير خوارزم شاه تكش فقتلوه وكان صالحًا كثير
الخير حسن السيرة شافعىّ المذهب بنى للشافعيّة بمرو جامعًا مشرفًا على
جامع الحنفيّة[3] فتعصّب شيخ الاسلام وهو مقدّم الحنابلة بها فيهم والرياسة
وجمع الاوباش فاحرقه[4] فانفذ خوارزم شاه فاحضر شيخ الاسلام وجماعة ممّن
سعى فى ذلك فاغرمهم مالاً كثيرًا وبنى الوزير ايضًا مدرسة عظيمة بخوارزم
وجامعًا وجعل فيها خزانة كتب وله اثار حسنة بخراسان باقية ولمّا مات
خلف ولدًا صغيرًا فاستوزره خوارزم شاه رعايةً لحقّ ابيه فاشير عليه ان
يستعفى فارسل يقول انّنى صبىّ لا اصلح لهذا المنصب الجليل فيولى السلطان

---

1) حربك
2) 740 addit: ودره الروذ et Ups.: وده
3) 740. Ups.: الحنابلة
4) باجرقه

فيه من يصلح له الى ان اكبر فان كنتُ اصلح فانا المملوك فقال خوارزم شاه لستُ اعفيك وانا وزيرك فكن راجعنى فى الامور فانّه لا يقف منها شئ فاستحسن الناس هذا ثمّ انّ الصبىّ لم تطلْ ايّامه فتوفّى قبل خوارزم شاه بيسير، وفى هذه السنة فى ربيع الاوّل توفّى شيخنا ابو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهّاب ابن كليب الحرّانىّ المقيم ببغداد وله ستّ وتسعون سنة وشهران وكان عالى الاسناد فى الحديث وكان ثقة صحيح السماع، وفى ربيع الاخر منها توفّى القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانىّ الكاتب لم يكن فى زمانه احسن كتابة منه ودُفن بظاهر مصر بالقرافة وكان ديّنًا كثير الصدقة والعبادة وله وقوف كثيرة على الصدقة وفكّ الاسارى وكان يكثر الحجّ والمجاورة مع اشتغاله بخدمة السلطان وكان السلطان صلاح الدين يُعظمه ويحترمه ويكرمه ويرجع الى قوله رحمهما الله ❁

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسماية، سنة ٥٩٧

ذكر مُلك الملك الظاهر صاحب حلب منبج وغيرها من الشام وحصره هو واخوه الافضل مدينة دمشق وعودهما عنها

قد ذكرنا قبلُ مُلك العادل ديار مصر وقطعه خطبة الملك المنصور ولد الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن ايّوب وانّه لمّا فعل ذلك لم يرضه الامرآء المصريّون وخبثت نيّاتهم فى طاعته فراسلوا اخوته الظاهر بحلب والافضل بصرخد وتكرّرت المكاتبات والمراسلات بينهم يدعونهما الى قصد دمشق وحصرها ليخرج الملك العادل اليهم فاذا خرج اليهم [من] مصر اسلموه وصاروا معهما فيملكا البلاد وكثر ذلك حتّى فشا الخبر واتّصل بالملك العادل وانضاف الى ذلك انّ النيل لم يزد بمصر الزيادة التى تركب الارض ليزرع الناس فكثر الغلآء فضعفت قوّة الجند وكان فخر الدين جهاركس قد فارق مصر الى الشام هو وجماعة من المماليك الناصريّة لحصار بانياس لياخذها لنفسه بامر العادل وكانت لامير كبير تركىّ اسمه بشارة قد اتّهمه العادل فامر جهاركس بذلك وكان امير من امرآء العادل يعرف بعزّ الدين اسامة قد حجّ هذه السنة فلمّا عاد من الحجّ وقارب صرخد نزل الملك الافضل فلقيه واكرمه ودعاه الى نفسه فاجابه وحلف له

وعرّفه الافضل جليّة الحال وكان اسامة من بطانة العادل وانّما حلف لينكشف
له الامر فلمّا فارق الافضل ارسل الى العادل وهو بمصر يُعرّفه الخبر جميعه
فارسل الى ولده الذى بدمشق يامره بحصر الافضل بصرخد وكتب الى
اياس جركس وميمون القصرىّ صاحب بلبيس وغيرهما من الناصريّة يامرهم
بالاجتماع مع ولده على حصر الافضل ، وسمع الافضل الخبر فسار الى اخيه
الظاهر بحلب مستهلّ جمادى الاولى من السنة ووصل الى حلب عاشر الشهر
وكان الظاهر قد ارسل اميرًا كبيرًا من امرآيه الى عمّه العادل فمنعه العادل
من الوصول اليه وامره بان يكتب رسالته فلم يفعل وعاد لوقته فتحرّك
الظاهر لذلك وجمع عسكره وقصد منبج فلكها للسادس والعشرين من رجب
وسار الى قلعة نجم وحصرها فتسلّمها سلخ رجب ، وامّا الملك المُعظم عيسى
بن العادل المقيم بدمشق فانّه سار الى بُصرى وارسل الى جهاركس ومن
معه وهم على بانياس يحصرونها يدعوهم اليه فلم يجيبوه الى ذلك بل غالطوه
فلمّا طال مقامه على بُصرى عاد الى دمشق وارسل الامير اسامة اليهم
يدعوهم الى مساعدته فاتّفق انّه جرى بينه وبين البكآء الفارس بعض المماليك
الكبار الناصريّة منافرة اغلظ له البكآء القول وتعدّى الى الفعل باليد وثار
العسكر جميعه على اسامة فاستذمّ بميمون فامّنه واعاده الى دمشق واجتمعوا
كلّهم عند الملك الظافر خضر بن صلاح الدين وانزلوه من صرخد وارسلوا
الى الملك الظاهر والافضل يحثّونهما على الوصول اليهم والملك الظاهر يتربّص
ويتعوّق فوصل من منبج الى حماة فى عشرين يومًا واقام على حماة يحصرها
وبها صاحبها ناصر الدين محمّد بن تقى الدين الى تاسع عشر شهر
رمضان فاصطلحا وحمل له ابن تقى الدين ثلاثين الف دينار صوريّة
وساروا عنها الى حمص وسار منها الى دمشق على طريق بعلبكّ فنزلوا
عليها عند مسجد القدم فلمّا نزلوا على دمشق اتاهم المماليك الناصريّة مع
الملك الظافر خضر بن صلاح الدين وكانت القاعدة استقرّت بين الظاهر
واخيه الافضل انّهم اذا ملكوا دمشق تكون بيد الافضل ويسيرون الى
مصر فاذا ملكوها تسلّم الظاهر دمشق فيبقى الشام جميعه له وتبقى مصر
للافضل وسلّم الافضل صرخد الى زين الدين قراجة مملوك والده لتحصر
فى خدمته وانزل والدته واهله منها وسيّرهم الى حمص فاقاموا عند اسد

الدين شيركوه صاحبها وكان الملك العادل قد سار من مصر الى الشام فنزل [على] مدينة نابلس وسيّر جمعًا من العسكر الى دمشق ليحفظها فوصلوا قبل وصول الظاهر والافضل وحضر فخر الدين جهاركس وغيره من الناصريّة فوصلوا قبل وصول الظاهر والافضل وزحفوا الى دمشق وقاتلوها رابع عشر ذى القعدة واشتدّ القتال عليها فالتصق الرجال بالسور فادركهم الليل فعادوا وقد قوى الطمع فى اخذها ثمّ زحفوا اليها مرّة ثانية وثالثة فلم يبق الّا مُلكها لانّ العسكر صعد الى سطح خان ابن المقدّم وهو ملاصق السور فلو لم يدركهم الليل لملكوا البلد فلمّا ادركهم الليل وهم عازمون على الزحف بكرة وليس لهم عن البلد مانع حسد الظاهر اخاه الافضل فارسل اليه يقول له تكون دمشق له وبيده ويُسير العساكر معه الى مصر فقال له الافضل قد علمتُ انّ والدتى واهلى وهم اهلك ايضًا على الارض ليس لهم موضع ياوون اليه فاحسب انّ هذا البلد لك تعيرنا هو ليسكنه اهلى هذه المدّة الى ان يملك مصر فلم يجبه الظاهر فى ذلك ولجّ فلمّا راى الافضل ذلك الحال قال للناصريّة وكلّ من جآء اليهم من الجند ان كنتم جئتم الىّ فقد اذنتُ لكم فى العود الى العادل وان كنتم جيئتم الى اخى الظاهر فانتم وهو اخبرُ وكان الناس كلّهم يريدون الافضل فقالوا ما نريد سواك والعادل احبّ الينا من اخيك فاذن لهم فى العود فهرب فخر الدين جهاركس وزين الدين قراجة الذى اعطاه الافضل صرخد فنهم مَن دخل دمشق ومنهم مَن عاد الى اقطاعه فلمّا انفسخ الامر عليهم عادوا الى تجديد الصلح مع العادل فترددّت الرسل بينهم واستقرّ الصلح على ان يكون للظاهر منبج وافامية وكفرطاب وقُرًى معيّنة من المعرّة ويكون للافضل سميساط وسروج وراس العين وحملين ورحلوا عن دمشق اوّل المحرّم سنة ثمان وتسعين فقصد الافضل حمص فاقام بها وسار الظاهر الى حلب ووصل العادل الى دمشق تاسع المحرّم وسار الافضل اليه من حمص فاجتمع به بظاهر دمشق وعاد من عنده الى حمص وسار منها ليتسلّم سميساط فتسلّمها وتسلّم باقى ما استقرّ له براس العين وسروج وغيرها ۞

ذكر مُلك غياث الدين واخيه ما كان لخوارزم شاه بخراسان

قد ذكرنا مسير محمّد بن خرميل[1] من الطالقان واستيلآءه على
مروروذ وسؤال جقر التركيّ نايب علآء الدين محمّد خوارزم شاه بمرو ان
يكون فى جملة عسكر غياث الدين ولمّا وصل كتاب ابن خرميل[1] الى
غياث الدين فى معنى جقر علم انّ هذا انّما دعاه الى الانتمآء اليهم ضعف
صاحبه فارسل الى اخيه شهاب الدين يستدعيه الى خراسان فسار من
غزنة فى عساكره وجنوده وعدّته وما يحتاج اليه ، وكان بهراة الامير عمر
بن محمّد المرغنىّ[2] نايبًا عن غياث الدين وكان يكره خروج غياث الدين
الى خراسان فاحضره غياث الدين واستشاره فاشار بالكفّ عن قصدها وترك
المسير اليها فانكر عليه ذلك واراد ابعاده عنه ثمّ تركه ووصل شهاب
الدين فى عساكره وعساكر سجستان وغيرها فى جمادى الاولى من هذه
السنة فلمّا وصلوا الى ميمنة وهى قرية بين الطالقان وكرزبان[3] وصل الى
شهاب الدين كتاب جقر مستحفظ مروّ يطلبه ليسلّمها اليه فاستاذن اخاه
غياث الدين فاذن له فسار اليها فخرج اهلها مع العسكر الخوارزمىّ وقاتلوه
فامر اصحابه بالحملة عليهم والجدّ فى قتالهم فحملوا عليهم فادخلوهم البلد
وزحفوا بالفيلة الى ان قاربوا السور فطلب اهل البلد الامان فامّنهم وكفّ
الناس عن التعرّض اليهم وخرج جقر الى شهاب الدين فوعده الجميل ثمّ
حضر غياث الدين الى مرو بعد فتحها فاخذ جقر وسيّره الى هراة
مكرمًا وسلّم مرو الى هندوخان بن ملكشاه بن خوارزم شاه تكش وقد
ذكرنا هربه من عمّه خوارزم شاه محمّد بن تكش الى غياث الدين
ووصّاه بالاحسان الى اهلها ثمّ سار غياث الدين الى مدينة سرخس
فاخذها صلحًا وسلّمها الى الامير زنكى بن مسعود وهو من اولاد عمّه
واقطعه معها نسا وابيورد ثمّ سار بالعساكر الى طوس فاراد الامير الذى
بها ان يمتنع فيها ولا يسلّمها فاغلق باب البلد ثلاثة ايّام فبلغ الخبز
ثلاثة أمنًا بدينار ركنىّ فضجّ اهل البلد عليه فارسل الى غياث الدين
يطلب الامان فامّنه فخرج اليه فخلع عليه وسيّره الى هراة ولمّا ملكها ارسل
الى علىّ شاه بن خوارزم شاه تكش وهو نايب اخيه علآء الدين محمّد

---

1) حرميل 2) المرعنى 3) وحرربان

بنيسابور يامره بمفارقة البلد ويحذره ان اقام سطوة اخيه شهاب الدين وكان مع علىّ شاه عسكر من خوارزم شاه فاتّفقوا على الامتناع من تسليم البلد وحصره وخرّبوا ما بظاهره من العمارة وقطعوا الاشجار وسار غياث الدين الى نيسابور فوصل اليها اوايل رجب وتقدّم عسكر اخيه شهاب الدين الى القتال فلمّا راى غياث الدين ذلك قال لولده محمود قد سَبَقَنا عسكر غزنة بفتح مرو وهم يريدون يفتحون نيسابور فيحصلون بالاسم فاحمل الى البلد ولا ترجع حتّى تصل السور فحمل وحمل معه وجوه الغوريّة فلم يردّهم احد من السور حتّى اصعدوا عَلَم غياث الدين اليه فلمّا راى شهاب الدين عَلَم اخيه على السور قال لاصحابه اقصدوا بنا هذه الناحية واصعدوا السور من هاهنا واشار الى مكان فيه فسقط السور منهدمًا فضجّ الناس بالتكبير وذهل الخوارزميّون واهل البلد ودخل الغوريّة البلد وملكوه عنوةً ونهبوه ساعة من نهار فبلغ الخبر الى غياث الدين فامر بالنداء مَن نهب مالاً او اذى احدًا فدمه حلال فاعاد الناس ما نهبوه عن اخره ، ولقد حدّثنى بعض اصدقآينا من التجار وكان بنيسابور فى هذه الحادثة نُهب من متاعى شئ من جملته سكر فلمّا سمع العسكر الندآء ردّوا جميع ما اخذوا منّى وبقى لى بساط وشئ من السكر مع جماعة فطلبتُه منهم فقالوا امّا السكر فاكلناه فنسالك ألّا يسمع احد وان اردتَ ثمنه اعطيناك ، فقلتُ انتم فى حلّ منه ولم يكن البساط مع اوليك قال فمشيتُ الى باب البلد مع النظارة فرايتُ البساط الذى لى قد أُلقى عند باب البلد لم يجسر احد ياخذه فاخذتُه وقلتُ هذا لى فطلبوا منّى مَن يشهد به فاحضرتُ مَن شهد لى واخذتُه ، ثمّ ان الخوارزميّين تحصّنوا بالجامع فاخرجهم اهل البلد فاخذهم الغوريّة ونهبوا ما لهم وأُخذ علىّ شاه بن خوارزم شاه وأُحضر عند غياث الدين راجلًا فانكر ذلك على من احضره وعظم الامر فيه وحضرت دابّة كانت لعلىّ شاه وقال لغياث الدين اهكذا يُفعل باولاد الملوك فقال لا بل هكذا واخذ بيده واقعده معه على السرير وطيّب نفسه وسيّر جماعة الامرآء الخوارزميّة الى هراة تحت الاستظهار واحضر غياث الدين ابن عمّه وصهره على ابنته ضيآء الدين محمّد بن ابى على الغورىّ وولّاه حرب خراسان وخراجها ولقّبه علآء

الدين وجعل معه وجوه الغوريّة ورحل الى هراة وسلّم علىّ شاه الى اخيه شهاب الدين واحسن الى اهل نيسابور وفرّق فيهم مالًا كثيرًا ثمّ رحل بعده شهاب الدين الى ناحية قهستان فوصل الى قرية فذُكر له انّ اهلها اسماعيليّة فامر بقتل المقاتلة ونهب الاموال وسبى الذرارى وخرّب القرية فجعلها خاوية على عروشها ثمّ سار الى كناباد[1] وهى من المدن التى جميع اهلها اسماعيليّة فنزل عليها وحصرها فارسل صاحب قهستان الى غياث الدين يشكوا اخاه شهاب الدين ويقول بيننا عهدٌ فما الذى بدا منّا حتّى تحاصر بلدى واشتدّ خوف الاسماعيليّة الذين بالمدينة من شهاب الدين فطلبوُا الامان ليخرجوا منه فامّنهم واخرجهم وملك المدينة وسلّمها الى بعض الغوريّة فاقام بها الصلوات وشعار الاسلام ورحل شهاب الدين فنزل على حصن اخر للاسماعيليّة فوصل اليه رسول اخيه غياث الدين فقال الرسول معى تقدّمٌ من السلطان فلا يجرى حردٌ ان فعلْته فقال لا ارحل قال اذن افعل ما امرنى قال افعل فسلّ سيفه وقطع اطناب سرادق شهاب الدين وقال ارحل بتقدّم السلطان فرحل شهاب الدين والعسكر وهو كاره الى بلد الهند ولم يُقم بغزنة غضبًا لما فعله اخوه معه ✿

ذكر قصد نور الدين بلاد العادل والصلح بينهما

فى هذه السنة ايضًا تجهّز نور الدين ارسلان صاحب الموصل وجمع عساكره وسار الى بلاد الملك العادل بالجزيرة حرّان والرُّها وكان سبب حركته انّ الملك العادل لمّا ملك مصر على ما ذكرناه قبلُ اتّفق نور الدين والملك الظاهر صاحب حلب وصاحب ماردين وغيرها على ان يكونوا يدًا واحدة متّفقين على منع العادل عن قصد احدهم فلمّا تجدّد حركة الافضل والظاهر ارسلان الى نور الدين ليقصد البلاد الجزريّة فسار عن الموصل فى شعبان من هذه السنة وسار معه ابن عمّه قطب الدين محمّد بن عماد الدين زنكى صاحب سنجار ونصيبين وصاحب ماردين ووصل الى راس العين وكان الزمان قيظًا فكثرت الامراض فى عسكره وكان بحرّان ولدُ العادل يُلقّب بالملك الفايز ومعه عسكر يحفظ البلاد فلمّا وصل نور

[1]) C. P.: كماناد :740 كماباد Ups.: كعاباد

الدين الى راس العين جآءت رسل الفايز ومن معه من اكابر الامرآء يطلبون الصلح ويرغبون فيه وكان نور الدين قد سمع بانّ الصلح بدا يتمّ بين الملك العادل والملك الظاهر والافضل وانضاف الى ذلك كثرة الامراض فى عسكره فاجاب اليه وحلّف الملك الفايز ومن عنده من اكابر الامرآء على القاعدة التى استقرّت وحلفوا انّهم يحلّفون الملك العادل له فان امتنع كانوا معه عليه وحلف هو للملك العادل وسارت الرسل من عنده ومن عند ولده فى طلب اليمين من العادل فاجاب الى ذلك وحلف له واستقرّت القاعدة وامنت البلاد وعاد نور الدين الى الموصل فى ذى القعدة من السنة ✿

ذكر مُلك شهاب الدين نهرواله[1]

لمّا سار شهاب الدين من خراسان على ما ذكرناه لم يُقم بغزنة وقصد بلاد الهند وارسل مملوكه قطب الدين ايبك الى نهرواله[1] فوصلها سنة ثمان وتسعين فلقيه عسكر الهنود فقاتلوه قتالاً شديدًا فهزمهم ايبك واستباح معسكرهم وما لهم فيه من الدوابّ وغيرها وتقدّم الى نهرواله[1] فملكها عنوة وهرب ملكها فجمع وحشد فكثر جمعه وعلم شهاب الدين انّه لا يقدر على حفظها الّا بان يقيم هو فيها ويخليها من اهلها ويتعذّر عليه ذلك فانّ البلد عظيم هو اعظم بلاد الهند واكثرهم اهلًا فصالح صاحبها على مال يؤدّيه اليه عاجلًا وآجلًا واعاد عساكره عنها وسلّمها الى صاحبها ✿

ذكر مُلك ركن[2] الدين ملطيّة من اخيه وارزن الروم

فى هذه السنة فى شهر رمضان ملك ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان مدينة ملطيّة وكانت لاخيه معزّ الدين قيصر شاه فسار اليه وحصره ايّامًا وملكها وسار منها الى ارزن الروم وكانت لولد الملك بن محمّد بن صلتق وهم بيت قد ملكوا هذه ارزن الروم مدّة طويلة فلمّا سار اليها وقاربها خرج صاحبها اليه ثقة به ليقرّر معه الصلح على قاعدة يوثرها ركن الدين فقبض عليه واعتقله عنده واخذ البلد وكان هذا اخر اهل بيته ملكوا فتبارك الله الحىّ القيوم الذى لا يزول ملكه ابدًا سرمدًا ✿

---

1) 740. C. P.: نهرواره Ups.: نهرواكه 2) نور

ذكر وفاة سقمان صاحب آمد وملك اخيه محمود

في هذه السنة توفي قطب الدين سقمان بن محمد بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان صاحب آمد وحصن كيفا سقط من سطح جوسق كان له بظاهر حصن كيفا فمات وكان شديد الكراهة لهذا اخيه والنفور عنه قد ابعده وانزله حصن منصور في اخر بلادهم واتخذ مملوكًا اسمه اياس فزوجه اخته واحبه حُبًّا شديدًا وجعله ولي عهده فلمّا توفي ملك بعده عدّة ايّام وتهدّد وزيرًا كان لقطب الدين وغيره من امرآء الدولة فارسلوا الى اخيه محمود سرًّا يستدعونه فسار مجدًّا فوصل الى آمد وقد سبقه اليها اياس مملوك اخيه فلم يقدم على الامتناع فتسلّم محمود البلاد جميعها وملكها وحبس المملوك فبقي مدّة محبوسًا ثمّ شفع له صاحب بلاد الروم فأُطلق من الحبس وسار الى الروم فصار اميرًا من امرآء الدولة ✿

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة اشتدّ الغلآء بالبلاد المصريّة لعدم زيادة النيل وتعذّرت الاقوات حتّى اكل الناس الميتة واكل بعضهم بعضًا ثمّ لحقهم عليه وبآء وموت كثير افنى الناس ، وفي شعبان منها تزلزلت الارض بالموصل وديار الجزيرة كلّها والشام ومصر وغيرها فاثّرت في الشام اثارًا قبيحة وخرّبت كثيرًا من الدور بدمشق وحمص وحماة وانخسفت قرية من قرى بُصرى واثّرت في الساحل الشاميّ اثرًا كثيرًا فاستولى الخراب على طرابلس وصور وعكّا ونابلس وغيرها من القلاع ووصلت الزلزلة الى بلد الروم وكانت بالعراق يسيرة لم تهدم دورًا ، وفيها ولد ببغداد طفل له راسان وذلك انّ جبهته مفروقة بمقدار ما يدخل فيها ميل ، وفي هذه السنة في شهر رمضان توفي ابو الفرج عبد الرحمن بن علىّ بن الجوزيّ الحنبليّ الواعظ ببغداد وتصانيفه مشهورة وكان كثير الوقيعة في الناس لا سيّما في العلمآء المخالفين لمذهبه والموافقين له وكان مولده سنة عشر وخمسمائة ، وفيه ايضًا توفي عيسى بن نُصير النميريّ الشاعر وكان حسن الشعر وله ادب وفضل وكان موته ببغداد ، وفيها توفي العماد ابو عبد الله محمّد بن محمّد بن حامد بن محمّد اوّله باللام المشدّدة وهو العماد الكاتب الاصفهانيّ كتب لنور الدين محمود بن زنكي ولصلاح الدين يوسف بن ايّوب رضي الله عنهما

وكان كاتبًا مفلقًا قادرًا على القول ، وفيها جمع عبد الله بن حمزة العلوىّ المتغلّب على جبال اليمن جموعًا كثيرة فيها اثنا عشر الف فارس ومن الرجّالة ما لا يحصى كثرةً وكان قد انضاف اليه من جند المعزّ بن اسمعيل بن سيف الاسلام طغدكين بن ايّوب صاحب اليمن خوفًا منه وايقنوا بملك البلاد واقتسموها وخافهم ابن سيف الاسلام خوفًا عظيمًا فاجتمع قوّاد عسكر ابن حمزة ليلًا ليتّفقوا على راى يكون العمل بمقتضاه وكانوا اثنى عشر قايدًا فنزلت عليهم صاعقة اهلكتهم جميعهم فاتى الخبر ابن سيف الاسلام فى باقى الليلة بذلك فسار اليهم مجدًّا فاوقع بالعسكر المجتمع فلم يثبتوا له وانهزموا بين يديه ووضع السيف فيهم فقُتل منهم ستّة الاف قتيل او اكثر من ذلك وثبت مُلكه واستقرّ امره ، وفيها وقع فى بنى عنزة بارض الشراة بين الحجاز واليمن وبآء عظيم وكانوا يسكنون فى عشرين قرية فوقع الوبآء فى ثمان عشرة قرية فلم يبق منهم احد وكان الانسان اذا قرب من تلك القرى يموت ساعة ما يقاربها فتحاماها الناس وبقى ابلهم واغنامهم لا مانع لها وامّا القريتان الاخريتان فلم يمت فيها احد ولا احسّوا بشىءٍ ممّا كان فيه اوليك ❊

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وخمسماية ، سنة ٥٩٨

ذكر مُلك خوارزم شاه ما كان اخذه الغوريّة من بلاده

قد ذكرنا فى سنة سبع وتسعين مُلك غياث الدين واخيه شهاب الدين ما كان لخوارزم شاه محمّد بن تكش بخراسان مرو ونيسابور وغيرهما وعودهما عنها بعد ان اقطعا البلاد ومسير شهاب الدين الى الهند فلمّا اتّصل بخوارزم شاه علآء الدين محمّد بن تكش عود العساكر الغوريّة عن خراسان ودخول شهاب الدين الهند ارسل الى غياث الدين يُعاتبه ويقول كنتُ اعتقد ان تخلف علىّ بعد ابى وأن تنصرنى على الخطا وتردّهم عن بلادى فحيث لم تفعل فلا اقلّ من ان لا تونينى وتاخذ بلادى والذى اريده ان تعيد ما اخذتّه منّى الىّ والّا انتصرتُ عليك بالخطا وغيرهم من الاتراك ان عجزت عن اخذ بلادى فانّنى انّما شغلنى عن منعكم عنها الاشتغال بعزآء والدى وتقرير امر بلادى والّا فما انا بعاجز عنكم

وعن اخذ بلاده خراسان وغيرها ؞ فغالطه غياث الدين فى الجواب ليمهّد الايّام بالمراسلات ويخرج اخوه شهاب الدين من الهند بالعساكر فانّ غياث الدين كان عاجزًا باستيلاء النقرس عليه ؞ فلمّا وقف خوارزم شاه على رسالة غياث الدين ارسل الى علاء الدين الغورىّ نايب غياث الدين بخراسان يامره بالرحيل عن نيسابور ويتهدّده ان لم يفعل فكتب علاء الدين الى غياث الدين بذلك ويعرّفه ميل اهل البلد الى الخوارزميّين فاعاد غياث الدين جوابه يقوّى قلبه ويَعِده النصرة والمنع عنه ؞ وجمع خوارزم شاه عساكره وسار عن خوارزم نصف ذى الحجّة سنة سبع وتسعين وخمسمائة فلمّا قارب نسا وابيورد هرب هندوخان بن اخى ملكشاه من مروَ الى غياث الدين بفيروزكوه وملك خوارزم شاه مدينة مرو وسار الى نيسابور وبها علاء الدين فحصره وقاتله قتالاً شديدًا وطال مقامه عليها وراسله غير مرّة فى تسليم البلد اليه وهو لا يجيب الى ذلك انتظارًا للمدد من غياث الدين فبقى نحو شهرَيْن فلمّا ابطا عليه النجدة ارسل الى خوارزم شاه يطلب الامان لنفسه ولمن معه من الغوريّة وانّه لا يتعرّض اليهم بحبس ولا غيره من الاذى فاجابه الى ذلك وحلف لهم وخرجوا من البلد واحسن خوارزم شاه اليهم ووصلهم بمال جليل وهدايا كثيرة وطلب من علاء الدين ان يسعى فى الصلح بينه وبين غياث الدين واخيه فاجابه الى ذلك وسار الى هراة وفيها اقطاعه ولم يمض الى غياث الدين تجنّيًا عليه لتاخّر امداده ولمّا خرج الغوريّة من نيسابور احسن خوارزم شاه الى الحسين بن خرميل وهو من اعيان امرآيهم زيادةً على غيره وبالغ فى اكرامه فقيل ان من ذلك اليوم استحلفه لنفسه وان يكون معه بعد غياث الدين واخيه شهاب الدين ؞ ثمّ سار خوارزم شاه الى سرخس وبها الامير زنكى فحصره اربعين يومًا وجرى بين الفريقَيْن حروبٌ كثيرة فضاقت الميرة على اهل البلد لا سيّما الحطب فارسل زنكى الى خوارزم شاه يطلب منه ان يتاخّر عن باب البلد حتّى يخرج هو واصحابه ويترك البلد له فراسله خوارزم شاه فى الاجتماع به ليُحسن اليه والى مَن معه فلم يُجبه الى ذلك واحتجّ بقرب نسبه من غياث الدين فابعد خوارزم شاه عن باب البلد بعساكره فخرج زنكى فاخذ من الغلّات وغيرها التى فى المعسكر ما اراد

لا سيّما من الحطب وعاد الى البلد واخرج منه مَن كان قد ضاق به الامر وكتب الى خوارزم شاه العود احمد فندم حيث لم ينفعه الندم ورحل عن البلد وترك عليه جماعة من الامرآء يحصرونه فلمّا ابعد خوارزم شاه سار محمّد بن جربك[1] من الطالقان وهو من امرآء الغوريّة وارسل الى زنكى امير سرخس يُعرّفه انّه يريد يكبس الخوارزميّين ليلّا ينزعج اذا سمع الغلبة وسمع الخوارزميّون الخبر ففارقوا سرخس وخرج زنكى ولقى محمّد بن جربك[2] وعسكرًا فى مرو الرود واخذ خراجها وما يجاورها فسيّر اليهم خوارزم شاه عسكرًا مع خاله فلقيهم محمّد بن جربك[1] وقاتلهم وحمل بلُتّ فى يده على صاحب علم الخوارزميّة فضربه فقتله والقى علمهم وكسر كوساتهم فانقطع صوتها عن العسكر ولم يروا اعلامهم فانهزموا وركبهم الغوريّة قتلًا واسرًا نحو فرسخين فكانوا ثلاثة الاف فارس وابن جربك[3] فى تسع مائة فارس وغنم جميع معسكرهم فلمّا سمع خوارزم شاه ذلك عاد الى خوارزم وارسل الى غياث الدين فى الصلح فاجابه عن رسالته مع امير كبير من الغوريّة يقال له الحسين بن محمّد المرغنىّ ومرغن من قُرى الغور فقبض عليه خوارزم شاه ۞

ذكر حصر خوارزم شاه هراة وعوده عنها

لمّا ارسل خوارزم شاه الى غياث الدين فى الصلح واجابه عن رسالته مع الحسين المرغنىّ مغالطًا قبض خوارزم شاه على الحسين وسار الى هراة ليحاصرها فكتب الحسين الى اخيه عمر بن محمّد المرغنىّ امير هراة يخبره بذلك فاستعدّ للحصار وكان سبب قصد خوارزم شاه حصار هراة انّ رجلَيْن اخوَيْن ممّن كان يخدم محمّدًا سلطان شاه اتّصلا بغياث الدين بعد وفاة سلطان شاه فاكرمهما غياث الدين واحسن اليهما يقال لاحدهما الامير الحاجّى فكاتبا خوارزم شاه واطمعاه فى البلد وضمنا له تسليمه اليه فسار لذلك ونازل المدينة وحصرها فسلّم الامير عمر المرغنىّ امير البلد مفاتيح الابواب اليهما وجعلهما على القتال ثقةً منه بهما وظنًّا منه انّهما عدوّا خوارزم شاه تكش وابنه محمّد بعده فاتّفق انّ بعض الخوارزميّة

---

1) حربك 2) حرنك 3) حرنك

اخبر الحسين المرغنيّ عند خوارزم شاه بحال الرجلَين وانّهما هما اللذان يدبّران خوارزم شاه ويامرانه بما يفعل فلم يصدّقه واتاه بخطّ الامير حاجى فاخذه وارسله الى اخيه عمر امير هراة فاخذهما واعتقلهما واخذ اصحابهما، ثمّ انّ الب غازى وهو ابن اخت غياث الدين جآء فى عسكر من الغوريّة فنزل على خمسة فراسخ من هراة فكان يمنع الميرة عن عسكر خوارزم شاه ثمّ انّ خوارزم شاه سيّر عسكرًا الى اعمال الطالقان للغارة عليها فلقيهم الحسن بن جربك[1] فقاتلهم فظفر بهم فلم يُفلت منهم احد وسار غياث الدين عن فيروزكوه الى هراة فى عسكره فنزل برباط رزين بالقرب من هراة ولم يقدم على خوارزم شاه لقلّة عسكره لانّ اكثر عساكره كانت مع اخيه بالهند وغزنة فاقام خوارزم شاه على هراة اربعين يومًا وعزم على الرحيل لانّه بلغه انهزام اصحابه بالطالقان وقرْب غياث الدين وكذلك ايضًا قرْب الب غازى وسمع ايضًا انّ شهاب الدين قد خرج من الهند الى غزنة وكان وصوله اليها فى رجب من هذه السنة فخاف ان يصل بعساكره فلا يمكنه المقام على البلد فارسل الى امير البلد عمر المرغنيّ فصالحه على مال حمله اليه وارتحل عن البلد، وامّا شهاب الدين فانّه لمّا وصل الى غزنة بلغه الخبر بما فعله خوارزم شاه بخراسان ومُلكه لها فسار الى خراسان فوصل الى بلخ ومنها الى باميان[2] ثمّ الى مرو عازمًا على حرب خوارزم شاه وكان نازلًا هناك فالتقت اوايل عسكريهما واقتتلوا قتالًا شديدًا فقُتل من الفريقيْن خلق كثير ثمّ انّ خوارزم شاه ارتحل عن مكانه شِبْه المنهزم وقطع القناطر وقتل الاميرَ سنجر صاحب نيسابور لانّه اتّهمه بالمخامرة عليه وتوجّه شهاب الدين الى طوس فاقام بها تلك الشتوة على عزم المسير الى خوارزم ليحصرها فاتاه الخبر بوفاة اخيه غياث الدين فقصد هراة وترك ذلك العزم ٥

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة درّس مجد الدين ابو علىّ يحيى بن الربيع الفقيه الشافعىّ بالنظاميّة ببغداد فى ربيع الاوّل، وفيها توفّيت بنفشة جارية الخليفة

[1] حرنك [2] نامبان

المستنصر بامر الله وكان كثير الميل اليها والمحبّة لها وكانت كثيرة المعروف والاحسان والصدقة، وفيها ايضًا توفّى الخطيب عبد الملك بن زيد الدَّوْلَعىّ خطيب دمشق وكان فقيهًا شافعيًّا والدولعيّة قرية من اعمال الموصل ۞

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وخمسماية

سنة ٥٩٩

ذكر حصر العادل ماردين وصلحه مع صاحبها

فى هذه السنة فى المحرّم سيّر الملك العادل ابو بكر بن ايّوب صاحب دمشق ومصر عسكرًا مع ولده الملك الاشرف موسى الى ماردين فحصروها وشحنوا على اعمالها وانضاف اليه عسكر الموصل وسنجار وغيرهما ونزلوا بحَرْزَم[1] تحت ماردين ونزل عسكر من قلعة البارعيّة[2] وهى لصاحب ماردين يقطعون الميرة عن العسكر العادلىّ فسار اليهم طايفة من العسكر العادلىّ فاقتتلوا فانهزم عسكر البارعيّة[2] وثار التركمان وقطعوا الطريق فى تلك الناحية واكثروا الفساد فتعذّر سلوك الطريق الّا لجماعة من ارباب السلاح فسار طايفة من العسكر العادلىّ الى راس العين لاصلاح الطرق وكفّ عادية الفساد واقام ولد العادل ولم يحصل له غرض فدخل الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف صاحب حلب فى الصلح بينهم وارسل الى عمّه العادل فى ذلك فاجاب اليه على قاعدة ان يحمل له صاحب ماردين مائة وخمسين الف دينار فجاء صرف الدينار احد عشر قيراطًا من اميرى ويخطب له ببلاده ويضرب اسمه على السكّة ويكون عسكره فى خدمته اىّ وقت طلبه واخذ الظاهر عشرين الف دينار من النقد المذكور وقرية القرادىّ من اعمال شبختان[3] فرحل ولد العادل عن ماردين ۞

ذكر وفاة غياث الدين ملك الغور وشئ من سيرته

فى هذه السنة فى جمادى الاولى توفّى غياث الدين ابو الفتح محمّد بن سام الغورىّ صاحب غزنة وبعض خراسان وغيرها واخفيت وفاته وكان اخوه شهاب الدين بطوس عازمًا على قصد خوارزم شاه فاتاه الخبر بوفاة اخيه فسار الى هراة فلمّا وصل اليها جلس للعزآء باخيه فى رجب واظهرت وفاته حينئذ وخلّف غياث الدين من الولد ابنًا اسمه محمود لُقب بعد

---

[1] C. P.: بحرزم Ups.: سنجار [2] C. P. Ups.: البارعيه [3] C. P.: بشنختان

موت ابيه غياث الدين وسنورد من اخباره كثيرًا، ولمّا سار شهاب الدين من طوس استخلف بمرو الامير محمّد بن جربك[1] فسار اليه جماعة من الامرآء الخوارزميّة فخرج اليهم محمّد ليلًا وبيّتهم فلم ينج منهم الّا القليل وانفذ الاسرى والروس الى هراة فامر شهاب الدين بالاستعداد لقصد خوارزم على طريق الرمل وجهّز خوارزم شاه جيشًا وسيّرهم مع برفور[2] التركى الى قتال محمّد بن جربك[3] فسمع بهم فخرج اليهم ولقيهم على عشرة فراسخ من مرو فاقتتلوا قتالًا شديدًا قُتل بين الفريقين خلق كثير وانهزم الغوريّة ودخل محمّد بن جربك[3] مروَ فى عشرة فرسان وجآء الخوارزميّون فحصروه خمسة عشر يومًا فضعُف عن الحفظ فارسل فى طلب الامان فحلفوا له ان خرج اليهم على حكمهم انّهم لا يقتلونه فخرج اليهم فقتلوه واخذوا كلّ ما معه، وسمع شهاب الدين الخبر فعظم عليه وتردّدت الرسل بينه وبين خوارزم شاه فلم يستقرّ الصلح واراد العود الى غزنة فاستعمل على هراة ابن اخيه الب غازى وفلك الملك علآء الدين محمّد بن ابى علىّ الغورىّ على مدينة فيروزكوه وجعل اليه حرب خراسان وامر كلّ ما يتعلّق بالمملكة واتاه محمود بن اخيه غياث الدين فولّاه مدينة بُست واسفرار وتلك الناحية وجعله بمعزل من المُلك جميعه ولم يحسن الخلافة عليه بعد ابيه ولا على غيره من اهله فمن جملة فعله انّ غياث الدين كانت له زوجة كانت مغنّية فهويها وتزوّجها فلمّا مات غياث الدين قبض عليها وضربها ضربًا مُبرّحًا وضرب ولدها غياث الدين وزوّج اختها واخذ اموالهم واملاكهم وسيّرهم الى بلد الهند فكانوا فى اقبح صورة وكانت قد بنَتْ مدرسة ودفنت فيها اباها وامّها واخاها فهدمها ونبش قبور الموتى ورمى بعظامهم منها، وامّا سيرة غياث الدين واخلاقه فانّه كان مُظفّرًا منصورًا فى حروبه لم تنهزم له راية قطّ وكان قليل المباشرة للحروب وانّما كان له دهآء ومكر وكان جوادًا حسن الاعتقاد كثير الصدقات والوقوف بخراسان بنى المساجد والمدارس بخراسان لاصحاب الشافعىّ وبنى الخانكاهات فى الطرق واسقط المكوس ولم يتعرّض الى مال احد من الناس ومن مات ببلده يسلّم ماله الى اهل

---

1) خزبك 2) معور 3) حربك

بلده من التجار فان لم يجد احدًا يسلّمه الى القاضى ويختم عليه الى
ان يصل من ياخذه بمقتضى الشرع وكان اذا وصل الى بلد عمّ احسانه
اهله والفقهاء واهل الفضل يخلع عليهم ويفرض لهم الاعطيات كلّ سنة من
خزانته ويفرق الاموال فى الفقرآء وكان يراعى كلّ مَن وصل الى حضرته
من العلويّين والشعرآء وغيرهم وكان فيه فضل غزير وادب مع حسن خطّ
وبلاغة وكان رحمه الله ينسخ المصاحف بخطّه ويوقفها فى المدارس التى بناها
ولم يظهر منه تعصّب على مذهب ويقول التعصّب فى المذاهب من الملك
قبيح الّا انّه كان شافعىّ المذهب فهو يميل الى الشافعيّة من غير ان
يطمعهم فى غيرهم ولا اعطاهم ما ليس لهم ۞

ذكر اخذ الظاهر قلعة نجم من اخيه الافضل

فى هذه السنة اخذ الظاهر غازى قلعة نجم من اخيه الافضل
وكانت فى جملة ما اخذ من العادل لمّا صالحه سنة سبع وتسعين فلمّا
كان هذه السنة اخذ العادل من الافضل سَروج وحملين وراس العين وبقى
بيده سميساط وقلعة نجم فارسل الظاهر اليه يطلب منه قلعة نجم وضمن
له انّه يشفع الى عمّه العادل فى اعادة ما اخذ منه فلم يُعطه فتهدّده بان
يكون الْبًا عليه ولم تزل الرسل تتردّد حتّى سلّمها اليه فى شعبان وطلب
منه ان يعوّضه قُرًى او مالًا فلم يفعل وكان هذا من اقبح ما سُمع عن
ملك يزاحم اخاه فى مثل قلعة نجم مع خسّتها وحقارتها وكثرة بلاده
هو وعدمها لاخيه ، وامّا العادل فانّه لمّا اخذ سَروج وراس العين من
الافضل ارسل والدتّه اليه لتسال فى ردّها فلم يشفّعها وردّها خايبة ولقد
عوقب البيت الصلاحىّ بما فعله ابوهم مع البيت الاتابكىّ فانّه لمّا قصد
حصار الموصل سنة ثمانين وخمسمائة ارسل صاحب الموصل والدته وابنة عمّ
نور الدين اليه يسالانه ان يعود فلم يشفّعهما فجرى لاولاده هذا ورُدّت
زوجتُه خايبة كما فعل ، ولمّا راى الافضل عمّه واخاه قد اخذا ما كان
بيده ارسل الى ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان صاحب ملطيّة
وقونية وما بينهما من البلاد يبذل له الطاعة وان يكون فى خدمته
ويخطب له ببلده ويضرب السكّة باسمه فاجابه ركن الدين الى ذلك وارسل
له خلعة فلبسها الافضل وخطب له بسميساط فى سنة ستّمأية وصار فى جملته ۞

ذكر ملك الكرج مدينة دُوين

فى هذه السنة استولى الكُرج على مدينة دُوين من اذربيجان ونهبوها واستباحوها واكثروا القتل فى اهلها وكانت هى وجميع بلاد اذربيجان للامير ابى بكر بن البهلوان وكان على عادته مشغولًا بالشرب ليلًا ونهارًا لا يفيق ولا يصحوا ولا ينظر فى امر مملكته ورعيّته وجنده قد القى الجميع عن قلبه وسلك طريق مَن ليس له علاقة وكان اهل تلك البلاد قد اكثرت الاستغاثة اليه واعلامه بقصد الكُرج بلادهم بالغارة مرّة بعد اخرى فكانّهم ينادون صخرة صمّآء فلمّا حصر الكُرج هذه السنة مدينة دُوين سار منهم جماعة يستغيثون فلم يُغثهم وخوّفه جماعة من امرآيه عاقبة اهماله وتوانيه واصراره على ما هو فيه فلم يصْغ اليهم فلمّا طال الامر على اهلها ضعفوا وعجزوا واخذهم الكُرج عنوةً بالسيف وفعلوا ما ذكرنا ثمّ انّ الكُرج بعد ان استقرّ امرهم بها احسنوا الى مَن بقى من اهلها فالله تعالى ينظر الى المسلمين ويسهّل لثغورهم مَن يحفظها ويحميها فانّها مستباحة لا سيّما هذه الناحية فانّا لله وانّا اليه راجعون فلقد بلغنا من فعل الكُرج باهل دوين من القتل والسبى والامر ما تقشعرّ منه الجلود ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة احضر الملك العادل محمّدًا ولد العزيز صاحب مصر الى الرُّها وذلك انّه لمّا قطع خُطبته من مصر سنة ستّ وتسعين كما ذكرناه خاف شيعة ابيه ان يجتمعوا عليه ويصير له معهم فتنة فاخرجه سنة ثمان وتسعين الى دمشق ثمّ نقله هذه السنة الى الرُّها فاقام بها ومعه جميعُ اخوته واخواته ووالدته ومَن يخصّه ؞ وفيها فى رجب توفّى الشيخ وجيه الدين محمّد بن محمود المروروذىّ الفقيه الشافعىّ وهذا الذى كان السبب فى ان صار غياث الدين شافعيًّا ؞ وفى ربيع الاوّل منها توفّى ابو الفتح عبيد الله بن ابى المعمّر الفقيه الشافعىّ المعروف بالمُسْتَمْلى ببغداد وله خطّ حسن ؞ وفى ربيع الاخر توفّيت زمرّد خاتون امّ الخليفة الناصر لدين الله وأُخرجت جنازتها ظاهرة وصلّى الخلق الكثير عليها ودُفنت فى التربة التى بنتّها لنفسها وكانت كثيرة المعروف ✿

ثم دخلت سنة ستّمائة

سنة ٦٠٠

ذكر حصار خوارزم شاه هراة ثانية

فى هذه السنة اوّل رجب وصل خوارزم شاه محمّد الى مدينة هراة فحصرها وبها الب غازى ابن اخت شهاب الدين الغورىّ ملك غزنة بعد مراسلات جرت بينه وبين شهاب الدين فى الصلح فلم يتمّ وكان شهاب الدين قد سار عن غزنة الى لهاوور[1] عازمًا على غزو الهند فاقام خوارزم شاه على حصار هراة الى سلخ شعبان وكان القتال دايمًا والقتل من الفريقين كثيرًا وممّن قُتل رئيس خراسان وكان كبير القدر يقيم بمشهد طوس وكان الحسين[2] ابن خرميل بكرزبان[4] وهى اقطاعه فارسل الى خوارزم شاه يقول له ارسل الىّ عسكرًا لنُسلم اليهم الفيلة وخزانة شهاب الدين فارسل اليه الف فارس من اعيان عسكره الى كرزبان[5] فخرج عليه هو والحسين بن محمّد المرغنىّ فقتلوهم الّا القليل فبلغ الخبر الى خوارزم شاه فسقط ما فى يديه وندم على انفاذ العسكر وارسل الى الب غازى يطلب منه ان يخرج اليه من البلد ويخدمه خدمة سلطانيّة ليرحل عنه فلم يجبه الى ذلك فاتّفق انّ الب غازى مرض واشتدّ مرضه فخاف ان يشتغل بمرضه فيملك خوارزم شاه البلد فاجاب الى ما طلب منه واستحلفه على الصلح واهدى له هدية جليلة وخرج مَن البلد ليخدمه فسقط الى الارض ميّتًا ولم يشعر احدٌ بذلك وارتحل خوارزم شاه عن البلد واحرق[6] المجانيق وسار الى سرخس فاقام بها ✿

ذكر عود شهاب الدين من الهند وحصر خوارزم وانهزامه من الخطا

فى هذه السنة فى رمضان عاد شهاب الدين الغورىّ الى خراسان من قصد الهند وسبب ذلك انّه بلغه حصر خوارزم شاه هراة وموت الب غازى نايبه بها فعاد حنقًا على خوارزم شاه فلمّا بلغ ميمند[7] عدل على طريق اخرى قاصدًا الى خوارزم فارسل خوارزم شاه يقول له ارجع الىّ لاحاربك والّا سرْتُ الى هراة ومنها الى غزنة وكان خوارزم شاه قد سار

---

1) لهاوز 2) الحسن 3) خزميل 4) سحرىان 5) حرىان 6) C. P. Ups.: واخرج 7) ممىه

من سرخس الى مرو فاقام بظاهرها فاعاد اليه شهاب الدين جوابه لعلّك تنهزم كما فعلتَ تلك الدفعة لكنّ خوارزم تجمعنا ففرّق خوارزم شاه عساكره واحرق ما جمعه من العلف ورحل يسابق شهاب الدين الى خوارزم فسبقه اليها فقطع الطريق واجرى المياه فيها فتعذّر على شهاب الدين سلوكها واقام اربعين يومًا يصلحها حتّى امكنه الوصول الى خوارزم والتقى العسكران بسوقرا ومعناه المآء الاسود فجرى بينهم قتال شديد كثر القتلى فيه بين الفريقيْن وممّن قُتل من الغوريّة الحسين المرغنيّ وغيره وأُسر جماعة من الخوارزميّة فامر شهاب الدين بقتلهم فقُتلوا ٭ وارسل خوارزم شاه الى الاتراك الخطا يستنجدهم وهم حينئذ اصحاب ما ورآء النهر فاستعدّوا وساروا الى بلاد الغوريّة ٭ فلمّا بلغ شهاب الدين ذلك عاد عن خوارزم فلقى اوايلهم فى صحرآء اندخوى اوّل صفر سنة احدى وستّمايئة فقتل فيهم واسر كثيرًا فلمّا كان اليوم الثانى دهمه من الخطا ما لا طاقة له بهم فانهزم المسلمون هزيمة قبيحة وبقى شهاب الدين فى نفر يسير وقتل بيده اربعة افيال له لانّها اعيت واخذ الكفّار فيليْن ودخل شهاب الدين اندخوى فيمّن معه وحصره الكفّار ثمّ صالحوه على ان يُعطيهم فيلًا اخر ففعل وخلص ووقع الخبر فى جميع بلاده بانّه قد عُدم وكثرت الاراجيف بذلك ثمّ وصل الى الطالقان فى سبعة نفر وقد قُتل اكثر عسكره ونُهبت خزاينه جميعها فلم يبق منها شئ فاخرج له الحسين بن خرميل صاحب الطالقان خيامًا وجميع ما يحتاج اليه وسار الى غزنة واخذ معه الحسين بن خرميل لانّه قيل له عنه انّه شديد الخوف لانهزامه وانّه قال اذا سار السلطان هربتُ الى خوارزم شاه فاخذه معه وجعله امير حاجب ٭ ولمّا شاع الخبر بقتل شهاب الدين جمع تاج الدين الدز وهو مملوك اشتراه شهاب الدين اصحابه وقصد قلعة غزنة ليصعد اليها فنعه مستحفظها فعاد الى داره فاقام بها وافسد الخلج وساير المفسدين فى البلاد وقطع الطرق وقتلوا كثيرًا فلمّا عاد شهاب الدين الى غزنة بلغه ما فعله الدز فاراد قتله فشفع فيه ساير المماليك فاطلقه ثمّ اعتذر وسار شهاب الدين فى البلاد فقتل من المفسدين من تلك الامم نفرًا كثيرًا ٭ وكان له ايضًا مملوك اخر اسمه

ايبك بال تر[1] فسلم من المعركة ولحق بالهند ودخل المولتان[2] وقتل نايب السلطان بها وملك البلد واخذ الاموال السلطانيّة واسآء السيرة فى الرعيّة واخذ اموالهم وقال قُتل السلطان وانا السلطان وكان يحمله على ذلك ويُحسّنه له انسان اسمه عمر بن يزان[3] وكان زنديقًا ففعل ما امره وجمع المفسدين واخذ الاموال فاخاف الطريق فبلغ خبره الى شهاب الدين فسار الى الهند وارسل اليه عسكرًا فاخذوه ومعه عمر بن [يزان] فقتلهما اقبح قتلة وقتل مَن وافقهما فى جمادى الاخرة من سنة احدى وستّمايئة ولمّا رءاهم قتلى قرأ إِنَّمَا جَزَآءُ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا الاية[4]، وامر شهاب الدين فى جميع بلاده بالتجهّز لقتال الخطا وغزوهم والاخذ بثارهم، وقيل كان سبب انهزامه انّه لمّا عاد الى الخطا من خوارزم فرّق عسكره فى المفازة التى فى طريقه لقلّة المآء وكان الخطا قد نزلوا على طرف المفازة فكلّما خرج من اصحابه طايفة فتكوا فيهم بالقتل والاسر ومَن سلم من عسكره انهزم نحو البلاد ولم يرجع اليه احد يُعلم الحال وجآء شهاب الدين فى ساقة العسكر فى عشرين الف فارس ولم يَعلم الحال فلمّا خرج من البرّيّة لقيه الخطا مستريحين وهو ومَن معه قد تعبوا واعيوا وكان الخطا اضعاف اصحابه فقاتلهم عامة نهاره وحمى نفسه منهم وحصروه فى اندخوى[5] فجرى بينهم فى عدّة ايّام اربعة عشر مصافًّا منها مصافّ واحد كان من العصر الى الغد بكرة ثمّ انّه بعد ذلك سيّر طايفة من عسكر ليلًا سرًّا وامرهم ان يرجعوا اليه بكرة كانّهم قد اتوه مددًا من بلاده فلمّا فعلوا ذلك خافه الخطا وقال لهم صاحب سمرقند وكان مسلمًا وهو فى طاعة الخطا وقد خاف على الاسلام والمسلمين إن هم ظفروا بشهاب الدين فقال لهم انّ هذا الرجل لا تجده قطّ اضعف منه لمّا خرج من المفازة ومع ضعفه وتعبه وقلّة مَن معه لم نظفر به والامداد اتته وكانّكم بعساكره وقد اقبلت من كلّ طريق وحينئذ نطلب الخلاص منه فلا نقدر عليه والراى لنا الصلح معه فاجابوا الى ذلك فارسلوا اليه فى الصلح وكان صاحب سمرقند قد ارسل اليه وعرّفه الحال سرًّا وامره

---

[1]) C. P.: ساك بر [2]) المولفان [3]) C. P.: دران [4]) Cor. 5, 37. [5]) اندخرى

باظهار الامتناع من الصلح اوّلاً والاجابة اليه اخيرًا فلمّا اتته الرسل امتنع واظهر القوّة بانتظار الامداد وطال الكلام فاصطلحوا على انّ الخطا لا يعبرون النهر الى بلاده ولا يعبر الى بلادهم ورجعوا عنه وخلص هو وعاد الى بلاده والباقي نحو ما تقدّم ✿

ذكر قتل طايفة من الاسماعيليّة بخراسان

في هذه السنة وصل رسول الى شهاب الدين الغوريّ من عند مقدّم الاسماعيليّة بخراسان برسالة انكرها فامر علآء الدين محمّد ابن ابى علىّ متولّى بلاد الغوريّة بالمسير اليهم ومحاصرة بلادهم فسار في عساكر كثيرة الى قهستان وسمع به صاحب زوزن فقصده وسار معه وفارق خدمة خوارزم شاه ونزل علآء الدين على مدينة قاين[1] وهى للاسماعيليّة وحصرها وضيّق على اهلها ووصل خبر قتل شهاب الدين على ما نذكره فصالح اهلها على ستّين الف دينار ركنيّة ورحل عنهم وقصد حصن كاخك فاخذه وقتل المقاتلة وسبى الذرّيّة ورحل الى هراة ومنها[2] [الى][3] فيروزكوه ✿

ذكر مُلك القسطنطينيّة من الروم

في هذه السنة في شعبان ملك الفرنج مدينة القسطنطينيّة من الروم وازالوا مُلك الروم عنها وكان سبب ذلك انّ ملك الروم بها تزوّج اخت مُلك افرنسيس وهو من اكبر ملوك الفرنج فرُزق منها ولدًا ذكرًا ثمّ وثب على الملك اخٌ له فقبض عليه وملك البلد منه وسمل عينَيْه وسجنه فهرب ولده ومضى الى خاله مستنصرًا به على عمّه فاتّفق ذلك وقد اجتمع كثير من الفرنج ليخرجوا الى بلاد الشام لاستنقاذ البيت المقدّس فاخذوا ولد الملك معهم وجعلوا طريقهم على القسطنطينيّة قصدًا لاصلاح الحال بينه وبين عمّه ولم يكن له طمع في سوى ذلك فلمّا وصلوا خرج عمّه في عساكر الروم محاربًا لهم فوقع القتال بينهم في ذى القعدة سنة تسع وتسعين وخمسماية فانهزمت الروم ودخلوا البلد فدخله الفرنج معهم فهرب ملك الروم الى اطراف البلاد وقيل انّ ملك الروم لم يقاتل الفرنج بظاهر البلد وانّما حصروه فيها وكان بالقسطنطينيّة من الروم مَن يريد الصبىّ

---

1) فاين 2) C. P. Ups.: وفيها 3) C. P.

فالقوا النار فى البلد فاشتغل الناس بذلك ففتحوا بابًا من ابواب المدينة فدخلها الفرنج وخرج ملكها هاربًا وجعل الفرنج المُلك فى ذلك الصبىّ وليس له من الحكم شىء واخرجوا اباه من السجن انّما الفرنج هم الحُكّام فى البلد فثقّلوا الوطأة على اهله وطلبوا منهم اموالاً عجزوا عنها واخذوا اموال البيَع وما فيها من ذهب ونقرة وغير ذلك حتّى ما على الصلبان وما هو على صورة المسيح عم والحواريّين وما على الاناجيل من ذلك ايضًا فعظم ذلك على الروم وحملوا منه خطبًا عظيمًا فعمدوا الى ذلك الصبىّ الملك فقتلوه واخرجوا الفرنج من البلد واغلقوا الابواب واستحضروا الملك وكان ذلك فى جمادى الاولى سنة ستّمائة فاقام الفرنج بظاهره محاصرين للروم وقاتلوهم ولازموا قتالهم ليلاً ونهارًا وكان الروم قد ضعفوا ضعفًا كثيرًا فارسلوا الى السلطان ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان صاحب قونية وغيرها من البلاد يستنجدونه فلم يجد الى ذلك سبيلاً وكان بالمدينة كثير من الفرنج مقيمين يقاربون ثلاثين الفًا ولعظم البلد لا يظهر امرهم فتواضعوا هم والفرنج الذين بظاهر البلد ووثبوا فيه والقوا النار مرّة ثانية فاحترق نحو ربع البلد وفتحوا الابواب فدخلوها ووضعوا السيف ثلاثة ايّام وفتكوا بالروم قتلاً ونهبًا فاصبح الروم كلّهم ما بين قتيل او فقير لا يملك شيئًا ودخل جماعة من اعيان الروم الكنيسة العظمى التى تُدْعَا سوفيا فجآء الفرنج اليها فخرج اليهم جماعة من القسيسين والاساقفة والرهبان بايديهم الانجيل والصليب يتوسّلون بها الى الفرنج ليُبقوا عليهم فلم يلتفتوا اليهم وقتلوهم اجمعين ونهبوا الكنيسة وكانوا ثلاثة ملوك دوقس البنادقة وهو صاحب المراكب البحريّة وفى مراكبه ركبوا الى القسطنطينيّة وهو شيخ أعْمَى اذا ركب تُقاد فرسه والاخر يقال له المركيس وهو مقدّم الافرنسيس والاخر يقال له كند افلند وهو اكثرهم عددًا فلمّا استولى على القسطنطينيّة اقترعوا على الملك فخرجت القرعة على كند افلند فاعادوا القرعة ثانية وثالثة فخرجت عليه فملّكوه والله يوتى مُلكه من يشآء وينزعه ممّن يشآء فلمّا خرجت القرعة عليه ملّكوه عليها وعلى ما يجاورها وتكون لدوقس البنادقة للجزاير البحريّة مثل جزيرة اقريطش وجزيرة رودس وغيرهما ويكون لمركيس الافرنسيس البلاد التى هى شرقىّ الخليج مثل ازنيق ولاذيق

فلم يحصل لاحد منهم شئ غير الذى اخذ القسطنطينيّة وامّا الباقى فلم يَسلم مَن به من الروم وامّا البلاد التى كانت لملك القسطنطينيّة شرقىّ الخليج المجاورة لبلاد ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان ومن جملتها ازنيق ولاذيق فانّها تغلّب عليها بطريق كبير من بطارقة الروم اسمه لشكرى[1] وهى بيده الى ان توفّى ❁

ذكر انهزام نور الدين صاحب الموصل من العساكر العادليّة

فى هذه السنة فى العشرين من شوّال انهزم نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل من العساكر العادليّة وسبب ذلك انّ نور الدين كان بينه وبين عمّه قطب الدين محمّد بن زنكى صاحب سنجار وحشة مستحكمة اوّلاً ثمّ اتّفقا وسار معه الى ميّافارقين سنة خمس وتسعين وقد ذكرناه فلمّا كان الأن ارسل الملك العادل ابو بكر بن ايّوب صاحب مصر ودمشق وبلاد الجزيرة الى قطب الدين واستماله فمال اليه وخطب له لمّا سمع نور الدين ذلك سيّر الى مدينة نصيبين سلخ شعبان وهى لقطب الدين فحصرها وملك المدينة وبقيت القلعة فحصرها عدّة ايّام فبينما هو يحاصرها وقد اشرف على ان يتسلّمها اتاه الخبر انّ مظفّر الدين كوكبرى[2] بن زين الدين علىّ صاحب اربل قد قصد اعمال الموصل فنهب نينوى واحرق غلاتها فلمّا بلغه ذلك من نايبه المرتّب بالموصل يحفظها سار عن نصيبين الى الموصل على عزم العبور الى بلد اربل ونهبه جزآء بما فعل صاحبها ببلده فوصل الى مدينة بلد وعاد مظفّر الدين الى بلده وتحقّق نور الدين انّ الذى قيل له وقع فيه زيادة فسار الى تلّ اعفر من بلد وهى لصاحب سنجار وحصرها واخذها ورتّب امورها واقام عليها سبعة عشر يوماً وكان الملك الاشرف موسى بن الملك العادل بن ايّوب قد سار من مدينة حرّان الى راس عين نجدة لقطب الدين صاحب سنجار ونصيبين وقد اتّفق هو ومظفّر الدين صاحب اربل وصاحب الحصن وآمد وصاحب جزيرة ابن عمر وغيرهم على ذلك وعلى منع نور الدين من اخذ شئ من بلاده وكلّهم خايفون منه ولم يمكنهم الاجتماع

---

1) لسكرى 2) كوكندى

وهو على نصيبين فلمّا فارقها نور الدين سار الاشرف اليها واتاه اخوه نجم الدين صاحب ميّافارقين وصاحب الحصن وصاحب الجزيرة وصاحب دارا وساروا عن نصيبين نحو بلد البقعا قريبًا من بوشرى وسار نور الدين من تلّ اعفر الى كفر زمّار[1] وعزم على المطاولة ليتفرّقوا فاتاه كتاب من بعض مماليكه يسمّى جرديك[2] وقد ارسله يتجسّس اخبارهم فيقلّلهم فى عينه ويطمعه فيهم ويقول ان اذنتَ لى لقيتهم بمفردى[3] فسار حينئذ نور الدين الى بوشرى[4] فوصل اليها من الغد الظهر وقد تعبت دوابّه واصحابه ولقوا شدّة من الحرّ فنزل بالقرب منهم اقلّ من ساعة واتاه الخبر انّ عساكر الخصم قد ركبوا فركب هو واصحابه وساروا نحوهم فلم يروا لهم اثرًا فعاد الى خيامه ونزل هو وعساكره وتفرّق كثير منهم فى القرى لتحصيل العلوفات وما يحتاجون اليه فجاءه مَن اخبره بحركة الخصم وقصده فركب نور الدين وعسكره وتقدّموا اليهم وبينهم نحو فرسخَين فوصلوا وقد ازداد تعبهم والخصم مستريح فالتقوا واقتتلوا فلم تطُل الحرب بينهم حتّى انهزم عسكر نور الدين وانهزم هو ايضًا وطلب الموصل فوصل اليها فى اربعة انفس وتلاحق الناس واتى الاشرف ومَن معه فنزلوا فى كفر زمّار[1] ونهبوا البلاد نهبًا قبيحًا واهلكوا ما لم يصلح لهم لا سيّما مدينة بلد فانّهم افحشوا فى نهبها ومن اعجب ما سمعنا انّ امراة كانت تطبخ فرات [النهب][5] فالقت سوارَيْن كانتا فى يديها فى النار وهربت فجاء بعض الجند ونهب ما فى البيت فراى فيه بيضًا فاخذه وجعله فى النار لياكله فحرّك فراى السوارَيْن فيها فاخذهما ؞ وطال مقامهم والرسل تتردّد فى الصلح فوقف الامر على اعادة تلّ اعفر ويكون الصلح على القاعدة الاوّلة وتوقّف نور الدين فى اعادة تلّ اعفر فلمّا طال الامر سلّمها اليهم واصطلحوا اوايل سنة احدى وستّمائة وتفرّقت العساكر من البلاد ۞

ذكر خروج الفرنج بالشام الى بلد الاسلام والصلح معهم

فى هذه السنة خرج كثير من الفرنج فى البحر الى الشام وسهل الامر عليهم بذلك لملكهم قسطنطينيّة وارسوا بعكّا وعزموا على قصد البيت

---

1) زمار 2) C. P.: خرديك 3) C. P. Ups.: بمعردمى
4) موسرى 5) C. P.

المقدّس حرسها الله واستنقاذه من المسلمين فلما استراحوا بعكّا ساروا فنهبوا كثيرًا من بلاد الاسلام بنواحى الاردنّ وسبوا وفتكوا فى المسلمين وكان الملك العادل بدمشق فارسل فى جمع العساكر من بلاد الشام ومصر وسار فنزل عند الطور بالقرب من عكّا لمنع الفرنج من قصد بلاد الاسلام ونزل الفرنج بمرج عكّا واغاروا على كفركنّا فاخذوا كلّ من بها واموالهم والامرآء يحثّون العادل على قصد بلادهم ونهبها فلم يفعل فبقوا كذلك الى ان انقضت السنة وذلك سنة احدى وستّمائة فاصطلح هو والفرنج على دمشق واعمالها وما بيد العادل من الشام ونزل لهم عن كثير من المناصفات فى الرملة وغيرها واعطاهم ناصرة وغيرها وسار نحو الديار المصريّة فقصد الفرنج مدينة حماة فلقيهم صاحبها ناصر الدين محمّد بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن ايّوب فقاتلهم وكان فى قلّة فهزموه الى البلد فخرج العامّة الى قتالهم فقتل الفرنج منهم جماعة وعاد الفرنج ❊

ذكر قتل كوكجة ببلاد الجبل وولاية ايتغمش

قد ذكرنا قبل تغلّب كوكجة مملوك البهلوان على الرىّ وهمذان وبلد الجبل وبقى الأن وكان قد اصطنع مملوكًا اخر كان للبهلوان اسمه ايتغمش وقدّمه واحسن اليه ووثق به فجمع ايتغمش الجموع من المماليك وغيرهم ثمّ قصد كوكجة فتصافّا واقتتل الفريقان فقُتل كوكجة فى الحرب واستولى ايتغمش على البلاد واخذ معه اوزبك بن البهلوان له اسم الملك وايتغمش هو المدبّر له والقيّم بامر المملكة وكان شهمًا شجاعًا ظالمًا وكان كوكجة عادلًا حسن السيرة رحمه الله ❊

ذكر وفاة ركن[1] الدين بن قلج ارسلان ومُلك ابنه بعده

وفى هذه السنة سادس ذى القعدة توفّى ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش بن سلجوق صاحب ديار الروم ما بين ملطيّة وقونيّة وكان موته بمرض القولنج فى سبعة ايّام وكان قبل مرضه بخمسة ايّام قد غدر باخيه صاحب انكورية وتسمّى ايضًا انقرة وهى مدينة منيعة وكان مشاققًا لركن الدين

---

[1] نور

فحصره عدّة سنين حتّى ضعف وقلّت الاقوات عنده فاذعن بالتسليم على عوض يأخذه فعوّضه قلعة فى اطراف بلده وحلف له عليها فنزل اخوه عن مدينة انقرة وسلّمها ومعه ولدان له فوضع ركن الدين عليه مَن اخذه واخذ اولادَه معه فقتله فلم يمض غير خمسة ايّام حتّى اصابه القولنج فمات واجتمع الناس بعده على ولده قلج ارسلان وكان صغيرًا فبقى فى المُلك الى بعض سنة احدى وستمايئة وأُخذ منه على ما نذكره هناك وكان ركن الدين شديدًا على الاعدآء قيّمًا بامر المُلك الّا انّ الناس كانوا ينسبونه الى فساد الاعتقاد كان يقال انّه يعتقد انّ مذهبه مذهب الفلاسفة وكان كلّ من يُرمى بهذا المذهب ياوى اليه ولهذه الطايفة منه احسان كثير الّا انّه كان عاقلاً يحبّ ستر هذا المذهب لئلّا ينفر الناس عنه حُكى لى عنه انّه كان عنده انسان وكان يُرمى بالزندقة ومذهب الفلاسفة وهو قريب منه فحضر يومًا عنده فقيه فتناظرا فاظهر شيئاً من اعتقاد الفلاسفة فقام الفقيه اليه ولطمه وشتمه بحضرة ركن الدين وركن الدين ساكت وخرج الفقيه فقال لركن الدين يجرى علىّ مثل هذا فى حضرتك ولا تنكره فقال لو تكلّمتُ لقُتلنا جميعًا ولا يمكن اظهار ما تريده انت ✿

ذكر قتل الباطنيّة بواسط

فى هذه السنة فى رمضان قُتل الباطنيّة بواسط وسبب كونهم بها انّه ورد اليها رجل يعرف بالركم محمّد بن طالب بن عُصَيّة واصله من القاروب من قرى واسط وكان باطنيًّا مُلحدًا ونزل مجاورًا لدور بنى الهروى وغشيه الناس وكثر اتباعه وكان ممّن يغشاه رجل يعرف بحسن الصابونىّ فاتّفق انّه اجتاز بالسويقة فكلّمه رجل نجّار فى مذهبهم فردّ عليه الصابونىّ ردًّا غليظًا فقام اليه النجّار وقتله وتسامع الناس بذلك فوثبوا وقتلوا مَن وجدوا ممّن ينتسب الى هذا المذهب وقصدوا دار ابن عُصَيّة وقد اجتمع اليه خلق من اصحابه واغلقوا الباب وصعدوا الى سطحها ومنعوا الناس عنهم فصعدوا اليهم من بعض الدور من على السطح وتحصّن مَن بقى فى الدار باغلاق الابواب والممارق فكسروها ونزلوا فقتلوا من

وجدوا فى الدار واحرقوا وقُتل ابن عصيّة وفُتح الباب وهرب منهم فقتلوا وبلغ الخبر الى بغداد وانحدر فخر الدين ابو البدر بن أمسينا الواسطىّ لاصلاح الحال وتسكين الفتنة ❁

ذكر استيلآء محمود على مرباط وغيرها من حضرموت

فى هذه السنة استولى انسانٌ اسمه محمود بن محمّد الحميرىّ على مدينة مرباط وظفار وغيرهما من حضرموت وانّ ابتدآء امره انّه له مركب يكريه فى البحر للتجار ثمّ وزر لصاحب مرباط وفيه كرم وشجاعة وحسن سيرة فلمّا توفّى صاحب مرباط ملك المدينة بعده واطاعه الناس محبّةً له لكرمه وسيرته ودامت ايّامه بها فلمّا كان سنة تسع عشرة وستّمائة خرب مرباطًا وظفارًا وبنى مدينة جديدة على ساحل البحر بالقرب من مرباط وعندها عين عذبة كبيرة اجراها الى المدينة وعمل عليها سورًا وخندقًا وحصّنها وسمّاها الاحمديّة وكان يحبّ الشعر ويكثر الجايزة عليه ❁

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة خرج اسطول من الفرنج الى الديار المصريّة فنهبوا مدينة فوّة واقاموا خمسة ايّام يسبون وينهبون وعساكر مصر مقابلهم بينهم النيل ليس لهم وصول اليهم لانّهم لم تكن لهم سفنٌ ء وفيها كانت زلزلة عظيمة عمّت اكثر البلاد مصر والشام والجزيرة وبلاد الروم وصقليّة وقبرس ووصلت الى الموصل والعراق وغيرها وخربت من مدينة صور سورها واثرت فى كثير من الشام ء وفيها فى رجب اجتمع جماعة من الصوفيّة برباط شيخ الشيوخ ببغداد وفيهم صوفىّ اسمه احمد بن ابراهيم الدارىّ من اصحاب شيخ الشيوخ عبد الرحيم ابن اسمعيل رحمهم الله ومعهم مُغنٍّ يغنى يقول الشعر

اعاذلتى اقصرى كفى بمشيبى عذلْ شباب كأنْ لمْ يكن وشيب كأنْ لم يزلْ
وحقّ ليالى الوصال وأخرها والاوّلْ وصُفرة لون المحبّ عند استماع العذلْ
لئن عاد عَيشى[1] بكم حلى العيش لى واتّصلْ

فتحرّك الجاعة عادة الصوفيّة فى السماع وطرب الشيخ المذكور وتواجد

---

1) 740: شملى

ثمّ سقط مغشيًّا عليه فحرّكوه فاذا هو ميّت فصُلّى عليه ودُفن وكان رجلًا صالحًا ، وفيها توفّى ابو الفتوح اسعد بن محمود العِجْلىّ الفقيه الشافعىّ باصفهان فى صفر وكان امامًا فاضلًا ، وفى رمضان منها توفّى قاضى هراة عمدة الدين الفضل بن محمود بن صاعد الساوىّ وولى بعده ابنه صاعد ❊

ثم دخلت سنة احدى وستمائة ،

سنة ٦٠١

ذكر ملك كيخسرو ابن قلج ارسلان بلاد الروم من ابن اخيه

فى هذه السنة فى رجب ملك غياث الدين كيخسرو ابن قلج ارسلان بلاد الروم التى كانت بيد اخيه ركن الدين سليمان وكان سبب مُلك غياث الدين لها انّ ركن الدين كان قد اخذ ما كان لاخيه غياث الدين وهو مدينة قونية فهرب غياث الدين منه وقصد الشام الى الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين صاحب حلب فلم يجد عنده قبولًا وقصّر به فسار من عنده وتقلّب فى البلاد الى ان وصل الى القسطنطينيّة فاحسن اليه ملك الروم واقطعه واكرمه فاقام عنده وتزوّج بابنة بعض البطارقة الكبار وكان لهذا البطريق قلعة من عمل القسطنطينيّة فلمّا ملك الفرنج القسطنطينيّة هرب غياث الدين الى حَمِيه وهو بقلعته فانزله عنده وقال له نشترك فى هذه القلعة ونقنع بدخلها فاقام عنده فلمّا مات اخوه سنة ستّمائة كما ذكرناه واجتمع الامرآء[1] على ولده وخالفهم الاتراك الاوج[2] وهم كثير بتلك البلاد وأنف من اتباعهم وارسل الى غياث الدين يستدعيه اليه ليملّكه البلاد فسار اليه فوصل فى جمادى الاولى واجتمع به وكثر جمعه وقصد مدينة قونية ليحصرها وكان ولد ركن الدين والعساكر بها فاخرجوا اليه طايفة من العسكر فلقوه فهزموه فبقى حيران لا يدرى اين يتوجّه فقصد بلدة صغيرة يقال لها اوكرم بالقرب من قونية فقدّر الله تعالى انّ اهل مدينة اقصرا وثبوا على الوالى فاخرجوه منها ونادوا بشعار غياث الدين فلمّا سمع اهل قونية بما فعله اهل اقصرا قالوا نحن اولى مَن فعل هذا لانّه كان حسن السيرة فيهم لمّا كان مالكهم فنادوا باسمه ايضًا واخرجوا مَن عندهم واستدعوه فحضر عندهم وملك المدينة

---

[1]) C. P. Ups.: الامر

[2]) C. P. Ups.: وخالفهم الامير وهو من الاتراك الاوج

وقبض ابن اخيه ومن معه واتاه الله الملك وجمع له البلاد جميعها فى ساعة واحدة فسبحان من اذا اراد امرًا هيّأ اسبابه وكان اخوه قيصر شاه الذى كان صاحب ملطيّة لمّا اخذها ركن الدين منه سنة سبع وتسعين فخرج منها وقصد الملك العادل ابا بكر بن ايّوب لانّه كان زوج ابنته مستنصرًا به فامره بالمقام بمدينة الرُّها فاقام بها فلمّا سمع بمُلك اخيه غياث الدين سار اليه فلم يجد عنده قبولًا انّما اعطاه شيأً وامره بمفارقة البلاد فعاد الى الرُّها واقام بها فلمّا استقرّ ملك [غياث الدين سار اليه الافضل صاحب][1] سميساط فلقيه بمدينة قيساريّة وقصده ايضًا نظام الدين صاحب خرت برت وصار معه فعظم شانه وقوى امره ۞

ذكر حصر صاحب آمد خرت برت ورجوعه عنها

كانت خرت برت لعماد الدين بن قرا ارسلان فمات وملكها بعده ابنه نظام الدين ابو بكر والتجا الى ركن الدين ابن قلج ارسلان وبعده الى اخيه غياث الدين ليمتنع به من ابن عمّه ناصر الدين محمود بن محمّد بن قرا ارسلان فامتنع به وكان صاحب آمد ملتجيًا الى الملك العادل وفى طاعته وحضر مع ابنه الملك الاشرف قتال صاحب الموصل على شرط انّه يسيّر معه عساكره وياخذ له خرت برت وانّما طمع فيها بموت ركن الدين فلمّا دخلت هذه السنة طلب ما كان استقرّ الامر عليه فسار معه الملك الاشرف وعساكر ديار الجزيرة من سنجار وجزيرة ابن عمر والموصل وغيرها وكان نزولهم عليها فى شعبان وفى رمضان تسلّموا ربضها وكان صاحبها قد اجتمع بغياث الدين بعد ان ملك البلاد الروميّة وصار معه فى طاعته فلمّا نزل صاحب آمد على خرت برت خاطب صاحبها لغياث الدين ينجده بعسكر يرحّلهم عنه فجهّز عسكرًا كثيرًا عدّتهم ستّة الاف فارس وسيّرهم [مع] الملك الافضل صاحب سميساط فلمّا وصل العسكر الى ملطيّة فارق صاحب آمد ومن معه من خرت برت ونزلوا الى الصحراء وحصروا البحيرة المعروفة ببحيرة سهنين وبها حصنان احدهما لصاحب آمد والاخر لصاحب خرت برت فحصره وزاحفه ففتحه

---

[1]) C. P. [2]) Desunt in C. P.: فلقيه بمدينة قيساريّة

ثانى ذى الحجّة ووصل صاحب خرت برت مع العسكر الرومىّ الى خرت برت فرحل صاحب آمد عن البحيرة[1] وقوّى الحصن الذى فتحه فيها فازاح علّته ورحل الى خلف مرجلة ونزل وترددت الرسل والعسكر الرومىّ يطلب اعادة البحيرة وصاحب آمد يمتنع من ذلك فلمّا طال الامر بقى الحصن بيد صاحب آمد وانفصل العسكران وعاد كلّ فريق الى بلاده ۞

ذكر الفتن ببغداد

فى سابع عشر شعبان جرت فتنة ببغداد بين اهل باب الازج واهل المامونيّة وسببها انّ اهل باب الازج قتلوا سبعًا وارادوا ان يطوفوا به فنعهم اهل المامونيّة فوقعت الفتنة بينهما عند البستان الكبير فجُرح[2] منهم خلق كثير وقُتل جماعة وركب صاحب الباب لتسكين الفتنة فجرح فرسُه فعاد فلمّا كان الغد سار اهل المامونيّة الى باب الازج فوقعت بينهم فتنة شديدة وقتالٌ بالسيوف والنشاب واشتدّ الامر فنُهبت الدور القريبة منهم وسعى الركن ابن عبد القادر ويوسف فى تسكين الناس وركب الاتراك فصاروا يبيتون تحت المنظرة فامتنع اهل الفتنة من الاجتماع فسكنوا ۰ وفى العشرين منه جرت فتنة بين اهل قطفتا والقرية من محالّ الجانب الغربىّ بسبب قتل سُبُع ايضًا اراد اهل قطفتا ان يجتمعوا ويطوفوا به فنعهم اهل القرية ان يجروا به عندهم فاقتتلوا وقُتل بينهم عدّة قتلى فأُرسل اليهم عسكر من الديوان لتلافى الامر ومَنْع الناس عن الفتنة فامتنعوا ۰ وفى تاسع رمضان كانت فتنة بين اهل سوق السلطان والجعفريّة منشاها انّ رجلَيْن من المحلّتَيْن اختصما وتوعّد كلّ واحد منهما صاحبه فاجتمع اهل المحلّتين واقتتلوا فى مقبرة الجعفريّة فسُيّر اليهم من الديوان مَن تلافى الامرَ وسكّنه فلمّا كثرت الفتن رتّب امير كبير من مماليك الخليفة ومعه جماعة كثيرة فطاف فى البلد وقتل جماعة ممّن فيه شبهة فسكن الناس ۞

ذكر غارة الكرج على بلاد الاسلام

فى هذه السنة اغارت الكُرج على بلاد الاسلام من ناحية اذربيجان فاكثروا العنت والفساد والنهب والسبى ثمّ اغاروا على ناحية خلاط من

---

[1] الجزيرة [2] فخرج

ارمينية فاوغلوا فى البلاد حتّى بلغوا ملازكرد ولم يخرج اليهم احد من المسلمين يمنعهم فجاسوا خلال البلاد ينهبون ويأسرون وكلّما [تقدّموا][1] تاخّرت عساكر المسلمين منهم ثمّ انّهم رجعوا فالله تعالى ينظر الى الاسلام واهله وييسّر لهم مَن يحمى بلادهم ويحفظ ثغورهم ويغزوا اعداءهم، وفيها غارت الكُرج الى بلاد خلاط فاتوا الى ارجيش[2] ونواحيها فنهبوا وسبوا وخرّبوا البلاد وساروا الى حصن التين من اعمال خلاط وهو مجاور ارزن الروم فجمع صاحب خلاط عسكره وسار الى طغل شاه[3] ولد قلج ارسلان صاحب ارزن الروم فاستنجده على الكُرج فسيّر عسكره جميعه معه فتوجّهوا نحو الكُرج فلقوهم وتصافّوا واقتتلوا فانهزمت الكُرج وقتل زكرى الصغير وهو من اكابر مقدّميهم وهو الذى كان مقدّم هذا العسكر من الكُرج والمقاتل بهم وغنم المسلمون ما معهم من الاموال والسلاح والكراع وغير ذلك وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا واسروا كذلك وعاد الى بلاده ۞

ذكر الحرب بين امير مكّة وامير المدينة

وفى هذه السنة ايضًا كانت الحرب بين الامير قتادة الحسينىّ امير مكّة وبين الامير سالم بن قاسم الحسينىّ امير المدينة ومع كلّ واحد منهما جمع كثير فاقتتلوا قتالًا شديدًا وكانت الحرب بذى الحُلَيْفة بالقرب من المدينة وكان قتادة قد قصد المدينة ليحصرها ويأخذها فلقيه سالم بعد ان قصد الحجرة على ساكنها الصلاة والسلام فصلّى عندها ودعا وسار فلقيه فانهزم قتادة وتبعه سالم الى مكّة فحصره بها فارسل قتادة الى مَن مع سالم من الامرآء فافسدهم عليه فالوا اليه وحالفوه فلمّا راى سالم ذلك رحل عنه عايدًا الى المدينة وعاد امر قتادة قوى ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى يوم الجمعة رابع عشر جمادى الاخرة قُطعت خطبة ولىّ العهد واظهر خطّ قرئ بدار الوزير نصير الدين بن مهدى الرازىّ وانّ هو خطّ ولىّ العهد الامير ابى نصر بن الخليفة الى ابيه الناصر لدين الله امير المؤمنين يتضمّن العجز عن القيام بولاية العهد ويطلب الاقالة

---

[1] C. P.   [2] ارخيش   [3] طغرنشاه

وشهد عدلان انّه خطّه وانّ الخليفة اقاله وعُمل بذلك محضرٌ شهد فيه القضاة والعدول والفقهآء ، وفى هذه السنة ولدت امراة ببغداد ولدًا له راسان واربع ارجُل ويدان ومات فى يومه ، وفيها[1] ايضًا وقع الحريق فى خزانة السلاح التى للخليفة فاحترق فيها منه شئ كثير وبقيت النار يومَيْن وسار ذكر هذا الحريق فى البلدان فحمل الملوك من السلاح الى بغداد شيأً كثيرًا ، وفى هذه السنة وقع الثلج بمدينة هراة اسبوعًا كاملاً فلمّا سكن جآء بعده سيل من الجبل من باب سرا خرّب كثيرًا من البلد ورمى من حصنه قطعة عظيمة وجآء بعده بردٌ شديدٌ اهلك الثمار فلم يكن بها تلك السنة شئ الّا اليسير ، وفيها فى شعبان خرج عسكر من الغوريّة مقدّمهم الامير زنكى بن مسعود الى مدينة مرو فلقيهم نايب خوارزم شاه بمدينة سرخس وهو الامير جقر وكمن لهم كمينًا فلمّا وصلوا اليه هزمهم واخذ وجوه الغوريّة اسرى فلم يُفلت منهم الّا القليل واخذ اميرهم زنكى اسيرًا فقُتل صبرًا وعلقت رؤسهم بمرو ايّامًا ، وفيها فى ذى القعدة سار الامير عماد الدين عمر بن الحسين الغوريّ صاحب بلخ الى مدينة ترمذ وهى للاتراك الخطا فافتتحها عنوة وجعل بها ولده الاكبر وقُتل مَن بها من الخطا ونقل العلويّين منها الى [بلخ][2] وصارت ترمذ دار اسلام وهى من امنع الحصون واقواها ، وفيها توفّى صدر الدين السجزيّ[3] شيخ خانكاه السلطان بهراة ، وفيها فى صفر توفّى ابو علىّ الحسن بن محمّد بن عبدوس الشاعر الواسطىّ وهو من الشعرآء المجيدين واجتمعتُ به بالموصل وَرَدَها مادحًا لصاحبها نور الدين ارسلان شاه وغيره من المقدّمين وكان نعم الرجل حسن الصحبة والعشرة ، وفيها اجتمع ببغداد رجلان اعميان على رجل اعمى ايضًا وقتلاه بمسجد طمعا ان ياخذا منه شيأً فلم يجدا معه ما ياخذانه وادركهما الصباح فهربا من الخوف يريدان الموصل ورُيى الرجل مقتولاً ولم يُعلم قاتله فاتّفق انّ بعض اصحاب الشحنة اجتاز من الحريم فى خصومة جرت فراى الرجلَيْن الضريرَيْن فقال لمن معه هولآء الذين قتلوا الاعمى يقوله مزحًا فقال احدهما هذا والله قتله فقال

---

[1]) وفيه [2]) C. P. [3]) السجرى

الاخر بل انت قتلتَهٗ فأُخذا الى صاحب الباب فاقرّا فقُتل احدهما وصُلب الاخر على باب المسجد الذى قتلا فيه الرجل ۞

ثم دخلت سنة اثنتين وستمائة ؞

سنة ٦٠٢

ذكر الفتنة بهراة

فى هذه السنة فى المحرّم ثار العامّة بهراة وجرت فيه فتنة عظيمة بين اهل السوقَيْن الحدّادين والصفّارين قُتل فيها جماعة ونُهبت الاموال وخُرّبت الديار فخرج امير البلد ليكفّهم فضربه بعض العامّة بحجر ناله منه أَلَمٌ شديد واجتمع الغوغآء عليه فرُفع الى القصر الفيروزىّ واختفى ايّامًا الى ان سكنت الفتنة ثمّ ظهر ۞

ذكر قتال شهاب الدين الغورىّ بنى كوكر

قد ذكرنا انهزام شهاب الدين محمّد بن سام[1] الغورىّ صاحب غزنة من الخطا الكفّار وانّ الخبر ظهر ببلاده انّه عُدم من المعركة لم يقف اصحابه له على خبر فلمّا اشتهر هذا الخبر ثار المفسدون فى اطراف البلاد وكان ممّن افسد دانيال صاحب جبل الجودى فانّه كان قد اسلم فلمّا بلغه الخبر ارتدّ عن الاسلام وتابع بنى كوكر ومساكنهم فى جبال بين لهاوور والمولتان[2] حصينة منيعة وكانوا قد اطاعوا شهاب الدين وحملوا له الخراج فلمّا بلغهم خبر عدمه ثاروا فيمن معهم من قبايلهم وعشايرهم واطاعهم صاحب جبل الجودى وغيره من القاطنين بتلك الجبال ومنعوا الطريق من لهاوور وغيرها الى غزنة فلمّا فرغ شهاب الدين من قتل مملوكه ايبك بال وقد ذكرناه ارسل الى نايبه بلهاوور والمولتان وهو محمّد بن ابى علىّ يامره بحمل المال لسنة ستّمائة وسنة احدى وستّمائة ليتجهّز به لحرب الخطا فاجاب انّ اولاد كوكر قد قطعوا الطريق ولا يمكنه ارسال المال وحضر جماعة من التجار وذكروا انّ قفلًا كبيرًا اخذه اولاد كوكر ولم ينج منه الّا القليل فامر شهاب الدين مملوكه ايبك مقدّم عساكر الهند ان يُراسل بنى كوكر يدعوهم الى الطاعة ويتهدّدهم ان لم يجيبوا ففعل ذلك فقال ابن كوكر لاىّ معنى لم يرسل السلطان

---

1) سامة 2) والمولنان

الينا رسولاً فقال له الرسول وما قدركم انتم حتّى يرسل اليكم وانّما مملوكه يبصّركم رشدكم ويهدّدكم فقال ابن كوكر لو كان شهاب الدين حيًّا لراسلنا وقد كنّا ندفع الاموال اليه فحيث عُدم فقل لايبك يترك لنا لهاوور وما والاها وفرشابور ونحن نصالحه فقال الرسول نفذ انت جاسوسًا تثق اليه ياتيك بخبر شهاب الدين من فرشابور[1] فلم يصْغ الى قوله فردّه فعاد واخبر بما سمع وراى فامر شهاب الدين مملوكه قطب الدين ايبك بالعود الى بلاده وجمْع العساكر وقتال بنى كوكر فعاد الى دهلى وامر عساكره بالاستعداد فاقام شهاب الدين فى فرشابور الى نصف شعبان من سنة احدى وستّمائة ثمّ عاد الى غزنة فوصلها اوّل رمضان وامر بالنداء فى العساكر بالتجهّز لقتال الخطا وانّ المسير يكون اوّل شوّال فتجهّزوا لذلك فاتّفق انّ الشكايات[2] كثرت من بنى كوكر وما يعتمدونه من اخافة السبل[3] وانّهم قد انفذوا شحنة الى البلاد ووافقهم اكثر الهنود وخرجوا من طاعة امير لهاوور والمولتان وغيرهما ووصل كتاب الوالى يذكر ما قد دهمه منهم وانّ عُمّاله قد اخرجهم بنو كوكر وجبوا الخراج وانّ ابن كوكر مقدّمهم ارسل اليه ليترك له لهاوور والبلاد والّا قتله ويقول ان لم يحضر السلطان شهاب الدين بنفسه ومعه العساكر والّا خرجت البلاد من يده وتحدّث الناس بكثرة مَن معهم من الجموع وما لهم من القوّة فتغيّر عزم شهاب الدين حينئذ عن غزو الخطا واخرج خيامه وسار عن غزنة خامس ربيع الاوّل سنة اثنتين وستّمائة فلمّا سار وابعد انقطعت اخباره عن الناس بغزنة وفرشابور حتّى ارجف الناس بانهزامه وكان شهاب الدين لمّا سار عن فرشابور اتاه خبر ابن كوكر انّه نازل فى عساكره ما بين جبلم وسودرة فجدّ السير اليه فدهمه قبل الوقت الذى كان يقدّر وصوله فيه فاقتتلوا قتالاً شديدًا يومَ الخميس لخمسٍ بقين من ربيع الاخر من بكرة الى العصر واشتدّ القتال فبينما هم فى القتال واذ قد اقبل قطب الدين ايبك فى عساكره فنادوا بشعار الاسلام وحملوا حملة صادقة فانهزم الكوكريّة ومن انضمّ اليهم وقُتلوا بكلّ

[1]) فراشابور [2]) C. P. Ups.: السلعمان [3]) C. P. Ups.: السبيل

مكان وقصدوا أَجَمَةً هناك فاحتموا بها واضرموا نارًا فكان احدهم يقول لصاحبه لا تترك المسلمين يقتلونك ثمّ يلقى نفسه فى النار فيلقى صاحبه نفسه بعده فيها فعمّهم الفناء قتلاً وحرقًا فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ[1] وكان اهلهم واموالهم معهم لم يفارقوها فغنم المسلمون منهم ما لم يُسمع بمثله حتّى انّ المماليك كانوا يُباعون كلّ خمسة بدينار ركنىّ ونحوه وهرب ابن كوكر[4] بعد ان قتل اخوته واهله وامّا ابن دانيال[2] صاحب جبل الجودى فانّه جآء ليلاً الى قطب الدين ايبك فاستجار به فاجاره وشفع فيه الى شهاب الدين فشفّعه فيه واخذ منه قلعة الجودى فلمّا فرغ منهم سار نحو لهاوور ليامن اهلها ويسكن روعهم وامر الناس بالرجوع الى بلادهم والتجهيز لحرب الخطا واقام شهاب الدين بلهاوور الى سادس عشر رجب وعاد نحو غزنة وارسل الى بهآء الدين سام صاحب باميان ليتجهّز للمسير الى سمرقند ويعمل جسرًا ليعبر هو وعساكره عليه ۞

ذكر الظفر بالتيراهيّة

كان من جملة الخارجين المفسدين ايضًا على شهاب الدين التيراهيّة فانّهم خرجوا الى حدود سوران ومكرهان للغارة على المسلمين فاوقع بهم نايب تاج الدين الدز[3] مملوك شهاب الدين بتلك الناحية ويعرف بالحاجبى وقتل منهم خلقًا كثيرًا وحمل رؤس المعروفين فعُلّقت ببلاد الاسلام وكانت فتنة هولآء التيراهيّة على بلاد الاسلام عظيمةً قديمًا وحديثًا وكان اذا وقع بايديهم اسير من المسلمين عذّبوه بانواع العذاب وكان اهل فرشابور معهم فى ضرّ شديد لانّهم[4] يحيطون بتلك الولاية من جوانبها لا سيّما اخر ايّام سبكتكين فانّ الملوك ضعفوا وقوى هولآء عليهم وكانوا يغيرون على اطراف البلاد وكانوا كفّارًا لا دين لهم يرجعون اليه ولا مذهب يعتمدون عليه الّا انّهم كانوا اذا وُلد لاحدهم بنت وقف على باب داره ونادى من يتزوّج هذه مَن يقبلها فان اجابه احد تركها والّا قتلها ويكون للمراة عدّة ازواج فاذا كان احدهم عندها جعل مداسه على الباب فاذا جآء غيره من ازواجها ورأى مداسه عاد ولم يزالوا كذلك حتّى اسلم طايفة منهم

---

[1]) Cor. 11, 46. [2]) داىىال [3]) الدكز [4]) لا

اخر ايّام شهاب الدين الغوريّ فكفّوا عن البلاد وسبب اسلامهم انّهم اسروا انسانًا من فرشابور فعذّبوه فلم يمُتْ ودامت ايّامه عندهم فاحضره يومًا مقدّمهم وساله عن بلاد الاسلام وقال له لو حضرتُ انا عند شهاب الدين ما ذا كان يُعطيني فقال له المعلّم كان يُعطيك الاموال والاقطاع ويردّ اليك حكم جميع البلاد التى لكم فارسله الى شهاب الدين فى الدخول فى الاسلام فعاد ومعه رسول بالخلع والمنشور بالاقطاع فلمّا وصل اليه الرسول سار هو وجماعة من اهله الى شهاب الدين فاسلموا وعادوا وكان للناس بهم راحة فلمّا كانت هذه الفتنة واختلفت البلاد نزل اكثرهم من الجبال فلم يكن لهذه الطايفة بهم قدرة ليمنعوهم فافسدوا واعملوا ما ذكرناه ٭

ذكر قتل شهاب الدين الغوريّ

فى هذه السنة اوّل ليلة من شعبان قُتل شهاب الدين ابو المظفّر محمّد بن سام الغوريّ ملك غزنة وبعض خراسان بعد عوده من لهاوور بمنزل يقال له دميك[1] وقت صلاة العشآء وكان سبب قتله انّ نفرًا من الكفّار الكوكريّة لزموا عسكره عازمين على قتله لما فعل بهم من القتل والاسر والسبى فلمّا كان هذه الليلة تفرّق عنه اصحابه وكان قد عاد ومعه من الاموال ما لا يُحدّ فانّه كان عازمًا على قصد الخطا والاستكثار من العساكر وتفريق المال فيهم وقد امر عساكره بالهند باللحاق به وامر عساكره الخراسانيّة بالتجهّز الى ان يصل اليهم فاتاه اللّه من حيث لم يحتسب ولم يُغن عنه ما جمع من مال وسلاح ورجال لكن كان على نيّة صالحة من قتال الكفّار، فلمّا تفرّق عنه اصحابه وبقى وحده فى خركاة فثار اوليك النفر فقتل احدهم بعض الحرس بباب سرادق شهاب الدين فلمّا قتلوه صاح فثار اصحابه من حول السرادق لينظروا ما بصاحبهم فاخلوا مواقفهم وكثُر الزحام فاغتنم الكوكريّة غفلتهم عن الحفظ فدخلوا على شهاب الدين وهو فى الخركاة فضربوه بالسكاكين اثنتين وعشرين ضربة فقتلوه فدخل عليه اصحابه فوجدوه على مصلّاه قتيلًا وهو ساجد فاخذوا اوليك الكفّار فقتلوهم وكان فيهم اثنان مختونان وقيل انّما قتله الاسماعيليّة

---

[1]) دميل

لانّهم خافوا خروجه الى خراسان وكان له عسكر يحاصر بعض قلاعهم على ما نذكره، فلمّا قُتل اجتمع الامرآء عند وزيره مؤيّد الملك[1] بن خواجا سجستان فتحالفوا على حفظ الخزانة والملك ولزوم السكينة الى ان يظهر مَن يتولّاه واجلسوا شهاب الدين وخيّطوا جراحه وجعلوه فى المحفّة وساروا به ورتّب الوزير الامور وسكّن الناس بحيث لم تُرَق محاجمة دم ولم يوجد فى احد شئ وكانت المحفّة محفوفة بالحشم والوزير والعسكر والشمسة على حاله فى حياته وتقدّم الوزير الى امير دار العسكر باقامة السياسة وضبط العسكر وكانت الخزانة التى فى صحبته الفىْ حمل ومايتَىْ حمل وشغّب الغلمان الاتراك الصغار لينهبوا المال فنعهم الوزير والامرآء الكبار من المماليك وهو صونج[2] صهر الدز وغيره وامروا كلّ مَن له اقطاعٌ عند قطب الدين ايبك مملوك شهاب الدين ببلاد الهند بالعود اليه وفرّقوا فيهم اموالًا كثيرة فعادوا وسار الوزير ومعه مَن له اقطاعٌ واهلٌ بغزنة وعلموا انّه يكون بين غياث الدين محمود بن غياث الدين اخى شهاب الدين الاكبر وبين بهآء الدين صاحب باميان وهو ابن اخت شهاب الدين حروب شديدة وكان ميل الوزير والاتراك وغيرهم الى غياث الدين محمود وكان الامرآء الغوريّة يميلون الى بهآء الدين سام صاحب باميان فارسل كلّ طايفة الى من يميلون اليه يعرّفونه قتل شهاب الدين وجليّة الامور وجآء بعض المفسدين من اهل غزنة فقال للمماليك انّ فخر الدين الرازىّ قتل مولاكم لانّه هو اوْصل من قتله فوضع من خوارزم شاه فثاروا به ليقتلوه فهرب وقصد مؤيّد الملك الوزير فاعلمه الحال فسيّره سرًّا الى مامنه ولمّا وصل العسكر والوزير الى فرشابور اختلفوا فالغوريّة يقولون نسير الى غزنة على طريق مكرهان وكان غرضهم ان يقربوا من باميان ليخرج صاحبها بهآء الدين سام فيملك الخزانة قال الاتراك بل نسير على طريق سوران وكان مقصودهم ان يكونوا قريبًا من تاج الدين الدز مملوك شهاب الدين وهو صاحب كرمان مدينة بين غزنة ولهاوور وليست بكرمان التى تجاور بلاد فارس ليحفظ الدز الخزانة ويرسلون من كرمان الى غياث الدين

---

1) الدين   2) صونج

يستدعونه الى غزنة ويملّكونه وكثر بينهم الاختلاف حتّى كادوا يختلفون
فتوصّل مؤيّد الملك مع الغوريّة حتّى اذنوا له وللاتراك باخذ الخزانة
والمحفّة التى فيها شهاب الدين والمسير على كرمان وساروا هم على طريق
مكرهان ولقى الوزير ومَن معه مشقّة عظيمة وخرج عليهم الامم الذين فى
تلك الجبال التيراهيّة واوغان وغيرهم فنالوا من اطراف العسكر الى ان وصلوا
الى كرمان فخرج اليهم تاج الدين الدُز يستقبلهم فلمّا عاين المحفّة وفيها
شهاب الدين ميّتًا نزل وقبّل الارض على عادته فى حياة شهاب الدين
وكشف عنه فلمّا رءاه ميّتًا مزّق ثيابه وصاح وبكى فابكى الناس
وكان يومًا مشهودًا ٭

ذكر ما فعله الدُز

كان الدُز من اوّل مماليك شهاب الدين واكبرهم واقدمهم واكبرهم
محلًّا عنده بحيث انّ اهل شهاب الدين كانوا يخدمونه ويقصدونه فى
اشغالهم فلمّا قُتل صاحبه طمع ان يملك غزنة فاوّل ما عمل انّه سال
الوزير مؤيّد الملك عن الاموال والسلاح والدوابّ فاخبره بما خرج من
ذلك وبالباقى معه فانكر الحال واساء ادبه فى الجواب وقال انّ الغوريّة قد
كاتبوا بهاء الدين سام[1] صاحب باميان[2] ليُملكوه غزنة وقد كتب الىّ
غياث الدين محمود وهو مولاى يامرنى انّنى لا اترك احدًا يقرب من
غزنة وقد جعلنى نايبه فيها وفى ساير الولاية المجاورة لها لانّه مشتغل بامر
خراسان وقال للوزير انّه قد امرنى ايضًا ان اتسلّم الخزانة منك فلم
يقدر على الامتناع لميل الاتراك اليه فسلّمها اليه وسار بالمحفّة والمماليك
والوزير الى غزنة فدفن شهاب الدين فى التربة بالمدرسة التى انشاها ودفن
ابنته فيها وكان وصوله اليها فى الثانى والعشرين من شعبان من السنة ٭

ذكر بعض سيرة شهاب الدين

كان رحمه الله شجاعًا مقدامًا كثير الغزو الى بلاد الهند عادلًا فى
رعيّته حسن السيرة فيهم حاكمًا بينهم بما يوجبه الشرع المطهر وكان
القاضى بغزنة يحضر داره كلّ اسبوع السبت والاحد والاثنين والثلاثاء ويحضر

---

[1] سامة [2] مامسان

معه امير حاجب وامير دار وصاحب التربة فيحكم القاضى واصحاب السلطان ينفذون احكامه على الصغير والكبير والشريف والوضيع وان طلب احد الخصوم الحضور عنده احضره وسمع كلامه وامضى عليه او له حكم الشرع فكانت الامور جارية على احسن نظام ، حُكى عنه انّه لقيه صبىّ علوىّ عمره نحو خمس سنين فدعا له وقال لى خمسة ايّام ما اكلتُ شيئاً فعاد من الركوب لوقته ومعه الصبىّ فنزل فى داره واطعم العلوىّ اطيب الطعام بحضرته ثمّ اعطاه مالاً بعد ان احضر اباه وسلّمه اليه وفرّق فى ساير العلويّين مالاً عظيماً ، وحُكى انّ تاجرًا من مراغة كان بغزنة وله على بعض مماليك شهاب الدين دينٌ مبلغه عشرة الاف دينار فقُتل المملوك فى حربٍ كانت له فرفع التاجر حاله فامر بان يقرّ اقطاع المملوك بيد التاجر الى ان يستوفى دينه ففُعل ذلك ، وحُكى عنه انّه كان يحضر العلمآء بحضرته فيتكلّمون من المسايل الفقهيّة وغيرها وكان فخر الدين الرازىّ يعظ فى داره فحضر يومًا فوعظ وقال فى اخر كلامه يا سلطان لا سلطانك يبقى ولا تلبيس الرازىّ وانّ مردّنا الى اللّه فبكى شهاب الدين حتّى رحمه الناس لكثرة بكآيه وكان رقيق القلب وكان شافعىّ المذهب مثل اخيه قيل وكان حنفيًّا واللّه اعلم ☆

ذكر مسير بهآء الدين سام الى غزنة وموته

لمّا ملك غياث الدين ابو الفتح محمّد بن سام باميان اقطعها ابن عمّه شمس الدين محمّد بن مسعود وزوّجه اخته فاتاه منها ولدٌ اسمه سام فبقى فيها الى ان توفّى وملك بعده ابنه الاكبر واسمه عبّاس وامّه تركيّة فغضب غياث الدين واخوه شهاب الدين فى ذلك وارسلا مَن احضر عبّاسًا عندهما فاخذا الملك منه وجعلا ابن اختهما سام ملكًا على باميان وتلقّب بهآء الدين[1] وعظم شانه ومحلّه وجمع الاموال ليملك البلاد بعد خاله واحبّه امرآء الغوريّة حُبًّا شديدًا وعظّموه فلمّا قُتل خاله شهاب الدين سار بعض الامرآء الغوريّة الى بهآء الدين سام فاخبره بذلك فلمّا بلغه قتله كتب الى مَن بغزنة من الامرآء الغوريّة يامرهم

---

1) الدولة

بحفظ البلد ويعرّفهم انّه على الطريق ساير اليهم وكان والى قلعة غزنة ويعرف بامير دار قد ارسل ولدَه الى بهآء الدين سام يستدعيه الى غزنة فاعاد جوابه انّه تجهّز ويصل اليه ويعده الجميل والاحسان وكتب بهآء الدين الى علآء الدين محمّد بن ابى علىّ ملك الغور يستدعيه اليه والى غياث الدين محمود بن غياث الدين والى ابن خرميل[2] والى هراة يامرهما باقامة الخطبة له وحفظ ما بايديهما من الاعمال ولم يظنّ انّ احدًا يخالفه فاقام اهل غزنة ينتظرون وصوله او وصول غياث الدين محمود والاتراك ويقولون لا نترك غيرَ ابن سيدنا يعنون غياث الدين يدخل غزنة والغوريّة يتظاهرون بالميل الى بهآء الدين ومنع غيره فسار من باميان الى غزنة فى عساكره ومعه ولداه علآء الدين محمود وجلال الدين فلمّا سار عن باميان مرحلتَيْن وجد صُداعًا فنزل يستريح ينتظر خفّته عنه فازداد الصداع وعظم الامر عليه فايقن بالموت فاحضر ولدَيْه وعهد الى علآء الدين وامرهما بقصد غزنة وحفظ مشايخ الغوريّة وضبط الملك وبالرفق بالرعايا وبذل الاموال وامرهما ان يصالحا غياث الدين على ان يكون له خراسان وبلاد الغور ويكون لهما غزنة وبلاد الهند ❁

ذكر مُلك علآء الدين غزنة واخذها منه

لمّا فرغ بهآء الدين من وصيّته توفّى فسارا ولداه الى غزنة فخرج امرآء الغوريّة واهل البلد فلقوهما وخرج الاتراك معهم على كرهٍ منهم ودخلوا البلد وملكوه ونزل علآء الدين وجلال الدين دار السلطنة مستهلّ رمضان وكانوا قد وصلوا فى ضرٍّ وقلّة من العسكر واراد الاتراك منعهم فنهاهم مؤيّد المُلك وزير شهاب الدين لقلّتهم ولاشتغال غياث الدين بابن خرميل[1] والى هراة على ما نذكره فلم يرجعوا ولمّا استقرّا بالقلعة ونزلا بدار السلطانيّة راسلهما الاتراك بان يخرجا من الدار والّا قاتلوهما ففرّقا فيهم اموالًا كثيرة واستحلفاهم فحلفوا واستبوا[2] غياث الدين محمود وانفذا خلعًا الى تاج الدين الدُز وهو باقطاعه مع رسول وطلباه الى طاعتهما ووعداه بالاموال والزيادة فى الاقطاع وامارة الجيش والحكم فى جميع الممالك فاتاه الرسول

---

1) حرميل 2) واستمنوا

فلقيه وقد سار عن كرمان فى جيش كثير من الترك والخلج والغزّ وغيرهم فابلغه الرسالة فلم يلتفت اليه وقال قل لهما يعودان الى باميان وفيها كفاية فانى قد امرنى مولاى غياث الدين ان اسير الى غزنة وامنعهما عنها فان عادا الى بلدهما والّا فعلتُ بهما وبمن معهما ما يكرهون وردّ ما معهما من الهدايا والخلع ولم يكن قصد الدز بهذا حفظ بيت صاحبه وانّما اراد ان يجعل هذا طريقًا الى مُلك غزنة لنفسه ، فعاد الرسول وابلغ علآء الدين رسالة الدُز فارسل وزيره وكان قبله وزير ابيه الى باميان وبلخ وترمذ وغيرها من بلادهم ليجمع العساكر ويعود اليه فارسل الدُز الى الاتراك الذين بغزنة يعرّفهم انّ غياث الدين امره ان يقصد غزنة ويُخرج علآء الدين واخاه منها فحضروا عند وزير علآء الدين وطلبوا منه سلاحًا ففتح خزانة السلاح فهرب ابن الوزير الى علآء الدين وقال له قد كان كذا وكذا فلم يقدر يفعل شيأً وسمع مؤيّد الملك وزير شهاب الدين فركب وانكر على الخازن تسليم المفاتيح وامره واستردّ ما نهبه الترك جميعه لانّه كان مطاعًا فيهم ، ووصل الدز الى غزنة فاخرج اليه علآء الدين جماعة من الغوريّة ومن الاتراك وفيهم صونج[1] صهر الدُز فاشار عليه اصحابه ان لا يفعل وينتظر العسكر مع وزيره فلم يقبل منهم وسيّر العساكر فالتقوا خامس رمضان فلمّا لقوه خدمه الاتراك وعادوا معه على عسكر علآء الدين له فقاتلوهم فهزموهم واسروا مقدّمهم وهو محمّد بن علىّ بن حردون ودخل عسكر الدُز المدينة فنهبوا بيوت الغوريّة والباميانيّة وحصر الدُز القلعة فخرج جلال الدين منها فى عشرين فارسًا وسار عن غزنة فقالت له امراة تستهزئ به الى اين تمضى خذ الجتر[2] والشمسة معك ما اقبح خروج السلاطين هكذا . فقال لها انّك سترين ذلك اليوم وافعل بكم ما تقرّون به بالسلطنة لى وكان قد قال لاخيه احفظ القلعة الى ان اتيك بالعساكر ، فبقى الدُز يحاصرها واراد مَن مع الدُز نهب البلد فنهاهم عن ذلك وارسل الى علآء الدين يامره بالخروج من القلعة وتهدّده ان لم يخرج منها وتردّدت الرسل بينهما فى ذلك

---

1) صونجر 2) الجمر

فاجاب الى مفارقتها والعود الى بلده وارسل مَن حلّف له الدُز ان لا
يونيه ولا يعترض اليه ولا الى احد ممّن يحلف له وسار عن غزنة ،
فلمّا رءاه الدُز وقد نزلَ من القلعة عدل الى تربة شهاب الدين مولاه
ونزل اليها ونهب الاتراك ما كان مع علآء الدين والقوه عن فرسه واخذوا
ثيابه وتركوه عريانًا بسرويله فلمّا سمع الدُز ذلك ارسل اليه بدوابّ
وثياب ومال واعتذر اليه فاخذ ما لبسه وترك الباقى فلمّا وصل الى باميان
لبس ثياب سواد وركب حمارًا فاخرجوا له مراكب ملوكيّة وملابس
جميلة فلم يركب ولم يلبس وقال اريد يرانى الناس وما صنع بى اهل
غزنة حتّى اذا عُدتُ اليها خرّبتُها ونهبتُها لا يلومنى احد ودخل دار
الامارة وشرع فى جمع العساكر ۞

ذكر مُلك الدُز غزنة

قد ذكرنا استيلآء الدُز على الاموال والسلاح والدوابّ وغير ذلك ممّا
كان صحبة شهاب الدين واخذه من الوزير مؤيّد الملك[1] فجمع به العساكر
من انواع الناس الاتراك والخلج والغزّ وغيرهم وسار الى غزنة وجرى له مع
علآء الدين ما ذكرنا فلمّا خرج علآء الدين من غزنة اقام الدُز
بداره اربعة ايّام يُظهر طاعة غياث الدين الّا انّه لم يامر الخطيب بالخطبة
له ولا لغيره وانّما يخطب للخليفة ويترحّم على شهاب الدين الشهيد
حسبُ ، فلمّا كان فى اليوم الرابع احضر مقدّمى الغوريّة والاتراك وذمّ
مَن كاتب علآء الدين واخاه وقبض على امير دار والى غزنة فلمّا كان
الغد وهو سادس عشر رمضان احضر القضاة والفقهآء والمقدّمين واحضر
ايضًا رسول الخليفة وهو الشيخ مجد الدين ابو علىّ بن الربيع الفقيه
الشافعىّ مُدرّس النظاميّة ببغداد وكان قد ورد الى غزنة رسولاً الى شهاب
الدين فقُتل شهاب الدين وهو بغزنة فارسل اليه والى قاضى غزنة يقول
له انّنى اريد انتقل الى دار السلطانيّة وان اخاطب بالملك ولا بُدّ من
حضورك والمقصود من هذا ان تستقرّ امور الناس فحضر عنده فركب
الدُز والناس فى خدمته وعليه ثياب الحزن وجلس فى الدار فى غير

---

[1] الدين

مجلس الذى كان يجلس فيه شهاب الدين فتغيّرت لذلك نيّات كثير
من الاتراك لانّهم كانوا يطيعونه ظنًّا منهم انّه يريد الملك لغياث الدين
فحيث رءاوه يريد الانفراد تغيّروا عن طاعته حتّى انّ بعضهم بكى غيظًا
من فعله واقطع الاقطعات الكثيرة وفرّق الاموال الجليلة وكان عند شهاب
الدين جماعة من اولاد ملوك الغور وسمرقند وغيرهم فانفوا من خدمة
الدُز وطلبوا منه ان يقصد خدمة غياث الدين واخيه صاحبَىْ باميان
وارسل غياث الدين الى الدُز يشكره ويثنى عليه لاخراج اولاد بهآء الدين
من غزنة وسيّر له الخلع وطلب منه الخطبة والسكّة فلم يفعل واعاد الجواب
فغالطه وطلب منه ان يخاطبه بالملك وان يعتقه من الرقّ لانّ غياث
الدين ابن اخى سيده لا وارث له سواه وان يزوّج ابنه بابنة الدُز
فلم يجبه الى ذلك واتّفق انّ جماعة من الغوريّين من عسكر صاحب
باميان اغاروا على اعمال كرمان وسوران وهى اقطاع الدُز القديمة فغنموا
وقتلوا فارسل صهره صونج[1] فى عسكر فلقوا عسكر الباميان فظفر بهم وقتل
منهم كثيرًا وانفذ روسهم الى غزنة فنُصبت بها واجرى الدُز فى غزنة
رسوم شهاب الدين وفرّق فى اهلها اموالاً جليلة المقدار والزم مويّد
الملك ان يكون وزيرًا له فامتنع من ذلك فالحّ عليه فاجابه على كُرْهٍ
منه فدخل على مويّد الملك صديقٌ له يهنّيه فقال بما ذا تهنّينى من
بعد ركوب الجواد بالحمار وانشد

ومَن ركب الثور بعد الجواد   انكر اطلاقه والغبب

بينا الدُز ياتى الى بابى الف مرّة حتّى اذن له فى الدخول اصبح على بابه
ولو حفظ النفس مع هولآء الاتراك لكان لى حكمٌ اخر ☆

ذكر حال غياث الدين بعد قتل عمّه

واما غياث الدين محمود بن غياث الدين فانّه كان فى اقطاعه
وهو بُست واسفرار[2] وكان الملك علآء الدين بن محمّد بن ابى علىّ قد
ولّاه شهاب الدين بلاد الغور وغيرها من ارض الراون فلمّا بلغه قتله
سار الى فيروزكوه خوفًا ان يسبقه اليها غياث الدين فيملك البلد

---

1) صونج   2) اسفران

وياخذ الخزاين التى بها وكان علاء الدين حسن السيرة من اكابر بيوت الغورية الّا انّ الناس كرهوه لميلهم الى غياث الدين وابا الامراء من خدمته مع وجود ولد غياث الدين سلطانهم ولانّه كان كراميًّا مغاليًا فى مذهبه واهل فيروزكوه شافعيّة والزمهم ان يجعلوا الاقامة مثنى فلمّا وصل الى فيروزكوه احضر جماعة من الامراء منهم محمّد المرغنىّ واخوه ومحمّد بن عثمان وهم من اكابر الامراء وحلّفهم على مساعدته على قتال خوارزم شاه وبهاء الدين صاحب باميان ولم يذكر غياث الدين احتقارًا له فحلفوا له ولولده من بعده وكان غياث الدين بمدينة بُست لم يتحرّك فى شئ انتظارًا لما يكون من صاحب باميان لانّهما كانا قد تعاهدا ايّام شهاب الدين ان تكون خراسان لغياث الدين وغزنة والهند لبهاء الدين وكان بهاء الدين اقوى فلهذا لم يفعل شيأً فلمّا بلغه خبر موت بهاء الدين جلس على التخت وخطب لنفسه بالسلطنة عاشر رمضان وحلّف الامراء الذين قصدوه وهم اسمعيل الخلجىّ وسونج امير اشكار[1] وزنكى ابن خرجوم[2] وحسين الغورىّ صاحب تكياباذ[3] وغيرهم وتلقب بالقاب ابيه غياث الدين وكتب الى علاء الدين محمّد بن ابى علىّ وهو بفيروزكوه يستدعيه اليه ويستعطفه ليصدّه عن رايه ويسلّم مملكته اليه وكتب الى الحسين بن خرميل[4] والى هراة مثل ذلك ايضًا ووعده الزيادة فى الاقطاع ء فامّا علاء الدين فاغلظ له فى الجواب وكتب الى الامراء الذين معه يتهدّدهم فرحل غياث الدين الى فيروزكوه فارسل علاء الدين عسكرًا مع ولده وفرّق فيهم مالًا كثيرًا وخلع عليهم ليمنعوا غياث الدين فلقوه قريبًا من فيروزكوه فلمّا تراى الجمعان كشف اسمعيل الخلجىّ المغفر عن وجهه وقال الحمد لله ان الاتراك الذين لا يعرفون اباهم لم يضيّعوا حقّ التربيّة وردّوا ابن ملك باميان وانتم مشايخ الغوريّة الذين انعم عليكم والد هذا السلطان وربّاكم واحسن اليكم كفرتم الاحسان وجيتم تقاتلون ولده اهذا فعل الاحرار فقال محمّد المرغنىّ وهو مقدّم العسكر الذين يصدرون عن رايه لا والله ثمّ ترجّل عن

---

1) C. P.: شكبا 740: سكار
2) C. P. 740: بن حرجوم Ups.: حرجوم
3) *Defrémery*. Codd. نكباداد
4) جرميل

فرسه والقى سلاحه وقصد غياث الدين وقبّل الارض بين يديه وبكى بصوت عالٍ وفعل ساير الامرآء كذلك فانهزم اصحاب علآء الدين مع ولده، فلمّا بلغه الخبر خرج عن فيروزكوه هاربًا نحو الغور وهو يقول انا امشى اجاور بمكّة فانفذ غياث الدين خلفه مَن ردّه اليه فاخذه وحبسه وملك فيروزكوه وفرح به اهل البلد وقبض غياث الدين على جماعة من اصحاب علآء الدين الكراميّة وقتل بعضهم ولمّا دخل غياث الدين فيروزكوه ابتدا بالجامع فصلّى فيه ثمّ ركب الى دار ابيه فسكنها واعاد رسوم ابيه واستخدم حاشيته وقدم عليه عبد الجبّار بن محمّد الكيرانىّ وزير ابيه واستوزره وسلك طريق ابيه فى الاحسان والعدل ولمّا فرغ غياث الدين من علآء الدين لم يكن له همّة الّا ابن خرميل بهراة واجتذابه الى طاعته فكاتبه وراسله واتّخذه ابًا واستدعاه اليه وكان ابن خرميل قد بلغه موت شهاب الدين ثامن رمضان فجمع اعيان الناس منهم قاضى هراة صاعد بن الفضل النيسابورىّ وعلىّ بن عبد الخلّاق بن زياد مدرّس النظاميّة بهراة وشيخ الاسلام رئيس هراة ونقيب العلويّين ومقدّمى المحالّ وقال لهم قد بلغنى وفاة السلطان شهاب الدين وانا فى نحر خوارزم شاه واخاف الحصار واريد ان تحلفوا لى على المساعدة على كلّ من نازعنى فاجابه القاضى وابن زياد باننا نحلف على كلّ الناس الّا ولد غياث الدين فحقد عليهما فلمّا وصل كتاب غياث الدين خاف ميل الناس اليه فغالطه فى الجواب وكان ابن خرميل قد كاتب خوارزم شاه يطلب منه ان يرسل اليه عسكرًا ليصير فى طاعته ويمتنع به على الغوريّة فطلب منه خوارزم شاه انفاذ ولده رهينةً ويرسل اليه عسكرًا فسيّر ولده الى خوارزم شاه فكتب خوارزم شاه الى عسكره الذين بنيسابور وغيرها من بلاد خراسان يامرهم بالتوجّه الى هراة وان يكونوا يتصرّفون بامر ابن خرميل ويمتثلون امره هذا وغياث الدين يُتابع الكتب الى ابن خرميل وهو يحتجّ بشئ بعد شئ انتظارًا لعسكر خوارزم شاه ولا يؤيّسه من طاعته ولا يخطب له ويطيعه طاعة غير مستوية ثمّ ان الامير علىّ بن ابى علىّ صاحب كالوين اطلع غياث الدين على حال ابن خرميل فعزم غياث الدين على التوجّه الى هراة فثبّطه بعض الامرآء الذين معه واشاروا

عليه بانتظار اخر امره وترك محاققته ، واستشار ابن خرميل القاضى فى امر غياث الدين فقال له علىّ بن عبد الخلاق ابن زياد مدرّس النظاميّة بهراة وهو متولّى وقوف خراسان التى بيده للغوريّة جميعها ينبغى ان تخطب للسلطان غياث الدين وتترك المغالطة انّنى اخاف على نفسى فامض انت وتوثّق لى منه وكان قصده ان يُبعده عن نفسه فمضى برسالته الى غياث الدين واطلعه على ما يريد ابن خرميل يفعله من الغدر به والميل الى خوارزم شاه وحثّه على قصد هراة وقال له انا اسلّمها اليك ساعة تصل اليها ووافقه بعض الامرآء وخالفه غيرهم وقال ينبغى ان لا تترك له حجّة فترسل اليه تقليداً بولاية هراة ففعل ذلك وسيّره مع ابن زياد وبعض اصحابه ، ثمّ انّ غياث الدين كاتب اميران بن قيصر صاحب الطالقان يستدعيه اليه فتوقّف وارسل الى صاحب مرو ليسير اليه فتوقّف ايضًا فقال له اهل البلد ان لم تُسلم البلد الى غياث الدين وتتوجّه والّا سلّمناك وقيّدناك وارسلناك اليه فاضطرّ الى المجيّ الى فيروزكوه فخلع عليه غياث الدين واقطعه اقطاعات شتّى واقطع الطالقان سونج مملوك ابيه المعروف بامير اشكار ٭

ذكر استيلآء خوارزم شاه على بلاد الغوريّة بخراسان

قد ذكرنا مكاتبة الحسين بن خرميل والى هراة خوارزم شاه ومراسلته فى الانتمآء اليه والطاعة له وترك طاعة الغوريّة وخداعه لغياث الدين ومغالطته له بالخطبة له والطاعة انتظارَ الوصول عسكر خوارزم شاه ووصول رسول غياث الدين وابن زياد بالخطبة فقال يوم الجمعة تخطب له فاتّفق قرب عسكر خوارزم شاه منهم فلمّا كان يوم الجمعة قيل له فى معنى الخطبة فقال نحن فى شغل اهمّ منها بوصول هذا العدوّ فطالت المجادلات بينهم فى ذلك وهو مُصرّ على الامتناع منها ووصل عسكر خوارزم شاه فلقيهم ابن خرميل وانزلهم على باب البلد فقالوا له قد أَمَرَنا خوارزم شاه انّنا لا نخالف لك امرًا فشكرهم على ذلك وكان يخرج اليهم كلّ يوم واقام لهم الوظايف الكثيرة واتاه الخبر انّ خوارزم شاه نزل على بلخ محاصرها فلقيه صاحبها وقاتله بظاهر البلد فلم ينزل بالقرب منها فنزل على اربعة فراسخ فندم ابن خرميل على طاعة خوارزم شاه وقال لخواصّه لقد اخطانا حيث

صرنا مع هذا الرجل فانّنى اراه عاجزًا وشرع فى اعادة العسكر فقال للامرآء انّ خوارزم شاه قد ارسل الى غياث الدين يقول له انّنى على العهد الذى بيننا وانا اترك ما كان لابيك بخراسان والمصلحة ان ترجعوا حتّى ننظر ما يكون فعادوا وارسل اليهم الهدايا الكثيرة وكان غياث الدين حيث اتّصل به وصول عسكر خوارزم شاه الى هراة فاخذ اقطاع ابن خرميل وارسل الى كرزبان[1] واخذ كلّ ما له بها من مال واولاد ودوابّ وغير ذلك واخذ اصحابه فى القيود واتاه كتب من يميل اليه من الغوريّة يقولون له ان رءاك غياث الدين قتلك، ولمّا سمع اهل هراة بما فعل غياث الدين باهل ابن خرميل وما له عزموا على قبضه والمكاتبة الى غياث الدين بانفاذ مَن يتسلّم البلد وكتب القاضى صاعد قاضى هراة وابن زياد الى غياث الدين بذلك، فلمّا سمع ابن خرميل بما فعله غياث الدين باهله وبما عزم عليه اهل هراة خاف ان يعاجله بالقبض فحضر عند القاضى واحضر اعيان البلد وألان لهم القول وتقرّب اليهم واظهر طاعة غياث الدين وقال قد رددتُّ عسكر خوارزم شاه وأريد ارسل رسولاً الى غياث الدين بطاعتى والذى اوثره منكم ان تكتبوا معه كتاباً بطاعتى فاستحسنوا قوله وكتبوا له بما طلب وسيّر رسوله الى فيروزكوه وامره اذا جنّه الليل ان يرجع على طريق نيسابور يلحق عسكر خوارزم شاه ويجدّ السير فاذا لحقهم ردّهم اليه ففعل الرسول ما امره ولحق العسكر على يومَيْن من هراة فامرهم بالعود فعادوا فلمّا كان اليوم الرابع من سير الرسول وصلوا الى هراة والرسول بين ايديهم فلقيهم ابن خرميل وادخلهم البلد والطبول تضرب بين ايديهم فلمّا دخلوا اخذ ابن زياد الفقيه فسمّله واخرج القاضى صاعدًا من البلد فسار الى غياث الدين بفيروزكوه واخرج مَن عنده من الغوريّة وكلّ مَن يعلم انّه يريدهم وسلّم ابواب البلد الى الخوارزميّة، وامّا غياث الدين فانّه برز [من] فيروزكوه نحو هراة وارسل عسكرًا فاخذوا حشيرًا كان لاهل هراة فخرج الخوارزميّة فشنّوا الغارة على هراة الروذ وغيره فامر غياث الدين عسكره بالتقدّم الى هراة وجعل المقدّم

---

1) Semper حرزبان

عليهم علىّ بن ابى علىّ واقام هو بفيروزكوه لمّا بلغه انّ خوارزم شاه على بلخ فسار العسكر وعلى يزكه الامير اميران بن قيصر الذى كان صاحب الطالقان فارسل الى ابن خرميل يعرّفه انّه على اليزك ويامره بالمجئ اليه فانّه لا يمنعه وحلف له على ذلك فسار ابن خرميل فى عسكره فكبس عسكر غياث الدين فلم يلحقوا يركبون خيولهم حتّى خالطوهم فقتلوا فيهم فكفّ ابن خرميل اصحابه عن الغوريّة خوفًا ان يهلكوا وغنم واسر اسمعيل الخلجىّ واقام بمكانه وارسل عسكره فشنّوا الغارة على البلاد بادغيس وغيرها ، وعظم الامر على غياث الدين فعزم على المسير الى هراة بنفسه فاتاه الخبر انّ علآء الدين صاحب باميان قد عاد الى غزنة على ما نذكره فاقام ينتظر ما يكون منهم ومن الذز ، وامّا بلخ فانّ خوارزم شاه لمّا بلغه قتل شهاب الدين اخرج مَن كان عنده من الغوريّين الذين كان اسرهم فى المصافّ على باب خوارزم فخلع عليهم واحسن اليهم واعطاهم الاموال وقال انّ غياث الدين اخى ولا فرق بينى وبينه فمَن احبّ منكم المقام عندى فليقم ومَن احبّ ان يسير اليه فانّنى اسيّره ولو اراد منّى مهما اراد نزلتُ له عنه وعهد الى محمّد بن علىّ بن بشير وهو من اكابر الامرآء الغوريّة فاحسن اليه واقطعه استمالة للغوريّة وجعله سفيرًا بينه وبين صاحب بلخ فسيّر اخاه علىّ شاه بين يديه فى عسكره الى بلخ فلمّا قاربها خرج اليه عماد الدين عمر بن الحسين الغورىّ اميرها فدفعه عن النزول عليها فنزل على اربعة فراسخ عنها فارسل الى اخيه خوارزم شاه يُعلمه قوّتهم فسار اليها فى ذى القعدة من السنة فلمّا وصل الى بلخ خرجَ صاحبها فقاتلهم فلم يقوَ بهم لكثرتهم فنزلوا قصار يوقع بهم ليلًا فكانوا معه على اقبح صورة فاقام صاحب بلخ محاصرًا وهو ينتظر المدد من اصحابه اولاد بهآء الدين صاحب باميان وكانوا قد اشتغلوا عنه بغزنة على ما ذكرناه وعلى ما نذكره ان شآء الله تعالى فاقام خوارزم شاه على بلخ اربعين يومًا كلّ يوم يركب الى الحرب فيُقتل من اصحابه كثير ولا يظفر بشئٍ فراسل صاحبها عماد الدين مع محمّد ابن علىّ بن بشير الغورىّ وبذل له بذلًا كثيرًا ليُسلم اليه البلد فلم يُجبه الى ذلك وقال لا اسلم البلد آلّا الى اصحابه فعزم على المسير الى

هراة فلمّا سار اصحابه اولاد بهآء الدين صاحب باميان الى غزنة المرّة الثانية على ما نذكره ان شآء الله تعالى واسرهم تاج الدين الدز عاد عن ذلك العزم وارسل محمّد بن علىّ بن بشير الى عماد الدين نايبه يعرّفه حال اصحابه واسرهم وانّه لا يبقى عليه حجّة ولا له فى التاخر عنه عذر فدخل اليه ولم يزل يخدعه تارة يرغّبه وتارة يرهّبه حتّى اجاب الى طاعة خوارزم شاه والخطبة له وذكر اسمه على السكّة وقال انا اعلم انّه لا يفى له وارسل من يستحلفه على ما اراد فتمّ الصلح وخرج الى خوارزم شاه فخلع عليه واعاده الى بلده وكان سلخ ربيع الاوّل سنة ثلاث وستّمايّة ثمّ سار خوارزم شاه الى كرزبان ليحاصرها وبها علىّ بن ابى علىّ وارسل الى غياث الدين يقول انّ هذه كان قد اقطعها عمّك لابن خرميل فتنزل عنها فامتنع وقال بينى وبينكم السيف فارسل اليه خوارزم شاه مع محمّد بن علىّ بن بشير فرغّبه وايّسه من نجدة غياث الدين ولم يزل به حتّى نزل عنها وسلّمها وعاد الى فيروزكوه فامر غياث الدين بقتله فشفع فيه الامرآء فتركه وسلّم خوارزم شاه كرزبان الى ابن خرميل ثمّ ارسل الى عماد الدين صاحب بلخ يطلبه اليه ويقول قد حضر مهمّ ولا غنى عن حضورك فانت اليوم من اخصّ اوليآينا فحضر عنده فقبض عليه وسيّره الى خوارزم ومضى هو الى بلخ فاخذها واستناب بها جعفر التركىّ ❁

ذكر مُلك خوارزم شاه ترمذ وتسليمها الى الخطا

لمّا اخذ خوارزم شاه مدينة بلخ سار عنها الى مدينة ترمذ مجدًّا وبها ولد عماد الدين الذى كان صاحب بلخ فارسل اليه محمّد بن علىّ بن بشير يقول له انّ اباك قد صار من اخصّ اصحابى واكابر امرآء دولتى وقد سلّم الىّ بلخ وانّما ظهر لى منه ما انكرتُه فسيّرتُه الى خوارزم مكرّمًا محترمًا وامّا انت فتكون عندى اخًا ووعده واقطعه الكثير فخدعه محمّد بن علىّ فرأى صاحبها انّ خوارزم شاه قد حصره من جانب والخطا قد حصروه من جانب اخر واصحابه قد اسرهم الدز بغزنة فضعُفت نفسه وارسل من يستحلف له خوارزم شاه فحلف له وتسلّم منه ترمذ وسلّمها الى الخطا فلقد اكتسب بها خوارزم شاه مسبّة عظيمة وذكرًا

قبيحًا في عاجل الامر ثمّ ظهر للناس بعد ذلك انّه انّما سلّمها اليهم ليتمكّن بذلك من ملك خراسان ثمّ يعود اليهم فياخذها وغيرها منهم لانّه لمّا ملك خراسان وقصد بلاد الخطا واخذها وافناهم [ظهر] على الناس انّه فعل ذلك خديعةً ومكرًا غفر الله له ۞

ذكر عود اصحاب باميان الى غزنة

قد ذكرنا قبلُ وصول الدز التركىّ الى غزنة واخراجه علاء الدين وجلال الدين ولدَىْ بهاء الدين سام صاحب باميان منها بعد ان ملكها واقام هو في غزنة من عاشر رمضان سنة اثنتين وستّماية الى خامس ذى القعدة من السنة بحسن السيرة ويعدل في الرعيّة واقطع البلاد للاجناد فبعضهم اقام وبعضهم سار الى غياث الدين ولم يخطب لاحد ولا لنفسه وكان يَعِد الناس بانّ رسولى عند مولاى غياث الدين فاذا عاد خطبتُ له ففرح الناس بقوله وكان يفعل ذلك مكرًا وخديعةً بهم وبغياث الدين لانّه لو لم يُظهر ذلك لفارقه اكثر الاتراك وساير الرعايا وكان حينئذ يضعُف عن مقاومة صاحب باميان فكان يستخدم الاتراك وغيرهم بهذا القول واشباهه فلمّا ظفر بصاحب باميان على ما نذكره اظهر ما كان يُضمره ٬ فبينما هو في هذا[1] اتاه الخبر بقرب علاء الدين وجلال الدين ولدَىْ بهاء الدين صاحب باميان في العساكر الكثيرة وانّهم قد عزموا على نهب غزنة واستباحة الاموال والانفس فخاف الناس خوفًا شديدًا وجهّز الدُز كثيرًا من عسكره وسيّرهم الى طريقهم فلقوا اوايل[2] العسكر فقُتل من الاتراك وادركهم العسكر فلم يكن لهم قوّة بهم فانهزموا وتبعهم عسكر علاء الدين يقتلون ويأسرون فوصل المنهزمون الى غزنة فخرج عنها الدز منهزمًا يطلب بلده كرمان فادركه بعض عسكر باميان نحو ثلاثة الاف فارس فقاتلهم قتالًا شديدًا فردّهم عنه واحضر من كرمان مالًا كثيرًا وسلاحًا ففرّقه في العسكر ٬ وامّا علاء الدين واخوه فانّهما تركا غزنة لم يدخلاها وسارا في اثر الدُز فسمع بهم فسار عن كرمان فنهب الناس بعضهم بعضًا وملك علاء الدين كرمان وامّنوا اهلها وعزموا على العود الى غزنة ونَهْبها

---

1) همدان   2) اوليك

فسمع اهلها بذلك فقصدوا القاضى سعيد بن مسعود وشكوا اليه حالهم فمشى الى وزير علاء الدين المعروف بالصاحب واخبره بحال الناس فطيّب قلوبهم واخبرهم غيره ممّن يثقون اليه انّهم مجمعون على النهب فاستعدّوا وضيّقوا ابواب الدروب والشوارع واعدّوا الغرادات والاحجار وجآءت التجار من العراق والموصل والشام وغيرها وشكوا الى اصحاب السلطان فلم يُسكّنهم احد فقصدوا دار مجد الدين بن الربيع رسول الخليفة واستغاثوا به فسكّنهم ووعدهم الشفاعة فيهم وفى اهل البلد فارسل الى امير كبير من الغوريّة يقال له سليمان بن سيسر وكان شيخًا كبيرًا يرجعون الى قوله يُعرّفه الحال ويقول له يكتب الى علاء الدين واخيه يتشفّع فى الناس ففعل وبالغ فى الشفاعة وخوّفهم من اهل البلد إن اصرّوا على النهب فاجابوه الى العفو عن الناس بعد مراجعات كثيرة وكانوا قد وعدوا من معهم من العساكر بنهب غزنة فعوّضوهم من الخزانة فسكن الناس وعاد العسكر الى غزنة اواخر ذى القعدة ومعهم الخزانة التى اخذها الدز من مؤيّد الملك لمّا عاد ومعه شهاب الدين قتيلًا فكانت مع ما اضيف اليها من الثياب والعين تسع مايئة حمل ومن جملة ما كان فيها من الثياب الممزّج المنسوج بالذهب اثنا عشر الف ثوب وعزم علاء الدين يستوزر مؤيّد الملك فسمع اخوه جلال الدين فاحضره وخلع عليه على كراهة منه للخلعة واستوزره فلمّا سمع علاء الدين بذلك قبض على مؤيّد الملك وقيّده وحبسه فتغيّرت نيّات الناس واختلفوا ثمّ انّ علاء الدين وجلال الدين اقتسما الخزانة وجرى بينهما من المشاحنة فى القسمة ما لا يجرى بين التجار فاستدلّ بذلك الناس على انّهما لا يستقيم لهما حال لبخلهما واختلافهما وندم الامرآء على ميلهم اليهما وتركهم غياث الدين مع ما ظهر من كرمه واحسانه ثمّ انّ جلال الدين وعمّه عبّاسًا سارا فى بعض العسكر الى باميان وبقى علاء الدين بغزنة فاسآء وزيره عماد الملك السيرة مع الاجناد والرعيّة ونهب اموال الاتراك حتّى انّهم باعوا امّهات اولادهم وهنّ يبكين ويصرُخْنَ ولا يلتفت اليهنّ ✿

ذكر عود الدز الى غزنة

لمّا سار جلال الدين عن غزنة واقام بها اخوه علاء الدين جمع

الدز ومن معه من الاتراك عسكرًا كثيرًا وعادوا الى غزنة فوصلوا الى كلوا[1] فلكوها وقتلوا جماعة من الغورية ووصل المنهزمون الى كرمان فسار الدز اليهم وجعل على مقدمته مملوكًا كبيرًا من مماليك شهاب الدين اسمه اى دكز التتر[2] فى الفى فارس من الخلج والاتراك والغز والغورية وغيرهم وكان بكرمان عسكر لعلآء الدين مع امير يقال له ابن المؤيد ومعه جماعة من الامرآء منهم ابو على بن سليمان بن سيسر وهو وابوه من اعيان الغورية وكانا مشتغلين باللعب واللهو والشرب لا يفتران عن ذلك فقيل لهما ان عسكر الاتراك قد قربوا منكم فلم يلتفتا الى ذلك ولا تركا ما كانا عليه فهاجم عليهم اى دكز التتر[2] ومن معه من الاتراك فلم يمهلهم يركبون خيولهم فقتلوا عن اخرهم منهم من قتل فى المعركة ومنهم من قتل صبرًا ولم ينج الا من تركه الاتراك عمدًا ، ولما وصل الدز فراى امرآء الغورية كلهم قتلى قال كل هولآء قاتلونا فقال اى دكز التتر لا بل قتلناهم صبرًا فلامه على ذلك ووبخه واحضر راس ابن المؤيد بين يديه فسجد شكرًا لله تعالى وامر بالمقتولين فغسلوا ودفنوا وكان فى جملة القتلى ابو على بن سليمان بن سيسر ووصل الخبر الى غزنة فى العشرين من ذى الحجة من هذه السنة فصلب علآء الدين الذى جآء بالخبر فتغيمت السمآء وجآء مطر شديد خرب بعض غزنة وجآء بعده برد[3] كبار مثل بيض الدجاج فضج الناس الى علآء الدين بانزال المصلوب فانزله اخر النهار فانكشفت الظلمة وسكن ما كانوا فيه ، وملك الدز كرمان واحسن الى اهلها وكانوا فى ضر شديد مع اوليك ، ولما صح الخبر عند علآء الدين ارسل وزيره الصاحب الى اخيه جلال الدين فى باميان يخبره بحال الدز ويستنجده وكان قد اعد العساكر ليسير الى بلخ يرحل عنها خوارزم شاه فلما اتاه هذا الخبر ترك بلخ وسار الى غزنة وكان اكثر عسكره من الغورية قد فارقوه وفارقوا اخاه وقصدوا غياث الدين فلما كان اواخر ذى الحجة وصل الدز الى غزنة ونزل هو وعسكره بازآء قلعة غزنة وحصر علآء الدين وجرى بينهم قتال شديد وامر الدز فنودى فى البلد

---

[1]) 740: غزنه [2]) C. P. et 740. Ups: اى دكن البتر

بالامان وتسكين الناس من اهل البلد والغوريّة وعسكر بباميان واقام الدز محاصرًا للقلعة فوصل جلال الدين فى اربعة الاف من عسكر باميان وغيرهم فرحل الدز الى طريقهم وكان مقامه الى ان سار اليهم اربعين يومًا فلمّا سار الدز سيّر علآء الدين مَن كان عنده من العسكر وامرهم ان ياتوا الدز من خلفه ويكون اخوه من بين يديه فلا يسلم من عسكره احد فلمّا خرجوا من القلعة سار سليمان بن سيسو الغورىّ الى غياث الدين بفيروزكوه فلمّا وصل اكرمه وعظّمه وجعله امير دار فيروزكوه وكان ذلك فى صفر سنة ثلاث وستّمائة ، واما الدز فانّه سار الى طريق جلال الدين فالتقوا بقرية بَلَق[1] فاقتتلوا قتالاً صبروا فيه فانهزم جلال الدين وعسكره وأُخذ جلال الدين اسيرًا واتى به الى الدز فلمّا رءاه ترجّل وقبّل يده وامر بالاحتياط عليه وعاد الى غزنة وجلال الدين معه اسير والف اسير من الباميانيّة وغنم اصحابه اموالهم ولمّا عاد الى غزنة ارسل الى علآء الدين يقول له ليسلّم القلعة اليه والاّ قتل مَن عنده من الاسرى فلم يسلّمها فقتل منهم اربع مائة اسير بازآء القلعة فلمّا راى علآء الدين ذلك ارسل مؤيّد الملك يطلب الامان فامّنه الدز فلمّا خرج قبض عليه ووكّل به وباخيه مَن يحفظهما وقبض على وزيره لسوء سيرته وكان هندوخان بن ملكشاه بن خوارزم شاه تكش مع علآء الدين بقلعة غزنة فلمّا خرج منها قبض عليه ايضًا وكتب الى غياث الدين بالفتح وارسل اليه الاعلام وبعض الاسرى ٭

ذكر قصد صاحب مراغة وصاحب اربل اذربيجان

فى هذه السنة اتّفق صاحب مراغة وهو علآء الدين هو ومظفّر الدين كوكبرى صاحب اربل على قصد اذربيجان واخْذها من صاحبها ابى بكر بن البهلوان لاشتغاله بالشرب ليلًا ونهارًا وترْكه النظر فى احوال المملكة وحفظ العساكر والرعايا فسار صاحب اربل الى مراغة واجتمع هو وصاحبها علآء الدين وتقدّما نحو تبريز فلمّا علم صاحبها ابو بكر ارسل الى ايتغمش صاحب بلاد الجبل همدان واصفهان والرىّ وما بينهما من البلاد

[1]) 740: بلف Ups.: بلف

وهو مملوك ابيه البهلوان وهو فى طاعة ابى بكر الّا انّه قد غلب على البلاد فلا يلتفت الى ابى بكر فارسل اليه ابو بكر يستنجده ويعرّفه الحال وكان حينئذ ببلد الاسماعيليّة فلمّا اتاه الخبر سار اليه فى العساكر الكثيرة فلمّا حضر عنده ارسل الى صاحب اربل يقول له انّنا كنّا نسمع عنك انّك تحبّ اهل العلم والخير وتحسن اليهم فكنّا نعتقد فيك الخير والدين فلمّا كان الأن ظهر لنا منك ضدّ ذلك لقصدك بلاد الاسلام وقتال المسلمين ونهب اموالهم واثارة الفتنة فاذا كنت كذلك فما لك عقل تجئ الينا وانت صاحب قرية ونحن لنا من باب خراسان الى خلاط والى اربل واحسب انّك هزمت هذا اما تعلم ان له مماليك انا احدهم ولو اخذ من كلّ قرية شحنة او من كلّ مدينة عشرة رجال لاجتمع له اضعاف عسكرك فالمصلحة انّك ترجع الى بلدك وانّما اقول لك هذا ابقآء عليك ، ثمّ سار نحوه عقيب هذه الرسالة فلمّا سمعها مظفّر الدين وبلغه مسير اينتغمش عزم على العود فاجتهد به صاحب مراغة ليقيم بمكانه ويسلّم عسكره اليه وقال له انّنى قد كاتبنى جميع امرآيه ليكونوا معى اذا قصدتهم فلم يقبل مظفّر الدين من قوله وعاد الى بلده وسلك الطريق الشاقّة والمضايق الصعبة والعقاب الشاهقة خوفًا من الطلب ثمّ انّ ابا بكر واينتغمش قصدا مراغة وحصراها فصالحهما صاحبها على تسليم قلعة من حصونه الى ابى بكر هى كانت سبب الاختلاف واقطعه ابو بكر مدينتى استوا [1] وارمية وعاد عنه ❁

ذكر ايقاع اينتغمش بالاسماعيليّة

وفى هذه السنة سار اينتغمش الى بلاد الاسماعيليّة المجاورة لقزوين فقتل منهم مقتلة كبيرة ونهب وسبى وحصر قلاعهم ففتح منها خمس قلاع وصمّم العزم على حصر الموت واستيصال اهلها فاتّفق ما ذكرنا من حركة صاحب مراغة وصاحب اربل واستدعاه الامير ابو بكر ففارق بلادهم وسار الى ابى بكر كما ذكرناه ❁

---

[1]) Fortasse اشنه legendum. Cfr *Journ. Asiat.* 1847, I, p. 160.

ذكر وصول عسكر خوارزم الى بلد الجبل وما كان منهم

وفي هذه السنة سار من عسكر خوارزم طايفة كبيرة نحو عشرة الاف فارس باهليهم واولادهم فوصلوا الى زنكان وكان اينغمش صاحبها مشغولاً مع صاحب اربل وصاحب مراغة واغتنموا خلوّ البلاد فلمّا عاد مظفر الدين الى بلده وانفصل الحال بين اينغمش وصاحب مراغة سار اينغمش نحو الخوارزميّة فلقيهم وقاتلهم فاشتدّ القتال بين الطايفتين ثمّ انهزم الخوارزميّون واخذهم السيف فقُتل منهم وأُسر خلق كثير ولم ينج منهم الّا الشريد وسُبي سباؤهم وغنمت اموالهم وكانوا قد افسدوا في البلاد بالنهب والقتل فلقوا عاقبة فعلهم ✿

ذكر الغارة من ابن ليون على اعمال حلب

وفي هذه السنة توالت الغارة من ابن ليون الارمنيّ صاحب الدروب على ولاية حلب فنهب وحرّق واسر وسبى فجمع الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف صاحب حلب عساكره واستنجد غيره من الملوك فجمع كثيراً من الفارس والراجل وسار عن حلب نحو ابن ليون وكان ابن ليون قد نزل في طرف بلاده ممّا يلى بلد حلب فليس اليه طريق لانّ جميع بلاده لا طريق اليها الّا من جبال وعرة ومضايق صعبة فلا يقدر غيره على الدخول اليها لا سيّما من ناحية حلب فانّ الطريق منها متعذّر جدًّا فنزل الظاهر على خمسة فراسخ من حلب وجعل على مقدّمته جماعة من عسكره مع امير كبير من مماليك ابيه يُعرف بميمون القصريّ يُنسب الى قصر الخلفاء العلويّين بمصر لانّ اباه منهم اخذه فانفذ الظاهر ميرة وسلاحًا الى حصن له مجاور لبلاد ابن ليون اسمه دربساك وانفذ الى ميمون ليرسل طايفة من العسكر الذين عنده الى طريق هذه الذخيرة ليسيروا معها الى دربساك ففعل ذلك وسيّر جماعة كثيرة من عسكره وبقى في قلّة فبلغ الخبر الى ابن ليون فجدّ فوافاه وهو مخفّ من العسكر فقاتله واشتدّ القتال بينهم فارسل ميمون الى الظاهر يعرّفه وكان بعيدًا عنه فطالت الحربُ بينهم وحمى ميمون نفسه واثقاله على قلّة من المسلمين وكثرة من الارمن فانهزم المسلمون ونال العدوّ منهم فقتل واسر وكذلك ايضًا فعل المسلمون بالارمن من كثرة القتل وظفر الارمن باثقال المسلمين

فغنموها وساروا بها فصادفهم المسلمون الذين كانوا قد ساروا مع الذخاير الى دربساك فلم يشعروا بالحال فلم يَرُعْهم الّا العدوّ وقد خالطهم ووضع السيف فيهم فاقتتلوا اشدّ قتال ثمّ انهزم المسلمون ايضًا وعاد الارمن الى بلادهم بما غنموا واعتصموا بجبالهم وحصونهم ۞

ذكر نهب الكرج ارمينيّة

فى هذه السنة قصدت الكرج فى جموعها ولاية خلاط من ارمينيّة ونهبوا وقتلوا واسروا وسبوا اهلها كثيرًا وجاسوا خلال الديار آمنين ولم يخرج اليهم من خلاط من يمنعهم فبقوا متصرّفين فى النهب والسبى والبلاد شاغرة لا مانع لها لانّ صاحبها صبىّ[1] والمدبّر لدولته ليست له تلك الطاعة على الجُند فلمّا اشتدّ البلآء على الناس تذامروا وحرّض بعضهم بعضًا واجتمعت العساكر الاسلاميّة التى بتلك الولاية جميعها وانضاف اليهم من المتطوّعة كثير فساروا جميعهم نحو الكُرج وهم خايفون فراى بعض الصوفيّة الاخيار الشيخ محمّد البُستىّ وهو من الصالحين وكان قد مات فقال له الصوفىّ اراك هاهنا فقال جيتُ لمساعدة المسلمين على عدوّهم فاستيقظ فرحًا بمحلّ البُستىّ من الاسلام واتى الى مدبّر العسكر والقيّم بامره وقصّ عليه رؤياه ففرح بذلك وقوى عزمه على قصد الكرج وسار بالعساكر اليهم فنزل منزلًا فوصلت الاخبار الى الكرج فعزموا على كبس المسلمين فانتقلوا من موضعهم بالوادى الى اعلاه فنزلوا فيه ليكبسوا المسلمين اذا اظلم الليل فاتى المسلمين الخبر فقصدوا الكرج وامسكوا عليهم راس الوادى واسفله وهو وادٍ ليس اليه غير هذه الطريقَيْن فلمّا راى الكرج ذلك ايقنوا بالهلاك وسقط ما فى ايديهم وطمع المسلمون فيهم وضايقوهم وقاتلوهم فقتلوا منهم كثيرًا واسروا مثلهم ولم يُفلت من الكرج الّا القليل وكفى الله المسلمين شرّهم بعد ان كانوا اشرفوا على الهلاك ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى جمادى الاخرة توفّى الامير طاشتكين مجير الدين امير الحاجّ بتُسْتَر وكان قد ولّاه الخليفة على جميع خوزستان وكان اميرًا

---

[1] 740 addit: ولا مدبر له

على الحاجّ سنين كثيرة وكان خيّرًا صالحًا حسن السيرة كثير العبادة يتشيّع ولمّا مات ولّى الخليفة على خوزستان مملوكه سنجر وهو صهر طاشتكين زوج ابنته ، وفيها قُتل سنجر بن مقلد بن سليمان بن مهارش امير عبادة بالعراق وكان سبب قتله انّه سعى بابيه مقلد الى الخليفة الناصر لدين الله فامر بالتوكيل على ابيه فبقى مدّة ثمّ اطلقه الخليفة ثمّ انّ سنجرًا قتل اخا له اسمه[1] فاوغر بهذه الاسباب صدور اهله واخوته فلمّا كان هذه السنة فى شعبان نزل بارض المعشوق وركب فى بعض الايّام ومعه اخوته وغيرهم من اصحابه فلمّا انفرد عن اصحابه ضربه اخوه علىّ بن مقلد بالسيف فسقط الى الارض فنزل اخوته اليه فقتلوه ، وفيها تجهّز غياث الدين خسرو شاه صاحب مدينة الروم الى مدينة طرابزون[2] وحصر صاحبها لانّه كان قد خرج عن طاعته فضيّق عليه فانقطعت لذلك الطرق من بلاد الروم والروس وقفجاق وغيرها برًّا وبحرًا ولم يخرج منهم احدٌ الى بلاد غياث الدين فدخل بذلك ضرر عظيم على الناس لانّهم كانوا يتّجرون معهم ويدخلون بلادهم ويقصدهم التجار من الشام والعراق والموصل والجزيرة وغيرها فاجتمع منهم بمدينة سيواس خلق كثير فحيث لم ينفتح الطريق تاذّوا اذى كثيرًا فكان السعيد منهم مَن عاد الى راس ماله ، وفيها تزوّج ابو بكر بن البهلوان صاحب اذربيجان واران بابنة ملك الكرج وسبب ذلك انّ الكرج تابعت الغارات منهم على بلاده لما راوا من عجزه وانهماكه فى الشرب واللعب وما جانسهما واعراضه عن تدبير الملك وحفظ البلاد فلما راى هو ايضًا ذلك ولم يكن عنده من الحميّة والانفة من هذه المناحس ما يترك ما هو مُصرٌّ عليه وانّه لا يقدر على الذبّ عن البلاد عدل الى الذبّ عنها بأيره فخطب ابنة ملكهم فتزوّجها فكفّ الكرج عن النهب والاغارة والقتل فكان كما قيل اغمد سيفه وسلّ أيره ، وفيها حُمل الى ازبك خروف وجهه صورة ادمىّ وبدنه بدن خروف وكان هذا من العجايب ، وفيها توفّى القاضى ابو محمّد بن محمّد المانداىّ الواسطىّ بها ، وفيها فى شوّال توفّى فخر الدين

---

1) Sic quoque in 740.   2) طرابزون

مبارك شاه بن الحسن المروروذىّ[1] وكان حسن الشعر بالفارسيّة والعربيّة وله منزلة عظيمة عند غياث الدين الكبير صاحب غزنة وهراة وغيرهما وكان له دار ضيافة فيها كُتب وشطرنج فالعلمآء يطالعون الكتب والجهّال يلعبون بالشطرنج ، وفيها فى ذى الحجّة توفّى ابو الحسن علىّ بن علىّ بن سعادة الفارقىّ الفقيه الشافعىّ ببغداد وبقى مدّة طويلة معيدًا بالنظاميّة وصار مدرّسًا بالمدرسة التى احدثتها امّ الخليفة الناصر لدين الله وكان مع علمه صالحًا طلب للنيابة فى القضآء ببغداد فامتنع فأُلزم بذلك فوليه يسيرًا ثمّ فى بعض الايّام مشى الى جامع ابن المطّلب فنزل ولبس مبزر صوف غليظ وغيّر ثيابه وامر الوكلآء وغيرهم بالانصراف واقام به حتّى سكن الطلب عنه وعاد الى [داره] بغير ولاية ، وفيها وقع الشيخ ابو موسى المكّىّ المقيم بمقصورة جامع السلطان ببغداد من سطح الجامع فمات وكان رجلًا صالحًا كثير العبادة ، وفيها ايضًا توفّى العفيف ابو المكارم عرفة بن علىّ بن بصلا البندنيجىّ ببغداد وكان رجلًا صالحًا منقطعًا الى العبادة رحمه الله ✿

ثمّ دخلت سنة ثلاث وستّمائة ،

سنة ٦٠٣

ذكر مُلك عبّاس باميان وعودها الى ابن اخيه

فى هذه السنة ملك عبّاس باميان من علآء الدين وجلال الدين ولدَىْ اخيه بهآء الدين وسبب ذلك انّ عسكر باميان لمّا انهزموا من الدز وعادوا اليها اخبروا انّ علآء الدين وجلال الدين أُسروا وانّ الدُز ومَن معه غنموا ما فى ايديهما فاخذ وزير ابيهما المعروف بالصاحب من الاموال كثيرًا ومن الجواهر وغيرها من التحف واخذ فيلًا وسار الى خوارزم شاه يستنجده على الدُز ليسيّر معه عسكرًا يستخلص به صاحبَيْه فلمّا فارق باميان رأى عمّهما عبّاس خلوّ البلد منه ومن ابنَىْ اخيه جمع اصحابه وقام فى البلد فملكه وصعد الى القلعة فملكها واخرج اصحاب ابنَىْ اخيه علآء الدين وجلال الدين منها فبلغ الخبر الى الوزير الساير الى خوارزم شاه فعاد الى باميان وجمع الجموع الكثيرة وحصر عبّاسًا فى القلعة وكان مطاعًا فى جميع ممالك بهآء الدين وولدَيْه من بعده واقام محاصرًا

1) المروردى

الّا انّه لم يكن معه من المال ما يقوم بما يحتاج اليه انّما كان معه ما اخذه ليحمله الى خوارزم شاه فلمّا خلص جلال الدين من اسر الغُزّ على ما نذكره وسار الى باميان فوصل الى ارصف وهى مدينة باميان وجاء اليه وزير ابيه الصاحب واجتمع به وسار الى القلاع وراسلوا عبّاسًا المتغلّب عليها ولاطفوه فسلّم الجميع الى جلال الدين وقال انّما حفظتُها خوفًا ان ياخذها خوارزم شاه فاستحسن فعله وعاد الى مُلكه ء

ذكر مُلكِ خوارزم شاه الطالقان

لمّا سلّم خوارزم شاه ترمذ الى الخطا سار عنها الى ميهنة[1] واندخوى [وكتب][2] الى سونج امير اشكار[3] نايب غياث الدين محمود بالطالقان يستميله فعاد الرسول خايبًا لم يجبه سونج الى ما اراد منه وجمع عسكره وخرج يحارب خوارزم شاه فالتقوا بالقرب من الطالقان فلمّا تقابل العسكران حمل سونج وحده مجدًّا حتّى قارب عسكر خوارزم شاه فالقى نفسه الى الارض ورمى سلاحه عنه وقبّل الارض وسأل العفو فظنّ خوارزم شاه انّه سكران فلمّا علم انّه صاح ذمّه وسبّه وقال مَن يثق الى هذا واشباهه ولم يلتفت اليه واخذ ما بالطالقان من مال وسلاح ودوابّ وانفذه الى غياث الدين مع رسول وحمّله رسالة تتضمّن التقرّب اليه والملاطفة له واستناب بالطالقان بعض اصحابه وسار الى قلاع كالوين وبيوار فخرج اليه حسام الدين علىّ بن ابى علىّ صاحب كالوين وقاتله على روس الجبال فارسل اليه خوارزم شاه يتهدّده ان لم يسلّم اليه فقال انّما انا مملوك وهذه الحصون فهى امانة بيدى ولا اسلّمها الّا الى صاحبها فاستحسن خوارزم شاه منه هذا واثنى عليه وذمّ سونج ولمّا بلغ غياث الدين خبر سونج وتسليم الطالقان الى خوارزم شاه عظم عنده وشقّ عليه فسلّاه اصحابه وهوّنوا الامر ولمّا فرغ خوارزم شاه من الطالقان سار الى هراة فنزل بظاهرها ولم يمكن ابن خرميل احدًا من الخوارزميّين ان يتطرّق بالاذى الى اهلها وانّما كانوا يجتمع منهم الجماعة بعد الجماعة فيقطعون الطريق وهذه عادة الخوارزميّين ووصل رسول غياث الدين الى خوارزم شاه

---

[3]) C. P.: شكار [2]) C. P. et 740. [1]) C. P.: ميمند 740.: ممنه

بالهدايا وراى الناس عجبًا وذلك انّ الخوارزميّين لا يذكرون غياث الدين الكبير والد هذا غياث الدين ولا يذكرون ايضًا شهاب الدين اخاه وهما حيّان الّا بالغوريّ وصاحب غزنة وكان وزير خوارزم شاه الأن مع عظم شانه وقلّة هذا غياث الدين لا يذكره الّا بمولانا السلطان مع ضعفه وعجزه وقلّة بلاده واما ابن خرميل فانّه سار من هراة فى جمع من عسكر خوارزم شاه فنزل على اسفزار[1] فى صفر وكان صاحبها قد توجّه الى غياث الدين فحصرها وارسل الى من بها يقسم بالله لئن سلّموها ان يؤمّنهم وان امتنعوا اقام عليهم الى ان ياخذهم فاذا اخذهم قهرًا لا يُبقى على كثير ولا صغير فخافوا فسلّموها فى ربيع الاوّل فامّنهم ولم يتعرّض الى اهلها بسوء فلمّا اخذها ارسل الى حرب بن محمّد[2] صاحب سجستان يدعوه الى طاعة خوارزم شاه والخطبة له ببلاده فاجابه الى ذلك وكان غياث الدين قد راسله قبل ذلك فى الخطبة والدخول فى طاعته فغالطه ولم يجبه الى ما طلب ، ولمّا كان خوارزم شاه على هراة عاد اليها القاضى صاعد بن الفضل الذى كان ابن خرميل قد اخرجه من هراة فى العام الماضى وسار الى غياث الدين فعاد الأن من عنده فلمّا وصل قال ابن خرميل لخوارزم شاه انّ هذا يميل الى الغوريّة ويريد دولتهم ووقع فيه فسجنه خوارزم شاه بقلعة زوزن وولّى القضآء بهراة الصفى ابا بكر بن محمّد السرخسيّ وكان ينوب عن صاعد وابنه فى القضآء بهراة ✿

ذكر حال غياث الدين مع الدز وايبك

لمّا عاد الدز الى غزنة واسر علآء الدين واخاه جلال الدين كما ذكرناه وكتب اليه غياث الدين يطالبه بالخطبة له فاجابه فى هذه المدّة اشدّ منه فيما تقدّم فاعاد غياث الدين اليه يقول امّا ان تخطب لنا وامّا ان تعرّفنا ما فى نفسك فلمّا وصل الرسول بهذا احضر خطيب غزنة وامره يخطب لنفسه بعد الترحّم على شهاب الدين فخطب لتاج الدين الدز بغزنة فلمّا سمع الناس ذلك ساءهم وتغيّرت نيّاتهم ونيّات الاتراك الذين معه ولم يروه اهلًا ان يخدموه وانّما كانوا يُطيعونه ظنًّا

---

1) اسفزان   2) محمد بن

منهم انّه ينصر دولة غياث الدين فلمّا خطب لنفسه ارسل الى غياث الدين يقول له بما ذا تشنّط علىّ وتتحكّم هذه لخزانة نحن جمعناها باسيافنا وهذا المُلك قد اخذتُه وانت قد اجتمع عندك الذين اساس الفتنة واقطعتَهم الاقطاعات ووعدتَنى بامور لم تقف[1] عليها فان انت اعتقتنى خطبتُ لك وحضرتُ خدمتَك فلمّا وصل الرسول اجابه غياث الدين الى عتق الدز بعد الامتناع الشديد والعزم على مصالحة خوارزم شاه على ما يريد وقصد غزنة ومحاربته بها فلمّا اجابه الى العتق اشهد عليه به واشهد عليه ايضًا بعتق قطب الدين ايبك مملوك شهاب الدين ونايبه ببلاد الهند وارسل الى كلّ واحد منهما الف قباء والف قلنسوة ومناطق الذهب وسيوفًا كثيرة وجترين ومائة راس من الخيل وارسل الى كلّ واحد منهما رسولاً فقبل الدز الخلع وردّ الجتر وقال نحن عبيد ومماليك والجتر له اصحاب وسار رسول ايبك اليه وكان بفرشابور قد ضبط المملكة وحفظ البلاد ومنع المفسدين من الفساد والاذى والناس معه فى أمْن فلمّا قرب الرسول منه لقيه على بُعد وترجّل وقبّل حافر الفرس ولبس الخلعة وقال امّا الجتر فلا يصلح للمماليك وامّا العتق فقبول وسوف أُجازيه بعبوديّة الابد، وامّا خوارزم شاه فانّه ارسل الى غياث الدين يطلب منه ان يتصاهرا ويطلب منه ابن خرميل صاحب هراة الى طاعته ويسير معه فى العساكر الى غزنة فاذا ملكها من الدز اقتسموا المال اثلاثًا ثلثًا لخوارزم شاه وثلثًا لغياث الدين وثلثًا للعسكر فاجابه الى ذلك ولم يبق الّا الصلح فوصل الخبر الى خوارزم شاه بموت صاحب مازندران فسار عن هراة الى مرو وسمع الدز بالصلح فجزع لذلك جزعًا عظيمًا ظهر اثر عليه وارسل الى غياث الدين [يقول له] ما حملك على هذا فقال حملنى عليه عصيانك وخلافك علىّ فسار الدز الى تكياباذ[2] فاخذها والى بُست وتلك الاعمال فملكها وقطع خطبة غياث الدين منها وارسل الى صاحب سجستان يامره باعادة الترحّم على شهاب الدين وقطع خطبة خوارزم شاه وارسل الى ابن خرميل صاحب هراة بمثل ذلك وتهدّدهما بقصد بلادهما فخافه الناس ثمّ انّ الدز اخرج جلال الدين صاحب باميان من اسْره وسيّر معه خمسة الاف فارس مع اى دكز التتر[3] مملوك

1) تقف 2) تكاباد Vid. pag. ١٤٧ 3) البتر

شهاب الدين الى باميان ليُعيدوه الى مُلكه ويُزيلون ابن عمّه عنه وزوّجه ابنته وسار ومعه اى دكز فلمّا خلا به لامه على لبسه خلعة الدز وقال انتم ما رضيتم تلبسون خلعة غياث الدين وهو اكبر سنًّا منكم واشرف بيتًا تلبس خلعة هذا المأبون يعنى الدز ودعاه الى العود معه الى غزنة واعلمه انّ الاتراك كلّهم مجمعون على خلاف الدز فلم يجبه الى ذلك فقال اى دكز فانّنى لا اسير معك وعاد الى كابل وهى اقطاعه فلمّا وصل اى دكز الى كابل لقيه رسول من قطب الدين ايبك الى الدز يقبّح له فعله ويامره باقامة خطبة غياث الدين ويخبره انّه قد خطب له فى بلاده ويقول له ان لم يخطب له هو ايضًا بغزنة ويعود الى طاعته والّا قصده وحاربه فلمّا علم اى دكز ذلك قويت نفسه على محاربة الدز وصمّم العزم على قصد غزنة ووصل ايضًا رسول ايبك الى غياث الدين بالهدايا والتحف ويُشير باجابة خوارزم شاه الى ما طلب الآن وعند الفراغ من امر غزنة تسهل امور خوارزم شاه وغيره وانفذ له ذهبًا عليه اسمه فكتب اى دُكز الى ايبك يُعرّفه عصيان الدز على غياث الدين وما فعله فى البلاد وانّه على عزم مشاققة الدز وهو ينتظر امره فاعاد ايبك جوابه يامره بقصد غزنة فان حصلت له القلعة اقام بها الى ان ياتيه وان لم تحصل له القلعة وقصده الدز انحاز اليه او الى غياث الدين او يعود الى كابل ، فسار الى غزنة وكان جلال الدين قد كتب الى الدز يخبره خبر اى دكز وما عزم عليه فكتب الدز الى نوّابه بقلعة غزنة يامرهم بالاحتياط منه فوصلها اى دكز اوّل رجب من السنة وقد حذره فلم يسلّموا اليه القلعة ومنعوه عنها فامر اصحابه بنهب البلد فنهبوا عدّة مواضع منه فتوسّط القاضى للحال بان سلّم اليه من الخزانة خمسين الف دينار ركنيّة واخذ له من التجار شيأً اخر وخطب اى دُكز بغزنة لغياث الدين وقطع خطبة الدز ففرح الناس بذلك ، وكان مؤيّد الملك ينوب عن الدز بالقلعة ووصل الخبر الى الدز بوصول اى دكز الى غزنة ووصول رسول ايبك اليه ففتّ فى عضده وخطب لغياث الدين فى تكياباذ[1] واسقط اسمه من الخطبة فخطب له ورحل الى

[1] نكماناذ (

غزنة فلمّا قاربها رحل اى دكز عنها الى بلد الغور فاقام فى تمران وكتب الى غياث الدين يخبره بحاله وانفذ اليه المال الذى اخذه من الخزانة ومن اموال الناس فارسل اليه خلعًا واعتقه وخاطبه بملك الامرآء وردّ عليه المال الذى كان اخذه من الخزانة وقال له امّا مال الخزانة فقد اعدناه اليك لتخرجه وامّا اموال التجار واهل البلد فقد ارسلته مع رسولى ليُعاد الى اربابه لئلّا نفتتح دولتنا بالظلم وقد عوّضتك عنه ضعفه وارسل اموال الناس الى غزنة الى قاضى غزنة وامره ان يردّ المال المنفّذ على اربابه ، فانهى القاضى الحال الى الدز واشار عليه بالخطبة لغياث الدين وقال انا اسعى فى الوصلة بينكما والصلح فامره بذلك فبلغ الخبر الى غياث الدين فارسل الى القاضى ينهاه عن المجئ اليه وقال لا تسال فى عبد ابق قد بان فساده واتّضح عناده فاقام بغزنة هو والدز وسيّر غياث الدين عسكرًا الى اى دكز التتر[1] فاقاموا معه وسيّر الدز عسكرًا الى روبن كان[2] وهى لغياث الدين وقد اقطعها لبعض الامرآء فهجموا على صاحبها فنهبوا ماله واخذوا اولاده فنجا وحده الى غياث الدين فاقتضى الحال ان سار غياث الدين الى بُست وتلك الولاية فاستردّها واحسن الى اهلها واطلق لهم خراج سنة لما نالهم من الدز من الاذى ❊

ذكر وفاة صاحب مازندران والخلف بين اولاده

فى هذه السنة توفّى حُسام الدين اردشير صاحب مازندران وخلّف ثلاثة اولاد فملك بعده ابنه الاكبر واخرج اخاه الاوسط من البلاد فقصد جرجان وبها الملك علىّ شاه بن خوارزم شاه تكش اخو خوارزم شاه محمّد وهو ينوب عن اخيه فيها فشكى اليه ما صنع به اخوه من اخراجه من البلاد وطلب منه ان ينجده عليه وياخذ له البلاد ليكون فى طاعته فكتب علىّ شاه الى اخيه خوارزم شاه فى ذلك فامره بالمسير معه الى مازندران واَخْذ البلاد له واقامة الخطبة لخوارزم شاه فيها فساروا عن جرجان فاتّفق انّ حُسام الدين صاحب مازندران مات فى ذلك الوقت وملك البلاد بعده اخوه الاصغر واستولى على القلاع والاموال فوصل

---

[1]) البتر   [2]) C. P.: رودركان Ups.: رودن كان 740: روركان

علىّ شاه البلاد ومعه صاحب مازندران فنهبوها وخرّبوها وامتنع منهم الاخ الصغير بالقلاع واقام بقلعة كورا وهى التى فيها الاموال والذخاير وحصره فيها بعد ان ملكوا اسامة البلاد مثل سارية وآمل وغيرها من البلاد والحصون وخُطب لخوارزم شاه فيها جميعها فصارت فى طاعته وعاد علىّ شاة الى جرجان[1] واقام ابن ملك مازندران فى البلاد مالكها جميعها سوى القلعة التى فيها اخوه الاصغر وهو يراسله ويستميله ويستعطفه واخوه لا يردّ جَوابًا ولا ينزل عن حصنه ۞

ذكر مُلك غياث الدين كيخسرو مدينة انطاليّة[2]

فى هذه السنة ثالث شعبان ملك غياث الدين كيخسرو صاحب قونية وبلد الروم مدينة انطاليّة[2] بالامان وهى للروم على ساحل البحر وسبب ذلك انّه كان حصرها قبل هذا التاريخ واطال المقام عليها وهدم عدّة ابراج من سورها ولم يبق الّا فتحها عنوة فارسل مَن [بها من] الروم الى الفرنج الذين بجزيرة قبرس وهى قريبة منها فاستنجدوهم فوصل اليها جماعة منهم فعند ذلك يئس غياث الدين منها ورحل عنها وترك طايفة من عسكره بالقرب منها بالجبال التى بينهما وبين بلاده وامرهم بقطع الميرة منها فاستمرّ الحال على ذلك مدّة حتّى ضاق باهل البلد واشتدّ الامر عليهم فطلبوا من الفرنج الخروج لدفع المسلمين عن مُضايقتهم فظنّ الفرنج انّ الروم يريدون اخراجهم من المدينة بهذا السبب فوقع الخلف بينهم فاقتتلوا فارسل الروم الى المسلمين وطلبوهم ليسلّموا اليهم البلد فوصلوا اليهم واجتمعوا معهم على قتال الفرنج فانهزم الفرنج ودخلوا الحصن فاعتصموا به فارسل المسلمون يطلبون غياث الدين وهو بمدينة قونية فسار اليهم مُجدًّا فى طايفة من عسكره فوصلها ثانى شعبان وتقرّر الحال بينه وبين الروم وتسلّم المدينة ثالثه وحصر الحصن الذى فيه الفرنج وتسلّمه وقتل كلّ من كان به من الفرنج ۞

ذكر عزل ولد بكتمر صاحب خلاط ومُلك بلبان ومسير صاحب ماردين الى خلاط وعوده

---

1) خراسان 2) انطاكية.

وفي هذه السنة قبض عسكر خلاط على صاحبها ولد بكتمر وملكها بلبان مملوك شاه ارمن بن سكمان وكتب اهل خلاط الى ناصر الدين ارتق بن ايلغازى بن البى بن تمرتاش بن ايلغازى بن ارتق يستدعونه اليها وسبب ذلك انّ ولد بكتمر كان صبيًّا جاهلاً فقبض على الامير شجاع الدين قتلغ مملوك من مماليك شاه ارمن وهو كان اتابكه ومُدبّر بلاده وكان حسن السيرة مع الجند والرعيّة فلمّا قتله اختلفت الكلمة عليه من الجند والعامّة واشتغل هو باللهو واللعب وادمان الشرب فكاتب جماعة من [اهل] خلاط وجماعة من الجند ناصرَ الدين صاحب ماردين يستدعونه اليهم وانّما كاتبوه دون غيره من الملوك لانّ اباه قطب الدين ايلغازى كان ابن اخت شاه ارمن بن سكمان وكان شاه ارمن قد حلّف له الناس في حياته لانّه لم يكن له ولد فلمّا تجدّدت بعده هذه الحادثة تذاكروا تلك الايمان وقالوا نستدعيه ونملّكه فانّه من اهل شاه ارمن فكاتبوه وطلبوه اليهم ، ثمّ انّ بعض مماليك شاه ارمن اسمه بلبان وكان قد جاهر ولد بكتمر بالعداوة والعصيان سار من خلاط الى بلاد ملازكرد وملكها واجتمع الاجناد عليه وكثر جمعه وسار الى خلاط فلكها واتّفق وصول صاحب ماردين اليها وهو يظنّ انّ احدًا لا يمتنع عليه ويسلّمون اليه المدينة فنزل قريبًا من خلاط عدّة ايّام فارسل اليه بلبان يقول له انّ اهل خلاط قد اتّهموني بالميل اليك وهم ينفرون من العرب والراى انّك ترحل عايدًا مرحلة واحدة وتقيم فاذا تسلّمتُ البلد سلّمته اليك لانّني لا يمكنني ان املكه انا ففعل صاحب ماردين ذلك فلمّا ابعد عن خلاط ارسل اليه يقول له تعود الى بلدك والّا جيتُ اليك واوقعتُ بك وبمن معك وكان في قلّة من الجيش فعاد الى ماردين ، وكان الملك الاشرف موسى بن العادل ابى بكر بن ايّوب صاحب حرّان وديار الجزيرة قد ارسل الى صاحب ماردين لمّا سمع انّه يريد قصد خلاط يقول له ان سرتَ الى خلاط قصدتُّ بلدك وانّما خاف ان يملك خلاط فيقوى عليهم فلمّا سار الى خلاط جمع الاشرف العساكر وسار الى ولاية ماردين فاخذ دخلها واقام بدنيسر حتّى تجئ الاموال اليه فلمّا فرغ منه عاد الى حرّان فكان مثل صاحب ماردين كما قيل خرجت تطلب قرنَيْن

عادت بلا اذنَيْن ، واما بلبان فانه جمع العسكر وحشد وحصر خلاط وضيّق على اهلها وبها ولد بكتمر فجمع مَن عنده بالبلد من الاجناد والعامّة وخرج اليه فالتقوا فانهزم بلبان ومَن معه من بين يديه وعاد الى الذى بيده من البلاد وهو ملازكرد وارجيش وغيرهما من الحصون وجمع العساكر واستكثر منها وعاود حصار خلاط وضيّق على اهلها فاضطرّهم الى خذلان ولد بكتمر لصغره وجهله بالملك واشتغاله بلهوه ولعبه ثمّ قبضوا عليه فى القلعة وارسلوا الى بلبان وحلّفوه على ما ارادوا وسلّموا اليه البلد وابن بكتمر واستولى على جميع اعمال خلاط وسجن ابن بكتمر فى قلعة هناك واستقرّ مُلكه فسبحان مَن اذا اراد امرًا هيّأ اسبابه بالامس يقصدها شمس الدين محمّد بن البهلوان وصلاح الدين يوسف بن ايّوب فلم يقدر احدهما عليها والآن يظهر هذا المملوك العاجز القاصر عن الرجال والبلاد والاموال فيملكها صفوًا عفوًا ، ثمّ انّ نجم الدين ايّوب بن العادل صاحب ميّافارقين سار نحو ولاية خلاط وكان قد استولى [على] عدّة حصون من اعمالها منها حصن موسى ومدينته فلمّا قارب خلاط اظهر له بلبان العجز عن مقابلته فطمع واوغل فى القرب فاخذ عليه بلبان الطريق وقاتله فهزمه ولم يُفلت من اصحابه الّا القليل وهم جَرْحَى وعاد الى ميّافارقين ❊

ذكر مُلك الكُرج مدينة قرس وموت ملكة الكرج

فى هذه السنة ملك الكرج حصن قرس من اعمال خلاط وكانوا قد حصروه مدّة طويلة وضيّقوا على مَن فيه واخذوا دَخْل الولاية عدّة سنين وكلّ من نزل خلاط لا ينجدهم ولا يسعى فى راحة تصل اليهم وكان الوالى بها يواصل رسله فى طلب النجدة وازاحة مَن عليه من الكرج فلا يُجاب له دعآء فلمّا طال الامر عليه وراى ان لا ناصر له صالح الكرج على تسليم القلعة على مال كثير واقطاع ياخذه منهم وصارت دار شِرك بعد ان كانت دار توحيد فانّا لله وانّا اليه راجعون ونسأل الله ان يُسهل للاسلام واهله نصرًا من عنده فانّ ملوك زماننا قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم وظلمهم عن سدّ الثغور وحفظ البلاد ثمّ انّ الله تعالى نظر الى قلّة ناصر الاسلام فتولّاه فأَمات ملكة الكرج واختلفوا فيما بينهم وكفى الله شرّهم الى اخر السنة ❊

ذكر الحرب بين عسكر الخليفة وصاحب كرستان

فى هذه السنة فى رمضان سار عسكر الخليفة من خوزستان مع مملوكه سنجر وهو كان المتولّى لتلك الاعمال وليها بعد موت طاشتكين امير الحاجّ لانّه زوّج ابنة طاشتكين الى جبال كرستان وصاحبها يُعرف بابى طاهر وهى جبال منيعة بين فارس واصبهان وخوزستان فقاتلوا اهلها وعادوا منهزمين وسبب ذلك انّ مملوكًا للخليفة الناصر لدين الله اسمه قشتمر من اكابر مماليكه كان قد فارق الخدمة لتقصير راه من الوزير نصير الدين العلوىّ الرازىّ واجتاز بخوزستان واخذ منها ما امكنه ولحق بابى طاهر صاحب كرستان فاكرمه وعظّمه وزوّجه ابنته ثمّ توفّى ابو طاهر فقوى امر قشتمر واطاعه اهل تلك الولاية فامر سنجر بجمع العساكر وقصده وقتاله ففعل سنجر ما امر به وجمع العساكر وسار اليه فارسل قشتمر يعتذر ويسال ان لا يقصده ويخرج الى الخروج عن العبوديّة فلم يقبل عذره فجمع اهل تلك الاعمال ونزل الى العسكر فلقيهم فهزمهم وارسل [الى] صاحب فارس بن دكلا وشمس الدين ايتغمش صاحب اصبهان وهمدان والرىّ يُعرّفهما الحال ويقول انّنى لا قوة لى بعسكر الخليفة ولمّا أُضيف اليهم عساكر اخرى من بغداد وعادوا الى حربى وحينئذ لا اقدر بهم وطلب منهما النجدة وخوّفهما من عسكر الخليفة ان ملك تلك الجبال فاجاباه الى ما طلب فقوى جنانه واستمرّ على حاله ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة قتل صبىّ صبيًّا اخر ببغداد وكانا يتعاشران وعمر كلّ واحد منهما يقارب عشرين سنة فقال احدهما للاخر الساعة اضربك بهذه السكين يمازحه بذلك واهوى نحوه بها فدخلت فى جوفه فمات فهرب القاتل ثمّ أُخذ وأُمر به ليقتل فلمّا ارادوا قتله طلب دواة وبيضاء وكتب فيها من قوله

قدمتُ على الكريم بغير زادٍ ... من الاعمال بل قلب سليم
وسوء الظنّ ان تعتدّ زادًا ... اذا كان القدوم على كريم ،

وفيها حجّ برهان الدين صدر جهان محمّد بن احمد بن عبد العزيز بن مارة البخارىّ رئيس الحنفيّة ببخارا وهو كان صاحبها على الحقيقة يؤدّى الخراج الى الخطا وينوب عنهم فى البلد فلمّا حجّ لم تحمد سيرته

فى الطريق ولم يصنع معروفًا وكان قد اكرم ببغداد عند قدومه من بخارا فلمّا عاد لم يُلتفت اليه لسوء سيرته مع الحاجّ وسمّاه الحجاج صدر جهنّم ، وفيها فى شوّال مات شيخنا ابو الحرم مكى بن ربان[1] ابن شبه النحوى المقرى بالموصل وكان عارفًا بالنحو واللغة والقرآت لم يكن فى زمانه مثله وكان ضريرًا وكان يعرف سوى هذه العلوم من الفقه والحساب وغير ذلك معرفة حسنة وكان من خيار عباد الله وصالحيهم كثير التواضع لا يزال الناس يشتغلون عليه من بكرة الى الليل ، وفيها فارق امير الحاجّ مظفّر الدين سنقر مملوك الخليفة المعروف بوجه السبُع الحاجّ بموضع يقال له المرخوم ومضى فى طايفة من اصحابه الى الشام وسار الحاجّ ومعهم الجند فوصلوا سالمين ووصل هو الى الملك العادل ابى بكر بن ايّوب فاقطعه اقطاعًا كثيرًا بمصر واقام عنده الى ان عاد الى بغداد سنة ثمان وستّمائة فى جمادى الاولى فانّه لمّا قُبض الوزير امن على نفسه وارسل يطلب العود فأُجيب اليه فلمّا وصل اكرمه الخليفة واقطعه الكوفة ، وفيها فى جمادى الاخرة توفّى ابو الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز الاسكندرانىّ المعروف بابن النطرونىّ فى مارستان بغداد وكان قد مضى الى المايورقىّ[2] فى رسالة بافريقية فحصل له منه عشرة الاف دينار مغربيّة فرّقها جميعها فى بلده على معارفه واصدقآيه وكان فاضلًا خيّرًا نعم الرجل رحمه الله وله شعر حسن وكان قيّمًا بعلم الادب واقام بالموصل مدّة واشتغل على الشيخ ابى الحرم واجتمعتُ به كثيرًا عند الشيخ ابى الحرم رحمه الله ۞

ثم دخلت سنة اربع وستّمائة ،

سنة ٦٠٤

ذكر ملك خوارزم شاه ما ورآء النهر وما كان بخراسان من الفتن واصلاحها

فى هذه السنة عبر علآء الدين محمّد بن خوارزم شاه نهر جيحون لقتال الخطا وسبب ذلك انّ الخطا كانوا قد طالت ايّامهم ببلاد تركستان وما ورآء النهر وثقلت وطأتهم على اهلها ولهم فى كلّ مدينة نايب يجبى اليهم الاموال وهم يسكنون الخركاهات على عادتهم قبل ان يملكوا وكان مقامهم بنواحى اوزكند وبلاساغون وكاشغر وتلك النواحى فاتّفق انّ سلطان

---

1) C. P. 740.: ملى بن رُبان Ups.: سكى بن ربان 2) المامروقى

سمرقند وبخارى ويلقّب خان خانان يعنى سلطان السلاطين وهو من اولاد الخانيّة عريق النسب فى الاسلام والملك أنف وضجر من تحكّم الكفّار على المسلمين فارسل الى خوارزم شاه يقول له انّ الله عزّ وجلّ قد اوجب عليك بما اعطاك من سعة الملك وكثرة الجنود ان تستنقذ المسلمين وبلادهم من ايدى الكفّار وتخلّصهم ممّا يجرى عليهم من التحكّم فى الاموال والابشار ونحن نتّفق معك على محاربة الخطا ونحمل اليك ما نحمله اليهم ونذكر اسمك فى الخطبة وعلى السكّة فاجابه الى ذلك وقال اخاف انّكم لا تفون لى فسيّر اليه صاحب سمرقند وجوه اهل بخارى وسمرقند بعد ان حلّفوا صاحبهم على الوفآء بما تضمّنه وضمنوا عنه الصدق والثبات على ما بذل وجعلوا عنده رهاين فشرع فى اصلاح امر خراسان وتقرير قواعدها فولّى اخاه عليّ شاه طبرستان مضافة الى جرجان وامره بالحفظ والاحتياط وولّى الامير كزلك خان وهو من اقارب امّه واعيان دولته بنيسابور وجعل معه عسكرًا وولّى الامير جلدك مدينة الجام وولّى الامير امين الدين ابا بكر مدينة زوزن وكان هذا امين الدين جمّالاً ثمّ صار اكبر الامرآء وهو الذى ملك كرمان على ما نذكره ان شآء الله تعالى واقرّ الامير الحسين على هراة وجعل معه فيها الف فارس من الخوارزميّة وصالح غياث الدين محمودًا على ما بيده من بلاد الغور وكرمسير واستناب فى مرو وسرخس وغيرهما من خراسان نوّابًا وامرهم بحسن السياسة والحفظ والاحتياط وجمع عساكره جميعها وسار الى خوارزم وتجهّز منها وعبر جيحون واجتمع بسلطان سمرقند وسمع الخطا فحشدوا وجمعوا وجآءوا اليه فجرى بينهم وقعات كثيرة ومغاورات فتارة له وتارة عليه ✿

ذكر قتل ابن خرميل وحصر هراة واسر خوارزم شاه وخلاصه

ثمّ انّ ابن خرميل صاحب هراة راى سوء معاملة عسكر خوارزم شاه للرعيّة وتعدّيهم الى الاموال فقبض عليهم وحبسهم وبعث رسولاً الى خوارزم شاه يعتذر ويعرّفه ما صنعوا فعظم عليه ولم يمكنه محاققته لاشتغاله بقتال الخطا فكتب اليه يستحسن فعله ويامره بانفاذ الجند الذين قبض عليهم لحاجته اليهم وقال له انّنى قد امرتُ عزّ الدين جلدك بن طغرل صاحب الجام ان يكون عندك لما اعلمه من عقله وحسن سيرته وارسل

الى جلدك يامره بالمسير الى هراة واسرّ اليه ان يحتال فى القبض على حسين بن خرميل ولو اوّل ساعة يلقاه فسار جلدك فى الفَىْ فارس وكان ابوه طغرل ايّام السلطان سنجر واليًا بهراة فهو اليها بالاشواق يختارها على جميع خراسان فلمّا قارب هراة امر ابن خرميل الناس بالخروج بتلقيه وكان للحسين وزير يُعرف بخواجه الصاحب وكان كثيرًا قد حنّكَتْهُ التجارب فقال لابن خرميل لا تخرج الى لقآيه ودعه يدخل اليك منفردًا فانّنى اخاف ان يغدر بك وان يكون خوارزم شاه امر بذلك فقال لا يجوز ان يقدم مثل هذا الامير ولا التقيه واخاف ان يضطغن ذلك علىّ خوارزم شاه وما اظنّه يتجاسر علىّ فخرج اليه الحسين بن خرميل فلمّا بصر كلّ واحد منهما بصاحبه ترجّل للالتقآء وكان جلدك قد امر اصحابه بالقبض عليه فاختلطوا بهما وحالوا بين ابن خرميل واصحابه وقبضوا عليه فانهزم اصحابه ودخلوا المدينة واخبروا الوزير بالحال فامر باغلاق الباب والطلوع الى الاسوار واستعدّ للحصار ونزل جلدك على البلد وارسل الى الوزير يبذل له الامان ويتهدّده ان لم يسلّم البلد بقتل ابن خرميل فنادى الوزير بشعار غياث الدين محمود الغورىّ وقال لجلدك لا اسلّم البلد اليك ولا الى الغادر ابن خرميل وانّما هو لغياث الدين ولابيه قبله فقدّموا ابن خرميل الى السور فخاطب الوزير وامره بالتسليم فلم يفعل فقُتل ابن خرميل وهذه عاقبة الغدر فقد تقدّم من اخباره عند شهاب الدين الغورىّ ما يدلّ على غدره وكفرانه الاحسان ممّن احسن اليه ؛ فلمّا قُتل ابن خرميل كتب جلدك الى خوارزم شاه بجليّة الحال فانفذ خوارزم شاه الى كزلك خان والى نيسابور والى امين الدين ابى بكر صاحب زوزن يامرهما بالمسير الى هراة وحصارها واخذها فسارا فى عشرة الاف فارس فنزلوا على هراة وراسلوا الوزير بالتسليم فلم يلتفت اليهم وقال ليس لكم من المحلّ ما يسلم اليكم مثل هراة لكن اذا وصل السلطان خوارزم شاه سلّمتُها اليه فقاتلوه وجدّوا فى قتاله فلم يقدروا عليه وكان ابن خرميل قد حصّن هراة وعمل لها اربعة اسوار محكمة وحفر خندقها وشحنها بالميرة فلمّا فرغ من كلّ ما اراد قال بقيتُ اخاف على هذه المدينة شيأً واحدًا وهو ان تُسكَّر المياه التى لها ايّامًا كثيرة ثمّ تُرسل

دفعة واحدة فتخرق اسوارها فلمّا حصرها هولآء سمعوا قول ابن خرميل فسكروا المياه حتّى اجتمعت كثيرًا ثمّ اطلقوها على هراة فاحاطت بها ولم تصل الى السور لانّ ارض المدينة مرتفعة فامتلأ الخندق مآءً وصار حولها وَحْلًا فانتقل العسكر عنهم ولم يمكنهم القتال لبعدهم عن المدينة وهذا كان قصد ابن خرميل ان يمتلى الخندق مآء ويمنع الوحل من القرب من المدينة فاقاموا مدّة حتّى نشف المآء فكان قول ابن خرميل من احسن الحيل، ونعود الى قتال خوارزم شاه الخطا واسره واما خوارزم شاه فانّه دام القتال بينه وبين الخطا ففى بعض الايّام اقتتلوا واشتدّ القتال ودام بينهم ثمّ انهزم المسلمون هزيمة قبيحة وأُسر كثير منهم وقُتل كثير وكان من جملة الاسرى خوارزم شاه وأُسر معه امير كبير يقال له فلان بن شهاب الدين [مسعود] اسرهما رجل واحد ووصلت العساكر الاسلاميّة الى خوارزم ولم يروا السلطان معهم فارسلت اخت كزلك خان صاحب نيسابور وهو يحاصر هراة واعلمته الحال فلمّا اتاه الخبر سار عن هراة ليلًا الى نيسابور واحسّ به الامير امين الدين ابو بكر صاحب زوزن فاراد هو ومن عنده من الامرآء منعه مخافة ان يجرى بينهم حرب يطمع بسببها اهل هراة فيهم فيخرجون اليهم فيبلغون منهم ما يريدونه فامسكوا عن معارضته، وكان خوارزم شاه قد خرّب سور نيسابور لمّا ملكها من الغوريّة فشرع كزلك خان يعمره وادخل اليها الميرة واستكثر من الجند وعزم على الاستيلآء على خراسان ان صحّ فقدُ السلطانْ وبلغ خبر عدم السلطان الى اخيه علىّ شاه وهو بطبرستان فدعا الى نفسه وقطع خطبة اخيه واستعدّ لطلب السلطنة واختلطت خراسان اختلاطًا عظيمًا، واما السلطان خوارزم شاه فانّه لمّا أُسر قال له ابن شهاب الدين مسعود يجب ان تدَع السلطنة في هذه الايّام وتصير خادمًا لعلّى احتال فى خلاصك فشرع يخدم ابن مسعود ويقدّم له الطعام ويخلعه ثيابه وخُفّه ويعظّمه فقال الرجل الذى اسرهما لابن مسعود ارى هذا الرجل يعظّمك فمن انت فقال انا فلان وهذا غلامى فقام اليه واكرمه وقال لو لا انّ القوم عرفوا بمكانك عندى لاطلقتك ثمّ تركه ايّامًا فقال له ابن مسعود انى اخاف ان يرجع المنهزمون فلا يرانى اهلى معهم فيظنّون انى قُتلت فيعملون

العزآء والمآتم وتضييق صدورهم لذلك ثمّ يقتسمون مالى فاهلك واحبّ ان تقرّر علىّ شيئاً من المال حتّى احمله اليك فقرّر عليه مالاً وقال له اريد ان تأمر رجلاً عاقلاً يذهب بكتابى الى اهلى ويخبرهم بعافيتى ويحضر معه من يحمل المال ثمّ قال انّ اصحابكم لا يعرفون اهلنا ولكن هذا غلامى اثق به ويصدّقه اهلى فاذن له الخطابىّ بانفاذه فسيّره وارسل معه الخطابىّ فرسًا وعدّة من الفرسان يحمونه فساروا حتّى قاربوا خوارزم وعاد الفرسان عن خوارزم شاه ووصل خوارزم شاه الى خوارزم فاستبشر به الناس وضربت البشاير وزيّنوا البلد واتته الاخبار بما صنع كزلك بنيسابور وبما صنع اخوه علىّ شاه بطبرستان ❊

ذكر ما فعله خوارزم شاه بخراسان

لمّا وصل خوارزم شاه الى خوارزم اتته الاخبار بما فعله كزلك خان واخوه علىّ شاه وغيرهم فسار الى خراسان[1] وتبعته العساكر فتقطّعت ووصل هو اليها فى اليوم السادس ومعه ستّة فرسان وبلغ كزلك خان وصوله فاخذ امواله وعساكره وهرب نحو العراق وبلغ اخاه علىّ شاه فخافه وسار على طريق قهستان ملتجيًا الى غياث الدين محمود الغورىّ صاحب فيروزكوه فتلقاه واكرمه وانزله عنده ، وامّا خوارزم شاه فانّه دخل نيسابور واصلح امرها وجعل فيها نايبًا وسار الى هراة فنزل عليها مع عسكره الذين يحاصرونه واحسن الى اوليك الامرآء ووثق بهم لانّهم صبروا على تلك الحال ولم يتغيّروا ولم يبلغوا من هراة غرضًا بحسن تدبير ذلك الوزير فارسل خوارزم شاه الى الوزير يقول له انّك وعدتَ عسكرى انّك تسلّم المدينة اذا حضرتُ وقد حضرتُ فسلّم فقال لا افعل لانّى اعرف انّكم غدّارون لا تبقون على احد ولا اسلّم البلد الّا الى غياث الدين محمود فغضب خوارزم شاه من ذلك وزحف اليه بعساكره فلم يكن فيه حيلة فاتّفق جماعة من اهل هراة وقالوا هلك الناس من الجوع والقلّة وقد تعطّلت علينا معايشنا وقد مضى سنة وشهر وكان الوزير يَعِد بتسليم البلد الى خوارزم شاه اذا وصل اليه وقد حضر خوارزم شاه ولم يسلم ويجب ان نحتال فى تسليم البلد والخلاص من هذه الشدّة التى نحن

[1]) خوارزم

فيها فانتهى ذلك الى الوزير فبعث اليهم جماعة من عسكره وامرهم بالقبض عليهم فمضى الجند اليهم فثارت فتنة فى البلد عظم خطبها فاحتاج الوزير الى تداركها بنفسه فمضى لذلك فكُتب من البلد الى خوارزم شاه بالخبر وزحف الى البلد واهله مختلطون فخربوا برجَيْن من السور ودخلوا البلد فملكوه وقبضوا على الوزير فقتله خوارزم شاه وملك البلد وذلك سنة خمس وستّمايةٌ واصلح حاله وسلّمه الى خاله امير ملك وهو من اعيان امرآيه فلم تزل بيده حتّى هلك خوارزم شاه ، وامّا ابن شهاب الدين مسعود فانّه اقام عند الخطا مُدَيْدةً فقال له الذى استاسره يومًا انّ خوارزم شاه قد عدم فايش عندك [من خبره فقال له اما تعرفه قال لا قال هو اسيرك الذى كان عندك فقال] [1] لِمَ لا عرّفتنى حتّى كنتُ اخدمه واسير بين يديه الى مملكته قال خفتُكم عليه فقال الخطايىُّ سِرْ بنا اليه فسارا اليه فاكرمهما واحسن اليهما وبالغ فى ذلك ۞

ذكر قتل غياث الدين محمود -

لمّا سلّم خوارزم شاه هراة الى خاله امير ملك وسار الى خوارزم امره ان يقصد غياث الدين محمود بن غياث الدين محمّد بن سام الغورىّ صاحب الغور وفيروزكوه وان يقبض عليه وعلى اخيه علىّ شاه بن خوارزم شاه وياخذ فيروزكوه من غياث الدين فسار امير ملك الى فيروزكوه وبلغ ذلك الى محمود فارسل يبذل الطاعة ويطلب الامان فاعطاه ذلك فنزل اليه محمود فقبض عليه امير ملك وعلى علىّ شاه اخى خوارزم شاه فسألاه ان يحملهما الى خوارزم شاه ليرى فيهما رايه فارسل الى خوارزم شاه يعرّفه الخبر فامره بقتلهما فقُتلا فى يوم واحد واستقامت خراسان كلّها لخوارزم شاه وذلك سنة خمس وستّمائة ايضًا ، وهذا غياث الدين هو اخر ملوك الغوريّة ولقد كانت دولتهم من احسن الدول سيرة واعدلها واكثرها جهادًا وكان هذا محمود عادلًا حليمًا كريمًا من اكرم الملوك اخلاقًا رحمه الله تعالى ۞

ذكر عود خوارزم شاه الى الخطا

لمّا استقرّ امر خراسان لمحمّد خوارزم شاه وعبر نهر جيحون فجمع له الخطا جمعًا عظيمًا وساروا اليه والمقدّم عليهم شيخ دولتهم القايم مقام

[1]) 740.

الملك فيهم المعروف بطاينكوه وكان عمره قد جاوز مائة سنة ولقى حروبًا كثيرة وكان مظفّرًا حسن التدبير والعقل واجتمع خوارزم شاه وصاحب سمرقند وتصافّوا هم والخطا سنة ستّ وستّمائة فجرت حروب لم يكن مثلها شدّة وصبرًا فانهزم الخطا هزيمة منكرة وقُتل منهم وأُسر خلق لا يحصى وكان فيمن أُسر طاينكوه مقدّمهم وجيء به الى خوارزم شاه فاكرمه واجلسه على سريره وسيّره الى خوارزم ثمّ قصد خوارزم شاه الى بلاد ما ورآء النهر فملكها مدينةً مدينةً وناحيةً ناحيةً حتّى بلغ اوزكند وجعل نوّابه فيها وعاد الى خوارزم ومعه سلطان سمرقند وكان من احسن الناس صورة فكان اهل خوارزم يجتمعون حتّى ينظرون اليه فزوّجه خوارزم شاه بابنته وردّه الى سمرقند وبعث معه شحنة يكون بسمرقند على ما كان رسم الخطا ۞

ذكر غدر صاحب سمرقند بالخوارزميين

لمّا عاد صاحب سمرقند اليها ومعه شحنة لخوارزم شاه اقام معه نحو سنة فراى سوٓء سيرة الخوارزميّين وقبح معاملتهم ما ندم على مفارقة الخطا فارسل الى ملك الخطا يدعوه الى سمرقند ليسلّمها اليه ويعود الى طاعته وامر بقتل كلّ مَن فى سمرقند من الخوارزميّة ممّن سكنها قديمًا وحديثًا واخذ اصحاب خوارزم شاه فكان يجعل الرجل منهم قطعتَيْن ويُعلقهم فى الاسواق كما يُعلق القصّاب اللحم واسآء غاية الاسآءة ومضى الى القلعة ليقتل زوجته ابنة خوارزم شاه فاغلقت الابواب ووقفت بجواريها تمنعه وارسلت اليه تقول انا امراة وقتْل مثلى قبيحٌ ولم يكن منّى اليك ما استوجب به هذا منك ولعلّ تركى احمد عاقبة فاتّق الله فىّ فتركها ووكّل بها من يمنعها التصرّف فى نفسها ۞ ووصل الخبر الى خوارزم شاه فقامت قيامته وغضب غضبًا شديدًا وامر بقتل كلّ مَن بخوارزم من الغربآء فنعته امّه عن ذلك وقالت انّ هذا البلد قد اتاه الناس من اقطار الارض ولم يرض كلّهم بما كان من هذا الرجل فامر بقتل اهل سمرقند فنهتْه امّه فانتهى وامر عساكره بالتجهيز الى ما ورآء النهر وسيّرهم ارسالاً كلّما تجهّز جماعة عبروا جيحون فعبر منهم خلق كثير لا يحصى ثمّ عبر هو بنفسه فى آخرهم ونزل على سمرقند وانفذ الى صاحبها يقول له قد فعلتَ ما لم

يفعله مسلم واستحللت من دمآء المسلمين ما لا يفعله عاقل لا مسلم ولا كافر وقد عفى الله عمّا سلف فاخرج من البلاد وامض حيث شيت فقال لا اخرج وافعل ما بدا لك فامر عساكره بالزحف فاشار عليه بعض مَن معه بان يامر بعض الامرآء اذا فتحوا البلد ان يقصدوا الدرب الذى يسكنه التجار فيمنع من نهبه والتطرّق اليهم بسوٓء فانهم غربآء وكلهم كارهون لهذا الفعل فامر بعض الامرآء بذلك وزحف ونصب السلاليم على السور فلم يكن باسرع من ان اخذوا البلد واذن لعسكره بالنهب وقتل من يجدونه من اهل سمرقند فنهب البلد وقُتل اهله ثلاثة ايّام فيقال انّهم قتلوا منهم مايتى الف انسان وسلم ذلك الدرب الذى فيه الغربآء فلم يعدم منهم الفرد ولا الادمى الواحد ثمّ امر بالكفّ عن النهب والقتل ثمّ زحف الى القلعة فراى صاحبها ما ملأ قلبه هيبةً وخوفًا فارسل يطلب الامان فقال لا امان لك عندى فزحفوا عليها فملكوها واسروا صاحبها واحضروه عند خوارزم شاه فقبّل الارض فطلب العفو فلم يعف عنه وامر بقتله فقُتل صبرًا وقُتل معه جماعة من اقاربه ولم يترك احدًا ممّن ينسب الى الخانيّة ورتّب فيها وفى ساير البلاد نوّابه ولم يبق لاحد معه فى البلاد حكم ۞

ذكر الوقعة التى افنت الخطا

لمّا فعل خوارزم شاه بالخطا ما ذكرناه مضى مَن سلم منهم الى ملكهم فانّه لم يحضر الحرب فاجتمعوا عنده وكان طايفة عظيمة من التتر قد خرجوا من بلادهم حدود الصين قديمًا ونزلوا ورآء بلاد تركستان وكان بينهم وبين الخطا عداوة وحروب فلمّا سمعوا بما فعله خوارزم شاه بالخطا قصدوهم مع ملكهم كشلى خان فلمّا راى ملك الخطا ذلك ارسل الى خوارزم شاه يقول له امّا ما كان منك من أخْذ بلادنا وقتْل رجالنا فعفوٌ عنه وقد اتا من هذا العدوّ مَن لا قبل لنا به وانّهم ان انتصروا علينا وملكونا فلا دافع لهم عنك والمصلحة ان تسير الينا بعساكرك وتنصرنا على قتالهم ونحن نحلف لك انّنا اذا ظفرنا بهم لا نعترض الى ما اخذتَ من البلاد ونقنع بما فى ايدينا ، وارسل اليه كشلى خان ملك التتر [يقول] انّ هولآء الخطا اعداوك واعدا ابآيك واعداونا فساعدنا

عليهم ونحلف انّنا اذا انتصرنا عليهم لا نقرب بلادك ونقنع بالمواضع التى
ينزلونها فاجاب كلّا منهما انّى معك ومعاضدك على خصمك وسار بعساكره
الى ان نزل قريبًا من الموضع الذى تصافّوا فيه فلم يخالطهم مخالطة
يعلم بها انّه من احدهما فكانت كلّ طايفة منهم تظنّ انّه معها وتواقع
الخطا والتتر فانهزم الخطا هزيمة عظيمة فمال حينئذ خوارزم شاه وجعل
يقتل ويأسر وينهب ولم يترك احدًا ينجوا منهم فلم يَسْلم منهم الّا طايفة
يسيرة مع ملكهم فى موضع من نواحى الترك يحيط به جبال ليس اليه
طريق الّا من جهة واحدة تحصّنوا فيه وانضمّ الى خوارزم شاه منهم
طايفة وساروا فى عسكره وانفذ خوارزم شاه الى كشلى خان ملك التتر
يمتّ عليه بانّه حضر لمساعدته ولولاه ما تمكّن من الخطا فاعترف له
كشلى خان بذلك مدّةً ثمّ ارسل اليه يطلب منه المقاسمة على بلاد
الخطا وقال كما اذّنا اتّفقنا على ابادتهم ينبغى ان نقتسم بلادهم فقال
ليس لك عندى الّا غير السيف ولستم باقوى من الخطا شوكة ولا
اعزّ ملكًا فان قنعتَ بالمساكتة والّا سرتُ اليك وفعلتُ بك شرًّا ممّا
فعلتُ بهم وتجهّز وسار حتّى نزل قريبًا منهم وعلم خوارزم شاه انّه لا
طاقة له به فكان يراوغه فاذا سار الى موضع قصد خوارزم شاه اهله
واثقالهم فينهبها واذا سمع انّ طايفة سارت عن موطنهم سار اليها فاوقع
بها فارسل اليه كشلى خان يقول له ليس هذا فعل الملوك هذا فعل
اللصوص والّا ان كنتَ سلطانًا كما تقول فيجب ان نلتقى فامّا ان
تهزمنى وتملك البلاد التى بيدى وامّا ان افعل انا بك ذلك فكان
يُغالطه ولا يجيبه الى ما طلب لكنّه امر اهل الشاش[1] وفرغانة واسفيجاب[2]
وكاسان وما حولها من المدن التى لم يكن فى الدنيا انزه منها ولا
احسن عمارة بالجلا منها واللحاق ببلاد الاسلام ثمّ خرّبها جميعها خوفًا
من التتر ان يملكوها ثمّ اتّفق خروج هولآء التتر الاخر الذين خرّبوا
الدنيا وملكهم جنكزخان النهرجى على كشلى خان التتر الاوّل فاشتغل بهم
كشلى خان عن خوارزم شاه فخلا وجهه فعبر النهر الى خراسان ✿

---

1) الشّاس 2) واسبحان

ذكر ملك نجم الدين بن الملك العادل خلاط

فى هذه السنة ملك الملك الاوحد نجم الدين ايّوب بن الملك العادل ابى بكر بن ايّوب مدينة خلاط وسبب ذلك انّه كان بمدينة ميّافارقين من جهة ابيه فلمّا كان من ملك بلبان خلاط ما ذكرناه قصد هو مدينة موش وحصرها واخذها واخذ غيرها مما [illegible] وكان بلبان لم تثبت قدمه حتّى يمنعه فلمّا ملكها طمع فى خلاط فسار اليها فهزمه بلبان كما ذكرناه ايضًا فعاد الى بلده وجمع وحشد وسيّر اليه ابوه جيشًا فقصد خلاط فسار اليه بلبان فتصافّا واقتتلا فانهزم بلبان وتمكّن نجم الدين من البلاد وازداد منها ودخل بلبان خلاط واعتصم بها وارسل رسولاً الى مغيث الدين طغرل شاه بن قلج ارسلان وهو صاحب ارزن الروم يستنجده على نجم الدين فحضر بنفسه ومعه عسكره فاجتمعا وهزما نجم الدين وحصرا موش فاشرف الحصار على ان تملك فغدر ابن قلج ارسلان بصاحب خلاط وقتله طمعًا فى البلاد فلمّا قتله سار الى خلاط فمنعه اهلها عنها فسار الى ملازكرد فردّه اهلها ايضًا وامتنعوا عليه فلمّا لم يجد فى شئ من البلاد مطمعًا عاد الى بلده فارسل اهل خلاط الى نجم الدين يستدعونه اليهم ليملكوه فحضر عندهم وملك خلاط واعمالها سوى اليسير منها وكره الملوك المجاورون له ملكه لها خوفًا من ابيه وكذلك ايضًا خافه الكرج وكرهوه فتتابعوا الغارات على اعمال خلاط وبلادها ونجم الدين مقيم بخلاط لا يقدر على مفارقتها فلقى المسلمون من ذلك اذًى شديدًا واعتزل جماعة من عسكر خلاط واستولوا على حصن وان وهو من اعظم الحصون وامنعها وعصوا على نجم الدين واجتمع اليهم جمع كثير وملكوا مدينة ارجيش فارسل نجم الدين الى ابيه الملك العادل يعرّفه الحال ويطلب منه نجدة وان يمدّه بعسكر فسيّر اليه اخاه الملك الاشرف موسى بن العادل فى عسكر فاجتمعا فى عسكر كثير وحصرا قلعة وان وبها الخلاطيّة وجدّوا فى قتالهم فضعف اوليك عن مقاومتهم فسلّموها صلحًا وخرجوا منها وتسلّمها نجم الدين واستقرّ ملكه بخلاط واعمالها وعاد اخوه الاشرف الى بلده حرّان والرّها ۞

ذكر غارات الفرنج بالشام

وفى هذه السنة كثر الفرنج الذين بطرابلس وحصن الاكراد واكثروا الاغارة على بلد حمص وولاياتها ونازلوا مدينة حمص وكان جمعهم كثيرًا فلم يكن لصاحبها اسد الدين شيركوه بن محمّد ابن شيركوه بهم قوّة ولا يقدر على دفعهم ومنعهم فاستنجد الظاهر غازى صاحب حلب وغيره من ملوك الشام فلم ينجده احدٌ الّا الظاهر فانّه سيّر له عسكرًا اقاموا عنده ومنعوا الفرنج عن ولايته ثمّ انّ الملك العادل خرج من مصر بالعساكر الكثيرة وقصد مدينة عكّا فصالحه صاحبها الفرنجىّ على قاعدة استقرّت من اطلاق اسرى من المسلمين وغير ذلك ثمّ سار الى حمص فنزل على بُحيرة قدس وجآءته عساكر الشرق وديار الجزيرة ودخل الى بلاد طرابلس حاصر موضعًا يسمّى القليعات واخذه صلحًا واطلق صاحبه وغنم ما فيه من دوابّ وسلاح وخرّبه وتقدّم الى طرابلس فنهب واحرق وسبى وغنم وعاد الى بحيرة قدس وتردّدت الرسل بينه وبين الفرنج فى الصلح فلم تستقرّ قاعدة ودخل الشتآء وطلبت العساكر الشرقيّة العود الى بلادهم قبل البرد فنزل طايفة من العسكر بحمص عند صاحبها وعاد الى دمشق فشتّى بها وعادت عساكر ديار الجزيرة الى اماكنها وكان سبب خروجه من مصر بالعساكر انّ اهل قبرس الفرنج اخذوا عدّة قطع من اسطول مصر واسروا مَن فيها فارسل العادل الى صاحب عكّا فى ردّ ما اخذوا ويقول نحن صُلحٌ فلِمَ غدرتم باصحابنا فاعتذر بانّ اهل قبرس ليس لى عليهم حكم وانّ مرجعهم الى الفرنج الذين بالقسطنطينيّة ثمّ انّ اهل قبرس ساروا الى القسطنطينيّة بسبب غلآء كان عندهم تعذّرت عليهم الاقوات وعاد حكم قبرس الى صاحب عكّا واعاد العادل مراسلته فلم ينفصل حالٌ فخرج بالعساكر وفعل بعكّا ما ذكرنا فاجابه حينئذ صاحبها الى ما طلب وارسل الاسرى ☆

ذكر الفتنة بخلاط وقتل كثير من اهلها

لمّا تمّ ملك خلاط واعمالها للملك الاوحد نجم الدين ابن العادل سار عنها الى ملازكرد ليقرّر قواعدها ايضًا ويفعل ما ينبغى ان يفعله فيها فلمّا فارق خلاط وثب اهلها على مَن بها من العسكر فاخرجوه من

عندهم وعصوا وحصروا القلعة وبها اصحاب الاوحد ونادوا بشعار شاه ارمن وان كان ميّتًا يعنون بذلك ردّ الملك الى اصحابه ومماليكه فبلغ الخبر الى الملك الاوحد فعاد اليهم وقد وافاه عسكر من الجزيرة فقوى بهم وحصر خلاط فاختلف اهلها فمال اليه بعضهم حسدًا للاخرين فملكها وقتل بها خلقًا كثيرًا من اهلها واسر جماعة من الاعيان فسيّرهم الى ميّافارقين وكان كلّ يوم يرسل اليهم فيقتل منهم جماعة فلم يَسلم الّا القليل وذلّ اهل خلاط بعد هذه الواقعة وتفرّقت كلمة الفتيان[1] وكان الحكم اليهم وكفى الناس شرّهم فانّهم كانوا قد صاروا يقيمون ملكًا ويقتلون اخر والسلطنة عندهم لا حكم لها وانّما الحكم لهم واليهم ۞

ذكر مُلك ابى بكر بن البهلوان مراغة

فى هذه السنة ملك الامير نصرة الدين ابو بكر بن البهلوان صاحب اذربيجان مدينة مراغة وسبب ذلك انّ صاحبها علآء الدين قراسنقر مات هذه السنة وولى بعده ابن له طفلٌ وقام بتدبير دولته وتربيته خادم كان لابيه فعصى عليه اميرٌ كان مع ابيه وجمع جمعًا كثيرًا فارسل اليه الخادم مَن عنده من العسكر فقاتلهم ذلك الامير فانهزموا ٠واستقرّ ملك ولد علآء الدين الّا انّه لم تطُل ايّامه حتّى توفّى فى اوّل سنة خمس وستّمائة وانقرض اهل بيته ولم يبق منهم احد فلمّا توفّى سار نصرة الدين ابو بكر من تبريز الى مراغة فملكها واستولى على جميع مملكة آل قراسنقر ما عدا قلعة روين دز[2] فانّها اعتصم بها الخادم وعنده الخزاين والذخاير فامتنع بها على الامير ابى بكر ۞

ذكر عزل نصير الدين وزير الخليفة

كان هذا نصير الدين ناصر بن مهدى العلوىّ من اهل الرىّ من بيت كبير فقدم بغداد لمّا ملك مؤيّد الدين ابن القصّاب وزير الخليفة الرىّ ولقى من الخليفة قبولًا فجعله نايب الوزارة ثمّ جعله وزيرًا وحكم ابنَه صاحب المخزن٠ فلمّا كان فى الثانى والعشرين من جمادى الاخرة من هذه السنة عُزل واغلق بابه وكان سبب عزله انّه اساءَ السيرة مع

---

[1] الفسان

[2] C. P. 740.: روىدر Ups.: زوقدر

اكابر مماليك الخليفة فنهم امير الحاجّ مظفّر الدين سنقر المعروف بوجه السبع فانّه هرب من يده الى الشام سنة ثلاث وستمائة فارق الحاجّ بالمرخوم وارسل يعتذر ويقول انّ الوزير يريد ان لا يبقى فى خدمة الخليفة احدًا من مماليكه لا شكّ يريد يدّعى الخلافة وقال الناس فى ذلك فاكثروا وقالوا الشعر فمن ذلك قول بعضهم

الّا مبلغ عنى الخليفة احمدًا اتوقّ وقيت السوء ما انت صانع
وزيرك هذا بين امرين فيهما فعالك يا خير البريّة ضايع
فان كان حقًّا من سلالة احمد فهذا وزير فى الخلافة طامع
وان كان فيما يدّعى غير صادق فاضيع ما كانت لديه الصنايع

فعزله وقيل فى سبب ذلك غيره ولمّا عزل ارسل الى الخليفة يقول انّنى قدمتُ الى هاهنا وليس لى دينار ولا درهم وقد حصل لى من الاموال والاعلاق النفيسة وغير ذلك ما يزيد على خمسة الاف دينار ويسال ان يوخذ منه الجميع ويمكّن من المقام بالمشهد اسْوَةً ببعض العلويّين فاجابه انّنا ما انعمنا عليك بشىءٍ فنوينا اعادته ولو كان ملءَ الارض ذهبًا ونفسك فى امان الله واماننا ولم يبلغنا عنك ما تستوجب به ذلك غير انّ الاعداء قد اكثروا فيك فاختر لنفسك موضعًا تنتقل اليه موقّرًا محترمًا فاختار ان يكون تحت الاستظهار من جانب الخليفة لئلّا يتمكّن منه العدوّ فتذهب نفسه ففُعل به ذلك وكان حسن السيرة قريبًا الى الناس حسن اللقاء لهم والانبساط معهم عفيفًا عن اموالهم غيرُ ظالم لهم فلمّا قبض عاد امير الحاجّ من مصر فى الخدمة العادليّة وعاد ايضًا قشتمر واقيم فى النيابة فى الوزارة فخر الدين ابو البدر محمّد بن احمد ابن أَمْسينا الواسطىّ الّا انّه لم يكن متحكّمًا ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة ليلة الاربعاء لخمس بقين من رجب زلزلت الارض وقت السحر وكنتُ حينئذ بالموصل ولم تكن بها شديدة وجاءت الاخبار من كثير من البلاد بانّها زلزلت ولم تكن بالقويّة ، وفيها اطلق الخليفة الناصر لدين الله جميع حقّ البيع وما يوخذ من ارباب الامتعة من المكوس من ساير المبيعات وكان مبلغًا كثيرًا وكان سبب ذلك ان

بنتًا لعزّ الدين نجاح شرابيّ الخليفة توقيت فاشترى لها بقر لتذبح ويتصدّق بلحمها عنها فرفعوا فى حساب ثمنها مونة البقر فكانت كثيرة فوقف الخليفة على ذلك وامر باطلاق المونة جميعها ٭ وفيها فى شهر رمضان امر الخليفة ببنآء دور فى المحالّ ببغداد ليفطّر فيها الفقرآء وسمّيت دور الضيافة يطبخ فيها اللحم الضان والخبز الجيّد عمل ذلك فى جانبيْ بغداد وجعل فى كلّ دار مَن يوثق بامانته وكان يعطى كلّ انسان قدحًا مملوًّا من الطبيخ واللحم ومنًّا من الخبز فكان يفطر كلّ ليلة على طعامه خلق لا يُحصون كثرة ٭ وفيها زادت دجلة زيادة كثيرة ودخل المآء فى خندق بغداد من ناحية باب كلْواذى فخيف على البلد من الغرق فاهتم الخليفة بسَدّ الخندق وركب فخر الدين نايب الوزارة وعزّ الدين الشرابى ووقفا ظاهر البلد فلم يبرحا حتى سدّ الخندق ٭ وفيها توفّى الشيخ حنبل بن عبد الله بن الفرج المكبر بجامع الرصافة وكان عالى الاسناد روى عن ابن الحصين مسند احمد بن حنبل وله اسناد حسنٌ وقدم الموصل وحدّث بها وبغيرها ٭

ثم دخلت سنة خمس وستّمائة ٭

سنة ٦٠٥

ذكر مُلك الكرج ارجيش وعودهم عنها

فى هذه السنة سارت الكرج فى جموعها الى ولاية خلاط وقصدوا مدينة ارجيش فحصروها وملكوها عنوةً ونهبوا جميع ما بها من الاموال والامتعة وغيرها واسروا وسبَوا اهلها واحرقوها وخرّبوها بالكلّية ولم يبق بها من اهلها احدٌ اصبحت خاوية على عروشها كانْ لم تغن بالامس ٭ وكان نجم الدين ايّوب صاحب ارمينيّة بمدينة خلاط وعنده كثير من العساكر فلم يقدم على الكرج لاسباب منها كثرتهم وخوفه من اهل خلاط لما كان اسلف اليهم من القتل والاذى خاف ان يخرج منها فلا يمكّن من العود اليها ٭ فلمّا لم يخرج الى قتال الكفار عادوا الى بلادهم سالمين لم يذعرهم ذاعرٌ وهذا جميعه وان كان عظيمًا شديدًا على الاسلام واهله فانّه يسير بالنسبة الى ما كان ممّا نذكره سنة اربع عشرة الى سنة سبع عشرة وستّمائة ٭

ذكر قتل سنجر شاه وملك ابنه محمود

في هذه السنة قتل سنجر شاه ابن غازى بن مودود بن زنكى بن اقسنقر صاحب جزيرة ابن عمر وهو ابن عمّ نور الدين صاحب الموصل قتله ابنه غازى ولقد سلك ابنه فى قتله طريقًا عجيبًا يدلّ على مكر ودهآء وسبب ذلك انّ سنجرًا كان سيئ السيرة مع الناس كلّهم من الرعيّة والجند والحريم والاولاد وبلغ من قبح فعله مع اولاده انّه سيّر ابنيْه محمودًا ومودودًا الى قلعة فرح من بلد الزوزان واخرج ابنه هذا الى دار بالمدينة اسكنه فيها ووكّل به من يمنعه من الخروج وكانت الدار الى جانب بستان لبعض الرعيّة فكان يدخل اليه منها الحيات والعقارب وغيرها من الحيوان الموذى ففى بعض الايّام اصطاد حيّة وسيّرها فى منديل الى ابيه لعلّه يرقّ له فلم يعطف عليه فاعمل الحيلة حتّى نزل من الدار التى كان بها واختفى ووضع انسانًا كان يخدمه فخرج من الجزيرة وقصد الموصل واظهر انّه غازى بن سنجر فلمّا سمع نور الدين بقربه منها ارسل نفقة وثيابًا وخيلًا وامره بالعود وقال انّ اباك يتجنّى لنا الذنوب التى لم نعملها ويقبّح ذكرنا فاذا صرتَ عندنا جعل ذلك ذريعة للشناعات والشفاعات ونقع معه فى صداع لا ينادى وليده فسار الى الشام ¢ وامّا غازى بن سنجر فانّه تسلّق الى دار ابيه واختفى عند بعض سراريه وعلم به اكثر من بالدار فسترت عليه بغضًا لابيه وتوقّعًا للخلاص منه لشدّته عليهنّ فبقى كذلك وترك ابوه الطلب له ظنًّا منه انّه بالشام [فاتّفق] انّ اباه فى بعض الايّام شرب الخمر بظاهر البلد مع ندمآيه فكان يقترح على المغنّين ان يغنّوا فى الفراق وما شاكل ذلك ويبكى ويُظهر فى قوله قرب الاجل ودنوّ الموت وزوال ما هو فيه فلم يزل كذلك الى اخر النهار وعاد الى داره وسكر عند بعض حظاياه ففى الليل دخل الخلآء وكان ابنه عند تلك الحظيّة فدخل اليه فضربه بالسكّين اربع عشرة ضربة ثمّ ذبحه وتركه ملقًى ودخل الحمام وقعد يلعب مع الجوارى فلو فتح باب الدار واحضر الجند واستحلفهم لملك البلد لكنّه امن واطمأنّ ولم يشكّ فى المُلك ¢ فاتّفق انّ بعض الخدم الصغار خرج الى الباب واعلم استاذ دار سنجر

الخبر فاحضر اعيان الدولة وعرّفهم ذلك واغلق الابواب على غازى واستحلف الناس لمحمود بن سنجر شاه وارسل اليه احضره من فرح ومعه اخوه مودود فلمّا حلف الناس وسكنوا فتحوا باب الدار عل غازى ودخلوا عليه لياخذوه فمانعهم عن نفسه فقتلوه والقوه على باب الدار فاكلت الكلاب بعض لحمه ثمّ دُفن باقيه ، ووصل محمود الى البلد وملكه ولقب بمعزّ الدين لقب ابيه فلمّا استقرّ اخذ كثيرًا من الجوارى اللواتى لابيه فغرّقهنّ فى دجلة ، ولقد حدّثنى صديق لنا انّه راى بدجلة فى مقدار غلوة سهم سبع جوارى مغرّقات منهنّ ثلاث قد احرقت وجوههنّ بالنار فلم اعلم سبب ذلك الحريق حتى حدّثنى جارية اشتريتُها بالموصل من جواريه انّ محمودًا كان ياخذ الجارية فيجعل وجهها فى النار فاذا احترقت القاها فى دجلة وباع من لم يغرّقه منهنّ فتفرّق اهل تلك الدار ايدى سبا ، وكان سنجر شاه قبيح السيرة ظالمًا غاشمًا كثير المخاتلة والمواربة والنظر فى دقيق الامور وجليلها لا يمتنع من قبيح يفعله مع رعيّته وغيرهم من اخذ الاموال والاملاك والقتل والاهانة وسلك معهم طريقًا وَعْرًا من قطع الالسنة والانوف والاذان وامّا اللحا فانّه حلق منها ما لا يحصى وكان جُل فكره فى ظُلم يفعله وبلغ من شدّة ظلمه انّه كان اذا استدعى انسانًا ليُحسن اليه لا يصل الّا وقد قارب الموت من شدّة الخوف واستعلى فى ايّامه السفهآء ونفقت سوق الاشرار والساعين بالناس فخرب البلد وتفرّق اهله لا جرم سلط اللّه عليه اقرب الخلق اليه فقتله ثمّ قتل ولده غازى وبعد قليل قتل ولده محمود اخاه مودودًا وجرى فى داره من التحريق والتغريق والتفريق ما ذكرنا بعضه ولو رُمنا شرح قبح سيرته لطال واللّه تعالى بالمرصاد كلّ ظالم ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة ثانى المحرّم توفّى ابو الحسن ورام ابن ابى فراس الزاهد بالحلّة السيفيّة وهو منها وكان صالحًا ، وفى صفر توفّى الشيخ مصدّق ابن شبيب النحوى وهو من اهل واسط ، وفى شعبان توفّى القاضى محمّد بن احمد ابن المندائىّ الواسطىّ بها وكان كثير الرواية للحديث وله اسناد عالٍ وهو اخر مَن حدّث بمسند احمد بن حنبل على ابن الحصين ،

وفيه توفّى القوام ابو فراس نصر بن ناصر بن مكى المداينىّ صاحب المخزن ببغداد وكان اديبًا فاضلاً كامل المروّة يحبّ الادب واهله ويحبّ الشعر ويُحسن الجوايز عليه ولمّا توفّى ولى بعده ابو الفتوح المبارك بن الوزير عضد الدين ابى الفرج بن رئيس الروسآء واكرم وأُعلى محلّه فبقى متولّيًا الى سابع ذى القعدة وعزل لعجزه ، وفيها كانت زلزلة عظيمة بنيسابور وخراسان وكان اشدّها بنيسابور وخرج اهلها الى الصحرآء ايّامًا حتّى سكنت وعادوا الى مساكنهم ☆

ثم دخلت سنة ستّ وستّماية ، سنة ٦٠٦

ذكر مُلك العادل الخابور ونصيبين وحصر سنجار وعوده عنها واتّفاق نور الدين ارسلان شاه ومظفر الدين

فى هذه السنة ملك العادل ابو بكر بن ايّوب بلد الخابور ونصيبين وحصر مدينة سنجار والجميع من اعمال الجزيرة وهو بيد قطب الدين محمّد بن زنكى بن مودود وسبب ذلك انّ قطب الدين المذكور كان بينه وبين ابن عمّه نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل عداوة مستحكمة وقد تقدّم ذكر ذلك فلمّا كان سنة خمس وستّمائة حصلت مصاهرة بين نور الدين والعادل فانّ ولد العادل تزوّج بابنة لنور الدين وكان لنور الدين وزرآء يحبّون ان يشتغل عنهم فحسّنوا له مراسلة العادل والاتّفاق معه على ان يقتسما بالبلاد التى لقطب الدين وبالولاية التى لولد سنجر شاه بن غازى بن مودود وهى جزيرة ابن عمر واعمالها فيكون ملك قطب الدين للعادل وتكون الجزيرة لنور الدين فوافق هذا القول هَوَى نور الدين فارسل الى العادل فى المعنى فاجابه الى ذلك مستبشرًا وجآءه ما لم يكن يرجوه لانّه علم انّه متى ملك هذه البلاد اخذ الموصل وغيرها واطمع نور الدين ايضًا فى ان يعطى هذه البلاد اذا ملكها لولده الذى هو زوج ابنة نور الدين ويكون مقامه فى خدمته بالموصل واستقرّت القاعدة على ذلك وتحالفا عليها فبادر العادل الى المسير من دمشق الى الفراة فى عساكره وقصد الخابور فاخذه فلمّا سمع نور الدين بوصوله كانّه خاف واستشعر فاحضر من يرجع

الى رايهم وقولهم وعرّفهم وصول العادل واستشارهم فيما يفعله فامّا مَن اشار
عليه فسكتوا وكان فيهم من لم يعلم هذه الحال فعظّم الامر واشار بالاستعداد
للحصار وجمع الرجال وتحصيل الذخاير وما يحتاج اليه فقال نور الدين
نحن فعلنا ذلك وخبّره الخبر فقال باىّ راى تجىّ الى عدوّ لك هو اقوى
منك واكثر جمعًا وهو بعيد منك متى تحرّك لقصدك تعلم به فلا يصل
الّا وقد فرغت من جميع ما تريده تسعى حتّى يصير قريبًا منك ويزداد
قوّة الى قوّته ثمّ انّ الذى استقرّ بينكما انّه له يملكه اوّلًا بغير تعب
ولا مشقّة وتبقى انت لا يمكنك ان تفارق الموصل الى الجزيرة وتحصرها
والعادل هاهنا هذا ان وَفَى لك بما استقرّت القاعدة عليه لا يجوز ان
تفارق الموصل وان عاد الى الشام لانّه قد صار له ملك خلاط وبعض
ديار بكر وديار الجزيرة جميعها والجميع بيد اولاده فمتى سرت عن الموصل
امكنهم ان يحولوا بينك وبينها فما زدت على ان اتعبتَ نفسك وابن
عمّك وقوّيتَ عدوّك وجعلته شعارك وقد فات الامر وليس يجوز الّا ان
تقف معه على ما استقرّ بينكما لئلّا يجعل لك حجّة ويبتدى بك،
هذا والعادل قد ملك الخابور ونصيبين وسار الى سنجار فحصرها وكان
فى عزم صاحبها قطب الدين ان يسلّمها الى العادل بعوض يأخذه عنها
فمنعه من ذلك اميرٌ كان معه اسمه احمد بن يرنقش مملوك ابيه زنكى
وقام بحفظ المدينة والذبّ عنها وجهّز نور الدين عسكرًا مع ولده الملك
القاهر ليسيروا الى الملك العادل فبينما الامر على ذلك اذ جآءهم امرٌ لم
يكن لهم فى حساب وهو انّ مظفّر الدين كوكبرى صاحب اربل ارسل
وزيرَه [الى] نور الدين يبذل من نفسه المساعدة على منع العادل عن
سنجار وانّ الاتّفاق معه على ما يريده   فوصل الرسول ليلًا فوقف مقابل
دار نور الدين وصاح فعبر اليه سفينة عبر فيها واجتمع بنور الدين
ليلًا وابلغه الرسالة فاجاب نور الدين الى ما طلب من الموافقة وحلف
له على ذلك وعاد الوزير من ليلته فسار مظفّر الدين واجتمع هو ونور
الدين ونزلا بعساكرهما بظاهر الموصل، وكان سبب ما فعله مظفّر الدين
انّ صاحب سنجار ارسل ولدَه الى مظفّر الدين يستشفع به الى العادل
ليبقى عليه سنجارًا وكان مظفّر الدين يظنّ انّه لو شفع فى نصف مُلك

العادل لشفعه لاثره الجميل فى خدمته وقيامه فى الذبّ عن ملكه غير مرّة كما تقدّم فشفع اليه فلم يشفّعه العادل ظنًّا منه انّه بعد اتّفاقه مع نور الدين لا يبالى بمظفّر الدين فلمّا ردّه العادل فى شفاعته راسل نور الدين فى الموافقة عليه ولمّا وصل الى الموصل واجتمع بنور الدين ارسلا الى الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين وهو صاحب حلب والى كيخسرو ابن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم بالاتّفاق معهما فكلاهما اجاب الى ذلك وتداعوا على الحركة وقصد بلاد العادل ان امتنع من الصلح والابقآء على صاحب سنجار وارسلا ايضًا الى الخليفة الناصر لدين الله ليرسل رسولاً الى العادل فى الصلح ايضًا فقويت حينئذ نفس صاحب سنجار على الامتناع ووصلت رسل الخليفة وهو هبة الله بن المبارك بن الضحّاك استاذ الدار والامير اق باش وهو من خواصّ مماليك الخليفة وكبارهم فوصلا الى الموصل وسارا منها الى العادل وهو يحاصر سنجارًا وكان مَن معه لا يناصحونه فى القتال لا سيّما اسد الدين شيركوه صاحب حمص والرحبة فانّه كان يُدخل اليها الاغنام وغيرها من الاقوات ظاهرًا ولا يقاتل عليها وكذلك غيره فلمّا وصل رسول الخليفة الى العادل اجاب اوّلاً الى الرحيل ثمّ امتنع عن ذلك وغالط وأطال الامر لعلّه يبلغ منها غرضًا فلم ينل منها ما امّله واجاب الى الصلح على ان له ما اخذ وتبقى سنجار لصاحبها واستقرّت القاعدة على ذلك وتحالفوا على هذا كلّهم وعلى ان يكونوا يدًا واحدة على الناكث منهم ورحل العادل عن سنجار الى حرّان وعاد مظفّر الدين الى اربل وبقى كلّ واحد من الملوك فى بلده وكان مظفّر الدين عند مقامه بالموصل قد زوّج ابنتيْن له بولدَيْن لنور الدين وهما عزّ الدين مسعود وعماد الدين زنكى ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل عُزل فخر الدين بن امسينا عن نيابة الوزارة للخليفة وأُلزم بيته ثمّ نُقل الى المخزن على سبيل الاستظهار عليه وولى بعده نيابة الوزارة مكين الدين محمّد بن محمّد بن بَرز[1]

---

[1]) C. P. 740 et Ups.: برر

القمّى كاتب الانشآء ولُقّب مؤيّد الدين ونُقل الى دار الوزارة مقابل باب النوبى، وفيها فى شوّال توفى مجد الدين يحيى بن الربيع الفقيه الشافعىّ مدرّس النظاميّة ببغداد، وفيها توفى فخر الدين ابو الفضل محمّد بن عمر بن خطيب الرىّ الفقيه الشافعىّ صاحب التصانيف المشهورة فى الفقه والاصولَيْن وغيرهما وكان امام الدنيا فى عصره وبلغنى انّ مولده سنة ثلاث واربعين وخمسمائة، وفيها سلخ ذى الحجّة توفى اخى مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمّد بن عبد الكريم الكاتب مولده فى احد الربيعَيْن سنة اربع واربعين وكان عالمًا فى عدّة علوم منها الفقه والاصولَيْن والنحو والحديث واللغة وله تصانيف مشهورة فى التفسير والحديث والنحو والحساب وغريب الحديث وله رسايل مدوّنة وكان كاتبًا مفلقًا يُضرب به المثل ذا دين متين ولزوم طريق مستقيم رحمه الله ورضى عنه فلقد كان من محاسن الزمان ولعلّ من يقف على ما ذكرتُه يتّهمنى فى قولى ومَن عرفه من اهل عصرنا يعلم انّى مقصر، وفيها توفى المجد المطرزىّ النحوىّ الخوارزمىّ وكان اماما فى النحو له فيه تصانيف حسنة، وفيها توفى المؤيّد بن عبد الرحيم ابن الاخوة باصفهان وهو من اهل الحديث رحمه الله ٭

ثم دخلت سنة سبع وستّمائة،

سنة ٦٠٧

ذكر عصيان سنجر مملوك الخليفة بخوزستان ومسير العساكر اليه

كان قطب الدين سنجر مملوك الخليفة الناصر لدين الله قد ولّاه الخليفة خوزستان بعد طاشتكين امير الحاجّ كما ذكرناه فلمّا كان سنة ستّ وستّمائة بدا منه تغيّر عن الطاعة فروسل فى القدوم الى بغداد فغالط ولم يحضر وكان يظهر الطاعة ويبطن التغلّب على البلاد فبقى الامر كذلك الى ربيع الاوّل من هذه السنة فتقدّم الخليفة الى مؤيّد الدين نايب الوزارة والى عزّ الدين بن نجاح الشرابى خاصّ الخليفة بالمسير بالعساكر اليه بخوزستان واخراجه عنها فسارا فى عساكر كثيرة فلمّا تحقّق سنجر قصدهم اليه فارق البلاد ولحق بصاحب شيراز وهو اتابك عزّ الدين سعد بن دكلا ملتجيًا اليه فاكرمه وقام دونه ووصل عسكر الخليفة الى خوزستان فى ربيع الاخر بغير ممانعة فلمّا استقرّوا فى البلاد

وراسلوا سنجرًا يدعونه الى الطاعة فلم يُجب الى ذلك فساروا الى ارّجان عازمين على قصد صاحب شيراز فادركهم الشتاء فاقاموا شهورًا والرسل متردّدة بينهم وبين صاحب شيراز[1] فلم يجبهم الى تسليمه فلمّا دخل شوّال رحلوا يريدون شيراز فحينئذ ارسل صاحبها الى الوزير والشرابى يشفع فيه ويطلب العهد له على ان لا يوذى فأُجيب الى ذلك وسلّمه اليهم هو وماله واهله فعادوا الى بغداد وسنجر معهم تحت الاستظهار وولّى الخليفة بلاد خوزستان مملوكه ياقوت امير الحاجّ ووصل الوزير الى بغداد فى المحرّم سنة ثمان وستّمائة هو والشرابى والعساكر وخرج اهل بغداد الى تلقّيهم فدخلوها وسنجر معهم راكبًا على بغل باكاف وفى رجله سلسلتان فى يد كل جندىّ سلسلة وبقى محبوسًا الى ان دخل صفر فجمع الخلق الكثير من الامراء والاعيان الى دار مؤيّد الدين نايب الوزارة فأُحضر سنجر وقُرّر بامور نسبتْ اليه منكرة فاقرّ بها فقال مؤيّد الدين للناس قد عرفتم ما يقتضيه السياسة من عقوبة هذا الرجل وقد عفا امير المؤمنين عنه وامر بالخلع عليه فلبسها وعاد الى داره فعجب الناس من ذلك وقيل انّ اتابك سعد نهب مال سنجر وخزائنه ودوابّه وكلّ ما له ولاصحابه وسيّرهم فلمّا وصل سنجر الى الوزير والشرابى طلبوا المال فارسل شيأً يسيرًا والله اعلم ۞

ذكر وفاة نور الدين ارسلان شاه وشئ من سيرته

فى هذه السنة اواخر رجب توفّى نور الدين ارسلان شاه بن مسعود ابن مودود بن زنكى بن اقسنقر صاحب الموصل وكان مرضه قد طال ومزاجه قد فسد وكانت مدّة مُلكه سبع عشرة سنة واحد عشر شهرًا وكان شهمًا شجاعًا ذا سياسة للرعايا شديدًا على اصحابه فكانوا يخافونه خوفًا شديدًا وكان ذلك مانعًا من تعدّى بعضهم على بعض وكان له همّة عالية اعاد ناموس البيت الاتابكىّ وجاهه وحُرمته بعد ان كانت قد ذهبت وخافه الملوك وكان سريع الحركة فى طلب الملك الّا انّه لم يكن له صبرٌ فلهذا لم يتّسع مُلكه ولو لم يكن له من الفضيلة الّا انّه لمّا رحل الكامل بن العادل عن ماردين كما ذكرناه سنة خمس

---

[1]) Repetuntur: فادركهم الشتاء فاقاموا شهورًا

وتسعين وخمسمائة عفّ عنها وابقاها على صاحبها ولو قصدها وحصرها
لم يكن فيها قوّة الامتناع لانّ من كان بها كانوا قد هلكوا او ضجروا
ولم يبق لهم رمق فابقاها على صاحبها ولمّا ملك استغاث اليه انسان
من التجار فسال عن حاله فقيل انّه قد ادخل قماشه الى البلد ليبيعه
فلم يتمّ له البيع ويريد اخراجه وقد مُنع من ذلك فقال مَن منعه فقيل
ضامن البزّ يريد منه ما جرت به العادة من المكس وكان القيّم بتدبير
مملكته مجاهد الدين قايماز وهو الى جانبه فساله عن العادة كيف هي
[فقال][1] ان اشترط[2] صاحبه اخراج متاعه[3] مُكّن من اخراجه وان لم
يشترط ذلك لم يخرج حتّى يوخذ ما جرت العادة باخذه فقال والله
انّ هذه العادة مدبرة انسان لا يبيع متاعه لایّ شیٔ يوخذ منه ماله
فقال مجاهد الدين لا شكّ في فساد هذه العادة فقال اذا قلتُ انا
وانت انّها عادة فاسدة فما المانع من تركها وتقدّم باخراج مال الرجل
وان لا يوخذ الّا ممّن باع ، وسمعتُ اخى مجد الدين ابا السعادات
رحمه الله وكان من اكثر الناس اختصاصًا به يقول ما قلتُ له يومًا في
فعل خير فامتنع منه بل بادر اليه بفرح واستبشار واستدعى في بعض
الايّام اخى المذكور فركب الى داره فلمّا كان بباب الدار لقيته امراة
وبيدها رقعة وهي تشكو وتطلب عرضها على نور الدين فاخذها فلمّا دخل
اليه جاراه في مهمّ له فقال قبل كلّ شیٔ تقف على هذه الرقعة وتقضى
شغل صاحبتها فقال لا حاجة الى الوقوف عليها عرّفنا ايش فيها فقال
والله لا اعلم الّا انّنى رايت امراة بباب الدار وهي متظلّمة شاكية
فقال نعم عرفتُ حالها ثمّ انزعج فظهر منه الغيظ والغضب وعنده رجلان
هما المقيمان بامور دولته فقال لاخى ابصر الى ایّ شیٔ قد دفعت مع
هذين هذه المراة كان لها ابن وقد مات في الموصل وهو غريب وخلّف
قماشًا ومملوكين فاحتاط نوّاب بيت المال على القماش واحضروا المملوكين
الينا فبقيا عندنا ننتظر من يستحقّ التركة لياخذها فحضرت هذه
المراة ومعها كتاب حُكمى بانّ المال الذى مع ولدها لها فتقدّمنا بتسليم

---

[3]) Ups. addit: ان [2]) C. P. et 740. Ups.: شرط [1]) C. P. et 740.

مالها اليها وقلتُ لهذَيْن اشتريا المملوكَيْن منها وانصفاها فى الثمن فعادا وقالا لم يتمّ بيننا بيع لانّها طلبت ثمنًا كثيرًا فامرتُهما باعادة المملوكَيْن اليها من مدّة شهرين واكثروا الى الآن ما عُدتُ سمعتُ لها حديثًا وظننتُ انّها اخذت مالها ولا شكّ انهما لم يُسلّما المملوكَيْن اليها وقد استغاثت اليهما فلم يُنصفاها فجآت اليك وكلّ مَن راى هذه المراة تشكوا وتستغيث يظنّنى انّى انا منعتُها عن مالها فيذمّنى وينسبنى الى الظلم وليس لى علم وكلّ هذا فِعْل هذَيْن اشتهى ان تتسلّم انت المملوكَيْن وتسلّمهما اليها فاخذت المراة مالها وعادت شاكرة داعية وله من هذا الجنس كثير لا تُطوّل بذكره ۞ .

ذكر ولاية ابنه الملك القاهر

لمّا حضر نور الدين الموت امر ان يرتّب فى المُلك بعده ولده الملك القاهر عزّ الدين مسعود وحلّف له الجند واعيان الناس وكان قد عهد اليه قبل موته بمدّة فجدّد العهد له عند وفاته واعطى ولده الاصغر عماد الدين زنكى قلعة عقر الحميديّة وقلعة شوش[1] وولايتها وسيّره الى العقر وامر ان يتولّى تدبير مملكتها ويقوم بحفظها والنظر فى مصالحها فتاه الامير بدر الدين لؤلؤ لما راى من عقله وسداده وحسن سياسته وتدبيره وكمال خلال السيادة فيه وكان عمر القاهر حينئذ [عشر سنين] ولمّا اشتدّ مرضه وايس من نفسه امره الاطبّآء بالانحدار الى الحامّة المعروفة بعين القيارة[2] وهى بالقرب من الموصل فانحدر اليها فلم يجد بها راحة وازداد ضُعفًا فاخذه بدر الدين واصعده فى الشبّارة الى الموصل فتوفّى فى الطريق ليلًا ومعه الملّاحون والاطبّآء بينه وبينهم ستر وكان مع بدر الدين عند نور الدين مملوكان فلمّا توفّى نور الدين قال لهما لا يسمع احدٌ بموته وقال للاطبّآء والملّاحين لا يتكلّم احدٌ فقد نام السلطان فسكتوا ووصلوا الى الموصل فى الليل فامر الاطبّآء والملّاحين بمفارقة الشبّارة لئلّا يروه ميّتًا وابعدوا فحمله هو والمملوكان وادخله الدار وتركه فى الموضع الذى كان فيه ومعه المملوكان ونزل على بابه من يثق اليه لا يمكن احدًا من

1) شوس 2) العماره

الدخول والخروج وقعد مع الناس يمضى امورًا كان يحتاج الى اتمامها فلمّا فرغ من جميع ما يريده اظهر موته وقت العصر ودُفن ليلًا بالمدرسة التى انشاها مقابل داره وضبط البلد تلك الليلة ضبطًا جيّدًا بحيث انّ الناس فى البلد لم يزالوا متردّدين لم يعدم من احد مقدار الحبّة الفرد واستقرّ المُلك لولده وقام بدر الدين بتدبير الدولة والنظر فى مصالحها ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى شهر ربيع الاخر درّس القاضى ابو زكرياء ابن القاسم بن المفرّج قاضى تكريت بالمدرسة النظاميّة ببغداد استُدعى من تكريت اليها ، وفيها نقصت دجلة بالعراق نقصًا كثيرًا حتّى كان يجرى المآء ببغداد فى نحو خمسة اذرع وامر الخليفة ان يكرى دجلة فجمع الخلق الكثير وكانوا كلّما حفروا شيًا عاد الرمل غطّاه وكان الناس يخوضون دجلة فوق بغداد وهذا لم يُعهد مثله ، وحجّ بالناس هذه السنة علاء الدين محمّد ولد الامير مجاهد الدين ياقوت امير الحاجّ وكان قد ولّاه الخليفة خوزستان وجعله هو امير الحاجّ وجعل معه مَن يدبّر الحاجّ لانّه كان صبيًّا ، وفيها فى العشرين من ربيع الاخر توفّى ضيآء الدين احمد عبد الوهّاب بن علىّ بن عبد الله الامير البغدادىّ ببغداد وهو سبط صدر الدين اسمعيل شيخ الشيوخ وعمره سبع وثمانون سنة وشهور وكان صوفيًّا فقيهًا محدّثًا سمعنا معه الكثير رحمه الله وكان من عباد الله الصالحين كثير العبادة والصلاح ، وفيها توفّى شيخنا ابو حفص عمر بن محمّد بن المعمّر بن طبرزد البغدادىّ وكان عالى الاسناد ۞

ثم دخلت سنة ثمان وستّمائة ،

سنة ٦٠٨

ذكر استيلاء منكلى على بلاد الجبل واصفهان وغيرها وهرب ايتغمش

فى هذه السنة فى شعبان قدم ايتغمش صاحب همدان واصفهان والرىّ وما بينهما من البلاد الى بغداد هاربًا من منكلى وسبب ذلك انّ ايتغمش كان قد تمكّن فى البلاد وعظم شانه وانتشر صيته وكثر عسكره حتّى انّه حصر صاحبه ابا بكر بن البهلوان صاحب هذه البلاد اذربيجان واران كما ذكرناه فلمّا كان الأن خرج عليه مملوك اسمه منكلى ونازعه

فى البلاد وكثر اتباعه واطاعه المماليك البهلوانيّة فاستولى عليها وهرب منه شمس الدين ايتغمش الى بغداد فلمّا وصل اليها امر الخليفة بالاحتفال له فى اللقاء فخرج الناس كافّة وكان يوم وصوله مشهودًا ثمّ قدمت زوجته فى رمضان فى محمل فاكرمت وانزلت عند زوجها واقام ببغداد الى سنة عشر وستّماية فسار عنها فكان من امره ما نذكره ❁

ذكر نهب الحاجّ بمنى

وفى هذه السنة نُهب الحاجّ بمنى وسبب ذلك انّ باطنيًّا وثب على بعض اهل الامير قتادة صاحب مكّة فقتله بمنى ظنًّا منه انّه قتادة فلمّا سمع قتادة ذلك جمع الاشراف والعرب والعبيد واهل مكّة وقصدوا الحاجّ ونزلوا عليهم من الجبل ورموهم بالحجارة والنبل وغير ذلك وكان امير الحاجّ ولد الامير ياقوت المقدّم ذكره وهو صبىّ لا يعرف كيف يفعل فخاف وتحيّر وتمكّن امير مكّة من نهب الحاجّ فنهبوا منهم مَن كان فى الاطراف واقاموا على حالهم الى الليل فاضطرب الحاجّ وباتوا باسوآء حال من شدّة الخوف من القتل والنهب فقال بعض الناس لامير الحاجّ لينتقل بالحجاج الى منزلة حجاج الشام فامر بالرحيل فرفعوا انتقالهم على الجمال واشتغل الناس بذلك فطمع العدوّ فيهم وتمكّن من النهب والتحق مَن سلم بحجاج الشام فاجتمعوا بهم ثمّ رحلوا الى الزاهر ومُنعوا من دخول مكّة ثمّ اذن لهم فى ذلك فدخلوها وتمّوا حجّتهم وعادوا ثمّ ارسل قتادة ولده وجماعة من اصحابه الى بغداد فدخلوها ومعهم السيوف مسلولة والاكفان فقبلوا العتبة واعتذروا بما جرى على الحجاج ❁

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة اظهر الاسماعيليّة ومقدّمهم جلال الدين ابن فلان بن حسن بن الصباح الانتقال عن فعل المحرّمات واستحلالها وامر باقامة الصلوات وشرايع الاسلام ببلادهم من خراسان والشام وارسل مقدّمهم رسلًا الى الخليفة وغيره من ملوك الاسلام يخبرهم بذلك وارسل والدته الى الحجّ فأُكرمت ببغداد اكرامًا عظيمًا وكذلك بطريق مكّة ٭ وفيها سلخ جمادى الاخرة توفّى ابو حامد محمّد بن يونس بن منعة الفقيه الشافعىّ بمدينة الموصل وكان امامًا فاضلًا اليه انتهت رياسة الشافعيّة لم يكن فى زمانه مثله وكان

حسن الاخلاق كثير التجاوز عن الفقهآء والاحسان اليهم رحمه الله ، وفيها في شهر ربيع الاوّل توفّى القاضى ابو الفضايل علىّ بن يوسف بن احمد بن الآمدىّ الواسطىّ قاضيها وكان نعم الرجل ، وفيها فى شعبان توفّى المعين ابو الفتوح عبد الواحد بن ابى احمد بن علىّ الامين شيخ الشيوخ ببغداد وكان موته بجزيرة كاس مضى اليها رسولًا من الخليفة وكان من اصدقآينا وبيننا وبينه مودّة متاكّدة ومحبة كثيرة وكان من عباد الله الصالحين رحمه الله ورضى عنه وله كتابة حسنة وشعر جيّد وكان عالمًا بالفقه وغيره ولمّا توفّى رتب اخوه زين الدين عبد الرزّاق ابن ابى احمد وكان ناظرًا على المارستان العضدىّ فتركه واقتصر على الرباط ، وفيها فى ذى الحجّة توفّى محمّد بن يوسف بن محمّد بن عبيد الله النيسابورىّ الكاتب الحسن الخطّ وكان يؤدّى طريقة ابن البوّاب وكان فقيهًا حاسبًا متكلّمًا ، وفيها توفّى عمر بن مسعود ابى العزّ ابو القاسم البزّاز البغدادىّ بها وكان من الصالحين يجتمع اليه الفقرآء كثيرًا ويحسن اليهم ، وتوفّى ايضًا ابو سعيد الحسن بن محمّد بن الحسن بن حمدون الثعلبىّ العَدَوىّ وهو ولد مصنّف التذكرة وكان عالمًا ✿

ثم دخلت سنة تسع وستمائة ،

سنة ٦٠٩

ذكر قدوم ابن منكلى بغداد

فى هذه السنة فى المحرّم قدم محمّد بن منكلى المستولى على بلاد الجبل الى بغداد وسبب ذلك انّ اباه منكلى لمّا استولى على بلاد الجبل وهرب ايتغمش صاحبها منها الى بغداد خاف ان يساعده الخليفة ويرسل معه العساكر فيعظم الامر عليه لانّه لم يكن قد تمكّن فى البلاد فارسل ولده محمّدًا ومعه جماعة من العسكر فخرج الناس ببغداد على طبقاتهم يلتقونه وانزل واكرم وبقى ببغداد الى ان قُتل اينغمش فخلع عليه وعلى مَن معه وأُكرموا وسيّرهم الى ابيه ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة قبض الملك العادل ابو بكر بن ايّوب صاحب مصر والشام على امير اسمه اسامة كان له اقطاع كثيرة من جملتها حصن

كوكب من اعمال الاردنّ بالشام واخذ منه حصن كوكب وخرّبه وعفى اثره ومن بعده بنى حصنًا بالقرب منه على جبل يسمّى الطور وهو معروف هناك وشحنه بالرجال والذخاير والسلاح ٭ وفيها توفّى الفقيه محمّد بن اسمعيل بن ابى الصيف اليمنىّ فقيه الحرم الشريف بمكّة ۞

ثم دخلت سنة عشر وستمأية ٭

سنة ٦١٠

ذكر قتل ايتغمش

فى هذه السنة فى المحرّم قتل ايتغمش الذى كان صاحب همدان وقد ذكرنا سنة ثمان انّه قدم الى بغداد واقام بها فانعم عليه الخليفة وشرّفه بالخلع واعطاه الكوسات وما يحتاج اليه وسيّره الى همدان فسار فى جمادى الاخرة عن بغداد قاصدًا الى همدان فوصل الى بلاد ابن ترجم[1] واجتمعا واقام ينتظر وصول عساكر بغداد اليه ليسير معه على قاعدة استقرّت بينهم وكان الخليفة قد عزل سليمان ابن ترجم[1] عن الامارة على عشيرته من التركمان الايوانيّة[2] وولّى اخاه الاصغر فارسل سليمان الى منكلى يعرّفه بحال ايتغمش ومضى هو على وجهه فاخذوه فقتلوه وحملوا راسه الى منكلى وتفرّق من معه من اصحابه فى البلاد لا يلوى اخ على اخيه ووصل الخبر بقتله الى بغداد فعظم على الخليفة ذلك وارسل الى منكلى ينكر عليه ما فعل فاجاب جوابًا شديدًا وتمكّن من البلاد وقوى امره وكثرت جموعه وعساكره وكان من امره ما نذكره ان شآء الله ۞

ذكر عدّة حوادث

حجّ بالناس فى هذه السنة ابو فراس بن جعفر بن فراس الحلّى نيابةً عن امير الحاجّ [ابن] ياقوت ومُنع ابن ياقوت عن الحجّ لمّا جرى للحاجّ فى ولايته ٭ وفيها فى المحرّم توفّى الحكيم المهذب علىّ بن احمد بن مقبل الطبيب المشهور كان اعلم اهل زمانه بالطبّ روى الحديث وكان مقيمًا بالموصل وبها مات وكان كثير الصدقة حسن الاخلاق وله تصنيف حسن فى الطبّ ٭ وفيه توفّى اسمعيل بن علىّ البغدادىّ الفقيه الحنبلىّ صاحب ابن المنّى[3] ٭ وفيه توفّى ايضًا احمد بن مسعود التركستانىّ الفقيه الحنفىّ

1) Seu برجم Vid. *Journ. Asiat.* 1847, I. p. 178.

2) الايوانيه

3) C. P. Ups.: المنى

ببغداد وهو مدرّس مشهد ابى حنيفة ، وفيها فى جمادى الاولى توفّى
معزّ الدين ابو المعالى سعد بن علىّ المعروف بابن حديد الذى كان
وزير الخليفة الناصر لدين الله وكان قد الزم بيته ولمّا توفّى حُمل تابوته
الى مشهد امير المؤمنين علىّ ع م بالكوفة وكان حسن السيرة فى
وزارته كثير الخير والنفع للناس ۞

سنة ٦١١ ثم دخلت سنة احدى عشرة وستّماية ،

ذكر مُلك خوارزم شاه علآء الدين كرمان ومكران والسند

هذه الحادثة لا اعلم الحقيقة اىّ سنة كانت انّما هى امّا هذه السنة
او قبلها بقليل او بعدها بقليل لانّ الذى اخبر بها كان من اجناد
الموصل وسافر الى تلك البلاد واقام بها عدّة سنين وسار مع الامير ابى
بكر الذى فتح كرمان ثمّ عاد فاخبرنى بها على شكّ من وقتها وقد حضرها
فقال خوارزم شاه محمّد بن تكش كان من جملة امرآء ابيه امير اسمه
ابو بكر ولقبه تاج الدين وكان فى ابتدآء امره جمّالاً يكرى الجمال فى
الاسفار ثمّ جآته السعادة فاتّصل بخوارزم شاه وصار سيروان جمّاله فراى
منه جلداً وامانة فقدّمه الى ان صار من اعيان امرآء عسكره فولّاه مدينة
زوزن وكان عاقلاً ذا راى وحزم وشجاعة فتقدّم عند خوارزم شاه تقدّماً
كثيراً فوثق به اكثر من جميع امرآء دولته فقال ابو بكر لخوارزم شاه
انّ بلاد كرمان مجاورة لبلدى فلو اضاف السلطان الىّ عسكراً لملكتُها
فى اسرع وقت فسيّر معه عسكراً كثيراً فمضى الى كرمان وصاحبها اسمه
حرب بن محمّد بن ابى الفضل الذى كان صاحب سجستان ايّام السلطان
سنجر فقاتله فلم يكن له به قوّة وضعُف فملك ابو بكر بلاده فى اسرع
وقت وسار منها الى نواحى مكران فملكها كلّها الى السند من حدود
كابل وسار الى هرمز مدينة على ساحل بحر مكران فاطاعه صاحبها واسمه
ملنك وخطب بها لخوارزم شاه وحمل عنها مالاً وخُطب له بقلهات وبعض
عُمان لانّ اصحابها كانوا يطيعون صاحب هرمز وسبب طاعتهم له مع
بُعد الشقّة والبحر يقطع بينهم انّهم يتقرّبون اليه بالطاعة ليامن اصحاب
المراكب التى تسير اليهم عنده فانّ هرمز مرسى عظيم ومجمع للتجار

من اقاصى الهند والصين واليمن وغيرها من البلاد وكان بين صاحب هرمز وبين صاحب كيش حروب ومغاورات وكلّ منهما ينهى اصحاب المراكب ان ترسى ببلد خصمه وهم كذلك الى الآن وكان خوارزم شاه يصيف بنواحى سمرقند لاجل التتر اصحاب كشلى خان لئلّا يقصد بلاده وكان سريع السير اذا قصد جهة سبق خبره ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة قُتل مؤيّد الملك الشحرىّ وكان قد وزر لشهاب الدين الغورىّ ولتاج الدين الدز بعده وكان حسن السيرة جميل الاعتقاد محسنًا الى العلمآء واهل الخير يزورهم ويبرّهم ويحضر الجمعة ماشيًا وحده وكان سبب قتله انّ بعض عسكر الدز كرهوه وكان كلّ سنة يتقدّم الى البلاد الحارّة بين يدى الدز اوّل الشتآء فسار هذه السنة كعادته فجآء اربعون نفرًا اتراكًا وقالوا له السلطان يقول لك تحضر جريدة فى عشرة نفر لمهمّ تجدّد فسار معهم جريدة فى عشرة مماليك فلمّا وصلوا الى نهوند بالقرب من مآء السند قتلوه وهربوا ثمّ انّهم ظفر بهم خوارزم شاه محمّد فقتلهم ۰ وفيها فى رجب توفّى الركن ابو منصور عبد السلام ابن عبد الوهّاب بن عبد القادر الجيلىّ البغدادىّ ببغداد وكان قد ولى عدّة ولايات وكان يتّهم بمذهب الفلاسفة حتّى انّه راى ابوه يومًا عليه قميصًا بخاريًا فقال ما هذا القميص فقال بخارىّ فقال ابوه هذا عجبٌ ما زلنا نسمع مسلم والبخارىّ وامّا كافر والبخارىّ ما سمعنا واخذت كتبه قبل موته بعدّة سنين واظهرت فى ملآء من الناس ورُءى فيها من تبخير النجوم ومخاطبة زُحَل بالالهيّة وغير ذلك من الكفريات ثمّ أُحرقت بباب العامّة وحُبس ثمّ افرج عنه بشفاعة ابيه واستُعمل بعد ذلك ۰ وفيها ايضًا توفّى ابو العبّاس احمد بن هبة الله بن العلآء المعروف بابن الزاهد ببغداد وكان عالمًا بالنحو واللغة ۰ وفى شعبان منها توفّى ابو المظفّر محمّد بن علىّ بن البلّ[1] اللورىّ[2] الواعظ ودُفن برباط على نهر عيسى ومولده سنة عشر وخمسمائة ۰ وفى شوّال منها توفّى عبد العزيز ابن محمود بن الاخضر وكان من فضلآء المحدّثين وله سبع وثمانون سنة ۞

---

1) 740: اللبل Ups.: البل　　2) C. P.: الدُورى 740: اللوزىّ

ثم دخلت سنة اثنى عشرة وستمائة

ذكر قتل منكلى وولاية اغلمش ما كان بيده من الممالك

فى هذه السنة فى جمادى الاولى انهزم منكلى صاحب همذان واصفهان والرىّ وما بينهم من البلاد ومضى هاربًا فقُتل وسبب ذلك انّه كان قد ملك البلاد كما ذكرناه وقتل ايتغمش فأُرسل اليه من الديوان الخليفىّ رسولٌ ينكر ذلك عليه وكان اوحش الامير اوزبك بن البهلوان صاحب اذربيجان وهو صاحبه ومخدومه فارسل الخليفة اليه يحرضه على منكلى ويَعده النصرة وارسل ايضًا الى جلال الدين الاسماعيلىّ صاحب قلاع الاسماعيليّة ببلاد العجم ألموت وغيرها يامره بمساعدة اوزبك على قتال منكلى واستقرّت القاعدة بينهم على ان يكون للخليفة بعض البلاد ولاوزبك بعضها ويعطى جلال الدين بعضها فلمّا استقرّت القواعد على ذلك جهّز الخليفة عسكرًا كثيرًا وجعل مقدّمهم مملوكه مظفّر الدين سنقر الملقّب بوجه السبُع وارسل الى مظفّر الدين كوكبرى بن زين الدين علىّ كوجك وهو اذذاك صاحب اربل وشهرزور واعمالها يامره ان يحضر بعساكره ويكون مقدّم العساكر جميعها واليه المرجع فى الحرب فحضر وحضر معه عسكر الموصل وديار الجزيرة وعسكر حلب فاجتمعت عساكر كثيرة وساروا الى همذان فاجتمت العساكر كلّها فانزاح منكلى من بين ايديهم وتعلّق بالجبال وتبعوه فنزلوا بسفح جبل هو فى اعلاه بالقرب من مدينة كرج وضاقت الميرة والاقوات على العسكر الخليفىّ جميعه ومَن معهم فلو اقام منكلى بموضعه لم يمكنهم المقام عليه اكثر من عشرة ايّام لكنّه طمع فنزل ببعض عسكره من الجبل مقابل الامير اوزبك فحملوا عليه فلم يثبت اوزبك ومضى منهزمًا فعاد اصحاب منكلى وصعدوا الجبل وعاد اوزبك الى خيامه فطمع منكلى حينئذ ونزل من الغد فى جميع عسكره واصطفّت العساكر للحرب واقتتلوا اشدّ قتال يكون فانهزم منكلى وصعد الجبل فلو اقام بمكانه لم يقدر احد على الصعود اليه وكان قصاراهم العود عنه لكنّه اتّخذ الليل جملًا وفارق موضعه ومضى منهزمًا فانبعه نفر يسير من عسكره وفارقه الباقون وتفرّقوا فى ايدى سبا واستولى عسكر الخليفة واوزبك على البلاد فاعطى جلال الدين

ملك الاسماعيليّة من البلاد ما كان استقرّ له واخذ الباقى اوزبك فسلّمه الى اغلمش مملوك اخيه وكان قد توجّه الى خوارزم شاه علآء الدين محمّد وبقى عنده ثمّ عاد عنه وشهد الحرب وابلى فيها فولّاه اوزبك البلاد وعاد كلّ طايفة من العسكر الى بلادهم ، وامّا منكلى فانّه مضى منهزمًا الى مدينة ساوة وبها شحنة هو صديق له فارسل اليه يستاذنه فى الدخول الى البلد فاذن له ودخل اليه وخرج فلقيه وقبّل الارض بين يديه وادخله البلد وانزله فى داره ثمّ اخذ سلاحه واراد ان يقيّده ويرسله الى اغلمش فساله ان يقتله هو ولا يرسله فقتله وارسل راسه الى اوزبك وارسله اوزبك الى بغداد وكان يوم دخولها يومًا مشهودًا الّا انّه لم تتمّ المسرّة للخليفة بذلك فانّه وصل ومات ولده فى تلك الحال فاعيد ودفن ✿

ذكر وفاة ابن الخليفة

فى هذه السنة فى العشرين من ذى القعدة توفّى ولد الخليفة وهو الاصغر وكان يلقّب الملك المعظّم واسمه ابو الحسن علىّ وكان إحبّ ولدى الخليفة اليه وقد رشّحه لولاية العهد بعده وعزل ولده الاكبر عن ولاية العهد واطرحه لاجل هذا الولد وكان رحمه الله كريمًا كثير الصدقة والمعروف حسن السيرة محبوبًا الى الخاصّ والعامّ وكان سبب موته انّه اصابه اسهال فتوفّى وحزن عليه الخليفة حزنًا لم يُسمع بمثله حتّى انّه ارسل الى اصحاب الاطراف ينهاهم عن انفاذ رسول اليه يُعزّيه بولده ولم يقرأ كتابًا ولا سمع رسالة وانقطع وخلا بهمومه واحزانه ورُءى عليه من الحزن والجزع ما لم يسمع بمثله ولمّا توفّى أُخرج نهارًا ومشى جميع الناس بين يدى تابوته الى تربة بدّته عند قبر معروف الكرخىّ فدفن عندها ولمّا ادخل التابوت أُغلقت الابواب وسمع الصراخ العظيم من داخل التربة فقيل انّ ذلك صوت الخليفة وامّا العامّة ببغداد فانّهم وجدوا عليه وجدًا شديدًا ودامت المناحات عليه فى اقطار بغداد ليلًا ونهارًا ولم يبق ببغداد محلّة الّا وفيها النوح ولم تبق امراة الّا واظهرت الحزن. وما سُمع ببغداد مثل ذلك فى قديم الزمان وحديثه وكان موته وقت وصول راس منكلى الى بغداد فانّ الموكب امر بالخروج الى لقآء الراس فخرج الناس كافّةً فلمّا دخلوا

بالراس الى راس درب حبيب وقع الصوت بموت ابن الخليفة فأُعيد الراس وهذا دأب الدنيا لا يصفوا ابدًا فرحها من ترح وقد تخلص مصايبها عن شايبة الترح ۞

ذكر ملك خوارزم شاه غزنة واعمالها

فى هذه السنة فى شعبان ملك خوارزم شاه محمّد بن تكش مدينة غزنة واعمالها وسبب ذلك انّ خوارزم شاه لمّا استولى على عامّة خراسان وملك باميان وغيرها ارسل الى تاج الدين صاحب غزنة وقد تقدّمت اخباره حتّى ملكها يطلب منه ان يخطب له ويضرب السكّة باسمه ويرسل اليه فيلًا واحدًا ليصالحه بيده غزنة ولا يعارضه فيها فاحضر الامرآء واعيان دولته واستشارهم وكان فيهم اكبر امير اسمه قتلغ تكين وهو من مماليك شهاب الدين الغورىّ ايضًا واليه الحكم فى دولة الدز وهو النايب عنه بغزنة فقال الراى ان تخطب له وتُعطيه ما طلب وتستريح من الحرب والقتال وليس لنا بهذا السلطان قوّة فقال الجماعة مثل قوله فاجاب الى ما طلب منه وخطب لخوارزم شاه وضرب السكّة باسمه وارسل اليه رسولًا واعاد رسوله اليه ومضى الى الصيد، فارسل قتلغ تكين من غزنة الى خوارزم شاه يطلبه ليسلّم اليه غزنة فسار مجدًّا وسبق خبره فسلّم اليه قتلغ تكين غزنة وقلعتها فلمّا دخل اليها قتل مَن بها من عسكر الغوريّة لا سيّما الاتراك، فوصل الخبر الى الدز بذلك فقال ما فعل قتلغ تكين وكيف ملك القلعة مع وجوده فيها، فقيل هو الذى احضره وسلّم اليه فمضى هاربًا هو ومَن معه الى لهاوور واقام خوارزم شاه بغزنة فلمّا تمكّن منها احضر قتلغ تكين فقال له كيف حالك مع الدز وكان عالمًا به وانّما اراد ان تكون له الحجّة عليه فقال كلانا مماليك شهاب الدين ولم يكن الدز يقيم بغزنة الّا اربعة اشهر الصيف وانا الحاكم فيها والمرجع الىّ فى كلّ امور فقال له خوارزم شاه اذا كنت لا ترعى لرفيقك ومَن احسن اليك صحبته واحسانه فكيف يكون حالى انا معك وما الذى تصنع مع ولدى اذا تركتُه عندك فقبض عليه واخذ منه اموالًا جمّةً حملها ثلاثون دابّة من اصناف الاموال والامتعة واحضر اربع مائة مملوك فلمّا اخذ ما له قتله وترك ولده جلال الدين بغزنة مع

جماعة من عسكره وامرآيه، وقيل انّ مُلك خوارزم شاه غزنه كان سـنـة ثـلاث عـشـرة وسـتّـمـايـة ۞

ذكر استيلآء الدز على لهاوور وقتله

لمّا هرب الدز من غزنة الى لهاوور لقيه صاحبها ناصر الدين قباجة[1] وهو من مماليك شهاب الدين الغورىّ ايضًا وله من البلاد لهاوور وملتان واُوجَه وَدَيْبُل[2] وغير ذلك الى ساحل البحر ومعه نحو خمسة عشر الف فارس وكان قد بقى مع الدز نحو الف وخمسماية فارس فوقع بينهما مصافّ واقتتلوا فانهزمت ميمنة الدز وميسرته واخذت الفيلة التى معه ولم يبق له غير فيلَيْن معه فى القلب فقال الفيّال اوذا اخاطر بسعادتك وامر احد الفيلَيْن ان يحمل على العلم الذى لقباجة ياخذه وامر الفيل الاخر الذى له ايضًا ان ياخذ الجتر الذى له فاخذه ايضًا والفيلة المعلّمة تفهم ما يقال لها هذا رايناه فحملت الفيلان وحمل معهما الدز فيمن بقى عنده من العسكر وكشف راسه وقال بالعجميّة ما معناه امّا مُلك وامّا هُلك واختلط الناس بعضهم ببعض وفعل الفيلان ما امرهما الفيّال من اخذ العَلَم والجتر فانهزم قباجة وعسكره وملك الدز مدينة لهاوور ثمّ سار الى بلاد الهند ليملك مدينة دهلة وغيرها ممّا بيد المسلمين وكان صاحب دهلة امير اسمه الترمش ولقبه شمس الدين وهو من مماليك قطب الدين ايبك مملوك شهاب الدين ايضًا كان قد ملك الهند بعد سيّده فلمّا سمع به الترمش سار اليه فى عساكره كلّها فلقيه عند مدينة سماتا فاقتتلوا فانهزم الدز وعسكره واُخذ وقُتل، وكان الدز محمود السيرة فى ولايته كثير العدل والاحسان الى الرعيّة لا سيّما التجار والغربآء ومن محاسن اعماله انّه كان له اولاد ولهم معلّم يعلّمهم فضرب المعلّم احدهم فمات فاحضره الدز وقال له يا مسكين ما حملك على هذا فقال والله ما اردتُ الّا تاديبه فاتّفق ان مات فقال صدقتَ واعطاه نفقة وقال له تغيّب فانّ امّه لا تقدر على الصبر فربّما اهلكتْك ولا اقدر امنع عنك فلمّا سمعت امّ الصبىّ بموته طلبت الاستاذ لتقتله فلم تجده فسلم وكان هذا من احسن ما يُحكى عن احد من الناس ۞

[1] C. P. قراجة [2] Ups.: 740.: ملتان واجه والديبل وملتا واجر والريمل

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة توفّى الوجيه المبارك بن ابى الازهر سعيد بن الدّهان الواسطىّ النحوى الضرير كان نحريرًا فاضلًا قرأ على الكمال ابن الانبارىّ وعلى غيره وكان حنبليًّا فصار حنفيًّا ثمّ صار شافعيًّا فقال فيه ابو البركات بن زيد التكريتى

أَلَا مُبْلغًا عنّى الوجيه رسالةً   وان كان لا تجدى لديه الرسايلُ
تمذهبتَ[1] للنعمان بعد حنبل[2]   وفارقتَه اذا[3] غوّرتْك الماكلُ
وما اخترتَ راى الشافعىّ تديّنًا   ولكنّما تهوى الذى هو حاصلُ
وعمّا قليل انت لا شكّ صاير   الى مالك فافطن لما انا قايلُ ❀

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وستمائة ،

سنة ٦١٣

ذكر وفاة الملك الظاهر

فى هذه السنة فى جمادى الاخرة توفّى الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف بن ايّوب وهو صاحب مدينة حلب ومنبج وغيرهما من بلاد الشام وكان مرضه اسهالًا وكان شديد السيرة ضابطًا لاموره كلّها كثير الجمع للاموال من غير جهاتها المعتادة عظيم العقوبة على الذنب لا يرى الصفح وله مقصد يقصده كثير من اهل البيوتات من اطراف البلاد والشعرآء واهل الدين وغيرهم فيكرمهم ويجرى عليهم الجارى الحسن ، ولمّا اشتدّت علّته عهد بالملك بعده لولد له صغير اسمه محمّد ولقبه الملك العزيز غياث الدين عمره ثلاث سنين وعدل عن ولد كبير لانّ الصغير كانت امّه ابنة عمّه الملك العادل ابى بكر بن ايّوب صاحب مصر ودمشق وغيرهما من البلاد فعهد بالملك له ليُبقى عمّه البلاد عليه ولا ينازعه فيها ، ومن العجب ما يُحكى انّ الملك الظاهر قبل مرضه ارسل رسولًا الى عمّه العادل بمصر يطلب منه ان يحلف لولده الصغير فقال العادل سبحان الله اىّ حاجة الى هذه اليمين الملك الظاهر مثل بعض اولادى فقال الرسول قد طلب هذا واختاره ولا بُدّ من اجابته اليه فقال العادل كم من كبش فى المرعى وخروف عند القصّاب وحلف فاتّفق فى تلك الايّام

---

[1] تمذهب [2] ابن حنبل [3] اذ

توفى الملك الظاهر والرسول فى الطريق ولمّا عهد الظاهر الى ولده بالملك جعل اتابكه ومربّيه خادمًا روميًّا اسمه [طغريل] ولقبه شهاب الدين وهو من خيار عباد الله كثير الصدقة والمعروف ولمّا توفى الظاهر احسن هذا شهاب الدين السيرة فى الناس وعدل فيهم وازال كثيرًا من السنن الجارية واعاد املاكًا كانت قد أُخذت من اربابها وقام بتربية الطفل احسن قيام وحفظ بلاده واستقامت الامور بحسن سيرته وعدله وملك ما كان يتعذّر على الظاهر مُلكه فمن ذلك تلّ باشر كان الملك الظاهر لا يقدر يتعرّض اليه فلمّا توفى ملكها كيكاوش ملك الروم كما نذكره ان شآء الله تعالى انتقلت الى شهاب الدين وما اقبح بالملوك وابنآء الملوك ان يكون هذا الرجل الغريب المنفرد احسن سيرة واعفّ عن اموال الرعيّة واقرب الى الخير منهم ولا اعلم اليوم فى وُلاة امور المسلمين احسن سيرة منه فالله يبقيه ويدفع عنه فلقد بلغنى عنه كلّ حسن وجميل ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى المحرّم وقع بالبصرة بَرَدٌ كثير وهو مع كثرته عظيم القدر قيل كان اصغره مثل النارنجة الكبيرة وقيل فى اكبره ما يستحى الانسان يذكره فكسر كثيرًا من رؤس النخيل ، وفى المحرّم ايضًا سيّر الخليفة الناصر لدين الله ولدَىْ ابنه المعظّم علىّ الى تُستر وهما المؤيّد والموفّق وسار معهما مؤيّد الدين النايب عن الوزارة وعزّ الدين الشرابى فاقاما بها يسيرًا ثمّ عاد الموفّق مع الوزير والشرابى الى بغداد اواخر ربيع الاخر ، وفيها فى صفر هبّت ببغداد ريح سودآء شديدة كثيرة الغبار والقتام والقت رملًا كثيرًا وقلعت كثيرًا من الشجر فخاف الناس وتضرّعوا ودامت من العشآء الاخرة الى ثلث الليل وانكشفت ، وفيها توفى التاج زيد بن الحسن بن زيد الكندىّ ابو اليُمن البغدادىّ المولد والمنشا انتقل بالشام فاقام بدمشق وكان امامًا فى النحو واللغة وله الاسناد العالى فى الحديث وكان ذا فنون كثيرة من انواع العلوم رحمه الله ۞

سنة ٦١٤

ثم دخلت سنة اربع عشرة وستمائة،

ذكر ملك خوارزم شاه بلد الجبل

فى هذه السنة سار خوارزم شاه علآء الدين محمّد بن تكش الى بلاد الجبل فملكها وكان سبب حركته فى هذا الوقت اشيآء احدها انّه كان قد استولى على ما ورآء النهر وظفر بالخطا وعظم امره وعلا شانه واطاعه القريب والبعيد ومنها انّه كان يهوى ان يخطب له ببغداد ويلقّب بالسلطان وكان الامر بالضدّ لانّه كان لا يجد من ديوان الخلافة قبولاً وكان سبيله اذا ورد الى بغداد يقدّم غيره عليه ولعلّ فى عسكره مائة مثل الذى يقدم سبيله عليه فكان اذا سمع ذلك يُغضبه ومنها انّ اغلمش لمّا ملك بلاد الجبل خطب له فيها جميعها كما ذكرناه فلمّا قتله الباطنيّة غضب له وخرج لئلّا تخرج البلاد عن طاعته فسار مجدًّا فى عساكر تطبّق الارض فوصل الى الرىّ فملكها وكان اتابك سعد بن دكلا صاحب بلاد فارس لمّا بلغه مقتل اغلمش جمع عساكره وسار نحو بلاد الجبل طمعًا فى تملّكها لخلوّها عن حامٍ وممانع فوصل الى اصفهان فاطاعه اهلها وسار منها يريد الرىّ ولم يعلم بقدوم خوارزم شاه فلقيه مقدّمة خوارزم شاه فظنّها عساكر تلك الديار قد اجتمعت لقتاله ومنعه عن البلاد فقاتلهم وجدّ فى محاربتهم حتّى كاد يهزمهم فبينما هو كذلك واذ هو قد ظهر له جتر خوارزم شاه فسأل عنه فاخبر به فاستسلم وانهزمت عساكره وأُخذ اسيرًا وحُمل الى بين يدى خوارزم شاه فاكرمه ووعده الاحسان والجميل وأمّنه على نفسه واستحلفه على طاعته واستقرّت القاعدة بينهما على ان يسلّم بعض البلاد اليه ويبقى بعضها واطلقه وسيّر معه جيشًا الى بلاد فارس ليسلّم اليهم ما استقرّت القاعدة عليه فلمّا قدم على ولده الاكبر رءاه قد تغلّب على بلاد فارس فامتنع من التسليم الى ابيه ثمّ انّه ملك البلاد كما نذكره وخطب فيها لخوارزم شاه، وسار خوارزم شاه الى ساوة فملكها واقطعها لعماد الملك عارض جيشه وهو من اهلها ثمّ سار الى قزوين وزنجان وابهر فملكها كلّها بغير ممانع ولا مدافع ثمّ سار الى همدان فملكها واقطع البلاد لاصحابه وملك اصفهان وكذلك

قمّ وقاشان واستوعب ملك جميع البلاد واستقرّت القاعدة بينه وبين اوزبك
بن البهلوان صاحب اذربيجان وارّان بان يخطب له اوزبك في بلاده
ويدخل في طاعته ۞ ثمّ انّه عزم على المسير الى بغداد فقدّم بين يديه
اميرًا كبيرًا في خمسة عشر الف فارس واقطعه حُلوان فسار حتّى وصل
اليها ثمّ اتبعه بامير اخر فلمّا سار عن همذان يومَين او ثلاثة سقط عليهم
من الثلج ما لم يُسمع بمثله فهلكت دوابّهم ومات كثير منهم وطمع فيمن
بقي بنو ترجم الاتراك وبنو هكّار الاكراد فتخطّفوهم فلم يرجع منهم
الى خوارزم شاه الّا اليسير فتطيّر خوارزم شاه من ذلك الطريق وعزم
على العود الى خراسان خوفًا من التتر لانّه ظنّ انّه يقضى حاجته
ويفرغ من ارادته في المدّة اليسيرة فخاب ظنّه وراى البيكار بين يديه
طويلًا فعزم على العود فولى همذان اميرًا من اقاربه من جهة والدته
يقال له طأيسى[1] وجعل في البلاد جميعها ابنه ركن الدين وجعل معه
متولّيًا لامر دولته عماد المُلك الساوىّ وكان عظيم القدر عنده وكان
يحرص على قصد العراق وعاد خوارزم شاه الى خراسان فوصل الى مرو
في المحرّم سنة خمس عشرة وستّمائة وسار من وجّهه الى ما وراء النهر
ولمّا قدم الى نيسابور جلس يوم الجمعة عند المنبر وامر الخطيب بترك
الخطبة للخليفة الناصر لدين الله وقال انّه قد مات وكان ذلك في ذى
القعدة سنة اربع عشرة وستّمائة ولمّا قدم مرو قطع الخطبة بها وكذلك
ببلخ وبخارى وسرخس وبقى خوارزم وسمرقند وهراة لم تقطع الخطبة فيها
الّا عن قصد لتركها لانّ البلاد كانت لا تعارض من اشباه هذا ان
احبّوا خطبوا وان ارادوا قطعوا فبقيت كذلك الى ان كان منه ما
كان وهذه من جملة سعادات هذا البيت الشريف العبّاسىّ لم يقصده
احدٌ باذًى الّا لقيه فعله وخبث نيّته لا جرم لم يمهل هذا خوارزم شاه
حتّى جرى له ما نذكره ممّا لم يسمع بمثله في الدنيا قديمًا ولا حديثًا ۞

ذكر ما جرى لاتابك سعد مع اولاده

لمّا قُتل اغلمش صاحب بلاد الجبل همذان واصفهان وما بينهما من

---

[1]) 740: طاىسْى Ups.: طبالشين

البلاد جمع اتابك سعد بن دكلا صاحب فارس عساكره وسار عن بلاده الى اصفهان فملكها واطاعه اهلها فطمع فى تلك البلاد جميعها فسار من اصفهان الى الرىّ فلمّا وصل اليها لقى عساكر خوارزم شاه قد وصلت كما ذكرناه فعزم على محاربة مقدّمة العسكر فقاتلها حتّى كاد يهزمها فظهرت عساكر خوارزم شاه وراى الجتر فسقط فى يديه والقى نفسه وضعفت قوّته وقوّة عسكره فولّوا الادبار وأُخذ اتابك سعد اسيرًا واحضر بين يدى خوارزم شاه فاكرمه وطيّب نفسه ووعده الاحسان واستصحب معه الى ان وصل الى اصفهان فسيّره منها الى بلاده وهى تجاورها وسيّر معه عسكرًا مع امير كبير ليتسلّم منه ما كان استقرّ بينهما فانّهما اتّفقا على ان يكون لخوارزم شاه بعض البلاد ولاتابك سعد بعضها وتكون الخطبة لخوارزم شاه فى البلاد جميعها وكان اتابك سعد قد استخلف ابنًا له على البلاد فلمّا سمع الابن باسر ابيه خطب لنفسه بالمملكة وقطع خطبة ابيه فلمّا وصل ابوه ومعه عسكر خوارزم شاه امتنع الابن من تسليم البلاد الى ابيه وجمع العساكر وخرج يقاتله فلمّا تراى الجمعان انحازت عساكر فارس الى صاحبهم اتابك سعد وتركوا ابنه فى خاصّته فحمل على ابيه فلمّا راه ابوه ظنّ انّه لم يعرفه فقال له انا فلان فقال ايّاك اردتُ فحينئذ امتنع منه وولّى الابن منهزمًا ووصل اتابك سعد الى البلاد فدخلها مالكًا لها وأُخذ ابنه اسيرًا فسجنه الى الأن الّا انّنى سمعتُ الأن وهو سنة عشرين وستّمائة انّه قد خفّف حبسه ووسّع عليه، ولمّا عاد خوارزم شاه الى خراسان غدر سعد بالامير الذى عنده فقتله ورفع عن طاعة خوارزم شاه واشتغل خوارزم شاه بالحادثة العظمى التى شغلته عن هذا وغيره لكنّ الله انتقم له بابنه غياث الدين كما نذكره سنة عشرين وستّمائة لأنّ سعدًا كفر احسان خوارزم شاه وكُفْر الاحسن عظيم العقوبة ۞

ذكر ظهور الفرنج الى الشام ومسيرهم الى ديار مصر وملكهم مدينة دمياط وعودها الى المسلمين

كان من اوّل هذه الحادثة الى اخرها اربع سنين غير شهر وانّما ذكرناها هاهنا لانّ ظهورهم كان فيها وسُقناها سياقة متتابعة ليتلو بعضها بعضًا فنقول فى هذه السنة وصلت امداد الفرنج فى البحر من روميّة

الكبرى وغيرها من بلاد الفرنج فى الغرب والشمال الّا ان المتولّى لها كان صاحب رومية لانّه يتنزّل عند الفرنج بمنزلة عظيمة لا يرون مخالفة امره ولا العدول عن حكمه فيما سرّهم وساءهم فجهّز العساكر من عنده مع جماعة من مقدّمى الفرنج وامر غيره من ملوك الفرنج ان يسير بنفسه اويرسل جيشًا ففعلوا ما امرهم فاجتمعوا بعكّا من ساحل الشام، وكان الملك العادل ابو بكر بن ايّوب بمصر فسار منها الى الشام فوصل الى الرملة ومنها الى لُدّ وبرز الفرنج من عكّا ليقصدوه فسار العادل نحوهم فوصل الى نابلس عازمًا على ان يسبقهم الى اطراف البلاد ممّا يلى عكّا ليحميها منهم فساروا هم فسبقوه فنزل على بيسان من الاردنّ فتقدّم الفرنج اليه فى شعبان عازمين على محاربته لعلمهم انّه فى قلّة من العسكر لانّ العساكر كانت متفرّقة فى البلاد فلمّا راى العادل قربهم منه لم يرَ ان يلقاهم فى الطايفة التى معه خوفًا من هزيمة تكون عليه وكان حازمًا كثير الحذر ففارق بيسان نحو دمشق ليقيم بالقرب منها ويرسل الى البلاد ويجمع العساكر فوصل الى مرج الصُّفَّر فنزل فيه وكان اهل بيسان وتلك الاعمال لمّا راوا الملك العادل عندهم اطمانّوا فلم يفارقوا بلادهم ظنًّا منهم انّ الفرنج لا يقدمون عليه فلمّا اقدموا صار على غفلة من الناس فلم يقدر على النجاة الّا القليل فاخذ الفرنج كلّ ما فى بيسان من ذخاير قد جُمعت وكانت كثيرة وغنموا شيأً كثيرًا ونهبوا البلاد من بيسان الى بانياس وبثّوا السرايا فى القرى فوصلت الى خسفين ونوى واطراف السواد ونازلوا بانياس واقاموا عليها ثلاثة ايّام ثمّ عادوا عنها الى مرج عكّا ومعهم من الغنايم والسبى والاسرى ما لا يحصى كثرةً سوى ما قتلوا واحرقوا واهلكوا فاقاموا ايّامًا استراحوا ثمّ جآوا الى صور وقصدوا بلد الشقيف ونزلوا بينهم وبين بانياس مقدار فرسخَيْن فنهبوا البلاد صيدا والشقيف وعادوا الى عكّا وكان هذا من نصف رمضان الى العيد والذى سلم من تلك البلاد كان مخفًّا حتّى قدر على النجاة، ولقد بلغنى انّ العادل لمّا سار الى مرج الصُّفَّر راى فى طريقه رجلًا يحمل شيأً وهو يمشى تارة وتارة يقعد ليستريح فعدل العادل اليه وحده فقال له يا شيخ لا تعجل وارفق بنفسك

فعرفه الرجل فقال يا سلطان المسلمين انت لا تعجل فانّا اذا رايناك قد سرتَ الى بلادك وتركتَنا مع الاعداء كيف لا نعجل وبالجملة الذى فعله العادل هو الحزم والمصلحة لئلّا يخاطر باللقاء على حال تفرّق من العساكر ولمّا نزل العادل على مرج الصفر سيّر ولده الملك المعظّم عيسى وهو صاحب دمشق فى قطعة صالحة من الجيش الى نابلس ليمنع الفرنج عن البيت المقدّس ❀

ذكر حصر الفرنج قلعة الطور وتخريبها

لمّا نزل الفرنج بمرج عكّا تجهّزوا واخذوا معهم الة الحصار من مجانيق وغيرها وقصدوا قلعة الطور وهى قلعة منيعة على راس جبل بالقرب من عكّا كان العادل قد بناها عن قريب فتقدّموا اليها وحصروها وزحفوا اليها وصعدوا فى جبلها حتّى وصلوا الى سورها وكادوا يملكونه فاتّفق انّ بعض المسلمين ممّن فيها قتل بعض ملوكهم فعادوا عن القلعة فتركوها وقصدوا عكّا وكان مدّة مقامهم على الطور سبعة عشر يومًا ولمّا فارقوا الطور اقاموا قريبًا ثمّ ساروا فى البحر الى ديار مصر على ما نذكره ان شآء الله تعالى فتوجّه الملك المعظّم الى قلعة الطور فخرّبها الى ان الحقها بالارض لانّها بالقرب من عكّا ويتعذّر حفظها ❀

ذكر حصر الفرنج دمياط الى ان ملكوها

لمّا عاد الفرنج من حصار الطور اقاموا بعكّا الى ان دخلت سنة خمس عشرة وستّمائة فساروا فى البحر الى دمياط فوصلوا فى صفر فارسوا على برّ الجيزة بينهم وبين دمياط النيل فانّ بعض[1] النيل يصبّ فى البحر المالح عند دمياط [وقد بنى فى النيل برج كبير منيع وجعلوا فيه سلاسل من حديد غلاظ ومدّوها فى النيل الى سور دمياط][2] لتمنع[3] المراكب الواصلة فى البحر المالح ان تصعد فى النيل الى ديار مصر ولو لا هذا البرج وهذه السلاسل لكانت مراكب العدوّ لا يقدر احدٌ على منعها عن اقاصى ديار مصر وادانيها، فلمّا نزل الفرنج على برّ الجيزة وبينهم وبين دمياط النيل بنوا عليهم سورًا وجعلوا خندقًا يمنعهم ممّن

---

[1]) C. P. et 740. Ups.: بحر   [2]) C. P.   [3]) C. P.: ليمنع

يريدهم وشرعوا فى قتال مَن بدمياط وعملوا آلات ومَرمّات وابراجًا يزحفون بها فى المراكب الى هذا البرج ليقاتلوه ويملكوه وكان البرج مشحونًا بالرجال وقد نزل الملك الكامل بن الملك العادل وهو صاحب دمياط وجميع ديار مصر بمنزلة تعرف بالعادليّة بالقرب من دمياط والعساكر متّصلة من عنده الى دمياط ليمنع العدوّ من العبور الى ارضها وادام الفرنج قتال البرج وتابعوه فلم يظفروا منه بشئ وكسّرت مرمّاتهم والاتهم ومع هذا فهم ملازمون لقتاله فبقوا كذلك اربعة اشهر ولم يقدروا على اخذه ثمّ بعد ذلك ملكوا البرج فلمّا ملكوه قطعوا السلاسل لتدخل مراكبهم من البحر المالح فى النيل ويتحكّموا فى البرّ فنصب الملك الكامل عوض السلاسل جسرًا عظيمًا امتنعوا به من سلوك النيل ثمّ انّهم قاتلوا عليه ايضًا قتالًا شديدًا كثيرًا متتابعًا حتّى قطعوه فلمّا قُطع اخذ الملك الكامل عدّة مراكب كبار وملاها وخرقها وغرّقها فى النيل فمنعت المراكب من سلوكه فلمّا راى الفرنج ذلك قصدوا خليجًا هناك يعرف بالازرق كان النيل يجرى عليه قديمًا فحفروا ذلك الخليج وعمّقوه فوق المراكب التى جعلت فى النيل واجروا المآء فيه الى البحر المالح واصعدوا مراكبهم فيه الى موضع يقال له بورة على ارض الجيزة ايضًا مقابل المنزلة التى فيها الملك الكامل ليقاتلوه من هناك فانّهم لم يكن لهم اليه طريق يقاتلونه فيها كانت دمياط تحجز بينهم وبينه فلمّا صاروا فى بورة حاذوه فقاتلوه فى المآء وزحفوا اليه غير مرّة فلم يظفروا بطايل ولم يتغيّر على اهل دمياط شئ لانّ الميرة والامداد متّصلة بهم والنيل يحجز بينهم وبين الفرنج فهم ممتنعون لا يصل اليهم اذًى وابوابها مفتّحة وليس عليها من الحصر ضيّق ولا ضرر، فاتّفق كما يريد الله عزّ وجلّ انّ الملك العادل توفّى فى جمادى الاخرة من سنة خمس عشرة وستّمايه على ما نذكره ان شآء الله فضعُفت نفوس الناس لانّه السلطان حقيقة واولاده وان كانوا ملوكًا الّا انّهم بحكمه والامر اليه وهو ملّكهم البلاد فاتّفق موته والحال هكذا من مقاتلة العدوّ، وكان من جملة الامرآء بمصر امير يقال له عماد الدين احمد بن علىّ ويُعرف بابن المشطوب وهو من الاكراد الهكّاريّة وهو اكبر امير بمصر وله لفيف كثير وجميع الامرآء ينقادون اليه ويطيعونه

لا سيّما الاكراد فاتّفق هذا الامير مع غيره من الامرآء وارادوا ان يخلعوا الملك الكامل من الملك ويملّكوا اخاه الملك الفايز بن العادل ليصير الحكم اليهم عليه وعلى البلاد ، فبلغ الخبر الى الكامل ففارق المنزلة ليلًا جريدة وسار الى قرية يقال لها اشمون طناح فنزل عندها واصبح العسكر وقد فقدوا سلطانهم فركب كلّ انسان منهم هواه ولم يقف الاخ على اخيه ولم يقدروا على اخذ شئ من خيامهم وذخايرهم واموالهم واسلحتهم الّا اليسير الذى يخفّ حمله وتركوا الباقى بحاله من ميرة وسلاح ودوابّ وخيام وغير ذلك ولحقوا بالكامل ، وامّا الفرنج فانّهم اصبحوا من الغد فلم يروا من المسلمين احدًا على شاطئ النيل كجارى عادتهم فبقوا لا يدرون ما الخبر واذا قد اتاهم مَن اخبرهم الخبر على حقيقته فعبروا حينئذ النيل الى برّ دمياط امنين بغير منازع ولا ممانع وكان عبورهم فى العشرين من ذى القعدة سنة خمس عشرة وستّمائة فغنموا ما فى معسكر المسلمين فكان عظيمًا يُعجز العادّين ، وكان الملك الكامل يفارق الديار المصريّة لانّه لم يثق باحد من عسكره وكانوا الفرنج ملكوا الجميع بغير تعب ولا مشقّة فاتّفق من لطف الله تعالى بالمسلمين انّ الملك المعظّم عيسى ابن الملك العادل وصل الى اخيه الكامل بعد هذه الحركة بيومَيْن والناس فى امر مريج فقوى به قلبه واشتدّ ظهره وثبت جنانه واقام بمنزلته واخرجوا ابن المشطوب الى الشام فاتّصل بالملك الاشرف وصار من جُنده ، فلمّا عبر الفرنج الى ارض دمياط اجتمعت العرب على اختلاف قبايلها ونهبوا البلاد المجاورة لدمياط وقطعوا الطريق وافسدوا وبالغوا فى الافساد فكانوا اشدّ على المسلمين من الفرنج وكان اضرّ شئ على اهل دمياط انّها لم يكن بها من العسكر احدٌ لانّ السلطان ومَن معه من العساكر كانوا عندها يمنعون العدوّ عنها فاتتهم هذه الحركة بغتةً فلم يدخلها احدٌ من العسكر وكان ذلك من فعل ابن المشوطب لا جرم لم يمهله الله واخذه اخذة رابية على ما نذكره ان شآء الله ، واحاط الفرنج بدمياط وقاتلوها برًّا وبحرًا وعملوا عليهم خندقًا يمنعهم ممّن يريدهم من المسلمين وهذه كانت عادتهم وادامو القتال واشتدّ الامر على اهلها وتعذّرت عليهم الاقوات وغيرها وسئموا القتال وملازمته لانّ الفرنج كانوا يتناوبون القتال عليهم

لكثرتهم وليس بدمياط من الكثرة ما يجعلون القتال بينهم مناوبة ومع
هذا فصبروا صبرًا لم يُسمع بمثله وكثر القتل فيهم والجراح والموت والامراض
ودام الحصار عليهم الى السابع والعشرين من شعبان سنة ستّ عشرة
وستّماية فعجز مَن بقى من اهلها عن الحفظ لقلّتهم وتعذّر القوت
عندهم فسلّموا البلد الى الفرنج فى هذا التاريخ بالامان فخرج منهم قوم
واقام اخرون لعجزهم عن الحركة فتفرّقوا ايدى سبا ❁

ذكر مُلك المسلمين دمياط من الفرنج

لمّا ملك الفرنج دمياط اقامو بها وبثّوا سراياهم فى كلّ ما جاورهم من
البلاد ينهبون ويقتلون فجلا اهلها عنها وشرعوا فى عمارتها وتحصينها
وبالغوا فى ذلك حتّى انّها بقيت لا ترام ، وامّا الملك الكامل فانّه اقام
بالقرب منهم فى اطراف بلاده يحميها ولمّا سمع الفرنج فى بلادهم بفتح دمياط
على اصحابهم اقبلوا يهرعون من كلّ فجّ عميق واصبحت دار هجرتهم وعاد
الملك المعظّم صاحب دمشق الى الشام فخرّب البيت المقدّس فى ذى
القعدة من السنة وانّما فعل ذلك لانّ الناس كافّة خافوا الفرنج واشرف
الاسلام وكافّة اهله وبلاده على خطّة خسف فى شرق الارض وغربها اقبل
التتر من المشرق حتّى وصلوا الى نواحى العراق واذربيجان واران وغيرها
على ما نذكره ان شآء الله تعالى واقبل الفرنج من المغرب فملكوا مثل
دمياط فى الديار المصريّة مع عدم الحصون المانعة بها من الاعدآء واشرف
ساير البلاد بمصر والشام على ان تملك وخافهم الناس كافّةً وصاروا يتوقّعون
البلآء صباحًا ومسآء واراد اهل مصر الجلآء عن بلادهم خوفًا من العدوّ
وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ[1] والعدوّ قد احاط بهم من كلّ جانب ولو مكّنهم
الكامل من ذلك لتركوا البلاد خاوية على عروشها وانّما مُنعوا منه فثبتوا ،
وتابع الملك الكامل كتبه الى اخويه المعظّم صاحب دمشق والملك الاشرف
موسى ابن العادل صاحب ديار الجزيرة وارمنيّة وغيرها يستنجدهما ويحثّهما
على الحضور بانفسهما فان لم يمكن فيرسلان العساكر اليه فسار صاحب
دمشق الى الاشرف بنفسه فرءاه مشغولاً عن انجاده بما دهمه من اختلاف

---

[1]) Cor. 38, 2.

الكلمة عليه وزوال الطاعة عن كثير ممّن كان يطيعه ونحن نذكر ذلك
سنة خمس عشرة وستّماية ان شآء الله عند وفاة الملك القاهر صاحب
الموصل فليطلب من هناك فعذره وعاد عنه وبقى الامر كذلك مع الفرنج ،
فامّا الملك الاشرف فزال الخلف من بلاده ورجع الملوك الخارجون عن طاعته
اليه واستقامت له الامور الى سنة ثمان عشرة وستّمايةٔ والملك الكامل مقابل
الفرنج ، فلمّا دخلت سنة ثمان عشرة وستّماية علم بزوال المانع للاشرف
عن انجاده فارسل يستنجده واخاه صاحب دمشق فسار صاحب دمشق
بجثّه على المسير ففعل وسار الى دمشق فيمَن معه من العساكر وامر
الباقين باللحاق به الى دمشق واقام بها ينتظرهم فاشار عليه بعض امرآيه
وخواصّه بانفاذ العساكر والعود الى بلاده خوفًا من اختلاف يحدث فلم
يقبل قولهم وقال قد خرجتُ للجهاد ولا بدّ من اتمام ذلك العزم فسار
الى مصر وكان الفرنج قد ساروا عن دمياط الفارس والراجل وقصدوا
الملك الكامل ونزلوا مقابله بينهما خليج من النيل يسمّى بحر اشمون
وهم يرمون بالمنجنيق والجرخ الى عسكر المسلمين وقد تيقّنوا هم وكلّ الناس
انّهم يملكون الديار المصريّة ، وامّا الاشرف فانّه سار حتّى وصل مصر فلمّا
سمع اخوه الكامل بقربه منهم توجّه اليه فلقيه واستبشر هو وكافّة المسلمين
باجتماعهما لعلّ الله يحدث بذلك نصرًا وظفرًا ، وامّا الملك المعظّم صاحب
دمشق فانّه سار ايضًا الى ديار مصر وقصد دمياط ظنًّا منه انّ اخوَيْه
وعسكرَيْهما قد نازلوها وقيل بل أُخبر فى الطريق انّ الفرنج قد توجّهوا
الى دمياط فسابقهم اليها ليلقاهم من بين ايديهم واخواه من خلفهم والله
اعلم ولمّا اجتمع الاشرف بالكامل استقرّ الامر بينهما على التقدّم الى
خليج من النيل يعرف ببحر المحلّة فتقدّموا اليه فقاتلوا الفرنج وازدادوا
قربًا وتقدّمت شوانى المسلمين من النيل وقاتلوا شوانى الفرنج فاخذوا منها
ثلاث قطع بمن فيها من الرجال وما فيها من الاموال والسلاح ففرح
المسلمون بذلك واستبشروا وتفاءلوا وقويت نفوسهم واستطالوا على عدوّهم
هذا يجرى والرسل متردّدة بينهم فى تقرير قاعدة الصلح وبذل المسلمون
لهم تسليم البيت المقدّس وعسقلان وطبريّة وصيدا وجبلة واللاذقيّة
وجميع ما فتحه صلاح الدين ما عدا الكرك ليُسلّموا دمياط فلم يرضوا

وطلبوا ثلاثمائة الف دينار عوضًا عن تخريب القدس ليعمروه بها فلم يتمّ بينهم امر وقالوا لا بدّ من الكرك فبينما الامر فى هذا وهم يمتنعون فاضطرّ المسلمون الى قتالهم وكان الفرنج لاقتدارهم فى نفوسهم لم يستصحبوا معهم ما يقوتهم عدّة ايام ظنًّا منهم انّ العساكر الاسلاميّة لا تقوم لهم وانّ القرى والسواد جميعه يبقى بايديهم ياخذون منه ما ارادوا من الميرة لامر يريده الله تعالى بهم فعبر طايفة من المسلمين الى الارض التى عليها الفرنج ففجروا النيل فركب المآء اكثر تلك الارض ولم يبق للفرنج جهة يسلكوا منها غير جهة واحدة فيها ضيق فنصب الكامل حينئذ الجسور على النيل عند اشمون وعبرت العساكر عليها فملك الطريق الذى يسلكه الفرنج ان ارادوا العود الى دمياط فلم يبق لهم خلاص واتّفق فى تلك الحال انّه وصل اليهم مركب كبير للفرنج من اعظم المراكب يسمى مرمّة وحوله عدّة حرّاقات تحميه والجميع مملوٌ من الميرة والسلاح وما يحتاجون اليه فوقع عليها شوانى المسلمين وقاتلوهم فظفروا بالمرمّة وبما معها من الحرّاقات واخذوها فلمّا راى الفرنج ذلك سقط فى ايديهم وراوا انّهم قد ضلّوا الصواب بمفارقة دمياط فى ارض يجهلونها هذا وعساكر المسلمين محيطة بهم يرمونهم بالنشاب ويحملون على اطرافهم فلمّا اشتدّ الامر على الفرنج احرقوا خيامهم ومجانيقهم واثقالهم وارادوا الزحف الى المسلمين ومقاتلتهم لعلّهم يقدرون على العود الى دمياط فراوا ما امّلوه بعيدًا وحيل بينهم وبين ما يشتهون لكثرة الوحل والمياه حولهم والوجه الذى يقدرون على سلوكه قد ملكه المسلمون فلمّا تيقّنوا انّهم قد احيط بهم من ساير جهاتهم وانّ ميرتهم قد تعذّر عليهم وصولها وانّ المنايا قد كشرت لهم عن انيابها ذلّت نفوسهم وتنكسرت صلبانهم وضلّ عنهم شيطانهم فراسلوا الملك الكامل والاشرف يطلبون الامان ليسلّموا دمياط بغير عوض فبينما المراسلات متردّدة اذ اقبل كبير لهم رهج شديد وجلبة عظيمة من جهة دمياط فظنّه المسلمون نجدة اتت للفرنج فاستشعروا واذ هو الملك المعظّم صاحب دمشق قد وصل اليهم وكان قد جعل طريقه على دمياط لما ذكرناه فاشتدّت ظهور المسلمين وازداد الفرنج خذلانًا ووهنًا وتمّموا الصلح على تسليم دمياط واستقرّت

القاعدة والايمان سابع رجب من سنة ثمان عشرة وستمائة وانتقل ملوك الفرنج وكنودهم وقامصتهم الى الملك الكامل والاشرف رهاين على تسليم دمياط ملك عكا ونايب بابا صاحب رومية وكند ريش وغيرهم وعدتهم عشرون ملكا وراسلوا قسوسهم ورهبانهم الى دمياط فى تسليمها فلم يمتنع من بها وسلموها الى المسلمين تاسع رجب المذكور وكان يوما مشهودا ء ومن العجب ان المسلمين لما تسلموها وصلت للفرنج نجدة فى البحر فلو سبقوا المسلمين اليها لامتنعوا من تسليمها ولكن سبقهم المسلمون ليقضى الله امرا كان مفعولا ولم يبق بها من اهلها الا احاد وتفرقوا ايدى سبا بعضهم سار عنها باختياره وبعضهم مات وبعضهم اخذه الفرنج ء ولما دخلها المسلمون راوها حصينة قد حصنها الفرنج تحصينا عظيما بحيث بقيت لا ترام ولا يوصل اليها واعاد الله سبحانه وتعالى الحق الى نصابه ورده الى اربابه واعطى المسلمين ظفرا لم يكن فى حسابهم فانهم كانت غاية امانيهم ان يسلموا البلاد التى اخذت منهم بالشام ليعيدوا دمياط فرزقهم الله اعادة دمياط وبقيت البلاد بايديهم على حالها فالله المحمود المشكور على ما انعم به على الاسلام والمسلمين من كف عادية هذا العدو وكفاهم شر التتر على ما نذكره ان شاء الله تعالى ❀

ذكر عدة حوادث

فى هذه السنة فى المحرم كانت ببغداد فتنة بين اهل المامونية وبين اهل باب الازج بسبب قتل سبع وزاد الشر بينهم واقتتلوا فجرح بينهم كثير فحضر نايب الباب وكفهم عن ذلك فلم يقبلوا ذلك واسمعوه ما يكره فأرسل من الديوان امير من مماليك الخليفة فرد اهل كل محلة الى محلتهم وسكنت الفتنة ء وفيها كثر الفار ببلدة دجيل من اعمال بغداد فكان الانسان لا يقدر يجلس الا ومعه عصا يرد الفار عنه وكان يرى الكثير منه ظاهرا يتبع بعضه بعضا ء وفيها زادت دجلة زيادة عظيمة لم يشاهد فى قديم الزمان مثلها واشرفت بغداد على الغرق فركب الوزير وكافة الامراء والاعيان وجمعوا الخلق العظيم من العامة وغيرهم لعمل القورج[1]

---

1) العورج

حول البلد وقلق الناس لذلك وانزعجوا وعاينوا الهلاك واعدّوا السفن لينجوا فيها وظهر الخليفة للناس وحثّهم على العمل وكان ممّا قال لهم لو كان يُفدى ما ارى بمال او غيره لفعلتُ ولو دُفع بحرب لفعلتُ ولكنّ امر الله لا يُردّ ونبع المآء من البلاليع والابار من الجانب الشرقىّ وغرق كثير منه وغرق مشهد ابى حنيفة وبعض الرصافة وجامع المهدى وقرية الملكيّة والكشك وانقطعت الصلاة بجامع السلطان واما جانب الغربىّ فتهدّم اكثر القريّة ونهر عيسى والشطيات وخربت البساتين ومشهد باب التبن ومقبرة احمد بن حنبل والحريم الطاهرىّ وبعض باب البصرة والدور التى على نهر عيسى واكثر محلّة قطفتا ، وفيها توفّى احمد بن ابى الفضايل عبد المنعم بن ابى البركات محمّد بن طاهر بن سعيد بن فضل الله بن سعيد بن ابى الخير[1] الميهنىّ[2] الصوفىّ ابو الفضل شيخ رباط الخليفة ببغداد وكان صالحًا من بيت التصوّف والصلاح ❁

ثم دخلت سنة خمس عشرة وستّمائة

سنة ٦١٥

نكر وفاة الملك القاهر وولاية ابنه نور الدين وما كان من الفتن بسبب موته الى ان استقرّت الامور

فى هذه السنة توفّى الملك القاهر عزّ الدين مسعود بن ارسلان شاه بن مسعود ابن مودود بن زنكى بن اقسنقر صاحب الموصل ليلة الاثنين لثلاث بقين من شهر ربيع الاوّل وكانت ولايته سبع سنين وتسعة اشهر وكان موته انّه اخذته حمّى ثمّ فارقته الغد وبقى يومين موعوكًا ثمّ عاودته الحمّى مع قىء كثير وكرب شديد وقلق متتابع ثمّ برد بدنه وعرق وبقى كذلك الى وسط الليل ثمّ توفّى وكان كريمًا حليمًا قليل الطمع فى اموال الرعيّة كافًّا عن اذى يوصله اليهم مبقلًا على لذّاته كانّما ينهبها ويبادر بها الموت وكان عنده رقّة شديدة ويكثر ذكر الموت حكى لى بعض من كان يلازمه قال كنّا ليلة قبل وفاته بنصف شهر عنده فقال لى قد وجدتُ ضجرًا من القعود فقم بنا نتمشّى الى

---

[1] 740 Ups.: الخير [2] 740: المنهمى Ups.: المهمى

الباب العمادىّ قال فقمنا فخرج من داره نحو الباب العمادىّ فوصل التربة التى عملها لنفسه عند داره فوقف عندها مفكّرًا لا يتكلّم ثمّ قال لى والله ما نحن فى شئ اليس مصيرنا الى هاهنا وندفن تحت الارض واطال الحديث فى هذا ونحوه ثمّ عاد الى الدار فقلتُ له الّا تمشى الى الباب العمادىّ فقال ما بقى عندى نشاط الى هذا ولا الى غيره ودخل داره وتوفّى بعد ايّام واصيب اهل بلاده بموته وعظم عليهم فقده وكان محبوبًا اليهم قريبًا من قلوبهم ففى كلّ دار لاجله رنّة وعويل ، ولمّا حضرته الوفاة اوصى بالمُلك لولده الاكبر نور الدين ارسلان شاه وعمره نحو عشر سنين وجعل الوصىّ عليه والمدبّر لدولته بدر الدين لؤلؤ وهو الذى كان يتولّى دولة القاهر ودولة ابيه نور الدين قبله وقد تقدّم من اخباره ما يُعرف به محلّه وسيرد منها ايضًا ما يزيد الناظر بصيرة فيه فلمّا قضى نحبه قام بدر الدين بامر نور الدين واجلسه فى مملكة ابيه وارسل الى الخليفة يطلب له التقليد والتشريف وارسل الى الملوك واصحاب الاطراف المجاورين لهم يطلب تجديد العهد لنور الدين على القاعدة التى كانت بينهم وبين ابيه فلم يُصْبِح الّا وقد فرغ من كلّ ما يحتاج اليه وجلس للعزآء وحلّف الجند والرعايا وضبط المملكة من التزلزل والتغيّر مع صغر السلطان وكثرة الطامعين فى المُلك فانّه كان معه فى البلد اعمام ابيه وكان عمّه عماد الدين زنكى بن ارسلان شاه بولايته وهى قلعة عقر الحميديّة يحدّث نفسه بالمُلك لا يشكّ فى انّ الملك يصير اليه بعد اخيه فرقع بدر الدين ذلك الخرق ورتق ذلك الفتق وتابع الاحسان والخلع على كافّة الناس وغيّر ثياب الحداد عنهم فلم يخصّ بذلك شريفًا دون مشروف ولا كبيرًا دون صغير واحسن السيرة وجلس لكشف ظلامات الناس وانصاف بعضهم من بعض وبعد ايّام وصل التقليد من الخليفة لنور الدين بالولاية ولبدر الدين بالنظر فى امر دولته والتشريفات لهما ايضًا واتتهم رسل الملوك بالتعزية وبذل ما طُلب منهم من العهود واستقرّت القواعد لهما ۞

ذكر ملك عماد الدين زنكى قلاع الهكّاريّة والزوزان

قد ذكرنا عند وفاة نور الدين سنة سبع وستّمائة انّه اعطى

ولده الاصغر زنكى قلعتىّ العقر وشوش[1] وهما بالقرب من الموصل فكان تارة يكون بالموصل وتارة بولايته متجنّيًا لكثرة تلوّنه وكان بقلعة العماديّة مستحفظ من ممالبك جدّه عزّ الدين مسعود بن مودود قيل انّه جرى له مع زنكى مراسلات فى معنى تسليم العماديّة اليه فنمى الخبر بذلك الى بدر الدين فبادره بالعزل مع امير كبير وجماعة من الجند لم يمكنه الامتناع وسلّم القلعة الى نايب بدر الدين كذلك وجعل بدر الدين فى غير العماديّة من القلاع نوّاباً له وكان نور الدين بن القاهر لا يزال مريضًا من خروج كانت به وغيرها من الامراض وكان يبقى المدّة الطويلة لا يركب ولا يظهر للناس فارسل زنكى الى من بالعماديّة من الجند يقول انّ ابن اخى توفّى ويريد بدر الدين يملك البلاد وانا احقّ بملك اباى واجدادى فلم يزل حتّى يستدعاه الجند منها وسلّموا اليه ثامن عشر رمضان سنة خمس عشرة وستّمائة وقبضوا على النايب البدرىّ وعلى مَن معه ، فوصل الخبر الى بدر الدين ليلًا فجدّوا فى الامر ونادى فى العسكر لوقته بالرحيل فساروا مجدّين الى العماديّة وبها زنكى ليحصروه فيها فلم يطلع الصبح الّا وقد فرغ من تسيير العساكر فساروا الى العماديّة وحصروها وكان الزمان شتاء والبرد شديدٌ والثلج هناك كثير فلم يتمكّنوا من قتال من بها لكنّهم اقاموا يحصرونها وقام مظفّر الدين كوكبرى بن زين الدين صاحب اربل فى نصر عماد الدين وتجرّد لمساعدته فراسله بدر الدين يذكّره الايمان والعهود التى من جملتها إنّه لا يتعرّض الى شىٔ من اعمال الموصل ومنها قلاع الهكّاريّة والزوزان باسمآيها ومتى تعرّض اليها احد من الناس مَن كان منعه بنفسه وعساكره واعان نور الدين وبدر الدين على منعه ويطالبه بالوفآء بها ثمّ نزل عن هذا ورضى منه بالسكوت لا لهم ولا عليهم فلم يفعل واظهر معاضدة عماد الدين زنكى فحينئذ لم تكن مكاثرة زنكى بالرجال والعساكر لقرب هذا الخصم من الموصل واعمالها الّا انّ العسكر البدرىّ محاصرٌ للعماديّة وبها زنكى ، ثمّ انّ بعض الامرآء من عسكر الموصل ممّن لا علم له بالحرب وكان شجاعًا وهو جديد الامارة

---

[1] سوس (

اراد ان يُظهر شجاعته ليزداد بها تقدُّمًا اشار على مَن هناك من العسكر بالتقدّم الى العمادية ومباشرتها بالقتال وكانوا قد تاخّروا عنها شيًا يسيرًا لشدّة البرد والثلج فلم يوافقوه وقبّحوه رايه فتركهم ورحل متقدّمًا اليهم ليلاً فاضطرّوا الى اتباعه خوفًا عليه من انى يُصيبه ومَن معه فساروا اليه على غير تعبية لضيق المسلك ولانّه اعجلهم عن ذلك وحكم الثلج عليهم ايضًا فسمع زنكى ومن معه فنزلوا ولقوا اوايل الناس واهل مكة اخبر بشعابها فلم يثبتوا لهم وانهزموا وعادوا الى منزلتهم ولم يقف العسكر عليهم فاضطرّوا الى العود فلمّا عادوا راسل زنكى باقى قلاع الهكّارية والزوزان واستدعاهم الى طاعته فاجابوه وسلّموا اليه فجعل الولاة وتسلّمها وحكم فيها ❊

ذكر اتّفاق بدر الدين مع الملك الاشرف

لمّا راى بدر الدين خروج القلاع عن يده واتّفاق مظفّر الدين وعماد الدين عليه ولم ينفع معهم اللين ولا الشدّة وانّهما لا يزالان يسعيان فى اخذ بلاده ويتعرّضان الى اطرافها بالنهب والاذى ارسل الى الملك الاشرف موسى بن الملك العادل وهو صاحب ديار الجزيرة كلّها الّا القليل وصاحب خلاط وبلادها يطلب منه الموافقة والمعاضدة وانتمى اليه وصار فى طاعته منخرطًا فى سلك موافقته فاجابه الاشرف بالقبول والفرح به والاستبشار وبذل له المساعدة والمعاضدة والمحاربة دونه واستعادة ما اخذ من القلاع التى كانت له وكان الملك الاشرف حينيًذ بحلب نازلًا بظاهرها لما ذكرناه من تعرّض كيكاوس ملك بلاد الروم التى بيد المسلمين قونيّة وغيرها الى اعمالها وملكوا بعض قلاعها فارسل الى مظفّر الدين يقبّح هذه الحالة ويقول له انّ هذه القاعدة تقرّرت بين جميعنا بحضور رسلك وانّنا نكون على الناكث الى ان يرجع للحقّ ولا بدّ من اعادة ما اخذ من بلد الموصل لندوم على اليمين التى استقرّت بيننا فان امتنعتَ واصررتَ على معاضدة زنكى ونصرته فانا اجئً بنفسى وعساكرى واقصد بلادك وغيرها واستردّ ما اخذتموه واعيده الى اصحابه والمصلحة انّك توافق وتعود الى الحقّ لنجعل شغلنا جمع العساكر وقصد الديار المصريّة واجلاء الفرنج عنها قبل ان يعظم خطبهم ويستطير شرّهم ❊ فلم تحصل الاجابة منه الى شئً من ذلك وكان ناصر الدين محمود صاحب الحصن وآمد قد

امتنع عن موافقة الاشرف وقصد بعض بلاده ونهبها وكذلك صاحب ماردين واتّفقا مع مظفّر الدين فلمّا راى الاشرف ذلك جهّز عسكرًا وسيّره الى نصيبين نجدة لبدر الدين ان احتاج اليهم ۞

ذكر انهزام عماد الدين زنكى من العسكر البدرىّ

لمّا عاد العسكر البدرىّ من حصار العماديّة وبها زنكى كما ذكرناه قويت نفسه وفارقها وعاد الى قلعة العقر التى له ليتسلّط على اعمال الموصل بالصحرآء فانّ بلد الجبل كان قد فرغ منه وامدّه مظفّر الدين بطايفة كثيرة من العسكر فلمّا اتّصل الخبر ببدر الدين سيّر طايفة من عسكره الى اطراف بلد الموصل يحمونها فاقاموا على اربعة فراسخ من الموصل ثمّ انّهم اتّفقوا بينهم على المسير الى زنكى وهو عند العقر فى عسكره ومحاربته ففعلوا ذلك ولم ياخذوا امر بدر الدين بل اعلموه بمسيرهم جريدة ليس معهم الّا سلاحهم ودوابّ يقاتلون عليها فساروا ليلتهم وصبّحوا زنكى بكرة الاحد لاربع بقين من المحرّم من سنة ستّ عشرة وستّمائة فالتقوا واقتتلوا تحت العقر وعظم الخطب فانزل الله نصره على العسكر البدرىّ فانهزم عماد الدين وعسكره وسار الى اربل منهزمًا وعاد العسكر البدرىّ الى منزلته التى كان بها وحضرت الرسل من الخليفة الناصر لدين الله ومن الملك الاشرف فى تجديد الصلح فاصطلحوا وتحالفوا بحضرة الرسل ۞

ذكر وفاة نور الدين صاحب الموصل ومُلك اخيه

ولمّا تقرّر الصلح توفّى نور الدين ارسلان شاه بن الملك القاهر صاحب الموصل وكان لا يزال مريضًا بعدّة امراض فرتّب بدر الدين فى الملك بعده اخاه ناصر الدين وله من العمر نحو ثلاث سنين ولم يكن للقاهر ولدٌ غيره وحلف له الجند وركّبه فطابت نفوس الناس لانّ نور الدين كان لا يقدر على الركوب لمرضه فلمّا ركّبوا هذا علموا انّ لهم سلطانًا من البيت الاتابكىّ فاستقرّوا واطمانّوا وسكن كثير من الشغب بسببه ۞

ذكر انهزام بدر الدين من مظفّر الدين

لمّا توفّى نور الدين وملك اخوه ناصر الدين تجدّد لمظفّر الدين ولعماد الدين طمع لصغر سنّ ناصر الدين فجمعا الرجال وتجهّزا للحركة فظهر ذلك وقصد بعض اصحابهم طرف ولاية الموصل بالنهب والفساد وكان

بدر الدين قد سيّر ولده الاكبر فى جمع صالح من العسكر الى الملك الاشرف بحلب نجدةً له بسبب اجتماع الفرنج بمصر وهو يريد ان يدخل بلاد الفرنج التى بساحل الشام ينهبها ويخربها ليعود بعض من بدمياط الى بلادهم فيخفّ الامر على الملك الكامل صاحب مصر، فلمّا راى بدر الدين تحرّك مظفّر الدين وعماد الدين وانّ بعض عسكره بالشام ارسل الى عسكر الملك الاشرف الذى بنصيبين يستدعيهم ليعتضد بهم وكان المقدّم عليهم مملوك الاشرف اسمه ايبك فسار الى الموصل رابع رجب سنة ستّ عشرة فلمّا رءاهم بدر الدين استقلّهم لانّهم كانوا اقلّ من العسكر الذى له بالشام او مثلهم فالحّ ايبك على عبور دجلة وقصد بلاد اربل فمنعه بدر الدين من ذلك وامره بالاستراحة فنزل بظاهر الموصل ايّامًا واصرّ على عبور دجلة فعبرها بدر الدين موافقة له ونزلوا على فرسخين من الموصل شرقىّ دجلة فلمّا سمع مظفّر الدين ذلك جمع عسكره وسار اليهم ومعه زنكى فعبر الزاب وسبق خبره فسمع به بدر الدين فعبّى اصحابه وجعل ايبك فى الجالشية ومعه شجعان اصحابه واكثر معه منهم بحيث انّه لم يبق معه الّا اليسير وجعل فى ميسرته اميرًا كبيرًا وطلب الانتقال عنها الى الميمنة فنقله فلمّا كان وقت العشآء الاخرة اعاد ذلك الامير الطلب بالانتقال من الميمنة الى الميسرة والخصم بالقرب منهم فمنعه بدر الدين وقال متى انتقلتَ انت ومَن معك فى هذا الليل ربّما ظنّه الناس هزيمة فلا يقف احد فاقام بمكانه وهو فى جمع كبير من العسكر فلمّا انتصف الليل سار ايبك فامره بدر الدين بالمقام الى الصبح لقرب العدوّ منهم فلم يقبل لجهله بالحرب فاضطرّ الناس لاتباعه فتقطّعوا فى الليل والظلمة والتقوا هم والخصم فى العشرين من رجب على ثلاثة فراسخ من الموصل فامّا عزّ الدين فانّه تيامن والتحق بالميمنة وحمل فى اطلابه هو والميمنة على ميسرة مظفّر الدين فهزمها وبها زنكى وكان الامير الذى انتقل الى الميمنة قد ابعد عنها فلم يقاتل فلمّا راى ايبك قد هزم الميسرة تبعه وتقدّم اليه مظفّر الدين فيمن معه فى القلب لم يتفرّقوا فلم يمكنه الوقوف فعاد الى الموصل وعبر دجلة الى القلعة ونزل منها الى البلد فلمّا رءاه الناس فرحوا به وساروا معه وقصد باب الجسر والعدوّ بازآيه بينهما

دجلة فنزل مظفّر الدين فيمن سلم معه من عسكره وزايين[1] حصن نينوى فاقام ثلاثة ايام فلمّا راى اجتماع العسكر البدريّ بالموصل وانّهم لم يُفقد منهم الّا اليسير وبلغه الخبر انّ بدر الدين يريد العبور اليه ليلًا بالفارس والراجل على الجسور وفى السفن ويكبسه فرحل ليلًا من غير ان يضرب كوسًا او بوقًا وعادوا نحو اربل فلمّا عبروا الزاب نزلوا ثمّ جآت الرسل وسعوا فى الصلح فاصطلحوا على انّ كلّ من بيده شئ هو له وتقرّرت العهود والايمان على ذلك ❁

ذكر مُلك عماد الدين قلعة كواشى ومُلك بدر الدين تلّ يعفر ومُلك الملك الاشرف سنجار

هذه كواشى من احصن قلاع الموصل واعلاها وامنعها وكان الجند الذين بها لمّا راوا ما فعل اهل العماديّة وغيرها من التسليم الى زنكى وانّهم قد تحكّموا فى القلاع لا يقدر احد على الحكم عليهم احبّوا ان يكونوا كذلك فاخرجوا نوّاب بدر الدين عنهم وامتنعوا بها وكانت رهاينهم بالموصل وهم يظهرون طاعة بدر الدين ويبطنون المخالفة فتردّدت الرسل فى عودهم الى الطاعة فلم يفعلوا وراسلوا زنكى فى المجئ اليهم وتسلّم القلعة واقام عندهم فروسل مظفّر الدين يذكّر بالايمان القريبة العهد ويطلب منه اعادة كواشى فلم تقع الاجابة الى ذلك فارسل حينئذ بدر الدين الى الملك الاشرف وهو بحلب يستنجده فسار وعبر الفراة الى حرّان واختلفت عليه الامور من عدّة جهات منعته من سرعة السير وسبب هذا الاختلاف انّ مظفّر الدين كان يراسل الملوك اصحاب الاطراف ليستميلهم ويحسّن لهم الخروج على الاشرف ويخوّفهم منه اذا خلى وجهه فاجابه الى ذلك عزّ الدين كيكاوس بن كيخسرو ابن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم [وصاحب آمد] وحصن كيفا وصاحب ماردين واتّفقوا كلّهم على طاعة كيكاوس وخطبوا له فى بلادهم ونحن نذكر ما كان بينه وبين الاشرف عند منبج لمّا قصد بلاد حلب فهو موغر الصدر عليه فاتّفق انّ كيكاوس مات فى ذلك الوقت وكُفى الاشرف وبدر الدين شرّه ولا جدّ

1) وزايل

الّا ما اقعص عنك الرجال وكان مظفّر الدين قد راسل جماعة من الامرآء الذين مع الاشرف واستمالهم فاجابوه منهم احمد ابن علىّ بن المشطوب الذى ذكرنا انّه فعل على دمياط ما فعل وهو اكبر امير معه ووافقه غيره منهم عزّ الدين محمّد بن بدر الحميدىّ وغيرهما وفارقوا الاشرف ونزلوا بدنيسر تحت ماردين ليجتمعوا مع صاحب آمد ويمنعوا الاشرف من العبور الى الموصل لمساعدة بدر الدين فلمّا اجتمعوا هناك عاد صاحب آمد الى موافقة الاشرف وفارقهم واستقرّ الصلح بينهما وسلّم اليه الاشرف مدينة حانى وجبل جور وضمن له أَخْذ دارا وتسليمها اليه فلمّا فارقهم صاحب آمد انحلّ امرهم فاضطرّ بعض اوليك الامرآء الى العود الى طاعة الاشرف وبقى ابن المشطوب وحده فسار الى نصيبين ليسير الى اربل فخرج اليه شحنة نصيبين فيمن عنده من الجند فاقتتلوا فانهزم ابن المشطوب وتفرّق مَن معه من الجمع ومضى منهزمًا فاجتاز بطرف بلد سنجار فسيّر اليه صاحبها فروخ شاه بن زنكى بن مودود بن زنكى عسكرًا فهزموه واخذوه اسيرًا وحملوه الى سنجار وكان صاحبها موافقًا للاشرف وبدر الدين فلمّا صار عنده ابن المشطوب حسّن له مخالفة الاشرف فاجابه الى ذلك واطلقه فاجتمع معه مَن يريد الفساد فقصدوا البقعا من اعمال الموصل ونهبوا فيها عدّة قرى وعادوا الى سنجار ثمّ ساروا وهو معهم الى تلّ يعفر وهى لصاحب سنجار ليقصدوا بلد الموصل وينهبوا فى تلك الناحية فلمّا سمع بدر الدين بذلك سيّر اليه عسكرًا فقاتلوهم فمضى منهزمًا وصعد الى تلّ يعفر واحتمى بها منهم ونازلوه وحصروه فيها فسار بدر الدين من الموصل اليه يوم الثلاثآء لتسع بقين من ربيع الاوّل سنة سبع عشرة وستّماية وجدّ فى حصره وزحف اليها مرّة بعد اخرى فملكها سابع عشر ربيع الاخر من هذه السنة واخذ ابن المشطوب معه الى الموصل فسجنه بها ثمّ اخذه منه الاشرف فسجن بحرّان الى ان توفّى فى ربيع الاخر سنة تسع عشرة وستّماية ولقاه الله عقوبة ما صنع بالمسلمين بدمياط ؞

وامّا الملك الاشرف فانّه لمّا اطاعه صاحب الحصن وآمد تفرّق الامرآء كما ذكرناه رحل من حرّان الى دنيسر فنزل عليها واستولى على بلد ماردين وشحن عليه واقطعه ومنع الميرة عن ماردين وحضر معه صاحب

آمد وترددت الرسل بينه وبين صاحب ماردين فى الصلح فاصطلحوا على ان ياخذ الاشرف راس العين وكان هو قد اقطعها لصاحب ماردين وياخذ منه ايضًا ثلاثين الف دينار وياخذ منه صاحب آمد الموزر من بلد [شبختان][1] فلمّا تمّ الصلح سار الاشرف من دنيسر الى نصيبين يريد الموصل فبينما هو فى الطريق لقيه رسل صاحب سنجار يبذل تسليمها اليه ويطلب العوض عنها مدينة الرقّة وكان السبب فى ذلك اخذ تلّ يعفر منه فانخلع قلبه وانضاف الى ذلك انّ ثقاته ونصحآءه خانوه وزادوه رُعْبًا وخوفًا لانّهم تهدّدوه فتغدّوا به قبل ان يتعشّى بهم ولانّه قطع رحمه وقتل اخاه الذى ملك سنجار بعد ابيه قتله كما نذكره ان شآء الله وملكها فلقّاه الله سوء فعله ولم يمتعه بها فلمّا تيقّن رحيل الاشرف تحيّر فى امره فارسل فى التسليم اليه فاجابه الاشرف الى العوض وسلّم اليه الرقّة وتسلّم سنجار مستهلّ جمادى الاولى سنة سبع عشرة وستّمايَة وفارقها صاحبها واخوته باهليهم واموالهم وكان هذا اخر ملوك البيت الاتابكىّ بسنجار فسبحان الحىّ الدايم الذى ليس لملكه اخر وكان مدّة مُلكهم لها اربعا وتسعين سنة وهذا دأب الدنيا بابنايها فتبعًا لها من دار ما اغدرها باهلها ٭

ذكر وصول الاشرف الى الموصل والصلح مع مظفر الدين

لمّا ملك الملك الاشرف سنجار سار يريد الموصل ليجتاز منها فقدّم بين يديه عساكره فكان يصل كلّ يوم منهم جمع كثير ثمّ وصل هو فى اخرهم يوم الثلاثآء تاسع عشر جمادى الاولى من السنة المذكورة وكان يوم وصوله مشهودًا واتاه رسل الخليفة ومظفّر الدين فى الصلح وبذل تسليم القلاع الماخوذة جميعها الى بدر الدين ما عدا قلعة العماديّة فانّها تبقى بيد زنكى وانّ المصلحة قبول هذا لتزول الفتن ويقع الاشتغال بجهاد الفرنج وطال الحديث فى ذلك نحو شهرَيْن ثمّ رحل الاشرف يريد مظفّر الدين صاحب اربل فوصل الى قرية السلاميّة بالقرب من نهر الزاب وكان مظفّر الدين نازلاً عليه من جانب اربل فاعاد الرسل وكان العسكر قد طال بيكاره والناس قد ضجروا وناصر الدين صاحب آمد يميل بهواه

[1]) C. P. 740: سبختان

الى مظفّر الدين فاشار بالاجابة الى ما بذل واعانه عليه غيره فوقعت الاجابة اليه واصطلحوا على ذلك وجُعل لتسليمها اجلٌ وحُمل زنكى الى الملك الاشرف يكون عنده رهينة الى حين تسليم القلاع وسلّمت قلعة العقر وقلعة شوش ايضًا وهما لزنكى الى نُوّاب الاشرف رهنًا على تسليم ما استقرّ من القلاع فاذا سُلّمت اطلق زنكى واعيد عليه قلعة العقر وقلعة شوش وحلفوا على هذا وسلّم الاشرف الى زنكى القلعتَيْن وعد الى سنجار وكان رحيله عن الموصل ثانى شهر رمضان من سنة سبع عشرة وستّمايةُ فارسلوا الى القلاع لتسلّم الى نُوّاب بدر الدين فلم يسلّم اليه غير قلعة جلّ صورا من اعمال الهكّاريّة وامّا باقى القلاع فانّ جندها اظهروا الامتناع من ذلك ومضى الاجل ولم يسلّم [الّا] جلّ صورا ، ولزم عماد الدين زنكى لشهاب الدين غازى بن الملك العادل وخدمه وتقرّب اليه فاستعطف الله اخاه الملك الاشرف فمال اليه واطلقه وازال نُوّابه من قلعة العقر وشوش وسلّمهما اليه وبلغ بدر الدين عن الملك الاشرف ميل الى قلعة تلّ يعفر وانّها كانت لسنجار من قديم الزمان وحديثه وطال الحديث فى ذلك فسلّمها اليه بدر الدين ۞

ذكر عود قلاع الهكّاريّة والزوزان الى بدر الدين

لمّا ملك زنكى قلاع الهكّاريّة والزوزان لم يفعل مع اهلها ما ظنّوه من الاحسان والانعام بل فعل ضدّه وضيّق عليهم وكان يبلغهم افعال بدر الدين مع جنده ورعاياه واحسانه اليهم وبذله الاموال لهم وكانوا يريدون العود اليه ويمنعهم الخوف منه لما اسلفوه من ذلك فلمّا كان الأن علبوا بما فعل معهم فارسلوا الى بدر الدين فى المحرّم سنة ثمان عشرة وستّمايةً فى التسليم اليه وطلبوا منه اليمين والعفو عنهم وذكروا شيأً من اقطاع يكون لهم فاجابهم الى ذلك وارسل الى الملك الاشرف يستاذنه فى ذلك فلم ياذن له وعاد زنكى من عند الاشرف فجمع جموعًا وحصر قلعة العماديّة فلم يبلغ منهم غرضًا واعادوا مراسلة بدر الدين فى التسليم اليه فكتب الى الملك الاشرف فى المعنى وبذل له قلعة جديدة ونصيبين وولاية بين النهرَيْن لياذن له فى اخذها فاذن له فارسل اليها كلّها النوّاب وتسلّموها واحسن الى اهلها ورحل زنكى عنها ووفى له بدر الدين بما بذله له فلمّا سمع جند باقى القلاع بما فعلوا وما وصلهم من

الاحسان والزيادة رغبوا كلّهم فى التسليم فسيّر اليهم النّواب واتّفقت كلمة اهلها على طاعته والانقياد اليه والعجب انّ العساكر اجتمعت من الشام والجزيرة وديار بكر وخلاط وغيرها فى استعادة هذه القلاع فلم يقدروا على ذلك فلمّا تفرّقوا حصر اهلها وسالوا ان تؤخذ منهم فعادت صفوًا عفوًا بغير منّة ولقد احسن من قال

لا سهل الّا ما جعلت سهلاً　　وان تشآء تجعل الحَزْنَ وَحْلَا

فتبارك الله الفعال لما يريد لا مانع لما اعطى ولا مُعطى لما منع وهو على كلّ شئ قديرٌ

ذكر قصد كيكاوس ولاية حلب وطاعة صاحبها للاشرف وانهزام كيكاوس

فى هذه السنة سار عزّ الدين كيكاوس بن كيخسرو ملك الروم الى ولاية حلب قصدًا للتغلّب عليها ومعه الافضل بن صلاح الدين يوسف وسبب ذلك انّه كان بحلب رجلان فيهما شرّ كثير وسعاية بالناس فكانا ينقلان الى صاحبها الملك الظاهر ابن صلاح الدين عن رعيّته فاوغروا صدره فلقى الناس منهما شدّة فلمّا توفّى الظاهر وولى الامر شهاب الدين طغرل ابعدهما وغيرهما ممّن يفعل فعلهما وسدّ هذا الباب على فاعله ولم يطرّق اليه احدًا من اهله فلمّا راى الرجلان كساد سوقهما لزما بيوتهما وثار بهما الناس واذوهما وتهدّدوهما لما كانا اسلفاه من الشرّ فخافا ففارقا حلب وقصدا كيكاوس فاطعماه فيها وقرّرا فى نفسه انّه متى قصدها لا يثبت بين يديه وانّه يملكها ويهون عليه مُلك ما بعدها فلمّا عزم على ذلك اشار عليه ذوو الراى من اصحابه وقالوا له لا يتمّ لك هذا الّا بان يكون معك احدٌ من بيت ايّوب ليسهل على اهل البلاد وجندها الانقياد اليه وهذا الافضل ابن صلاح الدين هو فى طاعتك والمصلحة انّك تستصحبه معك وتقرّر بينكما قاعدة فيما تفتحانه من البلاد فمتى كان معك اطاعك الناس وسهل عليك ما تريد　فاحضر الافضل من سميساط اليه واكرمه وحمل اليه شيئًا كثيرًا من الخيل والخيام والسلاح وغير ذلك واستقرّت القواعد بينهما ان يكون ما يفتحه من حلب واعمالها للافضل وهو فى طاعة كيكاوس والخطبة له فى ذلك اجمع ثمّ يقصدون ديار الجزيرة فما يفتحونه ممّا بيد الملك الاشرف مثل حرّان والرّها من البلاد الجزريّة تكون لكيكاوس

وجرت الايمان على ذلك وجمعوا العساكر وساروا فلكوا قلعة رعبان [1] فتسلّمها الافضل فمال الناس حينئذ اليهما ثمّ سارا الى قلعة تلّ باشر وفيها صاحبها ابن بدر الدين [دلدرم] [2] الياروقى فحصروه وضيّقوا عليه وملكوها منه فاخذها كيكاوس لنفسه ولم يسلّمها الى الافضل فاستشعر الافضل من ذلك وقال هذا اوّل الغدر وخاف انّه ان ملك حلب يفعل به هكذا فلا يحصل الّا ان يكون قد قلع بيته لغيره ففترت نيّته واعرض عمّا كان يفعله وكذلك ايضًا اهل البلاد فكانوا يظنّون انّ الافضل يملكها فيسهل عليهم الامر فلمّا راوا ضدّ ذلك وقفوا ، وامّا شهاب الدين اتابك ولد الظاهر صاحب حلب فانّه ملازم قلعة حلب لا ينزل منها ولا يفارقها البتّة وهذه كانت عادته مذ مات الظاهر خوفًا من ثاير يثور به فلمّا حدث هذا الامر خاف ان يحصروه وربّما سلّم اهل البلد والجند المدينة الى الافضل لميلهم اليه فارسل الى الملك الاشرف ابن الملك العادل صاحب الديار الجزريّة وخلاط وغيرها يستدعيه لتكون طاعتهم له ويخطبون له ويجعل السكّة باسمه ويأخذ من اعمال حلب ما اختار ولانّ ولد الظاهر هو ابن اخته فاجاب الى ذلك وسار اليهم فى عساكره التى عنده وارسل الى الباقين يطلبهم اليه وسرّه ذلك للمصلحة العامّة لجميعهم واحضر اليه العرب من طى وغيرهم ونزل بظاهر حلب ولمّا اخذ كيكاوس تلّ باشر كان الافضل يشير بمعاجلة حلب قبل اجتماع العساكر بها وقبل ان يحتاطوا ويتجهّزوا فعاد عن ذلك وصار يقول الراى انّنا نقصد منبج وغيرها ليلّا يبقى لهم وراء ظهورنا شئ قصدًا للتمادى ومرور الزمان فى لا شئ فتوجّهوا من تلّ باشر الى جهة منبج وتقدّم الاشرف نحوهم وسارت العرب فى مقدّمته وكان طايفة من عسكر كيكاوس نحو الف فارس قد سبقت مقدّمته له فالتقوا هم والعرب ومن معهم من العسكر الاشرفى فاقتتلوا فانهزم عسكر كيكاوس وعادوا اليه منهزمين واكثر العرب الاسر منهم والنهب لجودة خيلهم ودبر خيل الروم فلمّا وصل اليه اصحابه منهزمين لم يثبت بل ولّى على اعقابه يطوى المراحل الى بلاده خايفًا يترقّب فلمّا وصل الى

---

[1] رعنان

[2] Ex *Abulfeda* IV, p. 267 addidi.

اطرافها اقام وانّما فعل هذا لانّه صبىّ وغرّ لا معرفة له بالحرب والّا فالعساكر ما برحت تقع مقدّماتها بعضها على بعض فسار حينئذ الاشرف فملك رعبان وحصر تلّ باشر وبها جمع من عسكر كيكاوس فقاتلوه حتّى غُلبوا فأُخذت القلعة منهم واطلقهم الاشرف فلمّا وصلوا الى كيكاوس جعلهم فى دار واحرقها عليهم فهلكوا فعظم ذلك على الناس كافّة واستقبحوه واستضعفوه لا جرم لم يمهله الله تعالى وعجّل عقوبته للوم قدرته وشدّة عقوبته ولعدم الرحمة فى قلبه ومات عقيب هذه الحادثة وسلّم الاشرف تلّ باشر وغيرها من بلد حلب الى شهاب الدين اتابك صاحب حلب وكان عازمًا على اتباع كيكاوس ويدخل بلاده فاتاه الخبر بوفاة ابيه الملك العادل فاقتضت المصلحة العود الى حلب لانّ الفرنج بديار مصر ومثل ذلك السلطان العظيم اذا توفّى ربّما جرى خلل فى البلاد لا تُعرف العاقبة فيه فعاد اليها وكُفى كلّ منهما اذى صاحبه ۞

ذكر وفاة الملك العادل ومُلك اولاده بعده

[1]توفّى الملك العادل ابو بكر بن ايّوب سابع جمادى الاخرة من سنة خمس عشرة وستّمائة وقد ذكرنا ابتداء دولتهم عند مُلك عمّه اسد الدين شيركوه ديار مصر سنة اربع وستّين وخمسمائة ولمّا ملك اخوه صلاح الدين يوسف ابن ايّوب ديار مصر بعد عمّه وسار الى الشام يستخلفه بمصر ثقة به واعتمادًا عليه وعلمًا بما هو عليه من توفّر العقل وحسن السيرة ، فلمّا توفّى اخوه صلاح الدين ملك دمشق كما ذكرناه وبقى مالكًا للبلاد الى الآن فلمّا ظهر الفرنج كما ذكرناه سنة اربع عشرة وستّمائة قصد هو مرج الصفّر فلمّا سار الفرنج الى ديار مصر انتقل هو الى عالقين فاقام به ومرض وتوفّى وحُمل الى دمشق فدُفن بالتربة التى له ، وكان عاقلًا ذا راى سديد ومكر شديد وخديعة صبورًا حليمًا ذا اناة يسمع ما يكره ويغضّ عليه حتّى كانّه لم يسمعه كثير الخرج وقت الحاجة لا يقف فى شىّ واذا لم تكن حاجة فلا ، وكان عمره خمسًا وسبعين سنة وشهورًا لانّ مولده كان فى المحرّم من سنة اربعين وخمسمائة

---

[1]) Ups. add. لما

وملك دمشق فى شعبان سنة اثنتين وتسعين وخمسماية [من الافضل ابن اخيه وملك مصر فى ربيع الاخر من سنة ستّ وتسعين][1] منه ايضًا ومن اعجب ما رايتُ من منافاة الطوالع انّه لم يملك الافضل مملكة قطّ الّا واخذها منه عمّه العادل فاوّل ذلك انّ صلاح الدين اعطى ابنه الافضل حرّان والرُّها وميّافارقين سنة ستّ وثمانين بعد وفاة تقى الدين فسار اليها فلمّا وصل الى حلب ارسل ابوه الملك العادل بعده فردّه من حلب واخذ هذه البلاد منه ثمّ ملك الافضل بعد وفاة ابيه مدينة دمشق فاخذها منه ثمّ ملك مصر بعد وفاة اخيه الملك العزيز فاخذها ايضًا منه ثمّ ملك صرخد فاخذها منه واعجب من هذا انّنى رايتُ بالبيت المقدّس سارية من الرخام مُلقاةً فى بيعة صهيون ليس مثلها فقال القسّ الذى بالبيعة هذه كان قد اخذها الملك الافضل لينقلها الى دمشق ثمّ انّ العادل اخذها بعد ذلك من الافضل طلبها منه فاخذها. وهذا غاية وهو من اعجب ما يُحكى وكان العادل قد قسم البلاد فى حياته بين اولاده فجعل بمصر الملك الكامل محمّدًا وبدمشق والقدس وطبريّة والاردنّ والكرك وغيرها من الحصون المجاورة لها ابنه المعظّم عيسى وجعل بعض ديار الجزيرة وميّافارقين وخلاط واعمالها لابنه الملك الاشرف موسى واعطى الرُّها لولده شهاب الدين غازى واعطى قلعة جعبر لولده الحافظ ارسلان شاه ، فلمّا توفّى ثبت كلّ منهم فى المملكة التى اعطاه ابوه واتّفقوا اتّفاقًا حسنًا لم يجر بينهم من الاختلاف ما جرت العادة ان يجرى بين اولاد الملوك بعد ابآيهم بل كانوا كالنفس الواحدة كلٌّ منهم يثق الى الاخر بحيث يحضر عنده منفردًا من عسكره ولا يخافه فلا جرم زاد مُلكهم وراوا من نفاذ الامر والحكم ما لم يره ابوهم ولعمرى انّهم نعم الملوك فيهم الحلم والجهاد والذبّ عن الاسلام وفى نوبة دمياط كفاية وامّا الملك الاشرف فليس للمال عنده محلّ بل يُمطره مطرًا كثيرًا لعفّة عن اموال الرعيّة دايم الاحسان لا يسمع سعاية ساعٍ ✿

---

[1]) C. P.

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى ذى القعدة رحل الملك الكامل بن العادل عن ارض دمياط لانّه بلغه انّ جماعة من الامرآء قد اجتمعوا على تمليك اخيه الفايز عوضه فخافهم ففارق منزلته فانتقل الفرنج اليها وحصروا حينئذ دمياط برًّا وبحرًا وتمكّنوا من ذلك وقد تقدّم مستقصًى سنة اربع عشرة وستّماية ، وفيها فى المحرّم توفّى شرف الدين محمّد بن علوان بن مهاجر الفقيه الشافعىّ وكان مدرّسًا فى عدّة مدارس بالموصل وكان صالحًا كثير الخير والدين سليم القلب رحمه الله ، وفيها توفّى عزّ الدين نجاح الشرابى خاصّ الخليفة واقرب الناس اليه وكان الحاكم فى دولته كثير العدل والاحسان والمعروف والعصبيّة للناس وامّا عقله وتدبيره فاليه كانت النهاية وبه يُضرب المثل ، وفيها توفّى علىّ بن نصر ابن هرون ابو الحسن الحلّى النحوى الملقب بالحجّة قرأ على ابن الخشاب وغيره ۞

ثم دخلت سنة ستّ عشرة وستّماية ؛

سنة ٦١٦

ذكر وفاة كيكاوس ومُلك كيقباذ اخيه

فى هذه السنة توفّى الملك الغالب عزّ الدين كيكاوس ابن كيخسرو بن قلج ارسلان صاحب قونيّة واقصرا وملطيّة وما بينهما من بلاد الروم وكان قد جمع عساكره وحشد وسار الى ملطيّة على قصد بلاد الملك الاشرف لقاعدة استقرّت بينه وبين ناصر الدين صاحب آمد ومظفّر الدين صاحب اربل وكانوا قد خطبوا له وضربوا اسمه على السكّة فى بلادهم واتّفقوا على الملك الاشرف وبدر الدين بالموصل فسار كيكاوس الى ملطيّة ليمنع الملك الاشرف به عن المسير الى الموصل نجدة لصاحبها بدر الدين لعلّ مظفّر الدين يبلغ من الموصل غرضًا وكان قد علق به السلّ فلمّا اشتدّ مرضه عاد عنها فتوفّى وملك بعده اخوه كيقباذ وكان محبوسًا قد حبسه اخوه كيكاوس لمّا اخذ البلاد واشار عليه بعض اصحابه بقتله فلم يفعل فلمّا توفّى لم يخلّف ولدًا يصلح للملك لصغرهم فاخرج الجند كيقباذ وملّكوه ومن بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ ٱللّٰهُ[1] وقيل بل ارسل كيكاوس لمّا اشتدّ

[1]) Cor. 22, 59.

مرضه فاحضره عنده من السجن ووصى له بالملك وحلّف الناس له، فلمّا ملك خالفه عمّه صاحب ارزن الروم وخاف ايضًا من الروم المجاورين لبلاده فارسل الى الملك الاشرف وصالحه وتعاهدا على المصافاة والتعاضد وتصاهرا وكُفى الاشرف شرّ تلك الجهة وتفرّغ باله لاصلاح ما بين يديه ولقد صدق القايل وجدّك طعان بغير سنان، وهذا ثمرة حسن النيّة فانّه حسن النيّة لرعيّته واصحابه كافّ عن اذى يتطرّق اليهم منه غير قاصد الى البلاد المجاورة لبلاده باذى ومُلك مع ضعف اصحابها وقوّته لاجرم تاتيه البلاد صفوًا عفوًا

ذكر موت صاحب سنجار ومُلك ابنه ثمّ قتل ابنه ومُلك اخيه

وفى هذه السنة ثامن صفر توفّى قطب الدين محمّد بن زنكى بن مودود بن زنكى صاحب سنجار وكان كريمًا حسن السيرة فى رعيّته حسن المعاملة مع التجار كثير الاحسان اليهم وامّا اصحابه فكانوا معه فى ارغد عيش يعمّهم باحسانه ولا يخافون اذاه وكان عاجزًا عن حفظ بلده مسلّمًا الامور الى نوّابه ولمّا توفّى ملك بعده ابنه عماد الدين شاهانشاه وركب الناس معه وبقى مالكًا لسنجار عدّة شهور وسار الى تلّ اعفر وهى له فدخل عليه اخوه عمر بن محمّد بن زنكى ومعه جماعة فقتلوه وملك اخوه عمر بعده فبقى كذلك الى ان سلّم سنجار الى الملك الاشرف على ما نذكره ان شآء الله تعالى ولم يمتع بملكه الذى قطع رحمه واراق الدم الحرام لاجله ولمّا سلّم سنجار اخذ عوضها الرقّة ثمّ أُخذت منه عن قريب وتوفّى بعد اخذها منه بقليل وعدم روحه وشبابه وهذه عاقبة قطيعة الرحم فانّ صلتها تزيد فى العمر وقطيعتها تهدم العمر

ذكر اجلآء بنى معروف عن البطايح وقتلهم

فى هذه السنة فى ذى القعدة امر الخليفة الناصر لدين الله الشريف معد متولّى بلاد واسط ان يسير الى قتال بنى معروف فتجهّز وجمع معه من الرجّالة من تكريت وهيت والحديثة والانبار والحلّة والكوفة وواسط والبصرة وغيرها خلقًا كثيرًا وسار اليهم ومقدّمهم حينيذ معلّى بن معروف وهم قوم من ربيعة وكانت بيوتهم غربىّ الفراة تحت سورآء وما يتّصل بذلك من البطايح وكثر فسادهم واذاهم لما يقاربهم من القرى وقطعوا

الطريف وافسدوا فى النواحى المقاربة لبطيحة الغراف فشكا اهل تلك البلاد الى الديوان منهم فامر معدًا ان يسير اليهم فى الجموع فسار اليهم فاستعدّ بنو معروف لقتاله فاقتتلوا بموضع يعرف بالمقبر وهو تلّ كبير بالبطيحة بقرب الغراف وكثر القتل بينهم ثمّ انهزم بنو معروف وكثر القتل فيهم والاسر والغرق وأُخذت اموالهم وحُملت روس كثيرة من القتلى الى بغداد فى ذى الحجّة من السنة ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى المحرّم انهزم عماد الدين زنكى من عسكر بدر الدين ، وفيها فى العشرين من رجب انهزم بدر الدين من مظفّر الدين صاحب اربل وعاد مظفّر الدين الى بلده وقد تقدّم ذلك مستوفًى فى سنة خمس عشرة وستّمائة ، وفيها فى السابع والعشرين من شعبان ملك الفرنج مدينة دمياط وقد ذكر سنة اربع عشرة مشروحًا ، وفيها توفّى افتخار الدين عبد المطّلب بن الفضل الهاشمىّ العبّاسىّ الفقيه الحنفىّ رئيس الحنفيّة بحلب روى الحديث عن عمر البسطامىّ نزيل بلخ وعن ابى سعد السمعانىّ وغيرهما ، وفيها توفّى ابو البقآء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العُكْبرىّ الضرير النحوى وغيره ، وفيها توفّى ابو الحسن علىّ بن ابى محمّد القاسم بن علىّ بن الحسن بن عبد الله الدمشقىّ الحافظ بن الحافظ المعروف بابن عساكر وكان قد قصد خراسان وسمع بها الحديث فاكثر وعاد الى بغداد فوقع على القفل حراميّة فجُرح وبقى ببغداد وتوفّى فى جمادى الاولى رحمه الله ۞

ثم دخلت سنة سبع عشرة وستّمائة

سنة ٦١٧

ذكر خروج التتر الى بلاد الاسلام

لقد بقيتُ عدّة سنين مُعرِضًا عن ذكر هذه الحادثة استعظامًا لها كارهًا لذكرها فانا اقدّم اليه [رجلًا] واوخّر اخرى فمن الذى يسهل عليه ان يكتب نعىّ الاسلام والمسلمين ومَن الذى يهون عليه ذكر ذلك فيا ليت امّى لم تلدنى ويا ليتنى متُّ قبل هذا وكنت نسيًا منسيا الّا انّى حثّنى جماعة من الاصدقآء على تسطيرها وانا متوقّف ثمّ رايتُ انّ ترك

ذلك لا يجدى نفعًا فنقول هذا الفعل يتضمّن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التى عقمت الايّام والليالى عن مثلها عمّت الخلايق وخصّت المسلمين فلو قال قايل انّ العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدمَ والى الأن لم يُبْتَلَوْا بمثلها لكان صادقًا فانّ التواريخ لم تتضمّن ما يقاربها ولا ما يُدانيها ومن اعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله بخت نصر ببنى اسرايل من القتل وتخريب البيت المقدّس وما البيت المقدّس بالنسبة الى ما خرّب هولآء الملاعين من البلاد التى كلّ مدينة منها اضعاف البيت المقدّس وما بنو اسرايل بالنسبة الى مَن قتلوا فانّ اهل مدينة واحدة ممّن قتلوا اكثر من بنى اسرايل ولعلّ الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة الى ان ينقرض العالم وتفنى الدنيا الّا ياجوج وماجوج واما الدجّال فانّه يُبقى على مَن اتبعه ويهلك من خالفه وهولآء لم يبقوا على احد بل قتلوا النسآء والرجال والاطفال وشقّوا بطون الحوامل وقتلوا الاجنّة فانّا لله وانّا اليه راجعون ولا حول ولا قوّة الّا بالله العلى العظيم ✿

لهذه الحادثة التى استطار شررها وعمّ ضررها وسارت فى البلاد كالسحاب استدبرته الريح فانّ قومًا خرجوا من اطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاساغون ثمّ منها الى بلاد ما ورآء النهر مثل سمرقند وبخارى وغيرهما فيملكونها ويفعلون باهلها ما نذكره ثمّ تعبر طايفة منهم الى خراسان فيفرغون منها مُلكًا وتخريبًا وقتلًا ونهبًا ثمّ يتجاوزونها الى الرىّ وهمدان وبلد الجبل وما فيه من البلاد الى حدّ العراق ثمّ يقصدون بلاد اذربيجان وارّانيّة ويخرّبونه ويقتلون اكثر اهله ولم ينج الّا الشريد النادر فى اقلّ من سنة هذا ما لم يُسمع بمثله ثمّ لمّا فرغوا من اذربيجان وارّانيّة ساروا الى دربند شروان فملكوا مدنه ولم يسلم غير القلعة التى بها ملكهم وعبروا عندها الى بلد اللان واللكز ومَن فى ذلك الصُّقع من الامم المختلفة فاوسعهم قتلًا ونهبًا وتخريبًا ثمّ قصدوا بلاد قفجاق وهم من اكثر الترك عددًا فقتلوا كلّ من وقف لهم فهرب الباقون الى الغياض ورؤس الجبال وفارقوا بلادهم واستولى هولآء التتر عليها فعلوا هذا فى اسرع زمان لم يلبثوا الّا بمقدار مسيرهم لا غير ومضى طايفة اخرى غير هذه الطايفة الى غزنة واعمالها وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان

ففعلوا فيه مثل فعل هولآء واشدّ هذا ما لم يطرق الاسماع مثله فانّ الاسكندر الذى اتّفق المورّخون على انّه ملك الدنيا لم يملكها فى هذه السرعة انّما ملكها فى نحو عشر سنين ولم يقتل احدًا انّما رضى من الناس بالطاعة وهولآء قد ملكوا اكثر المعمور من الارض واحسنه واكثره عمارةً واهلًا واعدلى اهل الارض اخلاقًا وسيرة فى نحو سنة ولم يبت احد من البلاد التى لم يطرقوها الّا وهو خايف ينوقّعهم ويترقّب وصولهم اليه ثمّ انّهم لا يحتاجون الى ميرة ومدد ياتيهم فانّهم معهم الاغنام والبقر والخيل وغير ذلك من الدوابّ ياكلون لحومها لا غير وامّا دوابّهم التى يركبونها فانّها تحفر الارض بحوافرها وتاكل عروق النبات لا تعرف الشعير فهم اذا نزلوا منزلًا لا يحتاجون الى شئ من خارج وامّا ديانتهم فانّهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرّمون شيًا فانّهم ياكلون جميع الدوابّ حتّى الكلاب والخنازير وغيرها ولا يعرفون نكاحًا بل المراة ياتيها غير واحد من الرجال فاذا جآء الولد لا يعرف اباه ، ولقد بلى الاسلام والمسلمون فى هذه المدّة بمصايب لم يُبتلى بها احد من الامم منها هولآء التتر قبّحهم الله اقبلوا من المشرق ففعلوا الافعال التى يستعظمها كلّ من سمع بها وستراها مشروحة متّصلة ان شآء الله تعالى ومنها خروج الفرنج لعنهم الله من المغرب الى الشام وقصدهم ديار مصر وملكهم ثغر دمياط منها واشرفت ديار مصر والشام وغيرها على ان يملكوها لو لا لطف الله تعالى ونصره عليهم وقد ذكرناه سنة اربع عشرة وستّمايّة ومنها انّ الذى سلم من هاتَيْن الطايفتَيْن فالسيف بينهم مسلولٌ والفتنة قايمة على ساق وقد ذكرناه ايضًا فانّا لله وانّا اليه راجعون نسال الله ان ييسّر للاسلام والمسلمين نصرًا من عنده فانّ الناصر والمعين والذابّ عن الاسلام معدوم واذا اراد الله بقوم سوًا فلا مردّ له وما لهم من دونه من والٍ فانّ هولآء التتر انّما استقام لهم هذا الامر لعدم المانع وسبب عدمه انّ خوارزم شاه محمّدًا كان قد استولى على البلاد وقتل ملوكها وافناهم وبقى هو وحده سلطان البلاد جميعها فلمّا انهزم منهم لم يبق فى البلاد من يمنعهم ولا من يحميها ليقضى الله امرًا كان مفعولًا وهذا حين نذكر ابتدآء خروجهم الى البلاد ۞

ذكر خروج التتر الى تركستان وما وراء النهر وما فعلوه

فى هذه السنة ظهر التتر الى بلاد الاسلام وهم نوع كثير من الترك ومساكنهم جبال طمغاج من نحو الصين وبينها وبين بلاد الاسلام ما يزيد على ستة اشهر وكان السبب فى ظهورهم ان ملكهم ويسمى بجنكزخان المعروف بتموجين[1] كان قد فارق بلاده وسار الى نواحى تركستان وسيّر جماعة من التجار والاتراك ومعهم شئ كثير من النقرة والقندر وغيرهما الى بلاد ما وراء النهر سمرقند وبخارى ليشتروا له ثيابًا للكسوة فوصلوا الى مدينة من بلاد الترك تسمّى اوترار[2] وهى اخر ولاية خوارزم شاه وكان له نايب هناك فلمّا ورد عليه هذه الطايفة من التتر ارسل الى خوارزم شاه يعلمه بوصولهم ويذكر له ما معهم من الاموال فبعث اليه خوارزم شاه يامره بقتلهم واخذ ما معهم من الاموال وانفاذه اليه فقتلهم وسيّر ما معهم وكان شيأً كثيرًا فلمّا وصل الى خوارزم شاه فرّقه على تجار بخارى وسمرقند واخذ ثمنه منهم وكان بعد ان ملك ما وراء النهر من الخطا قد سدّ الطرق عن بلاد تركستان وما بعدها من البلاد وان طايفة من التتر ايضًا كانوا قد خرجوا قديمًا والبلاد للخطا فلمّا ملك خوارزم شاه البلاد بما وراء النهر من الخطا وقتلهم واستولى هولآء التتر على تركستان كاشغار وبلاساغون وغيرها وصاروا يحاربون عساكر خوارزم شاه فلذلك منع الميرة عنهم من الكسوات وغيرها وقيل فى سبب خروجهم الى بلاد الاسلام غير ذلك ممّا لا يذكر فى بطون الدفاتر فكان ما كان ممّا لستُ اذكره فظُنّ خيرًا ولا تسال عن الخبر فلمّا قتل نايب خوارزم شاه اصحاب جنكزخان ارسل جواسيس الى جنكزخان لينظر ما هو وكم مقدار ما معه من اليزك وما يريد ان يعمل فمضى الجواسيس وسلكوا المفازة والجبال التى على طريقهم حتّى وصلوا اليه فعادوا بعد مدّة طويلة واخبروه بكثرة عددهم وانّهم يخرجون عن الاحصآء وانّهم من اصبر خلق الله على القتال لا يعرفون هزيمة وانّهم يعملون ما يحتاجون اليه من السلاح بايديهم فندم خوارزم شاه على قتل اصحابهم واخذ

---

[1] بتموحبى [2] اوىرار

اموالهم وحصل عنده فكر زايد فاحضر الشهاب الخيوقي وهو فقيه فاضل كبير المحل عنده لا يخالف ما يشير به فحضر عنده فقال له قد حدث امر عظيم لا بدّ من الفكر فيه فاخذ رايك في الذي نفعله وذاك انّه قد تحرّك الينا خصم من ناحية الترك في كثرة لا تحصى فقال له في عساكرك كثرة وتكاتب الاطراف وتجمع العساكر ويكون النفير عامًّا فانّه يجب على المسلمين كافّة مساعدتك بالمال والنفس ثمّ تذهب بجميع العساكر الى جانب سيحون وهو نهر كبير يفصل بين بلاد الترك وبلاد الاسلام فنكون هناك فاذا جاء العدوّ وقد سار مسافة بعيدة لقيناه ونحن مستريحون وهو وعساكره قد مسّهم النصب والتعب ، فجمع خوارزم شاه امراءه ومن عنده من ارباب المشورة فاستشارهم فلم يوافقوه على رايه بل قالوا ان نتركهم يعبرون سيحون الينا ويسلكون هذه الجبال والمضايق فانّهم جاهلون بطرقها ونحن عارفون بها فنقوى حينئذ عليهم ونهلكهم فلا ينجوا منهم احد ، فبينما الاتراك كذلك اذ ورد رسول من هذا اللعين جنكزخان معه جماعة يتهدّد خوارزم شاه ويقول تقتلون اصحابي وتاخذون اموالهم استعدّوا للحرب فانّي واصل اليكم بجمع لا قِبَل لكم به ، وكان جنكزخان قد سار الى تركستان فملك كاشغار وبلاساغون وجميع البلاد وازال عنها التتر الاولى فلم يظهر لهم خبر ولا بقى لهم اثر بل بادوا كما اصاب الخطا وارسل الرسالة المذكورة الى خوارزم شاه فلمّا سمعها خوارزم شاه امر بقتل رسوله فقُتل وامر بحلق لحا الجماعة الذين كانوا معه واعادهم الى صاحبهم جنكزخان يخبرونه بما فعل بالرسول ويقولون له انّ خوارزم شاه يقول لك انا ساير اليك ولو انّك في اخر الدنيا حتّى انتقم وافعل بك كما فعلتُ باصحابك ، وتجهّز خوارزم شاه وسار بعد الرسول مبادرًا ليسبق خبره ويكبسهم فادمن السير فمضى وقطع مسيرة اربعة اشهر فوصل الى بيوتهم فلم ير فيها الّا النساء والصبيان والاطفال فاوقع بهم وغنم الجميع وسبى النساء والذرّيّة وكان سبب غيبة الكفّار عن بيوتهم انهم ساروا الى محاربة ملك من ملوك الترك يقال له كشلوخان[1]

---

[1] كلشلخان

فقاتلوه وهزموه وغنموا امواله وعادوا فلقيهم فى الطريق الخبر بما فعل خوارزم شاه بمخلّفيهم فجدّوا السير فادركوه قبل ان يخرج عن بيوتهم وتصافّوا للحرب واقتتلوا قتالاً لم يُسمع بمثله فبقوا فى الحرب ثلاثة ايّام بلياليها فقُتل من الطايفتين ما لا يُعدّ ولم ينهزم احد منهم امّا المسلمون فانّهم صبروا حميّةً للدين وعلموا انّهم ان انهزموا لم يبقَ للمسلمين باقية وانّهم يوخذون لبُعدهم عن بلادهم وامّا الكفّار فصبروا لاستنقاذ اهليهم واموالهم واشتدّ بهم الامر حتّى انّ احدهم كان ينزل عن فرسه ويقاتل قرنه راجلًا ويتضاربون بالسكاكين وجرى الدم على الارض حتّى صارت الخيل تنزلق من كثرته واستنفد الطايفتان وُسعهم فى الصبر والقتال هذا القتال جميعه مع ابن جنكزخان ولم يحضر ابوه الوقعة ولم يشعر بها فأُحصى مَن قُتل من المسلمين فى هذه الوقعة فكانوا عشرين الفًا وامّا من الكفّار فلا يُحصى مَن قُتل منهم فلمّا كان الليلة الرابعة افترقوا فنزل بعضهم مقابل بعض فلمّا اظلم الليل اوقد الكفّار نيرانهم وتركوها بحالها وساروا وكذلك فعل المسلمون ايضًا كلّ منهم سئم القتال فامّا الكفّار فعادوا الى ملكهم جنكزخان وامّا المسلمون فرجعوا الى بخارى فاستعدّ للحصار لعلمه بعجزه لانّ طايفة عسكره لم يقدر خوارزم شاه على ان يظفر بهم فكيف اذا جآوا جميعهم مع ملكهم فامر اهل بخارى وسمرقند بالاستعداد للحصار وجمع الذخاير للامتناع وجعل فى بخارى عشرين الف فارس من العسكر يحمونها وفى سمرقند خمسين الفًا وقال لهم احفظوا البلد حتّى اعود الى خوارزم وخراسان واجمع العساكر واستنجد بالمسلمين واعود اليكم ، فلمّا فرغ من ذلك رحل عايدًا الى خراسان فعبر جيحون ونزل بالقرب من بلخ فعسكر هناك ، وامّا الكفّار فانّهم رحلوا بعد ان استعدّوا يطلبون ما ورآء النهر فوصلوا الى بخارى بعد خمسة اشهر من وصول خوارزم شاه وحصروها وقاتلوها ثلاثة ايّام قتالاً شديدًا متتابعًا فلم يكن للعسكر الخوارزميّ بهم قوّة ففارقوا البلد عايدين الى خراسان فلمّا اصبح اهل البلد وليس عندهم من العسكر احد ضعُفت نفوسهم فارسلوا القاضى وهو بدر الدين قاضى خان ليطلب الامان للناس فاعطوهم الامان وكان قد بقى من العسكر طايفة لم يمكنهم الهرب مع اصحابهم فاعتصموا

بالقلعة فلمّا اجابهم جنكزخان الى الامان فُتحت ابواب المدينة يوم الثلاثاء رابع ذى الحجّة من سنة ستّ عشرة وستّمايئة فدخل الكفّار بخارى ولم يتعرّضوا الى احد بل قالوا لهم كلّ ما هو للسلطان عندكم من ذخيرة وغيره اخرجوه الينا وساعدونا على قتال مَن بالقلعة واظهروا عندهم العدل وحسن السيرة ودخل جنكزخان بنفسه واحاط بالقلعة ونادى فى البلد بان لا يتخلّف احد ومَن تخلّف قُتل فحضروا جميعهم فامرهم بطمّ الخندق فطمّوه بالاخشاب والتراب وغير ذلك حتّى انّ الكفّار كانوا ياخذون المنابر وربعات القران فيلقونها فى الخندق فانّا لله وانّا اليه راجعون وبحقّ سمّى الله نفسه صبوراً حليمًا والّا كان خسف بهم الارض عند فعل مثل هذا ثمّ تابعوا الزحف الى القلعة وبها نحو اربع مايئة فارس من المسلمين فبذلوا جُهدهم ومنعوا القلعة اثنى عشر يومًا يقاتلون جمع الكفّار واهل البلد فقتل بعضهم ولم يزالوا كذلك حتّى زحفوا اليهم ووصل النقّابون الى سور القلعة فنقبوه واشتدّ حينئذ القتال ومَن بها من المسلمين يرمون بكلّ ما يجدون من حجارة ونار وسهام فغضب اللعين وردّ اصحابه ذلك اليوم وباكرهم من الغد فجدّوا فى القتال وقد تعب مَن بالقلعة ونصبوا وجاءهم ما لا قِبَل لهم به فقهرهم الكفّار ودخلوا القلعة وقتلهم المسلمون الذين فيها حتّى قتلوا عن اخرهم فلمّا فرغ من القلعة امر ان يُكتب له روس البلد ورؤساوهم ففعلوا ذلك فلمّا عرضوا عليه امر باحضارهم فحضروا فقال اريد منكم النقرة التى باعكم خوارزم شاه فانّها لى ومن اصحابى أُخذت وهى عندكم فاحضر كلّ من كان عنده شئ منها بين يديه ثمّ امرهم بالخروج من البلد فخرجوا من البلد مجرّدين من اموالهم ليس مع احد منهم غير ثيابه التى عليه ودخل الكفّار البلد فنهبوه وقتلوا مَن وجدوا فيه واحاط بالمسلمين فامر اصحابه ان يقتسموهم فاقتسموهم وكان يومًا عظيمًا من كثرة البكاء من الرجال والنساء والولدان وتفرّقوا ايدى سبا وتمزّقوا كلّ ممزق واقتسموا النساء ايضًا واصبحت بخارى خاوية على عروشها كأن لم تغن بالامس وارتكبوا من النساء العظيم والناس ينظرون ويبكون ولا يستطيعون ان يدفعوا عن انفسهم شيئًا ممّا نزل بهم فمنهم مَن لم يرض بذلك واختار الموت على ذلك فقاتل حتّى قُتل وممّن فعل ذلك

واختار ان يُقتل ولا يرى ما نزل بالمسلمين الفقيه الامام ركن الدين امام زاده وولده فانّهما لمّا رايا ما يُفعل بالحرم قاتلا حتّى قُتلا وكذلك فعل القاضى صدر الدين خان ومن استسلم أُخذ اسيرًا والقوا النار فى البلد والمدارس والمساجد وعذبوا الناس بانواع العذاب من طلب المال، ثمّ رحلوا نحو سمرقند وقد تحقّقوا عجز خوارزم شاه عنهم وهم بمكانه بين ترمذ وبلخ واستصحبوا معهم مَن سلم من اهل بخارى اسارى فساروا بهم مُشاة على اقبح صورة فكلّ مَن اعيا وعجز عن المشى قُتل فلمّا قاربوا سمرقند قدّموا الخيالة وتركوا الرجّالة والاسارى والاثقال ورآءهم حتّى تقدّموا شيأً فشيأً ليكون ارعب لقلوب المسلمين فلمّا راى اهل البلد سوادهم استعظموه فلمّا كان اليوم الثانى وصل الاسارى والرجّالة والاثقال ومع كلّ عشرة من الاسارى علم فظنّ اهل البلد انّ الجميع عساكر مقاتلة واحاطوا بالبلد وفيه خمسون الف مقاتل من الخوارزميّة وامّا عامّة البلد فلا يُحصون كثرةً فخرج اليهم شجعان اهله واهل الجلد والقوّة رجّالة ولم يخرج معهم من العسكر الخوارزمىّ احد لما فى قلوبهم من خوف هولآء الملاعين فقاتلهم الرجّالة بظاهر البلد فلم يزل التتر يتاخّرون واهل البلد يتبعونهم ويطمعون فيهم وكان الكفّار قد كمنوا له كمينًا فلمّا جاوزوا الكمين خرجوا عليهم وحالوا بينهم وبين البلد ورجع الباقون الذين انشبوا القتال اولاً فبقوا فى الوسط واخذهم السيف من كلّ جانب فلم يسلم منهم احد فقتلوا عن اخرهم شهدآء رضى الله منهم وكانوا سبعين الفًا على ما قيل، فلمّا راى الباقون من الجند والعامّة ذلك ضعفت نفوسهم وايقنوا بالهلاك فقال الجند وكانوا اتراكًا نحن من جنس هولآء ولا يقتلوننا فطلبوا الامان فاجابوهم الى ذلك ففتحوا ابواب البلد ولم يقدر العامّة على منعهم وخرجوا الى الكفّار باهلهم واموالهم فقال لهم الكفّار دفعوا الينا سلاحكم واموالكم ودوابّكم ونحن نسيّركم الى ما منكم ففعلوا ذلك فلمّا اخذوا اسلحتهم ودوابّهم وضعوا السيف فيهم وقتلوهم عن اخرهم واخذوا اموالهم ودوابّهم ونسآءهم فلمّا كان اليوم الرابع نادوا فى البلد ان يخرج اهله جميعهم ومن تاخّر قتلوه فخرج جميع الرجال والنسآء والصبيان ففعلوا مع اهل سمرقند مثل فعلهم مع اهل بخارى

من النهب والقتل والسبى والفساد ودخلوا البلد فنهبوا ما فيه واحرقوا الجامع وتركوا باقى البلد على حاله واقتضوا الابكار وعذبوا الناس بانواع العذاب فى طلب المال وقتلوا من لم يصلح للسبى وكان ذلك فى المحرّم سنة سبع عشرة وستمائة وكان خوارزم شاه بمنزلته كلّما اجتمع اليه عسكر سيّره الى سمرقند فيرجعون ولا يقدمون على الوصول اليها نعوذ بالله من الخذلان سيّر مرّة عشرة الاف فارس فعادوا وسيّر عشرين الفًا فعادوا ايضًا ✿

ذكر مسير التتر الى خوارزم شاه وانهزامه وموته

لمّا ملك الكفّار سمرقند عمد جنكزخان لعنه الله وسيّر عشرين الف فارس وقال لهم اطلبوا خوارزم شاه اين كان ولو تعلّق بالسمآء حتّى تدركوه وتاخذوه وهذه الطايفة تسمّيها التتر المغرّبة لانّها سارت نحو غرب خراسان ليقع الفرق بينهم وبين غيرهم منهم لانّهم هم الذين اوغلوا فى البلاد ، فلمّا امرهم جنكزخان بالمسير ساروا وقصدوا موضعًا يسمّى فنج اب ومعناه خمس مياه فوصلوا اليه فلم يجدوا هناك سفينة فعملوا من الخشب مثل الاحواض الكبار والبسوها جلود البقر لئلّا يدخلها المآء ووضعوا فيها سلاحهم وامتعتهم والقوا الخيل فى المآء وامسكوا اذنابها وتلك الحياض التى من الخشب مشدودة اليهم فكان الفرس يجذب الرجل والرجل يجذب الحوض المملوّ من السلاح وغيره فعبروا كلّهم دفعة واحدة فلم يشعر خوارزم شاه الّا وقد صاروا معه على ارض واحدة وكان المسلمون قد مُلئوا منهم رعبًا وخوفًا وقد اختلفوا فيما بينهم انّهم كانوا يتماسكون بسبب انّ نهر جيحون بينهم فلمّا عبروه اليهم لم يقدروا على الثبات ولا على المسير مجتمعين بل تفرّقوا ايدى سبا وطلب كلّ طايفة منهم جهة ورحل خوارزم شاه لا يلوى على شئ فى نفر من خاصّته وقصدوا نيسابور فلمّا دخلها اجتمع عليه بعض العسكر فلم يستقرّ حتّى وصل اوليك التتر اليها وكانوا لم يتعرّضوا فى مسيرهم لشئ لا بنهب ولا قتل بل يجدّون السير فى طلبه لا يمهلونه حتّى يجمع لهم فلمّا سمع بقربهم منه رحل الى مازندران وهى له ايضًا فرحل التتر المغرّبون فى اثره ولم يعرّجوا على نيسابور بل تبعوه فكان كلّما رحل عن منزلة نزلوها فوصل الى مرسى

من بحر طبرستان تعرف باب سكون وله هناك قلعة فى البحر فلمّا نزل هو واصحابه فى السفن وصلت التتر فلمّا راوا خوارزم شاه وقد دخل البحر وقفوا على ساحل البحر فلمّا ايسوا من لحاق خوارزم شاه رجعوا فهم الذين قصدوا الرىّ وما بعدها على ما نذكره ان شآء الله هكذا ذكر لى بعض الفقهآء ممّن كان ببخارى واسروه معهم الى سمرقند ثمّ نجا منهم ووصل الينا وذكر غيره من التجار انّ خوارزم شاه سار من مازندران حتّى وصل الى الرىّ ثمّ منها الى همدان والتتر فى اثره ففارق همدان فى نفر يسير جريدة ليستر نفسه ويكتم خبره وعاد الى مازندران وركب فى البحر الى هذه القلعة وكانّ هذا هو الصحيح فانّ الفقيه كان حينئذ ماسورًا وهولآء التجار اخبروا انّهم كانوا بهمدان ووصل خوارزم شاه ثمّ وصل بعده من اخبره بوصول التتر ففارق همدان وكذلك ايضًا هولآء التجار فارقوها ووصل التتر اليها بعدهم ببعض نهار فهم يُخبرون عن مشاهدة ولمّا وصل خوارزم شاه الى هذه القلعة المذكورة توفّى فيها ۞

ذكر صفة خوارزم شاه وشىء من سيرته

هو علآء الدين محمّد بن علآء الدين تكش وكان مدّة مُلكه واحدًا وعشرين سنة وشهورًا تقريبًا واتّسع مُلكه وعظم محلّه واطاعه العالم باسره ولم يملك بعد السلجوقيّة احد مثل ملكه فانّه ملك من حدّ العراق الى تركستان وملك بلاد غزنة وبعض الهند وملك سجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبال وخراسان وبعض فارس وفعل بالخطا الافاعيل العظيمة وملك بلادهم وكان فاضلًا عالمًا بالفقه والاصول وغيرهما وكان مكرمًا للعلمآء محبًّا لهم محسنًا اليهم يكثر مجالستهم ومناظراتهم بين يديه وكان صبورًا على التعب وادمان السير غير متنعّم ولا مُقبل على اللذات انّما همّه فى الملك وتدبيره وحفظه وحفظ رعاياه وكان مُعظّمًا لاهل الدين مُقبلًا عليهم متبرّكًا بهم ، حكى لى بعض خدم حجرة النبىّ صلعم وقد عاد من خراسان قال وصلتُ الى خوارزم فنزلتُ ودخلتُ الحمام ثمّ قصدتُ باب السلطان علآء الدين فحين حضرتُ لقينى انسان فقال ما حاجتك فقلتُ له انا من خدم حجرة النبىّ صلعم فامرنى بالجلوس فانصرف عنّى ثمّ عاد الىّ واخذنى وادخلنى الى دار السلطان فتسلّمنى منه حاجب

من حجّاب السلطان وقال لى قد اعلمتُ السلطان خبرك فامر باحضارك عنده فدخلتُ اليه وهو جالسٌ فى صدر ايوان كبير فحين توسّطتُ صحن الدار قام قايمًا ومشى الى بين يدىّ فاسرعتُ السير فلقيتُه فى وسط الايوان فاردتُ ان اقبّل يده فمنعنى واعتنقنى وجلس واجلسنى الى جانبه وقال لى انت تخدم حجرة النبىّ صلّعم فقلتُ نعم فاخذ يدى وامرّها على وجهه وسالنى عن حالنا وعيشنا وصفة المدينة ومقدارها واطال الحديث معى فلمّا خرجتُ من عنده قال لو لا انّنا على عزم السفر هذه الساعة لما ودّعتك انّما نريد نعبر جيحون الى الخطا وهذا طريق مبارك حيث راينا من خدم حجرة النبىّ صلّعم ثمّ ودّعنى وارسل الىّ جملة كثيرة من النفقة ومضى وكان منه ومن الخطا ما ذكرناه وبالجملة فاجتمع فيه ما تفرّق فى غيره من ملوك العالم رحمه الله ولو اردنا ذكر مناقبه لطال ❁

ذكر استيلآء التتر المغرّبة على مازندران

لمّا ايس التتر المغرّبة من ادراك خوارزم شاه فعادوا فقصدوا بلاد مازندران فملكوها فى اسرع وقت مع حصانتها وصعوبة الدخول اليها وامتناع قلاعها فانّها لم تزل ممتنعة قديم الزمان وحديثه حتّى انّ المسلمين لمّا ملكوا بلاد الاكاسرة جميعها من العراق الى اقاصى خراسان بقيت اعمال مازندران يوخذ منهم الخراج ولا يقدرون على دخول البلاد الى ان ملكت ايّام سليمان بن عبد الملك سنة تسعين وهولآء الملاعين ملكوها صفوًا عفوًا لامر يريده الله تعالى ولمّا ملكوا بلد مازندران قتلوا وسبّوا ونهبوا واحرقوا البلاد ولمّا فرغوا من مازندران سلكوا نحو الرىّ فراوا فى الطريق والدة خوارزم شاه ونسآه واموالهم وذخايرهم التى لم يسمع بمثلها من الاعلاق النفيسة وكان سبب ذلك انّ والدة خوارزم شاه لمّا سمعت بما جرى على ولدها خافت ففارقت خوارزم وقصدت نحو الرىّ لتصل الى اصفهان وهمدان وبلد الجبل تمتنع فيها فصادفوها فى الطريق فاخذوها وما معها قبل وصولها الى الرىّ فكان فيه ما ملأ عيونهم وقلوبهم وما لم يشاهد الناس مثله من كلّ غريب من المتاع ونفيس من الجوهر وغير ذلك وسيّروا الجميع الى جنكزخان بسمرقند ❁

ذكر وصول التتر الى الرىّ وهمذان

فى سنة سبع عشرة وستمائة وصل التتر لعنهم الله الى الرىّ فى طلب خوارزم شاه محمّد لانّهم بلغهم انّه مضى منهزمًا منهم نحو الرىّ فجدّوا السير فى اثره وقد انضاف اليهم كثير من عساكر المسلمين والكفّار وكذلك ايضًا من المفسدين من يريد النهب والشرّ فوصلوا الى الرىّ على حين غفلة من اهلها فلم يشعروا الّا وقد وصلوا اليها وملكوها ونهبوها وسبوا الحريم واسترقّوا الاطفال وفعلوا الافعال التى لم يُسمع بمثلها ولم يقيموا ومضوا مسرعين فى طلب خوارزم شاه فنهبوا فى طريقهم كلّ مدينة وقرية مرّوا عليها وفعلوا فى الجميع اضعاف ما فعلوا فى الرىّ واحرقوا وخرّبوا ووضعوا السيف فى الرجال والنسآء والاطفال فلم يبقوا على شئ وتمّوا على حالهم الى همذان وكان خوارزم شاه قد وصل اليها فى نفر من اصحابه ففارقها وكان اخر العهد به فلا يُدرى ما كان منه فيما حكاه بعضهم عنه وقيل غير ذلك وقد ذكرناه فلمّا قاربوا همذان خرج رئيسها ومعه الحمل من الاموال والثياب والدوابّ وغير ذلك يطلب الامان لاهل البلد فامّنوهم ثمّ فارقوها وساروا الى زنجان ففعلوا اضعاف ذلك ثمّ وصلوا الى قزوين فاعتصم اهلها منهم بمدينتهم فقاتلوهم وجدّوا فى قتالهم ودخلوها عنوة بالسيف فاقتتلوا هم واهل البلد فى باطنه حتّى صاروا يقتتلون بالسكاكين فقُتل من الفريقين ما لا يُحصى ثمّ فارقوا قزوين فعُدّ القتلى من اهل قزوين فزادوا على اربعين الف قتيل ❊

ذكر وصول التتر الى اذربيجان

لمّا هجم الشتآء على التتر فى همذان وبلد الجبل راوا بردًا شديدًا وثلجًا متراكمًا فساروا الى اذربيجان ففعلوا فى طريقهم بالقرى والمدن الصغار من القتل والنهب مثل ما تقدّم منهم وخربوا واحرقوا ووصلوا الى تبريز وبها صاحب اذربيجان اوزبك بن البهلوان فلم يخرج اليهم ولا حدّث نفسه بقتالهم لاشتغاله بما هو بصدده من ادمان الشرب ليلًا ونهارًا لا يفيق وانّما ارسل اليهم وصالحهم على مال وثياب ودوابّ وحمل الجميع اليهم فساروا من عنده يريدون ساحل البحر لانّه يكون قليل البرد ليشتوا عليه والمراعى به كثيرة لاجل دوابّهم فوصلوا الى موقان وتطرّقوا

فى طريقهم الى بلاد الكُرج فجآء اليهم من الكُرج جمع كثير من العسكر نحو عشرة الاف مقاتل فقاتلوهم فانهزمت الكرج وقُتل اكثرهم وارسل الكرج الى اوزبك صاحب اذربيجان يطلبون منه الصلح والاتّفاق معهم على دفع التتر فاصطلحوا ليجتمعوا اذا انحسر الشتآء وكذلك ارسلوا الى الملك الاشرف بن الملك العادل صاحب خلاط وديار الجزيرة يطلبون منه الموافقة عليهم وظنّوا جميعهم انّ التتر يصبرون فى الشتآء الى الربيع فلم يفعلوا كذلك بل تحرّكوا وساروا نحو بلاد الكرج وانضاف اليهم مملوك تركىّ من مماليك اوزبك اسمه اقوش وجمع اهل تلك الجبال والصحرآء من التركمان والاكراد وغيرهم فاجتمع معه خلق كثير وراسل التتر فى الانضمام اليهم فاجابوه الى ذلك ومالوا اليه للجنسيّة فاجتمعوا وساروا فى مقدّمة التتر الى الكرج فملكوا حصنًا من حصونهم وخرّبوه ونهبوا البلاد وخرّبوها وقتلوا اهلها ونهبوا اموالهم حتّى وصلوا الى قريب تفليس فاجتمعت الكرج وخرجت بحدّها وحديدها اليهم فلقيهم اقوش اوّلًا فيمن اجتمع اليه فاقتتلوا قتالًا شديدًا صبروا فيه كلّهم فقُتل من اصحاب اقوش خلق كثير وادركهم التتر وقد تعب الكرج من القتال وقُتل منهم ايضًا كثير فلم يثبتوا للتتر وانهزموا اقبح هزيمة وركبهم السيف من كلّ جانب فقتل منهم ما لا يُحصى كثرة وكانت الوقعة فى ذى القعدة من هذه السنة ونهبوا من البلاد ما كان سلم منهم ولقد جرى لهولآء التتر ما لم يُسمع بمثله من قديم الزمان وحديثه طايفة تخرج من حدود الصين لا تنقضى عليهم سنة حتّى يصل بعضهم الى بلاد ارمينيّة من هذه الناحية ويجاوزون العراق من ناحية همدان وتالله لا اشكّ انّ من يجىٔ بعدنا اذا بَعُد العهد ويرى هذه الحادثة مسطورة يُنكرها ويستبعدها والحقّ بيده فمتى استبعد ذلك فلينظر انّنا سطّرنا نحن وكلّ من جمع التاريخ فى زماننا هذه فى وقت كلّ من فيه يعلم هذه الحادثة استوى فى معرفتها العالم والجاهل لشهرتها يسّر الله للمسلمين والاسلام مَن يحفظهم ويحوطهم فلقد دُفعوا من العدوّ الى عظيم ومن الملوك المسلمين الى من لا تتعدّى همّته بطنه وفرجه ولم ينل المسلمين اذى وشدّة مذ جآء النبىّ صلعم الى هذا الوقت مثل ما دُفعوا اليه الأن هذا العدوّ الكافر التتر قد وطيوا بلاد ما ورآء

النهر وملكوها وخرّبوها وناهيك به [سعة][1] بلاد وتعدى هذه الطايفة منهم النهر الى خراسان فملكوها وفعلوا مثل ذلك ثمّ انّ الرىّ وبلد الجبل واذربيجان وقد اتّصلوا بالكرج فغلبوهم على بلادهم والعدوّ الاخر الفرنج قد ظهر من بلادهم فى اقصى بلاد الروم بين الغرب والشمال ووصلوا الى مصر فملكوا مثل دمياط واقاموا فيها ولم يقدر المسلمون على ازعاجهم عنها ولا اخراجهم منها وباقى ديار مصر على خطّة فانّا لله وانّا اليه راجعون ولا حول ولا قوّة الّا بالله العلى العظيم ، ومن اعظم الامور على المسلمين انّ سلطانهم خوارزم شاه محمّدًا قد عُدم لا يعرف حقيقة خبره فتارة يقال مات عند همذان وأُخفى موته وتارة دخل اطراف بلاد فارس ومات هناك وأُخفى موته لئلّا يقصدها التتر فى اثره وتارة يقال عاد الى طبرستان وركب البحر فتوفّى فى جزيرة هناك وبالجملة فقد عُدم ثمّ صحّ موته ببحر طبرستان وهذا عظيم مثل خراسان وعراق العجم اصبح سايبا لا مانع له ولا سلطان يدفع عنه والعدوّ يجوس البلاد ياخذ ما اراد ويترك ما اراد على انّهم لم يُبقوا على مدينة الّا خرّبوا كلّ ما مرّوا عليه وأحرقوه ونهبوه وما لا يصلح لهم احرقوه فكانوا يجمعون الابريسم تلالًا ويلقون فيه النار وكذلك غيرهَ من الامتعة ❀

ذكر مُلك التتر مراغة

فى صفر سنة ثمان عشرة وستّماية ملك التتر مدينة مراغة من اذربيجان وسبب ذلك انّنا ذكرنا سنة سبع عشرة وستّماية ما فعله التتر بالكُرج وانقضت تلك السنة وهم فى بلاد الكرج فلمّا دخلت سنة ثمان عشرة وستّماية ساروا من ناحية الكرج لانّهم راوا انّ بين ايديهم شوكة قوية ومضايق تحتاج الى قتال وصداع فعدلوا عنهم وهذه كانت عادتهم اذا قصدوا مدينةً وراوا عندها امتناعًا عدلوا عنها فوصلوا الى تبريز وصانعهم صاحبها بمال وثياب ودوابّ فساروا عنه الى مدينة مراغة فحصروها وليس بها صاحبٌ يمنعها لانّ صاحبها كانت امراة وهى مقيمة بقلعة روبندز[2] وقد قال النبىّ صلّعم لن يُفلح قوم ولّوا أمرهم امراة فلمّا

---

[1]) C. P. [2]) روندر

حصروها قاتلهم اهلها فنصبوا عليها المجانيق وزحفوا اليها وكانت عادتهم اذا قاتلوا مدينة قدّموا مَن معهم من اسارى المسلمين بين ايديهم يزحفون ويُقاتلون فان عادوا قتلوهم فكانوا يقاتلون كرهًا وهم المساكين كما قيل كالاشقر ان تقدّم يُنحر وان تاخّر يُعقر وكانوا هم يقاتلون ورآء المسلمين فيكون القتل فى المسلمين الاسارى وهم بنجوة منه فاقاموا عليها عدّة ايام ثمّ ملكوا المدينة عنوةً وقهرًا رابع صفر ووضعوا السيف فى اهلها فقُتل منهم ما يخرج عن الحدّ والاحصآء ونهبوا كلّ ما صلح لهم وما لا يصلح لهم احرقوه واختفى بعض الناس منهم فكانوا ياخذون الاسارى ويقولون لهم نادوا فى الدروب انّ التتر قد رحلوا فاذا نادى اوليك خرج مَن اختفى فيوخذ ويُقتل وبلغنى انّ امراة من التتر دخلت دارًا وقتلت جماعة من اهلها وهم يظنّونها رجلًا فوضعت السلاح واذا هى امراة فقتلها رجل اخذته اسيرًا وسمعتُ من بعض اهلها انّ رجلًا من التتر دخل دربًا فيه مائة رجل فما زال يقتلهم واحدًا واحدًا حتّى افناهم ولم يمدّ احدٌ يده اليه بسوء ووضعت الذلّة على الناس فلا يدفعون عن نفوسهم قليلًا ولا كثيرًا نعوذ بالله من الخذلان، ثمّ رحلوا عنها نحو مدينة اربل ووصل الخبر الينا بذلك بالموصل فخفنا حتّى انّ بعض الناس همّ بالجلآء خوفًا من السيف وجآءت كتب مظفّر الدين صاحب اربل الى بدر الدين صاحب الموصل يطلب منه نجدة من العساكر فسيّر جمعًا صالحًا من عسكره واراد ان يمضى الى طرف بلاده من جهة التتر ويحفظ المضايق لئلّا يجوزها احدٌ فانّها جميعها جبال وعرة ومضايقة لا يقدر يجوزها الّا الفارس بعد الفارس ويمنعهم من الجواز اليه ووصلت كتب الخليفة ورسله الى الموصل والى مظفّر الدين يامر الجميع بالاجتماع مع عساكره بمدينة دقوقا ليمنعوا التتر فانّهم ربّما عدلوا عن جبال اربل لصعوبتها الى هذه الناحية ويطرقون العراق فسار مظفّر الدين من اربل فى صفر وسار اليهم جمع من عسكر الموصل وتبعهم من المتطوّعة كثير وارسل الخليفة ايضًا الى الملك الاشرف يامره بالحضور بنفسه فى عساكره ليجتمع الجميع على قصد التتر وقتالهم فاتّفق انّ الملك المعظّم بن الملك العادل وصل من دمشق الى اخيه الاشرف وهو بحرّان يستنجده على

الفرنج الذين بمصر وطلب منه ان يحضر بنفسه ليسيروا كلّهم الى مصر ليستنقذوا دمياط من الفرنج فاعتذر الى الخليفة باخيه وقوّة الفرنج وان لم يتداركها والّا خرجت هى وغيرها وشرع يتجهّز للمسير الى الشام ليدخل مصر وكان ما ذكرناه من استنقاذ دمياط ء فلمّا اجتمع مظفّر الدين والعساكر بدقوقا سيّر الخليفة اليهم مملوكه قشتمر وهو اكبر امير بالعراق ومعه غيره من الامرآء فى نحو ثمان مايئة فارس فاجتمعوا هناك ليتّصل بهم باقى عسكر الخليفة وكان المقدّم على الجميع مظفّر الدين فلمّا راى قلّة العسكر لم يقدم على قصد التتر وحكى مظفّر الدين قال لمّا ارسل الىّ الخليفة فى معنى قصد التتر قلتُ له انّ العدوّ قوىٌّ وليس لى من العسكر ما القاه فان اجتمع مع عشرة الاف فارس استنقذتُ ما اخذت من البلاد فامرنى بالمسير ووعدنى بوصول العسكر فلمّا سرتُ لم يحضر عندى غير عدد لم يبلغوا ثمان مايئة طواشى فاقمتُ وما رايتُ المخاطرة بنفسى وبالمسلمين ء ولمّا سمع التتر باجتماع العساكر لهم رجعوا القهقرى ظنًّا منهم انّ العسكر يتبعهم فلمّا لم يروا احدًا يطلبهم اقاموا واقام العسكر الاسلامىّ عند دقوقا فلمّا لم يروا العدوّ يقصدهم ولا المدد ياتيهم تفرّقوا وعادوا الى بلادهم ۞

ذكر ملك التتر همذان وقتل اهلها

لمّا تفرّق العسكر الاسلامىّ عاد التتر الى همذان فنزلوا بالقرب منها وكان لهم بها شحنة يحكم فيها فارسلوا اليه يامرونه ليطلب من اهلها مالاً وثيابًا وكانوا قد استنقذوا اموالهم فى طول المدّه وكان رئيس همذان شريفًا علويًّا وهو من بيت رياسة قديمة لهذه المدينة وهو الذى يسعى فى امور اهل البلد مع التتر ويوصل اليهم ما يجمعه من الاموال فلمّا طلبوا الأن منهم المال لم يجد اهل همذان ما يحملونه اليهم فحضروا عند الرئيس ومعه انسان فقيهٌ قد قام فى اجتماع الكلمة على الكفّار قيامًا مرضيًّا فقالوا لهما هولآء الكفّار قد افنوا اموالنا ولم يبق لنا ما نعطيهم وقد هلكنا من اخذهم اموالنا وما يفعله النايب عنهم بنا من الهوان وكانوا قد جعلوا بهمذان شحنة لهم يحكم فى اهلها بما يختاره فقال الشريف اذا كنّا نعجز عنهم فكيف الحيلة فليس لنا الّا مصانعتهم

بالاموال فقالوا له انت اشدّ علينا من الكفّار واغلظوا له فى القول فقال انا واحد منكم فاصنعوا ما شئتم فاشار الفقيه باخراج شحنة التتر من البلد والامتناع فيه ومقاتلة التتر فوثب العامّة على الشحنة فقتلوه وامتنعوا فى البلد ، فتقدّم التتر اليهم وحصروهم وكانت الاقوات متعذّرة فى تلك البلاد جميعها لخرابها وقتل اهلها وجلا من سلم منهم فلا يقدر احدٌ على الطعام الّا قليلًا وامّا التتر فلا يُبالون لعدم الاقوات لانّهم لا ياكلون الّا اللحم ولا تاكل دوابّهم الّا نبات الارض حتّى انّها تحفر بحوافرها الارض عن عروق النبات فتاكلها فلمّا حصروا همدان قاتلهم اهلها والرئيس والفقيه فى اوايلهم فقُتل من التتر خلق كثير وجُرح الفقيه عدّة جراحات وافترقوا ثمّ خرجوا من الغد فاقتتلوا اشدّ من القتال الاوّل وقُتل ايضًا من التتر اكثر من اليوم الاوّل وجُرح الفقيه ايضًا عدّة جراحات وهو صابر وارادوا ايضًا الخروج اليوم الثالث فلم يُطق الفقيه الركوب وطلب الناس الرئيس العلوىّ فلم يجدوه كان قد هرب فى سرب صنعه الى ظاهر البلد هو واهله الى قلعة هناك على جبل عالٍ فامتنع فيها فلمّا فقده الناس بقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون الّا انّهم اجتمعت كلمتهم على القتال الى ان يموتوا فاقاموا فى البلد ولم يخرجوا منه وكان التتر قد عزموا على الرحيل لكثرة مَن قُتل منهم فلمّا لم يروا احدًا خرج اليهم من البلد طمعوا واستدلّوا على ضعف اهله فقصدوهم وقاتلوهم فى رجب من سنة ثمان عشرة وستّمائة ودخلوا المدينة بالسيف وقاتلهم الناس فى الدروب فبطل السلاح للزحمة واقتتلوا بالسكاكين فقُتل من الفريقين ما لا يحصيه الّا الله تعالى وقوى التتر على المسلمين فافنوهم قتلًا ولم يسلم الّا مَن كان عمل له نفقًا يختفى فيه وبقى القتل فى المسلمين عدّة ايّام ثمّ القوا النار فى البلد فاحرقوه ورحلوا عنها الى مدينة اردويل ، وقيل كان السبب فى مُلكها انّ اهل البلد لمّا شكوا الى الرئيس الشريف ما يفعل بهم الكفّار اشار عليهم بمكاتبة الخليفة لينفذ اليهم عسكرًا مع امير يجمع كلمتهم فاتّفقوا على ذلك فكتب الى الخليفة ينهى اليه ما هم عليه من الخوف والذلّ وما يركبهم به العدوّ من الصغار والخزى ويطلب نجدة ولو الف

فارس مع امير يقاتلون معه ويجتمعون عليه فلمّا سار القصّاد بالكتب ارسل بعض مَن علم بالحال الى التتر يُعلمهم ذلك فارسلوا الى الطريق فاخذوهم واخذوا الكتب منهم وارسلوا الى الرئيس ينكرون عليه الحال فجحد فارسلوا اليه كتبه وكتب الجماعة فسقط في ايديهم وتقدّم اليهم التتر حينئذ وقاتلوهم وجرى في القتال كما ذكرنا ✿

ذكر مسير التتر الى اذربيجان ومُلكهم اردويل وغيرها

لمّا فرغ التتر من همذان ساروا الى اذربيجان فوصلوا الى اردويل فملكوها وقتلوا فيها واكثروا وخربوا اكثرها وساروا منها الى تبريز وكان قد قام بامرها شمس الدين الطغرائيّ وجمع كلمة اهلها وقد فارقها صاحبها اوزبك بن البهلوان وكان اميرًا متخلّفًا لا يزال منهكمًا في الخمر ليلًا ونهارًا يبقى الشهر والشهرين لا يظهر واذا سمع هيعة طار مجفلًا لها وله جميع اذربيجان وارّان وهو اعجز خلق الله عن البلاد من عدوّ يريدها ويقصدها فلمّا سمع بمسير التتر من همذان فارق هو تبريز وقصد نقجوان وسيّر اهله ونسآءه الى خُوَىّ ليبعد عنهم فقام هذا الطغرائيّ بامر البلد وجمع الكلمة وقوّى نفوس الناس على الامتناع وحذرهم عاقبة التخاذل والتواني وحصّن البلد بجهده وطاقته فلمّا قاربه التتر وسمعوا بما اهل البلد عليه من اجتماع الكلمة على قتالهم وانّهم قد حصّنوا المدينة واصلحوا اسوارها وخندقها ارسلوا يطلبون منهم مالًا وثيابًا فاستقرّ الامر بينهم على قدْر معلوم من ذلك فسيّروه اليهم فاخذوه ورحلوا الى مدينة سَرَاوْ فنهبوها وقتلوا كلّ مَن فيها ورحلوا منها الى بَيْلقان من بلاد ارّان فنهبوا كلّ ما مرّوا به من البلاد والقرى وخرّبوا وقتلوا مَن ظفروا به من اهلها فلمّا وصلوا الى بَيْلقان حصروها فاستدعى اهلها منهم رسولًا يقرّرون معهم الصلح فارسلوا اليهم رسولًا من اكابرهم ومقدّميهم فقتله اهل البلد فزحف التتر اليهم وقاتلوهم ثمّ انّهم ملكوا البلد عنوةً في شهر رمضان سنة ثمان عشرة ووضعوا السيف فلم يبقوا على صغير ولا كبير ولا امراة حتّى انّهم يشقّون بطون الحبالى ويقتلون الاجنّة وكانوا يفجرون بالمراة ثمّ يقتلونها وكان الانسان منهم يدخل الدرب فيه الجماعة فيقتلهم واحدًا بعد واحد حتّى يفرغ من الجميع لا يمدّ احد منهم اليه يدًا ، فلمّا فرغوا منها استقصوا ما حولها

من النهب والتخريب وساروا الى مدينة كنجة وهي امّ بلاد اران فعلموا بكثرة اهلها وشجاعتهم لكثرة دربتهم بقتال الكرج وحصانتها فلم يقدموا عليها فارسلوا الى اهلها يطلبون منهم المال والثياب فحملوا اليهم ما طلبوا فساروا عنهم ✿

ذكر وصول التتر [الى] بلاد الكُرج

لمّا فرغ التتر من بلاد المسلمين باذربيجان واران بعضه بالملك وبعضه بالصلح ساروا الى بلاد الكُرج من هذه الاعمال ايضًا وكان الكرج قد اعدّوا لهم واستعدّوا وسيّروا جيشًا كثيرًا الى طرف بلادهم ليمنعوا التتر عنها فوصل اليهم التتر فالتقوا فلم يثبت الكرج بل ولّوا منهزمين فاخذهم السيف فلم يسلم منهم الّا الشريد ولقد بلغني انّهم قتل منهم نحو ثلاثين الفًا ونهبوا ما وصلوا من بلادهم وخرّبوها وفعلوا بها ما هو عادتهم فلمّا وصل[1] المنهزمون الى تفليس وبها ملكهم جمعوا جموعًا اخرى وسيّرهم الى التتر ايضًا ليمنعوهم من توسّط بلادهم فراوا التتر وقد دخلوا البلاد لم يمنعهم جبل ولا مضيق ولا غير ذلك فلمّا راوا فعلهم عادوا الى تفليس فاخلوا البلاد ففعل التتر فيها ما ارادوا من النهب والقتل والتخريب وراوا بلادًا كثيرة المضايف والدربندات فلم يتجاسروا على الوغول فيها فعادوا عنها وداخل الكرج منهم خوفٌ عظيم حتّى سمعتُ عن بعض اكابر الكرج وكان قدم رسولًا انّه قال من حدّثكم انّ التتر انهزموا وأُسروا فلا تصدّقوه واذا حُدّثتم انّهم قُتلوا فصدّقوا فانّ القوم لا يفرّون ابدًا ولقد اخذنا اسيرًا منهم فالقى نفسه من الدابّة وضرب راسه بالحجر الى ان مات ولم يسلّم نفسه للاسر ✿

ذكر وصولهم الى دربند شروان[2] وما فعلوه

لمّا عاد التتر من بلد الكرج قصدوا دربند شروان[2] فحصروا مدينة شماخى[3] وقاتلوا اهلها فصبروا على الحصر ثمّ انّ التتر صعدوا سورها بالسلاليم وقيل بل جمعوا كثيرًا من الجمال والبقر والغنم وغير ذلك ومن قتلى الناس منهم وممّن قتل من غيرهم والقوا بعضه فوق بعض فصار مثل التلّ وصعدوا عليه فاشرفوا على المدينة وقاتلوا اهلها فصبروا واشتدّ القتال ثلاثة ايّام فاشرفوا على ان يوخذوا فقالوا السيف لا بدّ منه فالصبر

1) سمع 2) شوران 3) سماحى

اولى بنا نموت كرامًا فصبروا تلك الليلة فانتن تلك الجيف وانهضمت فلم يبق للتتر على السور استعلآء ولا تسلّط على الحرب فعاودوا الزحف وملازمة القتال فضجر اهلها ومسّهم التعب والكلال والاعيآء فضعفوا فملك التتر البلد وقتلوا فيه كثيرًا ونهبوا الاموال فامتاحوها فلمّا فرغوا منه ارادوا عبور الدربند فلم يقدروا على ذلك فارسلوا رسولاً الى شروان [شاه][1] ملك دربند شروان يقولون له ليرسل اليهم رسولاً يسعى بينهم فى الصلح فارسل عشرة رجال من اعيان اصحابه فاخذوا احدهم فقتلوه ثمّ قالوا للباقين ان انتم عرّفتمونا طريقًا نعبر فيه فلكم الامان وان لم تفعلوا قتلناكم كما قتلنا هذا فقالوا لهم انّ هذا الدربند ليس فيه طريق البتّة ولكن فيه موضع هو اسهل ما فيه من الطرق فساروا معهم الى ذلك الطريق فعبروا فيه وخلّفوه ورآء ظهورهم ❀

ذكر ما فعلوه باللان وقفجاق

لمّا عبر التتر دربند شروان[2] ساروا فى تلك الاعمال وفيها اممٌ كثيرة منهم اللان واللكز وطوايف من الترك فنهبوا وقتلوا من اللكز كثيرًا وهم مسلمون وكفّار واوقعوا بمن عداهم من اهل تلك البلاد ووصلوا الى اللان وهم امم كثيرة وقد بلغهم خبرهم فجدّوا وجمعوا عندهم جمعًا من قفجاق فقاتلوهم فلم تظفر احدى الطايفتين بالاخرى فارسل التتر الى قفجاق يقولون نحن وانتم جنس واحد وهولآء اللان ليسوا منكم حتّى تنصروهم ولا دينكم مثل دينهم ونحن نعاهدكم انّنا لا نعترض اليكم ونحمل اليكم من الاموال والثياب ما شيتم وتتركون بيننا وبينهم فاستقرّ الامرّ بينهم على مال حملوه وثياب وغير ذلك فحملوا اليهم ما استقرّ وفارقهم قفجاق فاوقع التتر باللان فقتلوا منهم واكثروا ونهبوا وسبوا وساروا الى قفجاق وهم امنون متفرّقون لما استقرّ بينهم من الصلح فلم يسمعوا بهم الّا وقد طرقوهم ودخلوا بلادهم فاوقعوا بهم الاوّل فالاوّل واخذوا منهم اضعاف ما حملوا اليهم وسمع من كان بعيد الدار من قفجاق الخبر ففرّوا من غير قتال وابعدوا فبعضهم اعتصم بالغياض وبعضهم بالجبال وبعضهم لحق ببلاد

---

[1]) *J. As.* 1849 II, 454.   [2]) شوران

الروس واقام التتر فى بلاد قفجاق وهى ارض كثيرة المراعى فى الشتآء والصيف وفيها اماكن باردة فى الصيف كثيرة المرعى واماكن حارّة فى الشتآء كثيرة المرعى وهى غياض على ساحل البحر ووصلوا الى مدينة سوداق وهى مدينة قفجاق التى منها مادّتهم فانّها على بحر خزريّة والمراكب تصل اليها وفيها الثياب فتشترى منهم وتبيع عليهم الجوارى والمماليك والبُرطاسى والقندر والسنجاب وغير ذلك ممّا هو فى بلادهم وهذا بحر خزريّة هو بحر متّصل بخليج القسطنطينيّة ولمّا وصل التتر الى سوداق ملكوها وتفرّق اهلها منها فبعضهم صعد الجبال باهله وماله وبعضهم ركب البحر وسار الى بلاد الروم التى بيد المسلمين من اولاد قلج ارسلان ۞

ذكر ما فعله التتر بقفجاق والروس

لمّا استولى التتر على ارض قفجاق وتفرّق قفجاق كما ذكرنا سار طايفة كثيرة منهم الى بلاد الروس وهى بلاد كثيرة طويلة عريضة تجاورهم واهلها يدينون بالنصرانيّة فلمّا وصلوا اليهم اجتمعوا كلّهم واتّفقت كلمتهم على قتال التتر ان قصدوهم واقام التتر بارض قفجاق مدّة ثمّ انّهم ساروا سنة عشرين وستّمائة الى بلاد الروس فسمع الروس وقفجاق خبرهم وكانوا مستعدّين لقتالهم فساروا الى طريق التتر ليلقوهم قبل ان يصلوا الى بلادهم ليمنعوهم عنها فبلغ مسيرهم الى التتر فعادوا على اعقابهم راجعين فطمع الروس وقفجاق فيهم وظنّوا انّهم عادوا خوفًا منهم وعجزًا عن قتالهم فجدّوا فى اتباعهم ولم يزل التتر راجعين واوليك يقفون اثرهم اثنى عشر يومًا ثمّ انّ التتر عطفوا على الروس وقفجاق فلم يشعروا بهم الّا وقد لقوهم على غرّة منهم لانّهم كانوا قد امنوا التتر واستشعروا القدرة عليهم فلم يجتمعوا للقتال الّا وقد بلغ التتر منهم مبلغًا عظيمًا فصبر الطايفتان صبرًا لم يُسمع بمثله ودام القتال بينهم عدّة ايّام ثمّ انّ التتر ظفروا واستظهروا فانهزم قفجاق والروس هزيمة عظيمة بعد ان اثخن فيهم التتر وكثر القتل فى المنهزمين فلم يسلم منهم الّا القليل ونُهب جميع ما معهم ومَن سلم وصل الى البلاد على اقبح صورة لبُعد الطريق والهزيمة وتبعهم كثير يقتلون وينهبون ويخربون البلاد حتّى خلا اكثرها فاجتمع كثير من اعيان تجار الروس واغنيآيهم وحملوا ما يعزّ عليهم وساروا يقطعون

البحر الى بلاد الاسلام فى عدّة مراكب فلمّا قاربوا المرسى الذى يريدونه انكسر مركب من مراكبهم فغرق الّا انّ الناس نجوا وكانت العادة جارية انّ السلطان له مركب ينكسر فاخذ من ذلك شيأً كثيرًا وسلم باقى المراكب واخبر مَن بها بهذه الحال ٭

ذكر عود التتر من بلاد الروس وقفجاق الى ملكهم

لمّا فعل التتر بالروس ما ذكرناه ونهبوا بلادهم عادوا عنها وقصدوا بلغار اواخر سنة عشرين وستمائة فلمّا سمع اهل بلغار بقربهم منهم كمنوا لهم فى عدّة مواضع وخرجوا اليهم فلقوهم واستجرّوهم الى ان جاوزوا موضع الكمناء فخرجوا عليهم من ورآء ظهورهم فبقوا فى الوسط واخذهم السيف من كلّ ناحية فقُتل اكثرهم ولم ينج منهم الّا القليل قيل كانوا نحو اربعة الاف رجل فساروا الى سقسين عايدين الى ملكهم جنكزخان وخلت ارض قفجاق منهم فعاد من سلم منهم الى بلادهم وكان الطريق منقطعًا مذ دخلها التتر فلم يصل منهم شئٌ من البرطاسى والسنجاب والقندر وغيرها ممّا يُحمل من تلك البلاد فلمّا فارقوها عادوا الى بلادهم واتّصلت الطريق وحملت الامتعة كما كانت ء هذا اخبار التتر المغربة قد ذكرناها سياقة واحدة لِئلّا تنقطع ٭

ذكر ما فعله التتر بما ورآء النهر بعد بخارى وسمرقند

قد ذكرنا ما فعله التتر المغربة التى سيّرها ملكهم جنكزخان لعنه الله الى خوارزم شاه وامّا جنكزخان فانّه بعد ان سيّر هذه الطايفة الى خوارزم شاه وبعد انهزام خوارزم شاه من خراسان قسم اصحابه عدّة اقسام فسيّر قسمًا منها الى بلاد فرغانة ليملكوها وسيّر قسمًا اخر منها الى ترمذ وسيّر قسمًا منها الى كلانة وهى قلعة حصينة على جانب جيحون من احصن القلاع وامنع الحصون فسار كلّ طايفة الى الجهة التى أُمرت بقصدها ونازلتها واستولت عليها وفعلت من القتل والاسر والسبى والنهب والتخريب وانواع الفساد مثل ما فعل اصحابهم فلمّا فرغوا من ذلك عادوا الى ملكهم جنكزخان وهو بسمرقند فجهّز جيشًا عظيمًا مع احد اولاده وسيّرهم الى خوارزم وسيّر جيشًا اخر فعبروا جيحون الى خراسان ٭

ذكر ملك التتر خراسان

لمّا سار الجيش المنفذ الى خراسان عبروا جيحون وقصدوا مدينة بلخ فطلب اهلها الامان فآمّنوهم فسلّم البلد سنة سبع عشرة وستّمائة ولم يتعرّضوا اليه بنهب ولا قتل بل جعلوا فيه شحنة وساروا وقصدوا الزوزان وميمند[1] واندخوى وقاريات فملكوا الجميع وجعلوا فيه وُلاةً ولم يتعرّضوا الى اهلها بسوء ولا اذّى سوى انّهم كانوا ياخذون الرجال ليقاتلوا بهم مَن يمتنع عليهم حتّى وصلوا الى الطالقان وهى ولاية تشتمل على عدّة بلاد وفيها قلعة حصينة يقال لها منصوركوه لا تُرام علوًّا وارتفاعًا وبها رجال يقاتلون شجعان فحصروه مدّة ستّة اشهر يقاتلون اهلها ليلًا ونهارًا ولا يظفرون منها بشئٍ فارسلوا الى جنكزخانُ يعرّفونه عجزهم عن ملك هذه القلعة لكثرة مَن فيها من المقاتلة ولامتناعها بحصانتها فسار بنفسه وبمن عنده من جموعه اليهم وحصرها ومعه خلق كثير من المسلمين اسرى فامرهم بمباشرة القتال والّا قتلهم فقاتلوا معه واقام عليها اربعة اشهر اخرى فقُتل من التتر عليها خلق كثير فلمّا راى ملكهم ذلك امر ان يجمع له من الحطب والاخشاب ما امكن جمعه ففعلوا ذلك وصاروا يعملون صفًّا من خشب وفوقه صفًّا من تراب فلم يزالوا كذلك حتّى صار تلًّا عاليًا يوازى القلعة فاجتمع مَن بها وفتحوا بابها وخرجوا منها وحملوا حملة رجل واحد فسلم الخيّالة منهم ونجوا وسلكوا تلك الجبال والشعاب وامّا الرجالة فقُتلوا ودخل التتر القلعة وسبوا النسآء والاطفال ونهبوا الاموال والامتعة ثمّ انّ جنكزخان جمع اهل البلاد التى اعطاهم الامان ببلخ وغيرها وسيّرهم مع بعض اولاده الى مدينة مرو فدخلوا اليها وقد اجتمع بها من الاعراب والاتراك وغيرهم ممّن نجا من المسلمين ما يزيد على مائتَىْ الف رجل وهم معسكرون بظاهر مرو وهم عازمون على لقآء التتر ويحدّثون نفوسهم بالغلبة لهم والاستيلآء عليهم فلمّا وصل التتر اليهم التقوا واقتتلوا فصبر المسلمون وامّا التتر فلا يعرفون الهزيمة حتّى انّ بعضهم أُسر فقال وهو عند المسلمين ان قيل انّ التتر يقتلون فصدّقوا وان قيل انّهم

---

1) وميمنه

ينهزمون فلا تصدّقوا ، فلمّا راى المسلمون صبر التتر واقدامهم ولّوا منهزمين فقتل التتر منهم واسروا الكثير ولم يسلم الّا القليل ونُهبت اموالهم وسلاحهم ودوابّهم وارسل التتر الى ما حولهم من البلاد يجمعون الرجال لحصار مرو فلمّا اجتمع لهم ما ارادوا تقدّموا الى مرو وحصروها وجدّوا فى حصرها ولازموا القتال وكان اهل البلد قد ضعفوا بانهزام ذلك العسكر وكثرة القتل والاسر فيهم فلمّا كان اليوم الخامس من نزولهم ارسل التتر الى الامير الذى بها متقدّمًا على مَن فيها يقولون له لا تُهلك نفسك واهل البلد واخرج الينا فنحن نجعلك امير هذه البلدة ونرحل عنك فارسل يطلب الامان لنفسه ولاهل البلد فامّنهم فخرج اليهم فخلع عليه ابن جنكزخان واحترمه وقال له اريد ان تعرض على اصحابك حتّى تنظر من يصلح لخدمتنا استخدمناه واعطيناه اقطاعًا ويكون معنا فلمّا حضروا عنده وتمكّن منهمُ قبض عليهم وعلى اميرهم وكتفوهم فلمّا فرغ منهم قال لهم اكتبوا الىّ تجار البلد ورساه وارباب الاموال فى جريدة واكتبوا الىّ ارباب الصناعات والحرف فى نسخة اخرى واعرضوا ذلك علينا ففعلوا ما امرهم فلمّا وقف على النسخ اُمر ان يخرج اهل البلد منه باهليهم فخرجوا كلّهم ولم يبق فيه احد فجلس على كرسى من ذهب وامر ان يحضر اولئك الاجناد الذين قبض عليهم فأُحضروا وضُربت رقابهم صبرًا والناس ينظرون اليهم ويبكون وامّا العامّة فانّهم قسموا الرجال والنسآء والاطفال والاموال فكان يومًا مشهودًا من كثرة الصراخ والبكآء والعويل واخذوا ارباب الاموال فضربوهم وعذّبوهم بانواع العقوبات فى طلب الاموال فربّما مات احدهم من شدّة الضرب ولم يكن بقى له يفتدى به نفسه ثمّ انّهم احرقوا البلد واحرقوا تربة السلطان سنجر ونبشوا القبر طلبًا للمال فبقوا كذلك ثلاثة ايّام فلمّا كان اليوم الرابع امر بقتل اهل البلد كافّة وقال هولآء عصوا علينا فقتلوهم اجمعين وامر باحصآء القتلى فكانوا نحو سبعمائة الف قتيل فانّا لله وانّا اليه راجعون ممّا جرى على المسلمين ذلك اليوم ثمّ ساروا الى نيسابور فحصروها خمسة ايّام وبها جمع صالح من العسكر الاسلامىّ فلم يكن لهم بالتتر قوّة فملكوا المدينة واخرجوا اهلها الى الصحرآء فقتلوهم وسبوا حريمهم وعاقبوا من اتّهموه بمال كما فعلوا

بمرو واقاموا خمسة عشر يومًا يخربون ويفتشون المنازل عن الاموال وكانوا
لمّا قتلوا اهل مرو قيل لهم انّ قتلاهم سلم منهم كثير ونجوا الى بلاد
الاسلام فامروا باهل نيسابور ان تقطع روسهم لئلّا يسلم من القتل احد
فلمّا فرغوا من ذلك وسيّروا طايفة منهم الى طوس ففعلوا بها كذلك ايضًا
وخرّبوها وخرّبوا المشهد الذى فيه علىّ بن موسى الرضى والرشيد حتّى
جعلوا الجميع خرابًا ، ثمّ ساروا الى هراة وهى من احصن البلاد فحصروها
عشرة ايّام فملكوها وامّنوا اهلها وقتلوا منهم البعض وجعلوا عند من سلم
منهم شحنة وساروا الى غزنة فلقيهم جلال الدين ابن خوارزم شاه فقاتلهم
وهزمهم على ما نذكره ان شآء الله فوثب اهل هراة على الشحنة فقتلوه
فلمّا عاد المنهزمون اليهم دخلوا البلد قهرًا وعنوةً وقتلوا كلّ من فيه
ونهبوا الاموال وسبوا الحريم ونهبوا السواد وخربوا المدينة جميعها واحرقوها
وعادوا الى ملكهم جنكزخان وهو بالطالقان يرسل السرايا الى جميع بلاد
خراسان ففعلوا بها كذلك ولم يسلم من شرّهم وفسادهم شئ من البلاد
وكان جميع ما فعلوه بخراسان سنة سبع عشرة ۞

ذكر ملكهم خوارزم وتخريبها

واما الطايفة من الجيش التى سيّرها جنكزخان الى خوارزم فانّها
كانت اكثر السرايا جميعها لعظم البلد فساروا حتّى وصلوا الى خوارزم
وفيها عسكر كبير واهل البلد معروفون بالشجاعة والكثرة فقاتلوهم اشدّ
قتال سمع به الناس ودام الحصر لهم خمسة اشهر فقُتل من الفريقين خلق
كثير الّا انّ القتلى من التتر كانوا اكثر لانّ المسلمين كان يحميهم
السور فارسل التتر الى ملكهم جنكزخان يطلبون المدد فامدّهم بخلق كثير
فلمّا وصلوا الى البلد زحفوا زحفًا متتابعًا فملكوا طرفًا منه فاجتمع اهل
البلد وقاتلوهم فى طرف الموضع الذى ملكوا فلم يقدروا على اخراجهم ولم
يزالوا يقاتلونهم والتتر يملكون منهم محلّة بعد محلّة وكلّما ملكوا محلّة
قاتلهم المسلمون فى المحلّة التى تليهم فكان الرجال والنسآء والصبيان يقاتلون
فلم يزالوا كذلك حتّى ملكوا البلد جميعه وقتلوا كلّ من فيه ونهبوا
كلّ ما فيه ثمّ انّهم فتحوا السكر الذى يمنع مآء جيحون عن البلد

فدخله الماء فغرق البلد جميعه وتهدّمت الابنية وبقى موضعه ماء ولم يسلم من اهله احدٌ البتّة فانّ غيره من البلاد قد كان يسلم بعض اهله منهم مَن يختفى ومنهم مَن يهرب ومنهم مَن يخرج ثمّ يسلم ومنهم مَن يُلقى نفسه بين القتلى فينجون واما خوارزم فمن اختفى من التتر غرّقه الماء او قتله الهدم فاصبحت خراباً ابابًا

كانْ لم يكن بين الحجون الى الصفا انيسٌ ولم يسمر بمكّة سامرُ

وهذا لم يُسمع بمثله فى قديم الزمان وحديثه نعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الخذلان بعد النصر فلقد عمّت هذه المصيبة الاسلام واهله فكم من قتيل من اهل خراسان وغيرها لانّ القاصدين من التجار وغيرهم كانوا كثيرًا مضى الجميع تحت السيف ولمّا فرغوا من خراسان وخوارزم عادوا الى ملكهم بالطالقان ✿

ذكر مُلك التتر غزنة وبلاد الغور

لمّا فرغ التتر من خراسان وعادوا الى ملكهم جهّز جيشًا كثيفًا وسيّره [الى] غزنة وبها جلال الدين بن خوارزم شاه مالكًا لها وقد اجتمع اليه مَن سلم من عسكر ابيه قيل كانوا ستّين الفًا فلمّا وصلوا الى اعمال غزنة خرج اليهم المسلمون مع ابن خوارزم شاه الى موضع يقال له بلق[1] فالتقوا هناك واقتتلوا قتالاً شديدًا وبقوا كذلك ثلاثة ايّام ثمّ انزل الله نصره على المسلمين فانهزم التتر وقتلهم المسلمون كيف شاءوا ومن سلم منهم عاد الى ملكهم بالطالقان ، فلمّا سمع اهل هراة بذلك ثاروا بالوالى الذى عندهم للتتر فقتلوه فسيّر اليهم جنكزخان عسكرًا فملكوا البلد وخرّبوه كما ذكرناه ، فلمّا انهزم التتر ارسل جلال الدين رسولًا الى جنكزخان يقول له فى اىّ موضع تريد يكون الحرب حتّى نأتى اليه فجهّز جنكزخان عسكرًا كثيرًا اكثر من الاوّل مع بعض اولاده وسيّره اليه فوصل الى كابل فتوجّه العسكر الاسلامىّ اليهم وتصادفوا هناك وجرى بينهم قتال عظيم فانهزم الكفّار ثانيًا فقُتل كثير منهم وغنم المسلمون ما معهم وكان عظيمًا وكان معهم من اسارى المسلمين خلق كثير فاستنقذوهم وخلّصوهم ثمّ انّ المسلمين جرى بينهم فتنة لاجل الغنيمة وسبب ذلك انّ اميرًا

1) 740: بلف C. P. et Ups.: بلعى

منهم يقال له سيف الدين بُغراق اصله من الاتراك الخلج كان شجاعًا مقدامًا ذا راى فى الحرب ومكيدة واصطلى الحرب مع التتر بنفسه وقال لعسكر جلال الدين تاخّروا انتم فقد مُلِئتم منهم رعبًا وهو الذى كسر التتر على الحقيقة ، وكان من المسلمين ايضًا امير كبير يقال له ملك خان بينه وبين خوارزم شاه نسب وهو صاحب هراة فاختلف هذان الاميران فى الغنيمة فاقتتلوا فقتل بينهم اخ لبغراق فقال بغراق انا اهزم الكفّار ويقتل اخى لاجل هذا السحت فغضب وفارق العسكر وسار الى الهند فتبعه من العسكر ثلاثون الفًا كلّهم يريدونه فاستعطفه جلال الدين بكلّ طريق وسار بنفسه اليه وذكّره الجهاد وخوّفه من الله تعالى وبكى بين يديه فلم يرجع وسار مفارقًا فانكسر لذلك المسلمون وضعفوا فبينما هم كذلك اذ ورد الخبر انّ جنكزخان قد وصل فى جموعه وجيوشه فلمّا راى جلال الدين ضعف المسلمين لاجل مَن فارقهم من العسكر ولم يقدر على المقام فسار نحو بلاد الهند فوصل الى مآء السند وهو نهر كبير فلم يجد من السفن ما يعبر فيه وكان جنكزخان يقصّ اثره مسرعًا فلم يتمكّن جلال الدين من العبور حتّى ادركه جنكزخان فى التتر فاضطرّ المسلمون حينئذ الى القتال والصبر لتعذّر العبور عليهم وكانوا فى ذلك كالاشقر ان تاخّر يقتل وان تقدّم يُعقر فتصافّوا واقتتلوا اشدّ قتال اعترفوا كلّهم انّ كلّ ما مضى من الحروب كان لعبًا بالنسبة الى هذا القتال فبقوا كذلك ثلاثة ايّام فقُتل الامير ملك خان المقدّم ذكره وخلق كثير وكان القتل فى الكفّار اكثر والجراح اعظم فرجع الكفّار عنهم فابعدوا ونزلوا فلمّا راى المسلمون انّهم لا مدد لهم وقد ازدادوا ضعفًا بمن قُتل منهم وجُرح ولم يعلموا بما اصاب الكفّار من ذلك فارسلوا يطلبون السفن فوصلت وعبر المسلمون ليقضى الله امرًا كان مفعولًا فلمّا كان الغد عاد الكفّار الى غزنة وقد قويت نفوسهم بعبور المسلمين المآء الى جهة الهند وبُعدهم فلمّا وصلوا اليها ملكوها لوقتها لخلوّها من العساكر والحامى فقتلوا اهلها ونهبوا الاموال وسبوا الحريم ولم يبق احد وخرّبوها واحرقوها وفعلوا بسوادها كذلك ونهبوا وقتلوا واحرقوا فاصبحت تلك الاعمال جميعها خالية من الانيس خاوية على عروشها كان لم تغن بالامس ٭

ذكر تسليم الاشرف خلاط الى اخيه شهاب الدين غازى

اواخر هذه السنة اقطع الملك الاشرف موسى بن العادل مدينة خلاط وجميع الاعمال ارمينية ومدينة ميّافارقين من ديار بكر ومدينة حانى اخاه شهاب الدين غازى بن العادل واخذ منه مدينة الرُّها ومدينة سروج من بلاد الجزيرة وسيّره الى خلاط اوّل سنة ثمان عشرة وستمائة وسبب ذلك انّ الكُرج لمّا قصد التتر بلادهم وهزموهم ونهبوها وقتلوا كثيرًا من اهلها ارسلوا الى اوزبك صاحب اذربيجان وارّان يطلبون منه المهادنة والموافقة على دفع التتر وارسلوا الى الملك الاشرف فى هذا المعنى وقالوا للجميع ان لم توافقونا على قتال هولآء القوم ودفعهم عن بلادنا وتحضرون بنفوسكم وعساكركم لهذا المهمّ والّا صالحناهم عليكم فوصلت رسلهم الى الاشرف وهو يتجهّز الى الديار المصريّة لاجل الفرنج وكانوا عنده اهمّ الوجوه لاسبابٍ اوّلها انّ الفرنج كانوا قد ملكوا دمياط وقد اشرفت الديار المصريّة على ان تُملك فلو ملكوها لم يبق بالشام ولا غيره معهم ملك لاحد وثانيها انّ الفرنج اشدّ شكيمة وطالِبُوا مُلك فاذا ملكوا قرية لا يفارقونها الّا بعد ان يعجزوا عن حفظها يومًا واحدًا وثالثها انّ الفرنج قد طمعوا فى كرسى مملكة البيت العادلىّ وهى مصر والتتر لم يصلوا اليها ولم يجاوزوا شيأً من بلادهم وليسوا ايضًا ممّن يريد المنازعة فى الملك وما غرضهم الّا النهب والقتل وتخريب البلاد والانتقال من بلد الى اخر فلمّا اتاه رسل الكرج بما ذكرناه اجابهم يعتذر بالمسير الى مصر لدفع الفرنج ويقول لهم اننى قد اقطعتُ ولاية خلاط لاخى وسيّرتُه اليها ليكون بالقرب منكم وتركتُ عنده العساكر فتى احتجتم الى نصرته حضر لدفع التتر وسار هو الى مصر كما ذكرناه ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى ربيع الاخر ملك بدر الدين قلعة تلّ اعفر، وفيها فى جمادى الاولى ملك الاشرف مدينة سنجار، وفيها ايضًا وصل الموصل واقام بظاهرها ثمّ سار يريد اربل لقصد صاحبها فترددت الرسل بينهم فى الصلح فاصطلحوا فى شعبان وقد تقدّم هذا جميعه مفصّلًا سنة خمس عشرة وستّمائة، وفيها وصل التتر الرىّ فملكوها وقتلوا كلّ

مَن فيها ونهبوها وساروا عنها فوصلوا الى همدان فلقيهم رئيسها بالطاعة والحمل فابقوا على اهلها وساروا الى اذربيجان فخرّبوا وحرقوا البلاد وقتلوا وسبوا وعملوا ما لم يُسمع بمثله وقد تقدّم ايضًا مفصّلاً ، وفيها توفّى نصير الدين ناصر بن مهدى العلوىّ الذى كان وزيرَ الخليفة وصلّى عليه بجامع القصر وحضره ارباب الدولة ودُفن بالمشهد ، وفيها توفّى صدر الدين ابو الحسن محمّد بن حموية الجوينىّ شيخ الشيوخ بمصر والشام وكان موته بالموصل وردها رسولاً وكان فقيهًا فاضلاً وصوفيًّا صالحًا من بيت كبير من خراسان رحمه الله كان نعم الرجلِ ، وفيها عاد جمع بنى معروف الى مواضعهم من البطيحة وكانوا قد ساروا الى الاجنا والقطيف فلم يمكنهم المقام لكثرة اعدآيهم فقصدوا شحنة البصرة وطلبوا منه ان يكاتب الديوان ببغداد بالرضى عنهم فكتب معهم بذلك وسيّرهم مع اصحابه الى بغداد فلمّا قاربوا واسط لقيهم قاصد من الديوان بقتلهم فقُتلوا ✿

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وستّمأية ،

سنة ٦١٨

ذكر وفاة قتادة امير مكّة ومُلك ابنه الحسن وقتل امير الحاجّ

فى هذه السنة فى جمادى الاخرة توفّى قتادة بن ادريس العلوىّ ثمّ الحسينىّ امير مكّة حرسها الله وكان عمره نحو سبعين سنة وكانت ولايته قد اتّسعت من حدود اليمن الى مدينة النبىّ صلّعم وله قلعة ينبع بنواحى المدينة وكثر عسكره واستكثر من المماليك وخافه العرب فى تلك البلاد خوفًا عظيمًا وكان فى اوّل مُلكه لمّا ملك مكّة حرسها الله حسن السيرة ازال عنها العبيد المفسدين وحمى البلاد واحسن الى الحجاج واكرمهم وبقى كذلك مدّةً ثمّ انّه بعد ذلك اسآء السيرة وجدّد المكوس بمكّة وفعل افعالاً شنيعة ونهب الحاجّ فى بعض السنين كما ذكرناه ، ولمّا مات ملك بعده ابنه الحسن وكان له ابن اخر اسمه راجح مقيم فى العرب بظاهر مكّة يفسد وينازع اخاه فى مُلكه فلمّا سار حاجّ العراق كان الامير عليهم مملوك من مماليك الخليفة الناصر لدين الله اسمه اقباش وكان حسن السيرة مع الحاجّ فى الطريق كثير الحماية فقصده راجح بن قتادة وبذل له وللخليفة مالاً ليساعده على مُلك مكّة فاجابه الى ذلك

ووصلوا الى مكّة ونزلوا بالزاهر وتقدّم الى مكّة مقاتلًا لصاحبها حسن وكان
حسن قد جمع جموعًا كثيرة من العرب وغيرها فخرج اليه من مكّة
وقاتله وتقدّم امير الحاجّ من بين يدى عسكره منفردًا وصعد الجبل ادلالًا
بنفسه وانّه لا يقدم احد عليه فاحاط به اصحاب حسن وقتلوه وعلقوا
راسه فانهزم عسكر امير المومنين واحاط اصحاب حسن بالحاجّ لينهبوهم فارسل
اليهم حسن عمامته امانًا للحجّاج فعاد اصحابه ولم ينهبوا منهم شيًا
وسكن الناس واذن لهم حسن فى دخول مكّة وفعل ما يريدونه من
الحجّ والبيع وغير ذلك واقاموا بمكّة عشرة ايّام وعادوا فوصلوا الى العراق
سالمين وعظم الامر على الخليفة فوصلت رسل حسن يعتذرون ويطلب العفو
عنه فاجيب الى ذلك ، وقيل فى موت قتادة انّ ابنه حسنًا خنقه فمات
وسبب ذلك انّ قتادة جمع جموعًا كثيرة وسار عن مكّة يريد المدينة
فنزل بوادى الفُرْع وهو مريض وسيّر اخاه على الجيش ومعه ابنه الحسن
ابن قتادة فلمّا ابعدوا بلغ الحسن انّ عمّه قال لبعض الجند انّ اخى
مريض وهو ميّت لا محالة وطلب منهم ان يحلفوا له ليكون هو الامير
بعد اخيه قتادة فحضر الحسن عند عمّه واجتمع اليه كثير من الاجناد
والمماليك الذين لابيه فقال الحسن لعمّه قد فعلت كذا وكذا فقال
لم[1] افعل فامر حسن الحاضرين بقتله فلم يفعلوا وقالوا انت امير وهذا
امير ولا نمدّ ايدينا الى احدكما فقال له غلامان لقتادة نحن عبيدك
فمرنا بما شيت فامرهما ان يجعلا عمامة عمّه فى عنقه ففعلا ثمّ قتله ،
فسمع قتادة الخبر فبلغ منه الغيظ كلّ مبلغ وحلف ليقتلنّ ابنه وكان
على ما ذكرناه من المرض فكتب بعض اصحابه الى الحسن يُعرّفه الحال
ويقول له ابدا به قبل ان يقتلك فعاد الحسن الى مكّة فلمّا وصلها
قصد دار ابيه فى نفر يسير فوجد على باب الدار جمعًا كثيرًا فامرهم
بالانصراف الى منازلهم ففارقوا الدار وعادوا الى مساكنهم ودخل الحسن
الى ابيه فلمّا رءاه ابوه شتمه وبالغ فى ذمّه وتهديده فوثب اليه الحسن
فخنقه لوقته وخرج الى الحرم الشريف واحضر الاشراف وقال انّ ابى قد

---

[1]) 740. Ups.: له

اشتدّ مرضه وقد امركم ان تحلفوا لى ان اكون انا اميركم فحلفوا له ثمّ انّه اظهر تابوتًا ودفنه ليظنّ الناس انّه مات وكان قد دفنه سرًّا ، فلمّا استقرّت الامارة بمكّة له ارسل الى اخيه الذى بقلعة الينبع على لسان ابيه يستدعيه وكتم موت ابيه عنه فلمّا حضر اخوه قتله ايضًا واستقرّ امره وثبت قدمه وفعل باميرِ الحاجّ ما تقدّم ذكره فارتكب عظيمًا قتل اباه وعمّه واخاه فى ايّام يسيرة لا جرم لم يمهله الله سبحانه وتعالى نزع ملكه وجعله طريدًا شريدًا خايفًا يترقّب وقيل انّ قتادة كان يقول شعرًا فمن ذلك انّه طلب ليحضر عند امير الحاجّ كما جرت عادة امرآء مكّة فامتنع فعوتب من بغداد فاجاب بابيات شعر منها

ولى كفّ ضرغام اذلّ ببطشها — واشرى بها بين الورى وابيعُ
تظلّ ملوك الارض تلثم ظهرها — وفى وسطها للمجدبين ربيعُ
أاجعلها تحت الرحا ثمّ ابتغى — خلاصًا لها انى اذًا لرقيعُ
وما انا الّا المسك فى كلّ بلدة — يضوع واما عندكم فيضيعُ ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة استعاد المسلمون مدينة دمياط بالديار المصريّة من الفرنج وقد تقدّم ذكرها مشروحًا مفصلًا ، وفيها فى صفر ملك التتر مراغة وخرّبوها واحرقوها وقتلوا اكثر اهلها ونهبوا اموالهم وسبوا حريمهم وسار التتر منها الى همذان وحصروها فقاتلهم اهلها وظفر بهم التتر وقتلوا منهم ما لا يُحصى ونهبوا البلد وساروا الى اذربيجان فعادوا النهب ونهبوا ما بقى من البلاد ولم ينهبوه اوّلًا ووصلوا الى بَيْلقان من بلاد ارّان فحصروها وملكوا وقتلوا اهلها حتّى كادوا يفنوهم وقُتل منهم كثير ونُهبت اموالهم واكثر بلادهم وقصدوا دربند شروان فحصروا مدينة شماخى وملكوها وقتلوا كثيرًا من اهلها وساروا الى بلد اللان واللكز ومَن عندهم من الامم فاوقعوا ورحلوا عن قفجاق واجلوهم عنها واستولوا عليها وساحوا فى تلك الارض حتّى وصلوا الى بلاد الروس وقد تقدّم ذكر جميعه مُستقصًى وانّما اردناه هاهنا جملة ليعلم الذى كان فى هذه السنة من حوادثهم ، وفيها توفّى صديقنا امين الدين ياقوت الكاتب الموصلىّ ولم يكن فى زمانه من يكتب ما يُقاربه ولا من يودّى طريقة ابن البوّاب مثله وكان ذا

فضايل جمّة من علم الادب وغيره وكان كثير الخير نعم الرجل مشهورًا في الدنيا والناس متّفقون على الثناء الجميل عليه والمدح له ولهم فيه اقوال كثيرة نظمًا ونثرًا فمن ذلك ما قاله نجيب الدين الحسين بن علىّ الواسطىّ من قصيدة يمدحه بها

جامع شارد العلوم ولولا ه لكانت امّ الفضايل ثكلا
ذو يراعٍ تخاف سطوته الاسد وتعنوا له الكتايب ذلّا
واذا افترّ ثغره عن سواد في بياض فالبيض السمر خجلا
انت بدرٌ والكاتب بن هلال كابيه لا فخر فيمن تولّا
ومنها ان يكنْ اوّلًا فانّك بالتفضيل اولى لقد سبقتَ ووصّلا

وهى طويلة والكاتب بن هلال هو ابن البوّاب الذى هو اشهر من ان يُعرَف، وفيها توفّى جلال الدين الحسن وهو من اولاد الحسن بن الصباح الذى تقدّم ذكره صاحب الموت وكردكوه وهو مقدّم الاسماعيليّة وقد ذكرنا انّه كان قد اظهر شريعة الاسلام من الاذان والصلاة وولى بعده ابنه علآء الدين محمّد

ثم دخلت سنة تسع عشرة وستّماية، سنة ٦١٩

ذكر خروج طايفة من قفجاق الى اذربيجان وما فعلوه بالكرج وما كان منهم

لمّا استولى التتر على ارض قفجاق تفرّق قفجاق فطايفة قصدت بلاد الروس وطايفة تفرّقت في جبالهم واجتمع طايفة كثيرة منهم وساروا الى دربند شروان وارسلوا الى صاحبه واسمه رشيد وقالوا له انّ التتر قد ملكوا بلادنا ونهبوا اموالنا وقد قصدناك لنقيم في بلادك ونحن مماليك لك ونفتح البلاد لك وانت سلطاننا فمنعهم من ذلك وخافهم فاعادوا الرسالة اليه انّنا نحن نرهن عندك اولادنا ونسآئنا على الطاعة والخدمة لك والانقياد لحكمك فلم يجبهم الى ما طلبوا فسالوه ان يمكّنهم ليتزوّدوا من بلده تدخل عشرة عشرة فاذا اشتروا ما يحتاجوا اليه فارقوا بلاده فاجابهم الى ذلك فصاروا يدخلون متفرّقين ويشترون ما يريدون ويخرجون ثمّ انّ بعض كبرآيهم والمقدّمين منهم جآء الى رشيد وقال انّنى كنت في

خدمة السلطان خوارزم شاه وانا مسلم والدين يحملنى على نصحك اعلم انّ قفجاق اعدآوك ويريدون الغدر بك فلا تمكّنهم من المقام ببلادك فاعطنى عسكرًا حتّى اقاتلهم واخرجهم من البلاد ففعل ذلك وسلّم اليه طايفة من عسكره واعطاهم ما يحتاجون اليه من سلاح وغيره فساروا معه فاوقعوا بطايفة من قفجاق فقتل منهم جماعة ونهب منهم فلم يتحرّك قفجاق لقتال بل قالوا نحن مماليك الملك شروان شاه رشيد ولولا ذلك لقاتلنا عسكره فلمّا عاد ذلك المقدّم القفجاقىّ ومعه عسكر رشيد سالمين فرح بهم ثمّ انّ قفجاق فارقوا موضعهم فساروا ثلاثة ايّام فقال ذلك القفجاقىّ لرشيد اريد عسكرًا اتبعهم فامر له من العسكر بما اراد فسار يقفوا اثر القفجاق فاوقع باواخرهم وغنم منهم وقصده جمع كثير من قفجاق من الرجال والنسآء يبكون وقد جزّوا شعورهم ومعهم تابوت وهم محيطون به يبكون حوله وقالوا له انّ صديقك فلانًا قد مات وقد اوصى ان نحمله اليك فتدفنه اىّ موضع شيتَ ونكون نحن عندك فحمله معه والذين يبكون عليه ايضًا وعاد الى شروان شاه رشيد واعلمه انّ الميّت صديق له وقد حمله معه وقد طلب اهله ان يكونوا عنده فى خدمته فامر ان يدخلوا البلد وانزلهم فيه فكان اوليك الجماعة يسيرون مع ذلك المقدّم ويركبون بركوبه ويصعدون معه الى القلعة التى لرشيد ويقعدون عنده ويشربون معه هم ونساوهم فاحبّ رشيد امراة ذلك الرجل الذى قيل له انّه ميّت ولم يكن مات وانّما فعلوا هكذا مكيدة حتّى دخلوا البلد والذى اظهروا موته معهم فى المجلس ولا يعرفه رشيد وهو من اكبر مقدّمى قفجاق فبقوا كذلك عدّة ايّام فكلّ يوم يجىً جماعة من قفجاق متفرّقين فاجتمع بالقلعة منهم جماعة وارادوا قبض رشيد وملك بلاده ففطن لذلك فخرج عن القلعة من باب السرّ وهرب ومضى الى شروان وملك قفجاق القلعة وقالوا لاهل البلد نحن خير لكم من رشيد واعادوا باقى اصحابهم اليهم واخذوا السلاح الذى فى البلد جميعه واستولوا على الاموال التى كانت لرشيد فى القلعة ورحلوا عن القلعة وقصدوا قبلة وهى للكرج فنزلوا عليها وحصروها ، فلمّا سمع رشيد بمفارقتهم القلعة رجع اليها

وملكها وقتل مَن بها من قفجاق ولم يشعر القفجاق الذين عند قبلة بذلك فارسلوا طايفة منهم الى القلعة فقتلهم رشيد ايضًا فبلغ الخبر الى القفجاق فعادوا الى دربند فلم يكن لهم فى القلعة طمع ؞ وكان صاحب قبلة لمّا كانوا يحصرونه قد ارسل [اليهم وقال لهم انا ارسل][1] الى ملك الكرج حتّى يرسل اليكم الخلع والاموال ونجتمع نحن وانتم ونملك البلاد فكفّوا عن نهب ولايته ايّامًا ثمّ انّهم مدّوا ايديهم بالنهب والفساد ونهبوا بلاد قبلة جميعها وساروا الى قريب كنجة من بلاد ارّان وهى للمسلمين فنزلوا هناك فارسل اليهم الامير بكنجة وهو مملوك لاوزبك صاحب اذربيجان اسمه كوشخرة عسكرًا فمنعهم من الوصول الى بلاده وسيّر رسولاً اليهم يقول لهم غدرتم بصاحب شروان واخذتم قلعته وغدرتم بصاحب قبلة ونهبتم بلاده فما يثق بكم احد فاجابوا انّنا ما جينا الّا قصدًا لخدمة سلطانكم فمنعنا شروان شاه عنكم فلهذا قصدنا بلاده واخذنا قلعته ثمّ تركناها من غير خوف وامّا صاحب قبلة فهو عدوّ لكم ولو اردنا ان نكون عند الكرج لما كنّا جعلنا طريقنا على دربند شروان فانّه اصعب واشقّ وابعد وكنّا جينا الى بلادهم على عادتنا ونحن نوجّه الرهاين اليكم ؞ فلمّا سمع هذا سار اليهم فسمع به قفجاق فركبا اميران منهم هما مقدّماهم فى نفر يسير وجآءوا اليه ولقوه وخدموه وقالوا له قد اتيناك جريدة فى قلّة من العدد لتعلم انّنا ما قصدنا الّا الوفآء والخدمة لسلطانكم فامرهم كوشخرة بالرحيل والنزول عند كنجة وتزوّج ابنة احدهم وارسل الى صاحبه اوزبك يعرّفه حالهم فامر لهم بالخلع والنزول بجبل كيلكون[2] ففعلوا ذلك وخافهم الكُرج فجمعوا لهم ليكبسوهم فوصل الخبر بذلك الى كوشخرة امير كنجة فاخبر قفجاق وامرهم بالعود والنزول عند كنجة فعادوا ونزلوا عندها وسار امير من امرآء قفجاق فى جمع منهم الى الكُرج فكبسهم وقتل كثيرًا منهم وهزمهم وغنم ما معهم واكثر القتل فيهم والاسر منهم وتمّت الهزيمة عليهم ورجع قفجاق الى جبل كيلكون[2] فنزلوا فيه كما كانوا فلمّا نزلوا اراد الامير الاخر من امرآء قفجاق ان يوثر

---

1) 740.

2) *J. As.* 1849 II, 468. Ups. كيكلون

فى الكرج مثل ما فعل صاحبه فسمع كوشخرة فارسل اليه ينهاه عن الحركة الى ان يكشف له خبر الكرج فلم يقف فسار الى بلادهم فى طايفته ونهب وخرّب واخذ الغنايم فسار الكرج من طريق يعرفونها وسبقوه فلمّا وصل اليهم قاتلوه وحملوا عليه وعلى مَن معه على غرّة وغفلة فوضعوا السيف فيهم واكثروا القتل فيهم واستنقذوا الغنايم منه فعاد هو ومَن معه على اقبح حالة وقصدوا برذعة وارسلوا الى كوشخرة يطلبون ان يحضر عندهم هو بنفسه وعسكره ليقصدوا الكرج فياخذوا بثارهم منهم فلم يفعل واخافهم وقال انتم خالفتمونى وعملتم برايكم فلا انجدكم بفارس واحد فارسلوا يطلبون الرهاين الذين لهم فلم يعطهم فاجتمعوا واخذوا كثيرًا من المسلمين عوضًا من الرهاين فثار بهم المسلمون من اهل البلاد وقاتلوهم فقتلوا منهم جماعة كثيرة فخافوا وساروا نحو شروان وجازوا الى بلد اللكز فطمع الناس فيهم المسلمون والكرج واللكز وغيرهم فافنوهم قتلاً ونهبًا واسرًا وسبيًا بحيث انّ المملوك منهم كان يباع فى دربند شروان بالثمن البخس ۞

ذكر نهب الكُرج بَيْلقان

فى هذه السنة فى شهر رمضان سار الكرج من بلادهم الى بلاد ارّان وقصدوا مدينة بيلقان وكان التتر قد خرّبوها ونهبوا كما ذكرناه قبلُ فلمّا سار التتر الى بلاد قفجاق عاد من سلم من اهلها اليها وعمروا ما امكنهم عمارته من سورها فبينما هم كذلك اذ اتاهم الكرج [ودخلوا البلد وملكوه وكان المسلمون فى تلك البلاد الفوا من الكرج][1] انّهم اذا ظفروا ببلد صانعوه بشىءٍ من المال فيعودون عنهم فكانوا احسن الاعداء مقدرة فلمّا كان هذه الدفعة ظنّ المسلمون انّهم يفعلون مثل ما تقدّم فلم يبالغوا فى الامتناع منهم ولا هربوا من بين ايديهم ، فلمّا ملك الكرج المدينة وضعوا السيف فى اهلها وفعلوا من القتل والنهب ما فعل بهم التتر هذا جميعه يجرى وصاحب بلاد اذربيجان اوزبك بن البهلوان بمدينة تبريز ولا يتحرّك فى صلاح ولا يتّجهُ[2] لخير بل قد قنع بالاكل وادمان الشرب والفساد فقبّحه الله وييسّر للمسلمين مَن يقوم بنصرهم وحفظ بلادهم بمحمّد وآلهم ۞

---

[2]) *J. As.* 1849, II, 472: نتّجة   [1]) C. P. et 740.

ذكر ملك بدر الدين قلعة شوش

فى هذه السنة ملك بدر الدين صاحب الموصل قلعة شوش من اعمال الحميديّة وبينها وبين الموصل اثنا عشر فرسخًا وسبب ذلك انّها كانت هى وقلعة العقر متجاورتين لعماد الدين زنكى بن ارسلان شاه وكان بينهما من الخُلف ما تقدّم ذكره فلمّا كان هذه السنة سار زنكى الى اذربيجان ليخدم صاحبها اوزبك بن البهلوان فاتّصل به وصار معه واقطعه اقطاعات واقام عنده فسار بدر الدين الى قلعة شوش فحاصرها وضيّق عليها وهى على راس جبل عالٍ فطال مقامه عليها لحصانتها فعاد الى الموصل وترك عسكره محاصرًا لها فلمّا طال الامر على مَن بها ولم يروا مَن يرحّله عنهم ولا مَن ينجدهم سلّموها على قاعدة استقرّت بينهم من اقطاع وخلع وغير ذلك فتسلّمها نوّابه فى التاريخ ورتّبوا امورها وعادوا الى الموصل ٭

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة فى العشرين من شعبان ظهر كوكب فى السمآء فى الشرق كبير له ذوابة طويلة غليظة وكان طلوعه وقت السحر فبقى كذلك عشرة ايّام ثمّ انّه ظهر اوّل الليل فى الغرب ممّا يلى الشمال فكان كلّ ليلة يتقدّم الى جهة الجنوب نحو عشرة اذرع فى راى العين فلم يزل يقرب من الجنوب حتّى صار غربًا محضًا ثمّ صار غربًا مايلًا الى الجنوب بعد ان كان غربًا ممّا يلى الشمال فبقى كذلك الى اخر شهر رمضان من السنة ثمّ غاب ٭ وفيها توفّى ناصر الدين محمود بن محمّد قرا ارسلان صاحب حصن كيفا وآمد وكان ظالمًا قبيح السيرة فى رعيّته قيل انّه كان يتظاهر بمذهب الفلاسفة فى انّ الاجساد لا تحشر كذبوا لعنهم الله ولمّا مات ملك ابنه الملك المسعود ٭

ثم دخلت سنة عشرين وستمائة ٭

سنة ٦٢٠

ذكر ملك صاحب اليمن مكّة حرسها الله تعالى

فى هذه السنة سار الملك المسعود اتسز بن الملك الكامل محمّد صاحب مصر الى مكّة وصاحبها حينئذ حسن بن قتادة بن ادريس العلوى الحسينى قد ملكها بعد ابيه كما ذكرناه وكان حسنٌ قد اسآء

الى الاشراف والمماليك الذين كانوا لابيه وقد تفرّقوا عنه ولم يبق عنده غير اخواله من غيره فوصل صاحب اليمن الى مكّة ونهبها عسكره الى العصر فحدّثنى بعض المجاورين المتاقلين انّهم نهبوها حتّى اخذوا الثياب عن الناس وافقروهم وامر صاحب اليمن ان يُنبش قبر قتادة ويُحرق فنبشوه فظهر التابوت الذى دفنه ابنه الحسن والناس ينظرون اليه فلم يروا فيه شيأً فعلموا حينئذ انّ الحسن دفن اباه سرًّا وانّه لم يجعل فى التابوت شيأً وذاق الحسن عاقبة قطيعة الرحم وعجل الله مقابلته وازال عنه ما قتل اباه واخاه وعمّه لاجله خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين ۞

ذكر حرب بين المسلمين والكُرج بارمينية

فى هذه السنة فى شعبان سار صاحب قلعة سُرمارى[1] [وهى] من اعمال [ارمينية الى] خلاط لانّه كان فى طاعة صاحب خلاط وهو حينئذ شهاب الدين غازى بن العادل ابى بكر بن ايّوب فحضر عنده واستخلف ببلده اميرًا من امرآيه فجمع هذا الامير جمعًا وسار الى بلاد الكُرج فنهب منها عدّة قُرى وعاد فسمعت الكرج بذلك فجمع صاحب دوين واسمه شلوه[2] وهو من اكابر امرآء الكرج عسكره [وسار] الى سرمارى فحصرها ايّامًا ونهبَ بلدها وسوادها ورجع فسمع صاحب سرمارى الخبر فعاد الى سرمارى فوصل اليها فى اليوم الذى رحل الكرج عنها فاخذ عسكره وتبعهم فاوقع بساقتهم فقتل منهم وغنم واستنقذ ما اخذوا من غنايم بلاده ثمّ انّ صاحب دوين جمع عسكره وسار الى سرمارى ليحصرها فوصل الخبر الى صاحبها بذلك فحصّنها وجمع الذخاير وما يحتاج اليه فاتاه مَن اخبره ان الكرج نزلوا بوادٍ بين دوين وسرمارى وهو وادٍ ضيق فسار بجميع عسكره جريدة وجدّ السير ليكبس الكرج فوصل الى الوادى الذى هم فيه وقت السحر ففرّق عسكره فرقتَيْن فرقة من اعلى الوادى وفرقة من اسفله وحملوا عليهم وهم غافلون ووضعوا السيف فيهم فقتلوا واسروا فكان فى جملة الاسرى شلوة[2] امير دوين فى جماعة كثيرة من مقدّميهم ومن سلم من الكرج عاد الى بلدهم على حالٍ سيّئة ثمّ انّ ملك الكرج ارسل الى

---

[1]) C. P. Ups. ubique سرمن راى [2]) C. P.: شروة Ups.: سلوة Cfr. *J. As.* l.l.

الملك الاشرف موسى بن العادل صاحب ديار الجزيرة وهو الذى اعطى خلاط واعمالها الامير شهاب الدين يقول له كنّا نظنّ انّنا صلح والأن فقد عمل صاحب سرمارى هذا العمل فان كنّا على الصلح فنريد اطلاق اصحابنا من الاسر وان كان الصلح قد انفسخ بيننا فتعرّفنا حتّى ندبّر امرنا فارسل الاشرف الى صاحب سرمارى يامره باطلاق الاسرى وتجديد الصلح مع الكرج ففعل ذلك واستقرّت قاعدة الصلح واطلق الاسرى ۞

ذكر الحرب بين غياث الدين وبين خاله

فى هذه السنة فى جمادى الاخرة انهزم ايغان طائسى وهو خال غياث الدين بن خوارزم شاه محمّد بن تكش وهذا غياث الدين هو صاحب بلاد الجبل والرىّ واصبهان وغير ذلك وله ايضًا بلاد كرمان وكان سبب ذلك انّ خاله ايغان طائسى كان معه وفى خدمته وهو اكبر امير معه لا يصدر غياث الدين الّا عن رايه والحكم اليه فى جميع المملكة فلمّا عظم شانه حدّثت نفسه بالاستيلآء على الملك وحسّن له ذلك غيره واطمعه فيه قيل انّ الخليفة الناصر لدين الله اقطعه البلاد سرًّا وامره بذلك فقويت نفسه على الخلاف فاستفسد جماعة من العسكر واستمالهم فلمّا تمّ له امره اظهر الخلاف على غياث الدين وخرج عن طاعته اوزبك وصار فى البلاد يفسد ويقطع الطريق وينهب ما امكنه من القرى وغيرها وانضاف اليه جمع كثير من اهل العُنف والفساد ومعه مملوك اخر اسمه ايبك الشامىّ كانا متّفقين على العصيان فقوى بهما وساروا جميعهم الى غياث الدين ليقاتلوه ويملكوا بلاده ويخرجوه منها فجمع غياث الدين عسكره والتقوا بنواحى[1] واقتتلوا فانهزم خال غياث الدين ومن معه وقتل من عسكره واسر كثير وعاد المنهزمون الى اذربيجان على اقبح حال واقام غياث الدين فى بلاده وثبت قدمه ۞

حادثة غريبة لم يوجد مثلها

كان اهل المملكة فى الكرج لم يبق منهم غير امراة وقد انتهى المُلك اليها فوليته وقامت بالامر فيهم وحكمت فطلبوا لها رجلاً يتزوّجها

[1]) 740 eandem habet lacunam. C. P. omittit vocem: بنواحى

ويقوم بالملك نيابة عنها ويكون من اهل بيت مملكة فلم يكن فيهم من يصلح لهذا الامر وكان صاحب ارزن الروم هذا الوقت هو مغيث الدين طغرل شاه بن قلج ارسلان بن مسعود قلج ارسلان وبيته مشهور من اكابر ملوك الاسلام وهم من الملوك السلجوقيّة وله ولد كبير فارسل الى الكرج يطلب الملكة لولده ليتزوّجها فامتنعوا من اجابته وقالوا لا نفعل هذا لانّنا لا يمكننا ان يملك امرنا مسلم فقال لهم انّ ابنى يتنصّر ويتزوّجها فاجابوه الى ذلك فامر ابنه فتنصّر ودان بالنصرانيّة وتزوّج الملكة وانتقل اليها واقام عند الكرج حاكمًا فى بلادهم واستمرّ على النصرانيّة نعوذ بالله من الخذلان ونساله ان يجعل خير اعمالنا اخرها وخير اعمالنا خواتيمها وخير ايّامنا يوم نلقاه فيه ، ثمّ كانت هذه الملكة الكرجيّة تهوى مملوكًا لها فكان زوجها يسمع عنها القبايح ولا يمكنه الكلام لعجزه ثمّ انه يومًا دخل عليها فرءاها نايمة مع مملوكها فى فراش فانكر ذلك وواجهها بالمنع منه فقالت ان رضيتَ بهذا والا انت اخبرُ فقال انّنى لا ارضي بهذا فنقلته الى بلد اخر ووكّلت به مَن يمنعه من الحركة وحجرت عليه وارسلت الى بلد اللان واحضرت رجلَيْن كانا قد وصفا بحسن الصورة فتزوّجت احدهما فبقى معها يسيرًا ثمّ انّها فارقته واحضرت انسانًا اخر من كنجة وهو مسلم فطلبت منه ان يتنصّر ليتزوّجها فلم يفعل فارادت ان تتزوّجه وهو مسلم فقام عليها جماعة الامرآء ومعهم ايوانى[1] وهو مقدّم العساكر الكرجيّة فقالوا لها قد افتضحنا بين الملوك بما تفعلين ثمّ تريدين ان يتزوجك مسلم وهذا لا نمكّن منه ابدًا والامر بينهم متردّد والرجل الكنجىّ عندهم لم يجبهم الى الدخول فى النصرانيّة وهى تهواه ٭

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة كان الجراد فى اكثر البلاد واهلك كثيرًا من الغلّات والخضر بالعراق والجزيرة وديار بكر وكثير من الشام وغيرها ، وفيها فى رمضان توفى عبد الرحمن بن هبة الله بن عساكر الفقيه الشافعى الدمشقى بها وكان غزير العلم عالمًا بالمذهب كثير الصلاح والزهد والخير رحمه الله ،

[1]) *J. As.* 1849 II, 476. Ups.: ابوانى

وفيها تجمّع العرب فى خلق كثير على حجاج الشام وارادوا قطع الطريق عليهم واخذهم وكان الامير على الحجاج شرف الدين يعقوب بن محمّد وهو من اهل الموصل اقام بالشام وتقدّم فيه فنعهم بالرغبة والرهبة ثمّ صانعهم بمال وثياب وغير ذلك فاعطى للجميع من ماله ولم ياخذ من الحجاج الدرهم الفرد وفعل فعلًا جميلًا وكان عنده كثير من العلوم ويرجع الى دين متين ۞

ثم دخلت سنة احدى وعشرين وستّمائة ،

سنة ٦٢١

ذكر عود طايفة من التتر الى الرىّ وهمدان وغيرهما

اوّل هذه السنة وصل طايفة من التتر من عند ملكهم جنكزخان وهولآء غير الطايفة الغربيّة التى ذكرنا اخبارها قبل وصول هولآء الرىّ وكان من سلم من اهلها قد عادوا اليها وعمروها [فلم يشعروا][1] بالتتر الّا[2] وقد[3] وصلوا اليهم فلم يمتنعوا عنهم فوضعوا فى اهلها السيف وقتلوهم كيف شآوا ونهبوا البلد وخرّبوه وساروا الى ساوة ففعلوا بها كذلك ثمّ الى قُمّ وقاشان وكانتا قد سلمتا من التتر اوّلًا فانّهم لم يقربوهما ولا اصاب اهلها اذًى فاتاهما هولآء وملكوهما وقتلوا اهلهما وخرّبوهما والحقوهما بغيرهما من البلاد الخراب ثمّ ساروا فى البلاد يخرّبون ويقتلون وينهبون ثم قصدوا همدان وكان قد اجتمع بها كثير ممّن سلم من اهلها فابادوهم قتلًا واسرًا ونهبًا وخربوا البلد وكانوا لمّا وصلوا الى الرى راوا بها عسكرًا كثيرًا من الخوارزميّة فكبسوهم وقتلوا منهم وانهزم الباقون الى اذربيجان فنزلوا باطرافها فلم يشعروا الا والتتر ايضًا قد كبسوهم ووضعوا السيف فيهم فولّوا منهزمين فوصل طايفة منهم الى تبريز وارسلوا الى صاحبها اوزبك بن البهلوان يقولون ان كنتَ موافقنا فسلّم الينا من عندك من الخوارزميّة والّا فعرّفنا انك غير موافق لنا ولا فى طاعتنا فعمد الى من عنده من الخوارزميّة فقتل بعضهم واسر بعضهم وحمل الاسرى والرؤس الى التتر وانفذ معها من الاموال والثياب والدوابّ شيئًا كثيرًا فعادوا عن بلاده نحو خراسان فعلوا هذا وليسوا فى كثرة كانوا نحو ثلاثة الاف

---

[1] 740. Ups.: وعمروا C. P. exit ad annum 621.
[2] 740
[3] 740: قد Ups. hanc vocem ante بالتتر habet.

فارس وكان للخوارزمية الذين انهزموا منهم نحو ستّة الاف فارس وعسكر اوزبك
اكثر من الجميع ومع هذا فلم يحدّث نفسه ولا الخوارزمية بالامتناع منهم
نسال الله ان ييسّر للاسلام والمسلمين مَن يقوم بنصرتهم فقد دُفعوا
الى امر عظيم من قتل النفوس ونهب الاموال واسترقاق الاولاد وسبى
الحريم وقتلهنّ وتخريب البلاد ۞

ذكر مُلك غياث الدين بلاد فارس

قد ذكرنا انّ غياث الدين ابن خوارزم شاه محمّد كان بالرىّ
وله معها اصفهان وهمدان وما بينهما من البلاد وله ايضًا بلاد كرمان
فلمّا هلك ابوه كما ذكرناه وصل التتر الى بلاده وامتنع باصفهان وحصره
التتر فيها فلم يقدروا عليها فلمّا فارق التتر بلاده وساروا الى بلاد قفجاق
عاد ملك البلاد وعمر ما امكنه منها واقام بها الى اواخر سنة عشرين
وستّمائة وجرى له ما ذكرناه ففى اخر سنة عشرين سار الى بلاد فارس
فلم يشعر صاحبها وهو اتابك سعد بن دكلا الّا وقد وصل غياث
الدين الى اطراف بلاده فلم يتمكّن من الامتناع فقصد قلعة اصطخر
فاحتمى بها وسار غياث الدين الى مدينة شيراز وهى كرسىّ مملكة فارس
واكبرها واعظمها فملكها بغير تعب اوّل سنة احدى وعشرين وستّمائة
وبقى غياث الدين بها واستولى على اكثر البلاد ولم يبق بيد سعد
الدين الّا الحصون المنيعة فلمّا طال الامر على سعد الدين صالح غياث
الدين على ان يكون لسعد الدين من البلاد قسم اتّفقوا عليه ولغياث
الدين الباقى واقام غياث الدين بشيراز وازداد اقامةً وعزمًا على ذلك لمّا
سمع انّ التتر قد عادوا الى الرىّ والبلاد التى له وخرّبوها ۞

ذكر عصيان شهاب الدين غازى على اخيه الملك الاشرف واخذ خلاط منه

كان الملك الاشرف موسى بن العادل ابى بكر بن ايّوب قد اقطع
اخاه شهاب الدين غازى مدينة خلاط وجميع اعمال ارمينيّة واضاف
اليها ميّافارقين وحانى وجبل جور ولم يقنع بذلك حتّى جعله ولى عهده
فى البلاد التى له جميعها وحلّف له جميع النوّاب والعساكر فى البلاد
فلمّا سلّم اليه ارمينيّة سار اليها كما ذكرناه واقام بها الى اخر سنة

عشرين وستمائة فاظهر مغاضبة اخيه الملك الاشرف والتجني عليه والعصيان والخروج عن طاعته فراسله الاشرف يستميله ويعاتبه على ما فعل فلم يرعو ولا ترك ما هو عليه بل اصرّ على ذلك واتّفق هو واخوه المعظم عيسى صاحب دمشق ومظفّر الدين بن زين الدين صاحب اربل على الخلاف للاشرف والاجتماع على محاربته واظهروا ذلك وعلم الاشرف فارسل الى اخيه الكامل بمصر يعرّفه ذلك وكانا متّفقين وطلب منه نجدة فجهّز العساكر وارسل الى اخيه صاحب دمشق يقول له ان تحرّكت من بلدك سرت اليه واخذته وكان قد سار نحو ديار الجزيرة للميعاد الذى بينهم فلمّا وصلت اليه رسالة اخيه وسمع بتجهيز العساكر عاد الى دمشق ، وامّا صاحب اربل فانّه جمع العساكر وسار الى الموصل فكان منه ما نذكره ان شآء الله ، وامّا الاشرف فانّه لمّا اتّفق عصيان اخيه جمع العساكر من الشام والجزيرة والموصل وسار الى خلاط فلمّا قرب منها خافه اخوه غازى ولم يكن له قوّة على ان يلقاه محاربًا ففرّق عسكره فى البلاد ليحصّنها وانتظر ان يسيّر صاحب اربل الى ما يجاوره من الموصل وسنجار وان يسيّر اخوه صاحب دمشق الى بلاد الاشرف عند الفراة الرقّة وحرّان وغيرهما فيضطر الاشرف حينئذ الى العود عن خلاط فسار الاشرف اليه وقصد خلاط وكان اهلها يريدونه ويختارون دولته لحسن سيرته كانت فيهم وسوء سيرة غازى فلمّا حصرها سلّمها اهلها اليه يوم الاثنين ثانى عشر جمادى الاخرة وبقى غازى فى القلعة ممتنعًا فلمّا جنّه الليل نزل الى اخيه معتذرًا ومتنصّلًا فعاتبه الاشرف وابقى عليه ولم يعاقبه على فعله لكن اخذ البلاد منه وابقى عليه ميّافارقين ۞

ذكر حصار صاحب اربل الموصل

قد ذكرنا اتّفاق مظفّر الدين كوكبرى بن زين الدين على صاحب اربل وشهاب الدين غازى صاحب خلاط والمعظّم عيسى صاحب دمشق على قصد بلاد الملك الاشرف فامّا صاحب دمشق فانّه سار عنها مراحل يسيرة وعاد اليها لانّ اخاه صاحب مصر ارسل اليه يتهدّده ان سار عن دمشق انّه يقصدها ويحصرها فعاد ، وامّا غازى فانّه استحصر فى خلاط وأُخذت منه كما ذكرناه ، وامّا صاحب اربل فانّه جمع عسكره

وسار الى بلد الموصل وحصرها ونازلها يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الاخرة ظنًّا منه انّ الملك الاشرف اذا سمع بنزوله عليها رحل عن خلاط ويخرج غازى فى طلبه فتتخبّط احواله وتقوى نفس صاحب دمشق على المجئ اليهم فلمّا نازل الموصل كان صاحبها بدر الدين لؤلؤ قد احكم امورها من استخدام الجند على الاسوار واظهار الة الحصار واخراج الذخاير وانّما قوى طمع صاحب اربل على حصر الموصل لانّ اكثر عسكرها كان قد سار الى الملك الاشرف الى خلاط وقد قلّ العسكر فيها وكان الغلآء شديدًا فى البلاد جميعها والسعر فى الموصل كلّ ثلاث مكاكى بدينار فلهذا السبب اقدم على حصرها ، فلمّا نزل عليها اقام عشرة ايّام ثمّ رحل عنها يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الاخرة وكان سبب رحيله انّه راى امتناع البلد عليه وكثرة مَن فيه وعندهم من الذخاير ما يكفيهم الزمان الكثير ووصل اليه خبر الملك الاشرف انّه ملك خلاط فانفسخ عليه كلّ ما كان يؤمّله من صاحبها ومن دمشق وبقى وحده متلبّسًا بالامر فلمّا وصلت الاخبار اليه بذلك سقط فى يده وراى انّه قد اخطأ الصواب فرحل عايدًا الى بلده واقام على [الزاب][1] ومدّة مقامه على الموصل لم يقاتلها انّما كان فى بعض الاوقات يجئ بعض الترك الذين له يقاتلون البلد فيخرج اليهم بعض الفرسان وبعض الرجّالة فيجرى بينهم قتال ليس بالكثير ثمّ يتفرّقون وترجع كلّ طايفة الى صاحبها ❁

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة اوّل آب جآء ببغداد مطر برعد وبرق وجرت المياه بباب البصرة والحربيّة[2] وكذلك بالمحوّل بحيث انّ الناس كانوا يخوضون فى المآء والوحل بالمحوّل ، وفيها سار صاحب المخزن الى بعقوبا[3] فى ذى القعدة فعسف اهلها فنُقل اليه عن انسان منها انّه يسبّه فاحضره وامر بمعاقبته وقال له لِمَ تسبّنى فقال له انتم تسبّون ابا بكر وعمر لاجل اخذهما فدك وهى عشر نخلات لفاطمة عم وانتم تاخذون منى الف نخلة ولا اتكلّم فعفا عنه ، وفيها وقعت فتنة بواسط بين السنّة والشيعة على

---

1) 740. 2) والحربه 3) يعقوبا

جارى عادتهم ، وفيها قلّت الامطار فى البلاد فلم يجئ منها شئ الى سباط
ثمّ انّها كانت تجئ فى الاوقات المتفرّقة مجيًا قريبًا لا يحصل منه الرى
للزرع فجآءت الغلّات قليلة ثمّ خرج عليها الجراد ولم يكن فى الارض من
النبات ما يشتمل به عنها فاكلها الّا القليل وكان كثيرًا خارجًا عن الحدّ
فغلت الاسعار فى العراق والموصل وساير ديار الجزيرة وديار بكر وغيرها
وقلّت الاقوات الّا انّ اكثر الغلآء كان بالموصل وديار الجزيرة ۞

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، سنة ٦٢٢

ذكر حصر الكرج مدينة كنجة

فى هذه السنة سارت الكرج فى جموعها الى مدينة كنجة من بلاد
ارّان قصدًا لحصرها واعتدوا لها بما امكنهم من القوّة لانّ اهل كنجة
كثير عددهم قويّة شوكتهم وعندهم شجاعة كثيرة من طول ممارستهم
للحرب مع الكرج فلمّا وصلوا اليها وقاربوا قاتلوا اهلها عدّة ايّام من
ورآء السور لم يظهر من اهلها احد ثمّ فى بعض الايّام خرج اهل كنجة
ومن عندهم من العسكر من البلد وقاتلوا الكرج بظاهر البلد اشدّ قتال واعظمه
فلمّا راى الكرج ذلك علموا انّهم لا طاقة لهم بالبلد فرحلوا بعد ان اثخن
اهل كنجة فيهم وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا[1] ۞

ذكر وصول جلال الدين بن خوارزم شاه الى خوزستان والعراق

فى اوّل هذه السنة وصل جلال الدين بن خوارزم شاه محمّد بن
تكش الى بلاد خوزستان والعراق وكان مجيئه من بلاد الهند لانّه كان
وصل اليها لمّا قصد التتر غزنة وقد ذكرنا ذلك جميعه فلمّا تعذّر
عليه المقام ببلاد الهند سار عنها على كرمان ووصل الى اصفهان وهى
بيد اخيه غياث الدين وقد تقدّمت اخباره فملكها وسار عنها الى بلاد
فارس وكان اخوه قد استولى على بعضها كما ذكرناه فاعاد ما كان اخوه
اخذه منها الى اتابك سعد صاحبها وصالحه وسار من عنده الى خوزستان
فحصر مدينة تستر فى المحرّم وبها الامير مظفّر الدين المعروف بوجه السبع
مملوك الخليفة الناصر لدين الله حافظًا لها واميرًا عليها فحصره جلال

[1] Cor. 33, 25.

الدين وضيّق عليه فحفظها وجه السبع وبالغ فى الحفظ والاحتياط وتفرّق
الخوارزميّة ينهبون حتّى وصلوا الى بادرايا وباكسايا[1] وغيرهما وانحدر بعضهم
الى ناحية البصرة فنهبوا هنالك فسار اليهم شحنة البصرة وهو الامير
ملتكين[2] فاوقع بهم وقتل منهم جماعة فدام الحصار نحو شهريْن ثمّ رحل
عنها بغتةً وكانت عساكر الخليفة مع مملوكه جمال الدين قشتمر بالقرب
منه فلمّا رحل جلال الدين لم يقدر العسكر على منعه فسار الى ان
وصل الى بعقوبا[3] وهى قرية مشهورة بطريق خراسان بينها وبين بغداد
نحو سبعة فراسخ فلمّا وصل الخبر الى بغداد تجهّزوا للحصار واسلحوا
السلاح من الجروخ والقسىّ والنشاب والنفط وغير ذلك وعاد عسكر الخليفة
الى بغداد وامّا عساكر جلال الدين فنهب البلاد واهلها وكان قد
وصل هو وعسكره الى خوزستان فى ضرّ شديد وجهد جهيد وقلّة من
الدوابّ والذى معهم فهو من الضعف الى حدّ لا ينتفع به فغنموا من
البلاد جميعها واستغنوا واكثروا من اخذ الخيل والبغال فانّهم كانوا فى
غاية الحاجة اليها وسار من بعقوبا[3] الى دقوقا فحصرها فصعد اهلها الى
السور وقاتلوه وسبّوه واكثروا من التكبير فعظم ذلك عنده وشقّ عليه
وجدّ فى قتالهم ففتحها عنوةً وقهرًا ونهبتها عساكره وقتلوا كثيرًا من
اهلها فهرب مَن سلم منهم من القتل وتفرّقوا فى البلاد ۞ ولمّا كان الخوارزميّون
على دقوقا سارت سريّة منهم الى البتّ والراذان[4] فهرب اهلها الى تكريت
فتبعهم الخوارزميّة فجرى بينهم وبين عسكر تكريت وقعة شديدة فعادوا
الى العسكر ۞ ولقد رايتُ بعض اعيان اهل دقوقا وهم بنو يعلى وهم اغنياء
فنُهبوا وسلم احدهم ومعه ولدان له وشئ يسير من المال فسيّر ما سلم
معه الى الشام مع الولديْن ليتجر بما ينتفعون به وينفقونه على نفوسهم
فمات احد الولدين بدمشق واحتاط الحاكم على ما معهم فلقد رايت
اباهم على حالة شديدة لا يعلمها الّا الله يقول اخذت الاملاك وقُتل بعض
الاهل وفارقنا من سلم منهم والوطن بهذا القدر الحقير اردنا نكفّ به
وجوهنا من السؤال ونصون انفسنا فقد ذهب الولد والمال ثمّ سار

---

1) باذرايا وبا حسمايا 2) 740. Ups.: بلنكين 3) يعقوبا
4) 740: البت والراذان .Ups الت والداران

الى دمشق لياخذ ما سلم مع ابنه الاخر فاخذه وعاد الى الموصل فلم يبق غير شهر حتى توفى انّ الشقىّ بكلّ حبل يخنق ، واما جلال الدين فانّه لمّا فعل باهل دقوقا ما فعل خافه اهل البوازيج [1] وهى لصاحب الموصل فارسلوا اليه يطلبون منه ارسال شحنة اليهم يحميهم وبذلوا له شياً من المال فاجابهم الى ذلك وسيّر اليهم من يحميهم قيل كان بعض اولاد جنكزخان ملك التتر اسره جلال الدين فى بعض حروبه مع التتر فاكرمه فحماهم واقام بمكانه الى اواخر ربيع الاخر والرسل متردّدة بينه وبين مظفّر الدين صاحب اربل فاصطلحوا فسار جلال الدين الى اذربيجان وفى مدّة مقام جلال الدين بخوزستان والعراق ثارت العرب فى البلاد يقطعون الطريق وينهبون القرى ويخيفون السبيل فنال الخلق منهم اذى شديد واخذوا فى طريق العراق قفلين عظيمين كانوا سايرين الى الموصل فلم يسلم منهم شئ البتّة ✿

ذكر وفاة الملك الافضل وغيره من الملوك

فى هذه السنة فى صفر توفى الملك الافضل علىّ بن صلاح الدين يوسف بن ايّوب فُجاةً بقلعة سميساط وكان عمره نحو سبع وخمسين سنة وقد ذكرنا سنة تسع وثمانين وخمسماية عند وفاة والده رحمه الله مُلكه مدينة دمشق والبيت المقدّس وغيرهما من الشام وذكرنا سنة اثنتين وتسعين اخذ الجميع منه ثمّ ذكرنا سنة خمس وتسعين مُلكه ديار مصر وذكرنا سنة ستّ وتسعين اخذها منه وانتقل الى سميساط واقام بها ولم يزل بها الى الآن فتوفى بها وكان رحمه الله من محاسن الزمان لم يكن فى الملوك مثله كان خيّرًا عادلاً فاضلاً حليمًا كريمًا قلّ ان عاقب على ذنب ولم يمنع طالبًا وكان يكتب خطًّا حسنًا وكتابة جيّدة وبالجملة فاجتمع فيه من الفضايل والمناقب ما تفرّق فى كثير من الملوك لا جرم حرم الملك والدنيا وعاداه الدهر ومات بموته كلّ خُلق جميل وفعل حميد فرحمه الله ورضى عنه ورايتُ من كتابته اشياء حسنة فمّما بقى على خاطرى منها انّه كتب الى اصحابه لمّا أُخذت دمشق منه كتابًا من

---

[1] المواربج

فصوله وامّا اصحابنا بدمشق فلا علم لى باحد منهم وسبب ذلك انّى اىّ صديق سالتُ عنه ففى الذلّ وتحت الخمول والوطن واىّ ضدّ سالتُ حالته سمعتُ ما لا تحبّه اذنى فتركتُ السؤال عنهم، وهذا غاية الجودة فى الاعتذار عن ترك السؤال عنهم، ولمّا مات اختلف اولاده وعمّهم قطب الدين موسى ولم يَقْوَ احد منهم على الباقين ليستبدّ بالامر، ومات فى هذه السنة صاحب ارزن الروم وهو مغيث الدين طغرل بن قلج ارسلان وهو الذى سيّر ولده الى الكُرج وتنصّر وتزوّج ملكة الكُرج ولمّا مات ملك بعده ابنه، ومات فيها ملك ارزنكان[1]، وتوفّى فيها عزّ الدين لخضر بن ابرهيم بن ابى بكر بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان صاحب خرت برت وملك بعده ابنه نور الدين ارتق شاه[2] وكان المدبّر لدولته ودولة والده معين الدين عبد الرحمن ✿

ذكر خلع شروان شاه وظفر المسلمين بالكُرج

فى هذه السنة ثار على شروان شاه ولده فنزعه من الملك واخرجه من البلاد وملك بعده وسبب ذلك انّ شروان شاه كان سيى السيرة كثير الفساد والظلم يتعرّض الى اموال الرعايا واملاكهم وقيل ايضًا انّه كان يتعرّض الى النسآء والولدان فاشتدّت وطاته على الناس فاتّفق بعض العسكر مع ولده واخرجوا اباه من البلاد وملك الابن واحسن السيرة فاحبّه العساكر والرعيّة وارسل الولد الى ابيه يقول له ان اردتَ ان اتركك فى بعض القلاع واجرى لك الجرايات الكثيرة ولكلّ مَن تحبّ ان يكون عندك والذى حملنى على ما فعلتُ معك سوٌ سيرتك وظلمك لاهل البلاد وكراهيتهم لك ولدولتك فلمّا راى الاب ذلك سار الى الكرج واستنصر بهم وقرّر معهم ان يرسلوا معه عسكرًا يعيدونه الى مُلكه ويعطيهم نصف البلاد فسيّروا معه عسكرًا كثيرًا فسار حتّى قارب مدينة شروان فجمع ولده العسكر واعلمهم الحالّ وقال انّ الكرج متى حصرونا ربّما ظفروا بنا وحينئذ لا يُبقى الى على احد منّا وياخذ الكرج نصف البلاد وربّما اخذوا الجميع وهذا امر عظيم انّنا نسير اليهم جريدة ونلقاهم فان ظفرنا

---

[1] ارزنكان (
[2] 740. et Ups.: اردو شاه

بهم فالحمد لله وان ظفروا بنا فالحصر بين ايدينا فاجابوه الى ذلك فخرج فى عسكره وهم قليل نحو الف فارس ولقوا الكرج وهم فى ثلاثة الاف مقاتل فالتقوا واقتتلوا وصبر اهل شروان فانهزم الكُرج فقُتل كثير منهم وأُسر كثير ومَن سلم عاد باسْوَء حال وشروان شاه المخلوع معهم فقال له مقدّموا الكرج اننا لم نلق بسببك خيرًا ولا نواخذك بما كان منك فلا تُقم ببلادنا ففارقهم وبقى مترددًا لا ياوى الى احد واستقرّ ولده فى الملك واحسن الى الجند والرعيّة واعاد الى الناس املاكهم ومصادراتهم فاغتبطوا بولايته ٭

ذكر ظفر المسلمين بالكرج ايضًا

وفى هذه السنة ايضًا سار جمعٌ من الكُرج من تفليس يقصدون اذربيجان والبلاد التى بيد اوزبك فنزلوا ورآء مضيق فى الجبال لا يُسْلك الّا للفارس معه الفرس فنزلوا آمنين من المسلمين استضعافًا لهم واغترارًا بحصانة موضعهم وانّه لا طريق اليهم وركب طايفة من العساكر الاسلاميّة وقصدوا الكرج فوصلوا الى ذلك المضيق فجازوه مخاطرين فلم يشعر الكرج الّا وقد غشيهم المسلمون ووضعوا فيهم السيف فقتلوهم كيف شاوا وولّى الباقون منهزمين لا يلوى والد على ولده ولا اخ على اخيه وأُسر منهم جمع كثير صالح فعظم الامر عليهم وعزموا على الاخذ بثارهم والجدّ فى قصد اذربيجان واستيصال المسلمين منه واخذوا يتجهّزون على قدر عزمهم فبينما هم فى ذلك اذ وصل اليهم الخبر بوصول جلال الدين بن خوارزم شاه الى مراغة على ما نذكره ان شآء الله فتركوا ذلك وارسلوا الى اوزبك صاحب اذربيجان يَدعونه الى الموافقة على ردّ جلال الدين وخوّفوه منه ان لم نتّفق نحن وانت والّا اخذك ثمّ اخذنا فعاجلهم جلال الدين قبل اتّفاقهم واجتماعهم فكان ما نذكره ان شآء الله تعالى ٭

ذكر مُلك جلال الدين اذربيجان

فى هذه السنة استولى جلال الدين على اذربيجان وسبب ذلك انّه لمّا سار من دقوقا كما ذكرناه قصد مراغة فملكها واقام بها وشرع فى عمارة البلد فاستحسنه فلمّا وصل اليها اتاه الخبر انّ الامير ايغان طائيسى وهو خال اخيه غياث الدين قد قصد همدان قبل وصول جلال الدين بيومَيْن وكان هذا ايغان طائيسى قد جمع عسكرًا يتجاوز خمسين الف

فارس ونهب كثيرًا من اذربيجان وسار الى البحر من بلد ارّان فشتى هنالك لقلّة البرد ولمّا عاد الى همذان نهب اذربيجان ايضًا مرّة ثانية وكان سبب مسيره الى همذان انّ الخليفة الناصر لدين الله راسله وامره بقصد همذان واقطعه اياها وغيرها فسار ليستولى عليها كما أُمر فلمّا سمع جلال الدين بذلك سار جريدة اليه فوصل الى ايغان طائيسى ليلًا وكان اذا نزل جعل حول عسكره جميع ما غنموا من اذربيجان واران من خيل وبغال وحمير وبقر وغنم فلمّا وصل جلال الدين احاط بالجميع فلمّا اصبح عسكر ايغان طائيسى وراى العسكر والجتر الذى يكون على راس السلطان علموا انّه جلال الدين فسقط فى ايديهم لانّهم كانوا يظنّونه عند دقوقا فارسل ايغان طائيسى زوجته وهى اخت جلال الدين تطلب له الامان فامّنه واحضره عنده وانضاف عسكره الى جلال الدين وبقى ايغان طائيسى وحده الى ان اضاف اليه جلال الدين عسكرًا غير عسكره وعاد الى مراغة واعجبه المقام بها وكان اوزبك بن البهلوان صاحب اذربيجان واران قد سار من تبريز الى كنجة خوفًا من جلال الدين وارسل جلال الدين الى مَن فى تبريز من والٍ وامير ورئيس يطلب منهم ان يتردّد عسكره اليهم يمتارون فاجابوه الى ذلك واطاعوه فتردّد العسكر اليها وباعوا واشتروا الاقوات والكسوات وغيرها ومدّوا ايديهم الى اموال الناس فكان احدهم ياخذ الشئ ويعطى الثمن ما يُريد فشكا بعض اهل تبريز الى جلال الدين منهم فارسل اليهم شحنة يكون عندهم وامره ان يقيم بتبريز ويكفّ ايدى الجند عن اهلها ومن تعدّى على احد منهم صلبه فاقام الشحنة ومُنع الجند من التعدّى على احد من الناس وكانت زوجة اوزبك وهى ابنة السلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل بن محمّد بن ملكشاه مقيمة بتبريز وهى كانت الحاكمة فى بلاد زوجها وهو مشغول بلذّاته من اكل وشرب ولعب ثمّ انّ اهل تبريز شكوا من الشحنة وقالوا انّه يكلفنا اكثر من طاقتنا فامر جلال الدين انّه لا يُعطى الّا ما يقيم به لا غير ففعلوا ذلك وسار جلال الدين الى تبريز وحصرها خمسة ايّام وقاتل اهلها قتالًا شديدًا وزحف اليها فوصل العسكر

الى السور فاذعن اهلها بالطاعة وارسلوا يطلبون الامان منه لانّه كان يذمّهم ويقول قتلوا اصحابنا المسلمين وارسلوا روُسهم الى التتر الكفّار وقد تقدّمت الحادثة سنة احدى وعشرين وستّمايةً فخافوا منه لذلك فلمّا طلبوا الامان ذكر لهم فعلهم باصحب ابيه وقتلهم فاعتذروا بانّهم لم يفعلوا شيأً من ذلك وانّما فعله صاحبهم ولم يكن لهم من القدرة ما يمنعونه فعذرهم وامنهم وطلبوا منه ان يومّن زوجة اوزبك ولا يعارضها فى الذى لها باذربيجان ومدينة خوىّ وغيرها من ملك ومال وغيره فاجابهم الى ذلك وملك البلد سابع عشر رجب من هذه السنة وسيّر زوجة اوزبك الى خوىّ ومعها طايفة من العسكر مع رجل كبير القدر عظيم المنزلة وامرهم بخدمتها فاذا وصلت الى خوىّ عادوا عنها ولمّا رحل جلال الدين الى تبريز امر ان لا يمنعوا عنه احدًا من اهلها فاتاه الناس مسلّمين عليه فلم يُحتجبوا عنه واحسن اليهم وبثّ فيهم العدل ووعدهم الاحسان والزيادة منه وقال لهم قد رايتم ما فعلتُ بمراغة من الاحسان والعمارة بعد ان كانت خرابًا وسترون كيف اصنع معكم من العدل فيكم وعمارة بلادكم واقام الى يوم الجمعة فحضر الجامع فلمّا خطب الخطيب ودعا للخليفة قام قايمًا ولم يزل كذلك حتّى فرغ من الدعآء وجلس ودخل الى كُشْك كان اوزبك قد عمره واخرج عليه من الاموال كثيرًا فهو فى غاية الحسن مشرف على البساتين فلمّا طاف فيه خرج منه وقال هذا مساكن الكسالى لا يصلح لنا واقام ايّامًا استولى فيها على غيرها من البلاد وسيّر الجيوش الى بلاد الكرج ❊

ذكر انهزام الكرج من جلال الدين

قد ذكرنا فيما تقدّم من السنين ما كان الكرج يفعلونه فى بلاد الاسلام خلاط واعمالها واذربيجان واران وارزن الروم ودربند شروان وهذه ولايات تجاوز بلادهم وما كانوا يسفكون من دمآء المسلمين وينهبون من اموالهم ويملكون من بلادهم والمسلمون معهم فى هذه البلاد تحت الذلّ والخزى كلّ يوم قد اغاروا وفتكوا فيهم وقاطعوهم على ما شآوا من الاموال فكنّا كلّما سمعنا بشئ من ذلك سالنا الله تعالى نحن والمسلمون فى ان ييسّر للاسلام والمسلمين مَن يحميهم وينصرهم وياخذ بثارهم فانّ اوزبك صاحب اذربيجان منعكفٌ على شهوة بطنه وفرجه لا يفيق من سكره وان افاق

فهو مشغول بالقمار بالبيض وهذا ما لم يسمع انّ احدًا من الملوك فعله لا يهتدى لمصلحة ولا يغضب لنفسه بحيث انّ بلاده ماخوذة وعساكره طمّاعة ورعيّته قد قهرها وقد كان كلّ من اراد ان يجمع جمعًا ويتغلّب على بعض البلاد فعل كما ذكرناه من حال بُغدى وايبك الشاميّ وايغان طائيسى فنظر الله تعالى الى اهل هذه البلاد المساكين بعين الرحمة فرحمهم ويسّر لهم هذا جلال الدين ففعل بالكُرج ما نراه وانتقم للاسلام والمسلمين منهم، فنقول فى هذه السنة كان المصافّ بين جلال الدين [وبين الكرج فى شهر شعبان، فانّ جلال الدين][1] من حين قصد الى هذه النواحى لا يزال يقول انّنى اريد اقصد بلاد الكُرج واقاتلهم واملك بلادهم فلمّا ملك اذربيجان ارسل اليهم يوذنهم فاجابوه باننّا قد قصدنا التتر الذين فعلوا بابيك وهو اعظم منك مُلكًا واكثر عسكرًا واقوى نفسًا ما تعلمه واخذوا بلادكم فلم نُبال بهم وكان قُصاراهم السلامة منّا وشرعوا يجمعون العساكر فجمعوا ما يزيد على سبعين الف مقاتل فسار اليهم فملك مدينة دُوين وهى للكرج كانوا قد اخذوها من المسلمين كما ذكرناه وسار منها اليهم فلقوه وقاتلوه اشدّ قتال واعظمه وصبر كلّ منهم لصاحبه فانهزم الكُرج وامر ان يُقتلوا بكلّ طريق ولا يبقوا على احد منهم فالذى تحقّقناه انّه قُتل منهم عشرون الفًا وقيل اكثر من ذلك فقيل الكرج جميعهم قتلوا وافترقوا وأُسر كثير من اعيانهم من جملتهم شلوة فتمّت الهزيمة عليهم ومضى ايوانى[2] منهزمًا وهو المقدّم على الكرج جميعهم ومرجعهم اليه ومعولهم عليه وليس لهم ملك انّما الملك امراة ولقد صدق رسول الله صلّعم حيث يقول لن يُفلح قوم ولّوا امرهم امراة فلمّا انهزم ايوانى[2] فادركه الطلب فصعد قلعة لهم على طريقهم فاحتمى فيها وجعل جلال الدين عليها من يحصرها ويمنعه من النزول وفرّق عساكره فى بلاد الكُرج ينهبون ويقتلون ويسبون ويخرّبون البلاد فلو لا ما اتاه من تبريز ما اوجب عوده لملك البلاد بغير تعب ولا مشقّة لانّ اهلها كانوا قد هلكوا فهم بين قتيل واسير وطريد ❀

---

[1]) *J. As.* 1849, II, 482. [2]) ايوانى :(

ذكر عود جلال الدين الى تبريز وملكه مدينة كنجة ونكاحه زوجة اوزبك

لمّا فرغ جلال الدين من هزيمة الكرج ودخل البلاد وبثّ العساكر فيها امرهم بالمقام بها مع اخيه غياث الدين وعاد الى تبريز وسبب عوده انّه كان قد خلف وزيره شرف الملك فى تبريز لحفظ البلد وينظر فى مصالح الرعيّة فبلغه عن رئيس تبريز وشمس الدين الطغرآى وهو المقدّم على كلّ من فى البلد وعن غيرهما من المقدّمين انّهم قد اجتمعوا وتحالفوا على الامتناع على جلال الدين واعادة البلد الى اوزبك وقالوا لنّ جلال الدين قد قصد بلاد الكرج فلا يقدر على المقام ويجتمع اوزبك والكرج ويقصدونه فينحلّ نظام امره وتتمّ عليه الهزيمة فبنوا امرهم على انّ جلال الدين يسير الهوينا الى بلاد الكرج ويتربّث فى الطريق احتياطًا منهم فلمّا اتّفقوا على ذلك اتى الخبر الى الوزير فارسل الى جلال الدين يعرّفه الحال فاتاه الخبر وقد قارب بلاد الكرج فلم يُظهر من ذلك شيئًا وسار نحو الكرج مجدًّا فلقيهم وهزمهم فلمّا فرغ منهم قال لامرآء عسكره انّنى قد بلغنى من الخبر كذا وكذا فتقيمون انتم فى البلاد على ما انتم عليه من قتل من ظفرتم به وتخريب ما امكنكم من بلادهم فانّنى خفت ان اعرّفكم قبل هزيمة الكرج لئلّا يلحقكم وهْنٌ وخوف فاقاموا على حالهم وعاد هو الى تبريز وقبض على الرئيس والطغرائى وغيرهما فامّا الرئيس فامر ان يُطاف به على اهل البلد وكلّ من له عليه مظلمة فلياخذها منه وكان ظالمًا ففرح الناس بذلك ثمّ قتله وامّا الباقون فحُبسوا فلمّا فرغ منهم واستقام له امر البلد تزوّج زوجة اوزبك ابنة السلطان طغرل وانّما صحّ له نكاحها لانّه ثبت عن اوزبك انّه حلف بطلاقها انّه لا يقتل مملوكًا له اسمه[1] ثمّ قتله فلمّا وقع الطلاق بهذا اليمين نكحها جلال الدين واقام بتبريز مدّة وسيّر منها جيشًا الى مدينة كنجة فملكوها وفارقها اوزبك الى قلعة كنجة فتحصّن فيها ، فبلغه انّ عساكر جلال الدين تعرّضوا الى اعمال هذه القلعة بالنهب والاخذ فارسل اوزبك الى جلال الدين يشكوا ويقول كنت لا ارضى بهذه الحال لبعض اصحابى

---

[1]) Ead. lacuna in 740 est.

فانا اسال ان تكفّ الايدى المتطرّقة الى هذه الاعمال عنها فارسل جلال الدين اليها مَن يحميها من التعرّض اليه من اصحابه وغيرهم ✿

ذكر وفاة الخليفة الناصر لدين الله

فى هذه السنة اخر ليلة من شهر رمضان توفّى الخليفة الناصر لدين الله ابو العبّاس احمد بن المستضئ بامر الله ابى محمّد الحسن بن المستنجد بالله ابى المظفّر يوسف بن المقتفى لامر الله ابى العبّاس محمّد ابن المقتدى بامر الله ابى القاسم عبد الله بن الذخيرة محمّد بن القايم بامر الله ابى جعفر عبد الله بن القادر بالله ابى العبّاس احمد بن اسحق بن المقتدر بالله ابى الفضل جعفر بن المعتضد بالله ابى العبّاس احمد بن الموفّق ابى احمد محمّد ابن جعفر المتوكّل على الله ولم يكن الموفّق خليفة وانّما كان ولىّ عهد اخيه المعتمد على الله فمات قبل المعتمد فصار ولده المعتضد بالله ولىّ عهد المعتمد على الله وكان المتوكّل على الله بن المعتصم بالله ابى اسحق محمّد بن هرون الرشيد ابن محمّد المهدى بن ابى جعفر عبد الله المنصور بن محمّد بن علىّ بن عبد الله ابى جعفر العبّاس بن عبد المطّلب رضى الله عنهم

نسبٌ كأنّ عليه من شمس الضحى نورًا ومن فلق الصباح عَمُودَا

فكان فى ابآيه اربعة عشر خليفة وهم كلّ مَن له لقب والباقون غير خلفآء وكان فيهم من ولىّ العهد محمّد بن القايم والموفّق بن المتوكّل واما باقى الخلفآء من بنى العبّاس فلم يكونوا من ابآيه فكان السفّاح ابو العبّاس عبد الله اخا المنصور ولى قبله وكان موسى اخا الرشيد ولى قبله وكان محمّد الامين وعبد الله المامون ابنا الرشيد اخوى المعتصم وليا قبله وكان محمّد المنتصر بن المتوكّل ولى بعده ثمّ ولى بعد المنتصر بالله المستعين بالله ابو العبّاس احمد ابن محمّد بن المعتصم وولى بعد المستعين المعتزّ بالله محمّد وقيل طلحة وهو ابن المتوكّل وولى بعد المعتزّ المهتدى بالله محمّد بن الواثق ثمّ ولى بعده المعتمد على الله احمد بن المتوكّل فالمنتصر والمعتزّ والمعتمد اخوة الموفّق والمهتدى ابن عمّه والموفّق من اجداد الناصر لدين الله ثمّ ولى المعتضد بعد المعتمد وولى بعد المعتضد ابنه ابو محمّد على المكتفى بالله وهو اخو المقتدر بالله وولى بعد المقتدر اخوه

القاهر بالله ابو منصور محمّد بن المعتضد وولى بعد القاهر الراضى بالله ابو العبّاس محمّد بن المقتدر ثمّ ولى بعده المقتفى لله ابو اسحق ابرهيم بن المقتدر ثمّ ولى بعده المستكفى بالله ابو القاسم عبد الله [بن] المكتفى بالله علىّ بن المعتضد ثمّ ولى بعده المطيع لله ابو بكر عبد الكريم فالقاهر اخو المقتدر والراضى والمقتفى والمطيع بنوه والمستكفى ابن اخيه المكتفى [ثمّ ولى] الطايع لله ابن المقتدر ثمّ ولى بعد الطايع القادر[1] بالله و[هو] من اجداد الناصر لدين الله ثمّ ولى بعده المستظهر بالله [ثمّ ولى بعده ابنه المسترشد بالله ابو منصور وولى بعد المسترشد بالله][2] ابنه الراشد ابو جعفر فالمسترشد اخو المقتفى والراشد ابن اخيه فجمع من ولى الخلافة ممّن ليس فى سياق نسب الناصر تسعة عشر خليفة ، وكانت امّ الناصر امّ ولد تركيّة اسمها زمرّد وكانت خلافته ستًّا واربعين سنة وعشرة اشهر وثمانية وعشرين يومًا وكان عمره نحو سبعين سنة تقريبًا فلم يل الخلافة اطول مدّة منه الّا ما قيل عن المستنصر بالله العلوىّ صاحب مصر فانّه ولى ستّين سنة ولا اعتبار به فانّه ولى وله سبع سنين فلا تصحّ ولايته وبقى الناصر لدين الله ثلاث سنين عاطلًا عن الحركة بالكليّة وقد ذهبت احدى عينَيْه والاخرى يبصر بها ابصارًا ضعيفًا وفى اخر الامر اصابه دوسنطاريا عشرين يومًا ومات ، ووزر له عدّة وزرآء وقد تقدّم ذكرهم ولم يُطلق فى طول مرضه شيأً كان احدثه من الرسوم الجايرة وكان قبيح السيرة فى رعيّته ظالمًا فخرب فى ايّامه العراق وتفرّق اهله فى البلاد واخذ املاكهم واموالهم وكان يفعل الشئ وضدّه فمن ذلك انّه عمل دور الضيافة ببغداد ليفطر الناس عليها فى رمضان فبقيت مدّة ثمّ قطع ذلك ثمّ عمل دور الضيافة للحجّاج فبقيت مدّة ثمّ بطلها واطلق بعض المكوس التى جدّدها ببغداد خاصّة ثمّ اعادها وجعل جُلّ همّه فى رمى البندق والطيور المناسيب وسراويلات الفتوّة فبطل الفتوة فى البلاد جميعها الّا من يلبس منه سراويل يدّعى اليه وليس كثير من الملوك منه سراويلات الفتوة ، وكذلك ايضًا منع الطيور المناسيب

---

[1]) 740 Ups.: المقتدر [2]) 740.

لغيره الّا ما يوخذ من طيوره ومنع الرمى بالبندق الّا مَن ينتمى اليه فاجابه الناس بالعراق وغيره الى ذلك الّا انسانًا واحدًا يقال له ابن السفت من بغداد فانّه هرب من العراق ولحق بالشام فارسل اليه يرغّبه فى المال الجزيل ليرمى عنه وينسب فى الرمى اليه فلم يفعل فبلغنى انّ بعض اصدقآيه انكر عليه الامتناع من اخذ المال فقال يكفينى فخرًا انّه ليس فى الدنيا احدٌ الّا يرمى للخليفة الّا انا فكان غرام الخليفة بهذه الاشيآء من اعجب الامور وكان سبب ما ينسبه العجم اليه صحيحًا من انّه هو الذى اطمع التتر فى البلاد وراسلهم فى ذلك فهو الطامّة الكبرى التى يصغر عندها كلّ ذنب عظيم ✿

ذكر خلافة الظاهر بامر الله

قد ذكرنا سنة خمس وثمانين وخمسمائة الخطبة للامير ابى نصر محمّد بن الخليفة الناصر لدين الله بولاية العهد فى العراق وغيره من البلاد ثمّ بعد ذلك خلعه الخليفة من ولاية العهد وارسل الى البلاد فى قطع الخطبة له وانّما فعل ذلك لانّه كان يميل الى ولده الصغير علىّ فاتّفق انّ الولد الصغير توفّى سنة اثنتى عشرة وستّمائة ولم يكن للخليفة ولد غير ولىّ العهد فاضطرّ الى اعادته الّا انّه تحت الاحتياط والحجر لا يتصرّف فى شىء فلمّا توفّى ابوه ولى الخلافة واحضر الناس لاخذ البيعة وتلقّب بالظاهر بامر الله وعنى انّ اباه وجميع اصحابه ارادوا صرف الامر عنه فظهر وولى الخلافة بامر الله لا بسعى من احد ولمّا ولى الخلافة اظهر من العدل والاحسان ما اعاد به سنة العمرين فلو قيل انّه لم يل الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز مثله لكان القايل صادقًا فانّه اعاد من الاموال المغصوبة فى ايّام ابيه وقبله شيًا كثيرًا واطلق المكوس فى البلاد جميعها وامر باعادة الخراج القديم فى جميع العراق وان يسقط جميع ما جدّده ابوه وكان كثيرًا لا يحصى فمن ذلك انّ قرية بعقوبا كان يحصل منها قديمًا نحو عشرة الاف دينار فلمّا توفّى الناصر لدين الله كان يوخذ منها كلّ سنة ثمانون الف دينار فحضر اهلها واستغاثوا وذكروا انّ املاكهم اخذت حتّى صار يحصل منها هذا المبلغ فامر ان يوخذ الخراج الاوّل وهو عشرة الاف دينار فقيل له انّ هذا المبلغ يصل الى المخزن فمن اين

يكون العوض. فاقام لكم العوض من جهات اخرى فاذا كان المطلق من جهة واحدة سبعين الف دينار فما الظنّ بباق البلاد ومن افعاله الجميلة انّه امر باخذ الخراج الاوّل من باقى البلاد جميعها فحضر كثير من اهل العراق وذكروا انّ الاملاك التى كان يوخذ منها الخراج قديمًا قد يبس اكثر اشجارها وخربت ومتى طولبوا بالخراج الاوّل لا يفى دَخْل الباقى بالخراج فامر ان لا يوخذ الخراج الّا من كلّ شجرة سليمة وامّا الذاهب فلا يوخذ منه شئ وهذا عظيم جدًّا ومن ذلك ايضًا انّ المخزن كان له صنجة الذهب تزيد على صنجة البلد نصف قيراط يقبضون بها المال ويُعطون بالصنجة التى للبلد يتعامل بها الناس فسمع بذلك فخرج خطّه الى الوزير واوّله وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ٱلَّذِينَ اِذَا ٱكْتَالُوا عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَاِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُولَآئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ[1] قد بلغنا انّ الامر كذا وكذا فتعاد صنجة المخزن الى الصنجة التى يتعامل بها المسلمون واليهود والنصارى فكتب بعض النوّاب اليه يقول انّ هذا مبلغ كثير وقد حسبناه فكان فى السنة الماضية خمسة وثلاثين الف دينار فاعاد الجواب ينكر على القايل ويقول لو انّه ثلاث مائة الف وخمسون الف دينار يُطلق ء. وكذلك ايضًا فعل فى اطلاق زيادة الصنجة التى للديوان وهى فى كلّ دينار حبّة وتقدّم الى القاضى انّ كلّ من عرض عليه كتابًا صحيحًا بملك يعيده اليه من غير اذن واقام رجلًا صالحًا فى ولاية الحشرى وبيت المال وكان الرجل حنبليًّا فقال انّنى من مذهبى ان أُورّث ذوى الارحام فان اذن امير المومنين ان افعل ذلك وليت والّا فلا فقال له اعط كلّ ذى حقّ حقّه واتّق الله ولا تتّق سواه ء ومنها انّ العادة كانت ببغداد انّ الحارس بكلّ درب يُبكّر ويكتب مطالعة الى الخليفة بما تجدّد فى دربه من اجتماع بعض الاصدقآء ببعض على نُزهة او سماع او غير ذلك ويكتب ما سوى ذلك من صغير وكبير فكان الناس من هذا فى حجر عظيم فلمّا ولى هذا الخليفة جزاه الله خيرًا اتته المطالعات على العادة فامر

---

[1]) Cor. 83, 1 sqq.

بقطعها وقال اىّ غرض لنا فى معرفة احوال الناس فى بيوتهم فلا يكتب احدٌ الينا الّا ما يتعلّق بمصالح دولتنا فقيل له انّ العامّة تفسد بذلك ويعظم شرّها فقال نحن ندعوا الله فى ان يصلحهم ، ومنها انّه لمّا ولى الخلافة وصل صاحب الديوان من واسط وكان قد سار اليها ايّام الناصر لتحصيل الاموال فاصعد ومعه من المال ما يزيد على مايئة الف دينار وكتب مطالعة تتضمّن ذكر ما معه ويستخرج الامر فى حمله فاعاد الجواب بان يُعاد الى اربابه فلا حاجة لنا اليه فاعيد عليهم ، ومنها انّه اخرج كلّ مَن كان فى السجون وامر باعادة ما اخذ منهم وارسل الى القاضى عشرة الاف دينار ليعطيها عن كلّ مَن هو محبوس فى حبس الشرع وليس له مال ، ومن حسن نيّته للناس انّ الاسعار فى الموصل وديار الجزيرة كانت غالية فرخصت الاسعار واطلق حمل الاطعمة اليها وان يبيع كلّ من اراد البيع للغلّة فحمل منها الكثير الذى لا يحصى فقيل له انّ السعر قد غلا شيًا والمصلحة منع حمله فقال اوليك مسلمون وهولآء مسلمون وكما يجب علينا النظر فى امر هولآء كذلك يجب علينا النظر لاوليك وامر ان يباع من الاهرآ التى له طعام ارخص ممّا يبيع غيره ففعلوا ذلك فرخصت الاسعار عندهم ايضًا اكثر ممّا كانت اوّلًا وكان السعر فى الموصل لمّا ولى كلّ مكوكين بدينار وثُلْثَىْ قيراط فصار كلّ اربعة مكاكى بدينار فى ايّام قليلة وكذلك باقى الاشيآء من التمر والدبس والارز والسمسم وغيرها فالله تعالى يويّده وينصره ويبقيه فانّه غريب فى هذا الزمان الفاسد ولقد سمعتُ عنه كلمة اعجبتنى جدًّا وهى انّه قيل له فى الذى يُخرجه ويُطلقه من الاموال التى لا تسمح نفس ببعضها فقال لهم انا فتحتُ الدكان بعد العصر فاتركونى افعل الخير فكم اعيش وتصدّق ليلة عيد الفطر من هذه السنة وفرّق فى العلمآء واهل الدين مايئة الف دينار *

ذكر مُلك بدر الدين قلعتَىْ العماديّة وهرور

فى هذه السنة ملك بدر الدين قلعة العماديّة من اعمال الموصل وقد تقدّم ذكر عصيان اهلها عليه سنة خمس عشرة وستمايئة وتسليمها

الى عماد الدين زنكى ثمّ عودهم الى طاعة بدر الدين وخلافهم على عماد الدين فلمّا عادوا الى بدر الدين احسن اليهم واعطاهم الاقطاع الكثير وملّكهم القرى ووصلهم بالاموال الجزيلة والخلع السنيّة فبقوا كذلك مدّة يسيرة ثمّ شرعوا يراسلون عماد الدين زنكى ومظفّر الدين صاحب اربل وشهاب الدين غازى بن العادل لمّا كان بخلاط ويعدون كلًّا منهم بالانحياز اليه والطاعة له واظهروا من المخالفة لبدر الدين ما كانوا يبطنونه فكانوا لا يمكّنون ان يقيم عندهم من اصحاب بدر الدين الّا من يريدونه ويمنعون من كرهوه فطال الامر وهو يحتمل فعلهم ويداريهم وهم لا يزدادون الّا طمعًا وخروجًا عن الطاعة وكانوا جماعة فاختلفوا فقوى بعضهم وهم اولاد خواجه ابرهيم واخوه ومن معهم على الباقين فاخرجوهم عن القلعة وغلبوا عليها واصرّوا على ما كانوا عليه من النفاق، فلمّا كان هذه السنة سار بدر الدين اليهم فى عساكره فاتاهم بغتةً فحصرهم وضيّق عليهم وقطع الميرة عنهم واقام بنفسه عليهم وجعل قطعة من الجيش على قلعة هرور يحصرونها وهى من امنع الحصون واحصنها لا يوجد مثلها وكان اهلها ايضًا قد سلكوا طريق اهل العماديّة من عصيان وطاعة ومخادعة فاتاهم العسكر وحصروهم وهم فى قلّة من الذخيرة فحصروها ايّامًا ففنى ما فى القلعة فاضطرّ اهلها الى التسليم فسلّموها ونزلوا منها وعاد العسكر الى العماديّة فاقاموا عليها مع بدر الدين فبقى بدر الدين بعد اخذ هرور يسيرًا وعاد الى الموصل وترك العسكر بحاله مقيمًا عليهم مع نايبه امين الدين لؤلؤ فبقى الحصار الى اوّل ذى القعدة فارسلوا يُذعنون بالطاعة ويطلبون العوض عنها ليسلّموها فاستقرّت القواعد على العوض من قلعة يحتمون فيها واقطاع ومال وغير ذلك فاجابهم بدر الدين الى ما طلبوا وحضر نوّابهم ليحلّفوا بدر الدين فبينما هو يريد ان يحلف لهم وقد احضر مَنْ يشهد اليمين واذ قد وصل طاير من العماديّة وعلى جناحه رقعة من امين الدين لؤلؤ يخبر انّه قد ملك العماديّة قهرًا وعنوةً واسر بنى خواجه الذين كانوا تغلّبوا عليه فامتنع بدر الدين من اليمين، وامّا سبب غلبة امين الدين عليها فانّه كان قد ولّاه بدر الدين عليها لمّا عاد اهلها الى طاعته فبقى فيها مُدّة فاحسن اليهم واحسن السيرة

فيهم واستمال جماعة منهم ليتقوّى بهم على الحزب الذين عصوا اوّلاً فنمى الخبر اليهم فاسآوا مجاورته واستقالوا من ولايته عليهم ففارقهم الى الموصل وكان اوليك الذين استمالهم يكاتبونه ويراسلونه فلمّا حصرهم كانوا ايضًا يكاتبونه فى النشاب يخبرونه بكلّ ما يفعله اولاد خواجه من انفاذ رسول وغير ذلك وبما عندهم من الذخاير الّا انّهم لم يكونوا فى الكثرة الى انّهم يقهرون اوليك فلمّا كان الأن واستقرّت القواعد من التسليم لم يذكر اولادُ خواجه احدًا من جند القلعة فى نسخة اليمين بمال ولا غيره من امان واقطاع فسخطوا هذه الحال وقالوا لهم قد حلّفتم لانفسكم بالحصون والقرى والمال ونحن فقد خربت بيوتنا لاجلكم فلم تذكروا فاهانوهم ولم يلتفتوا اليهم فحضر عند امين الدين رجلان منهم ليلًا وطلبوا منه ان يرسل اليهم جمعًا يُصعدونهم الى القلعة ويثبون باوليك وياخذونهم فامتنع وقال اخاف ان لا يتمّ هذا الامر وينفسد علينا كلّ ما فعلناه فقالوا نحن نقبض عليهم غدًا بكرة وتكون انت والعسكر على ظَهْر فاذا سمعتم الندا باسم بدر الدين وشعاره تصعدون الينا فاجابهم الى ذلك وركب بكرة هو والعسكر على العادة وامّا اوليك فانّهم اجتمعوا وقبضوا على اولاد خواجه ومَن معهم ونادوا بشعار بدر الدين فبينما العسكر قيام واذا الصوت من القلعة باسم بدر الدين فصعدوا اليها وملكوها وتسلّم امين الدين اولاد خواجه فحبسهم وكتب الرقعة على جناح الطاير بالحال وملكوا القلعة صفوًا عفوًا بغير عوض وكان يريد يغرم مالاً جليلاً واقطاعًا كثيرة وحصنًا منيعًا فتوفّر الجميع عليه واخذ منهم كلّ ما احتقبوه وادّخروه واذا اراد الله امرًا فلا مردّ له ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة ليلة الاحد العشرين من صفر زلزلت الارض بالموصل وديار الجزيرة والعراق وغيرها زلزلة متوسّطة ۶ وفيها اشتدّ الغلآء بالموصل وديار الجزيرة جميعها فاكل الناس الميتة والكلاب والسنانير فقلّ الكلاب والسنانير بعد ان كانوا كثيرًا ولقد دخلتُ يومًا الى دارى فرايتُ الجوارى يقطّعن اللحم ليطبخوه فرايت سنانير استكثرتُها فعددتُها فكانت اثنى عشر سنّورًا ورايت اللحم فى هذا الغلآء فى الدار وليس عنده من يحفظه

من السنانير لعدمها ولبس بين المرّتين كثير وغلا مع الطعام كلّ شئ فبيع الرطل الشيرج بقيراطين بعد ان كان بنصف قيراط قبل الغلآء وامّا قبل ذلك فكان كلّ ستّين رطلًا بدينار ومن العجب انّ السلق والجزر والشلجم بيع كلّ خمسة ارطال بدرهم وبيع البنفسج كلّ ستّة ارطال بدرهم وبيع فى بعض الاوقات كلّ سبعة ارطال بدرهم وهذا ما لم يسمع بمثله ولقد راينا ما لم نر ولا سمعنا بمثله فانّ الدنيا ما زالت قديمًا وحديثًا اذا غلت الاسعار متى جآء المطر رخصت الّا هذه السنة فانّ الامطار ما زالت متتابعة من اوّل الشتآء الى اخر الربيع وكلّما جآء المطر غلت الاسعار وهذا ما لم يسمع بمثله فبلغت الحنطة مكوك وثلث بدينار وقيراط يكون وزنه خمسة واربعين رطلاً دقيقًا بالبغدادىّ وكان الملح مكوك بدرهم فصار المكوك بعشرة دراهم وكان الارز مكوك باثنى عشرة درهمًا فصار المكوك بخمسين درهمًا وكان التمر كلّ اربعة ارطال وخمسة ارطال بقيراط فصار كلّ رطلين بقيراط ومن عجيب ما يُحكى انّ السكر النادر الاسمر كان كلّ رطل بدرهم وكان السكر الابلوج المصرىّ النقى كلّ رطل بدرهمين صار السكر الاسمر كلّ رطل بثلاثة دراهم ونصف والسكر الابلوج كلّ رطل بثلاثة دراهم وربع وسببه انّ الامراض لمّا كثرت واشتدّ الوبآء قال النسآء هذه الامراض باردة والسكر الاسمر حارّ فينفع منها والابلوج بارد يقويها وتبعهنّ الاطبآء استمالة لقوبهنّ ولجهلهنّ فغلا الاسمر بهذا السبب وهذا من الجهل المفرط. وما زالت الاشيآء هكذا الى اوّل الصيف واشتدّ الوبآء وكثر الموت والمرض فى الناس فكان يحمل على النعش الواحد عدّة من الموتى فممّن مات فيه شيخنا عبد المحسن بن عبد الله الخطيب الطوسىّ خطيب الموصل وكان من صالحى المسلمين وعمره ثلاث وثمانون سنة وشهور، وفيها انخسف القمر ليلة الثلاثاء خامس عشر صفر، وفيها هرب امير حاجّ العراق وهو حسام الدين ابو فراس الحلّى الكردىّ الورّامىّ وهو ابن اخى الشيخ ورّام كان عمّه من صالحى المسلمين وخيارهم من اهل الحلّة السيفيّة فارق الحاجّ بين مكّة والمدينة وسار الى مصر حكى لى بعض اصدقآيه انّه انّما حمله على الهرب كثرة الخرج فى الطريق وقلّة المعونة من الخليفة ولمّا فارق الحاجّ خافوا خوفًا شديدًا من

العرب فأمّن الله خوفهم ولم يرعْهم ذاعر فى جميع الطريق وصلوا امنين الّا انّ كثيرًا من الجمال هلك اصابها غُدّة عظيمة لم يسلم الّا القليل، وفيها فى آب جآء مطر شديد ورعد وبرق ودام حتّى جرت من الاودية وامتلأت الطرق بالوحل ثمّ جآء الخبر من العراق والشام والجزيرة وديار بكر انّه كان عندهم مثله ولم يصل الينا احد الّا واخبر انّ المطر كان عندهم فى ذلك التاريخ، وفيها كان فى الشتآء ثلج كثير ونزلت بالعراق فسمعتُ انّه نزل فى جميع العراق حتّى فى البصرة امّا الى واسط فلا شكّ فيه وامّا البصرة فانّ الخبر لم يكثر عندنا بنزوله فيها، وفيها خربت قلعة الزعفران من اعمال الموصل وهى حصن مشهور يعرف قديمًا بدير الزعفران وهو على جبل عالٍ قريب من فرشابور، وفيها ايضًا خربت قلعة الجديدة من بلد الهكّارية من اعمال الموصل ايضًا واضيف عملها وقراها الى العمادية، وفيها فى ذى الحجّة سار جلال الدين بن خوارزم شاه من تبريز الى بلد الكرج قاصدًا لاخذ بلادهم واستيصالهم وخرجت السنة ولم يبلغنا انّه فعل بهم شيأً ونحن نذكر ما فعله بهم سنة ثلاث وعشرين وستّمائة ان شآء الله، وفيها ثالث شباط سقط ببغداد ثلج وبرد المآء بردًا شديدًا وقوى البرد حتّى مات به جماعة من الفقرآء، وفيها فى ربيع الاوّل زادت دجلة زيادة عظيمة واشتغل الناس باصلاح سكر القورج وخافوا فبلغت الزيادة قريبًا من الزيادة الاولة ثمّ نقص المآء واستبشر الناس ☆

ثم دخلت السنة ثلاث وعشرين وستّمائة، سنة ٦٢٣

ذكر مُلك جلال الدين تفليس

فى هذه السنة ثامن ربيع الاوّل فتح جلال الدين بن خوارزم شاه مدينة تفليس من الكرج وسبب ذلك انّا قد ذكرنا سنة اثنتين وعشرين وستّمائة الحرب بينه وبينهم وانهزامهم منه وعوده الى تبريز بسبب الخلف الواقع فيها فلمّا استقرّ الامر فى اذربيجان عاد الى بلد الكُرج فى ذى الحجّة من السنة وخرجت سنة اثنتين وعشرين وستّمائة ودخلت هذه السنة فقصد بلادهم وقد عادوا حشدوا وجمعوا من الامم المجاورة لهم اللان واللكز وقفجاق وغيرهم فاجتمعوا فى جمع كثير لا يحصى فطمعوا

بذلك ومنتهم انفسهم الاباطيل ووعدهم الشيطان الظفر وما يعدهم الشيطان الّا غرورًا فلقيهم وجعل لهم الكمين فى عدّة مواضع والتقوا واقتتلوا فولّى الكرج منهزمين لا يلوى الاخ على اخيه ولا الوالد على ولده وكلّ منهم قد اهمّته نفسه واخذتهم سيوف المسلمين من كلّ جانب فلم ينج منهم الّا اليسير الشاذّ الذى لا يُعْبَأُ به وامر جلال الدين عسكره ان لا يبقوا على احد وان يقتلوا مَن وجدوا فتبعوا المنهزمين يقتلونهم واشار عليه اصحابه بقصد تفليس دار ملكهم فقال لا حاجة لنا الى ان نقتل رجالنا تحت الاسوار انّما اذا افنيتُ الكرج اخذتُ البلاد صفوًا عفوًا ولم تزل العساكر تتبعهم وتستقصى فى طلبهم الى ان كادوا يفنونهم فحينئذ قصد تفليس ونزل بالقرب منها وسار فى بعض الايّام فى طايفة من العسكر وقصدها لينظر اليها ويبصر مواضع النزول عليها وكيف يقاتلها فلمّا قاربها كمن اكثر العسكر الذى معه فى عدّة مواضع ثمّ تقدّم اليها فى نحو ثلاثة الاف فارس فلمّا رءاه مَن بها من الكرج طمعوا فيه لقلّة من معه ولم يعلموا انّه معهم فظهروا اليه فقاتلوه فتاخّر عنهم فقوى طمعهم فظنّوه منهزمًا فتبعوه فلمّا توسّطوا العساكر[1] خرجوا عليهم ووضعوا السيف فيهم فقُتل اكثرهم وانهزم الباقون الى المدينة فدخلوها وتبعهم المسلمون فلمّا وصلوا اليها نادى المسلمون من اهلها بشعار الاسلام وباسم جلال الدين فالقى الكرج بايديهم واستسلموا لانّهم كانوا قد قُتل رجالهم فى الوقعات المذكورة فقلّ عددهم وملئت قلوبهم خوفًا ورعبًا فملك المسلمون البلد عنوةً وقهرًا بغير امان وقتل كلّ مَن فيه من الكرج ولم يُبق على كبير ولا صغير الّا مَن اذعن بالاسلام واقرّ بكلمتَىْ الشهادة فانّهم ابقى عليهم وامرهم فتختّنوا وتركهم ونهب المسلمون الاموال وسبوا النسآء واسترقّوا الاولاد ووصل الى المسلمين الذين بها بعض الاذى من قتل ونهب وغيره ؛ وهذه تفليس من احصن البلاد وامنعها وهى على جانبَىْ نهر الكرّ وهو نهر كبير ولقد جلّ هذا الفتح وعظم موقعه فى بلاد الاسلام وعند المسلمين فانّ الكرج كانوا قد استطالوا عليهم وفعلوا بهم ما ارادوا فكانوا

---

[1]) *J. As.* 1849 II, 488: الكمناء

يقصدون ایّ بلاد اذربیجان ارادوا فلا یمنعهم عنها مانع ولا یدفعهم عنها دافع وهكذا ارزن الروم حتّی انّ صاحبها لبس خلعة ملك الكرج ورفع علی راسه علمًا منه فی اعلاه صلیبٌ وتنصّر ولده رغبة فی نكاح ملكة الكرج وخوفًا منهم لیدفع الشرّ عنه وقد تقدّمت القصّة وهكذا دربند شروان وعظم امرهم الی حدّ انّ ركن الدین بن قلج ارسلان صاحب قونیّة واقصرا وملطیّة وسایر بلاد الروم التی للمسلمین جمع عساكره وحشد معها غیرها فاستكثر وقصد ارزن الروم وهی لاخیه طغرل شاه بن قلج ارسلان فاتاه الكرج وهزموه وفعلوا به وبعسكره كلّ عظیم وكان اهل دربند شروان معهم فی الضنك والشدّة ۰ واما ارمینیّة فانّ الكرج دخلوا مدینة ارجیش وملكوا قرس[1] وغیرها وحصروا خلاط فلولا انّ الله سبحانه مَنّ علی المسلمین باسر ایوانی[2] مقدّم عساكر الكرج لملكوها فاضطرّ اهلها الی انّ بنوا لهم بیعة فی القلعة یُضرب فیها الناقوس فرحلوا عنهم وقد تقدّم تفصیل هذه الجملة ولم یزل هذا الثغر من اعظم الثغور ضررًا علی المجاوریه من الفرس قبل الاسلام وعلی المسلمین بعدهم من اوّل الاسلام الی الآن ولم یقدم احد علیهم هذا الاقدام ولا فعل بهم هذه الافاعیل فانّ الكرج ملكوا تفلیس سنة خمس عشرة وخمسمایة والسلطان حینئذ محمود بن محمّد بن ملكشاه السلجوقیّ وهو من اعظم السلاطین منزلة واوسعهم مملكة واكثرهم عساكر فلم یقدر علی منعهم عنها هذا مع سعة بلاده فانّه كان له الریّ واعمالها وبلد الجبل واصفهان وفارس وخوزستان والعراق واذربیجان واران وارمینیّة ودیار بكر والجزیرة والموصل والشام وغیر ذلك وعمّه السلطان سنجر له خراسان وما ورآء النهر فكان اكثر بلاد الاسلام بایدیهم ومع هذا فانّه جمع عساكره سنة تسع عشرة وخمسمایة وسار الیهم بعد ان ملكوها فلم یقدر علیهم ثمّ ملك بعده اخوه السلطان مسعود فكذلك وملك الدكز بلد الجبل والریّ واذربیجان واران واطاعه صاحب خلاط وصاحب فارس وصاحب خوزستان وجمع وحشد لهم وكان قصاراه ان یتخلّص منهم ثمّ ابنه البهلوان بعده وكانت البلاد فی

---

[1] فرس
[2] ایوانی

ايّام اوليك كثيرة الاموال والرجال فلم يحدّثوا انفسهم بالظفر بهولآء حتّى جآء هذا السلطان والبلاد خراب قد اضعفها الكرج اوّلًا ثمّ استاصلتها التتر لعنهم اللّه على ما ذكرنا ففعل بهم هذه الافاعيل فسبحان مَن اذا اراد امرًا قال له كن فيكون ۞

ذكر مسير مظفّر الدين صاحب اربل الى الموصل وعوده عنها

فى هذه السنة فى جمادى الاخرة سار مظفّر الدين بن زين الدين [صاحب اربل الى اعمال الموصل قاصدًا اليها وكان السبب فى ذلك انّه استقرّت القاعدة بينه وبين جلال الدين][1] بن خوارزم شاه وبين الملك المعظّم صاحب دمشق وبين صاحب آمد وبين ناصر الدين صاحب ماردين ليقصدوا البلاد التى بيد الاشرف ويتغلّبوا عليها ويكون لكلّ منهم نصيب ذكره واستقرّت القواعد بينهم على ذلك فبادر مظفّر الدين الى الموصل وامّا جلال الدين فانّه سار من تفليس يريد خلاط فاتاه الخبر انّ نايبه ببلاد كرمان واسمه بلاق حاجب قد عصى عليه على ما نذكره فلمّا اتاه الخبر بذلك ترك[2] خلاط ولم يقصدها الّا انّ عسكره نهب بعض بلدها وخرّبوا كثيرًا منه وسار مجدًّا الى كرمان فانفسخ جميع ما كانوا عزموا عليه الّا انّ مظفّر الدين سار من اربل ونزل على جانب الزاب ولم يمكنه العبور الى بلد الموصل وكان بدر الدين قد ارسل من الموصل الى الاشرف وهو بالرقّة يستنجده ويطلب منه ان يحضر بنفسه الموصل ليدفعوا مظفّر الدين فسار منها الى حرّان ومن حرّان الى دنيسر فخرب بلد ماردين واهلكه تخريبًا ونهبًا ، وامّا المعظّم صاحب دمشق فانّه قصد بلد حمص وحماة وارسل الى اخيه الاشرف يقول ان رحلتَ عن ماردين وحلب وانا عن حمص وحماة وارسلت الى مظفّر الدين ليرجع عن بلد الموصل فرحل الاشرف عن ماردين وعاد كلّ منهم الى بلده وخربت اعمال الموصل واعمال ماردين بهذه الحركة فانّها كانت قد اجحف بها تتابع الغلآء وطول مدّته وجلآء اكثر اهلها فاتتها هذه الحادثة فازدادت خرابًا ۞

---

1) Cod. 740; at قاصدين pro قاصدا ibi exstat. 2) نزل

ذكر عصيان كرمان على جلال الدين ومسيره اليها

فى هذه السنة فى جمادى الاخرة وصل الخبر الى جلال الدين انّ نايبه بكرمان وهو امير كبير اسمه بلاق حاجب قد عصى عليه وطمع فى البلاد ان يتملّكها ويستبدّ بها لبُعد جلال الدين عنها واشتغاله بما ذكرناه من الكرج وغيرهم وانّه ارسل الى التتر يعرّفهم قوّة جلال الدين وملكه كثيرًا من البلاد وان اخذ الباقى عظمت مملكته وكثرت عساكره وسار اليكم واخذ ما بايديكم من البلاد ، فلمّا سمع جلال الدين ذلك كان قد سار يريد خلاط فتركها وسار الى كرمان [يطوى المراحل ارسل بين يديه رسولاً الى صاحب كرمان][1] ومعه الخلع ليطمينّ ويأتيه وهو غير محتاط ولا مستعدّ للامتناع منه فلمّا وصل الرسول علم انّ ذلك مكيدة عليه لما يعرفه من عادته فاخذ ما يعزّ عليه وصعد الى قلعة منيعة فتحصّن بها وجعل مَنْ يثق اليه من اصحابه فى الحصون يمتنعون بها وارسل الى جلال الدين يقول انّنى انا العبد والمملوك ولمّا سمعتُ بمسيرك الى هذه البلاد اخليتُها لك لانّها بلادك ولو علمتُ انّك تُبقى علىَّ لحضرتُ بابك ولكنّى اخاف هذا جميعه والرسول يحلف له[2] انّ جلال الدين بتفليس وهو لا يلتفت الى قوله فعاد الرسول فعلم جلال الدين انّه لا يمكنه اخذ ما بيده من الحصون لانّه يحتاج يحصرها مدّة طويلة فوقف بالقرب من اصفهان وارسل اليه الخلع واقرّه على ولايته فبينما الرسل تتردّد اذ وصل رسول من وزير جلال الدين اليه من تفليس يعرّفه انّ عسكر الملك الاشرف الذى بخلاط قد هزموا بعض عسكره واوقعوا بهم ويحثّه على العود الى تفليس فعاد اليها مسرعًا ❁

ذكر الحرب بين عسكر الاشرف وعسكر جلال الدين

لمّا سار جلال الدين الى كرمان ترك بمدينة تفليس عسكرًا مع وزيره شرف الملك فقلّت عليهم الميرة فساروا الى اعمال ارزن الروم فوصلوا اليها ونهبوها وسبوا النسآء واخذوا من الغنايم شيئًا كثيرًا لا يُحصر وعادوا فكان طريقهم على اطراف ولاية خلاط فسمع النايب من الاشرف بخلاط

[2]) Deest in 740. [1]) 740.

وهو الحاجب حسام الدين على الموصلى فجمع العسكر وسار اليهم فاوقع بهم واستنقذ ما معهم من الغنايم وغنم كثيرًا ممّا معهم وعاد هو وعساكره سالمين فلمّا فعل ذلك خاف وزير جلال الدين منهم فارسل الى صاحبه بكرمان يعرّفه الحال ويحثّه على الوصول اليه ويخوّفه عاقبة التوانى والاهمال فرجع فكان ما نذكره ان شآء الله تعالى ۞

ذكر وفاة الخليفة الظاهر بامر الله

فى هذه السنة فى الرابع عشر من رجب توفّى الامام الظاهر بامر الله امير المومنين ابو نصر محمّد بن الناصر لدين الله ابى العبّاس احمد بن المستضئ بامر الله وقد تقدّم نسبه عند وفاة ابيه رضى الله عنهما فكانت خلافته تسعة اشهر واربعة عشر يومًا وكان نعم الخليفة جمع الخشوع مع الخضوع لربّه والعدل والاحسان الى رعيّته وقد تقدّم عند ذكر ولايته الخلافة من افعاله ما فيه كفاية ولم يزل كلّ يوم يزداد من الخير والاحسان الى الرعيّة فرضى الله عنه وارضاه واحسن منقلبه ومثواه فلقد جدّد من العدل ما كان دارسًا واذكر من الاحسان ما كان منسيًّا وكان قبل وفاته اخرج توقيعًا الى الوزير بخطّه على ارباب الدولة وقال الرسول امير المومنين يقول ليس غرضنا ان يقال برز مرسوم او نُفّذ مثالٌ ثمّ لا يبين له اثر بل انتم الى امام فعّال احوج منكم الى امام قوّال فقروه فاذا فى اوّله بعد البسملة اعلموا انّه ليس امهالنا اهمالًا ولا اغضاونا اغفالًا ولكن لنبلوكم ايّكم احسن عملًا وقد عفونا لكم ما سلف من اخراب البلاد وتشريد الرعايا وتقبيح الشريعة واظهار الباطل الجلىّ فى صورة الحقّ الخفىّ حيلة ومكيدة وتسمية الاستيصال والاجتياح استيفآء واستدراكًا لاغراض انتهزتم فرصها مختلسة من براثن ليث باسل وانياب اسد مهيب تتّفقون بالفاظ مختلفة على معنًى وانتم امنآؤه وثقاته فتميلون رايه الى هواكم وتمزجون باطلكم بحقّه فيطيعكم وانتم له عاصون ويوافقكم وانتم له مخالفون والآن قد بدّل الله سبحانه بخوفكم امنًا وبفقركم غنًا وبباطلكم حقًّا ورزقكم سلطانًا يُقيل العثرة ولا يواخذ الّا مَن اصرّ ولا ينتقم الّا ممّن استمرّ يامركم بالعدل وهو يريده منكم وينهاكم عن الجور وهو يكرهه لكم يخاف الله تعالى فيخوّفكم مكره ويرجو الله تعالى ويرغّبكم

فى طاعته فان سلكتم مسالك نوّاب خلفآء الله فى ارضه وامنآيه على خلقه والّا هلكتم والسلام ، ولمّا توفّى وجدوا فى بيت فى داره الوف رقاع كلّها مختومة لم يفتحها فقيل له ليفتحها فقال لا حاجة لنا فيها كلّها سعايات ، ولم أزل علم الله سبحانه مُذْ ولى الخلافة اخاف عليه قصر المدّة لخبث الزمان وفساد اهله واقول لكثير من اصدقاينا وما اخوفنى ان تقصّر مدّة خلافته لانّ زماننا واهله لا يستحقّون خلافته فكان كذلك ٭

ذكر خلافة ابنه المستنصر بالله

لمّا توفّى الظاهر بامر الله بويع بالخلافة ابنه الاكبر ابو جعفر المنصور ولُقب المستنصر بالله. وسلك فى الخير والاحسان الى الناس سيرة ابيه رضى الله عنه وامر فنودى ببغداد باقاضة العدل وانّ مَن كان له حاجة او مظلمة يطالع بها تقضى حاجته وتكشف مظلمته فلمّا كان اوّل جمعة اتت على خلافته اراد ان يصلّى الجمعة فى المقصورة التى كان يصلّى فيها الخلفآء فقيل له ان المطبّق الذى يسلك فيه اليها خراب لا يمكن سلوكه فركب فرسًا وسار الى الجامع جامع القصر ظاهرًا يراه الناس بقميص ابيض وعمامة بيضا بسكاكين حرير ولم يترك احدًا يمشى معه من اصحابه بالصلاة الى الموضع الذى كان يصلّى فيه وسار هو ومعه خادمان وركابدار لا غير فصلّى وعاد وكذلك الجمعة الثانية حتّى اصلح له المطبّق ، وكان السعر قد تحرّك بعد وفاة الظاهر بامر الله رضى الله عنه فبلغت الكارة ثمانية عشر قيراطًا فامران تباع الغلات التى له كلّ كارة بثلاثة عشر قيراطًا فرخصت الاسعار واستقامت الامور ٭

ذكر الحرب بين كيقباذ وصاحب آمد

فى هذه السنة فى شعبان سار علآء الدين كيقباذ بن كيخسرو [بن] قلج ارسلان ملك بلاد الروم الى بلاد الملك المسعود صاحب آمد وملك عدّة من حصونه وسبب ذلك ما ذكرناه من اتّفاق صاحب آمد مع جلال الدين خوارزم شاه والملك المعظّم صاحب دمشق وغيرهما على خلاف الاشرف فلمّا راى الاشرف ذلك ارسل الى كيقباذ ملك الروم وكانا متّفقين يطلب منه ان يقصد بلد صاحب آمد ويحاربه وكان الاشرف حينئذ على ماردين فسار ملك الروم الى ملطيّة وهى له فنزل عندها وسيّر العساكر

الى ولاية صاحب آمد [ففتحوا حصن منصور وحصن شمكازاد[1] وغيرهما فلمّا راى صاحب آمد][2] ذلك راسل الاشرف وعاد الى موافقته فارسل الاشرف الى كيقباذ يعرّفه ذلك ويقول له ليعيد الى صاحب آمد ما اخذ منه فلم يفعل وقال لم اكن نايبًا للاشرف يامرنى وينهانى ، فاتّفق انّ الاشرف سار الى دمشق ليصلح اخاه الملك المعظّم وامر العساكر التى له بديار الجزيرة بمساعدة صاحب آمد ان اصرّ ملك الروم على قصده فسارت عساكر الاشرف الى صاحب آمد وقد جمع عسكره ومَن ببلاده ممّن يصلح للحرب وسار الى عسكر ملك الروم وهم يحاصرون قلعة الكختا فالتقوا هناك فى شوّال فانهزم صاحب آمد ومَن معه من العساكر هزيمة عظيمة وجُرح كثير وأُسر كثير وملك عسكر كيقباذ قلعة الكختا بعد الهزيمة وهى من امنع الحصون والمعاقل فلمّا ملكوه عادوا الى صاحبهم ✿

ذكر حصر جلال الدين مدينتَىْ آنى وقرس[3]

فى هذه السنة فى رمضان عاد جلال الدين من كرمان كما ذكرناه الى تفليس وسار منها الى مدينة آنى وهى للكرج وبها ايوانى[4] مقدّم عساكر الكرج فيمن بقى معه من اعيان الكرج [فحصره وسيّر طايفة من العسكر الى مدينة قرس وهى للكرج][5] ايضًا وكلاهما من احصن البلاد وامنعها فنازلهما وحصرهما وقاتل من بهما ونصب عليهما المجانيق وجدّ فى القتال عليهما وحفظتهما الكرج وبالغوا فى الحفظ والاحتياط لخوفهم منه ان يفعل بهم ما فعل باشياعهم من قبل بمدينة تفليس واقام عليهما الى ان مضى بعض شوّال ثمّ ترك العسكر عليهما يحصرونهما وعاد الى تفليس وسار من تفليس مجدًّا الى بلاد ابخاز وبقايا الكُرج فاوقع بمن فيها فنهب وقتل وسبى وخرّب البلاد واحرقها وغنم عساكره ما فيها وعاد منها الى تفليس ✿

ذكر حصر جلال الدين خلاط

قد ذكرنا انّ جلال الدين عاد من مدينة آنى الى تفليس ودخل بلاد ابخاز وكان رحيله مكيدة لانّه بلغه انّ النايب عن الملك الاشرف وهو الحاجب حُسام الدين علىّ بمدينة خلاط قد احتاط واهتمّ بالامر

---

[1] سمسكاراد [2] 740. [3] فرس [4] ابوانى [5] 740.

وحفظ البلد لقربه منه فعاد الى تفليس ليطمئنّ اهل خلاط وتركوا الاحتياط والاستظهار ثمّ يقصدهم بغتةً فكانت غيبته ببلاد ابخاز عشرة ايّام وعاد وسار مجدًّا على عادته فلو لم يكن عنده من يراسل نوّاب الاشرف بالاخبار لفجئهم على حين غفلة منهم وانّما كان عنده بعض ثقاته يعرّفهم اخباره وكتب اليهم يحذّرهم فوصل الخبر اليهم قبل وصوله بيومين ووصل جلال الدين فنازل مدينة ملازكرد يوم السبت ثالث عشر ذى القعدة ثمّ رحل عنها فنازل مدينة خلاط يوم الاثنين خامس عشره فلم ينزل حتّى زحف اليها وقاتل اهلها قتالاً شديدًا فوصل عسكره سور البلد وقُتل بينهم قتلى كثيرة ثمّ زحف اليها مرّة ثانية وقاتل اهل البلد قتالاً عظيمًا فعظمت نكأة العسكر فى اهل خلاط ووصلوا الى سور البلد ودخلوا الربض الذى له ومدّوا ايديهم فى النهب وسبى الحريم فلمّا راى اهل خلاط ذلك تذامروا وحرّض بعضهم بعضًا فعادوا الى العسكر فقاتلوهم فاخرجوهم من البلد وقُتل بينهم خلق كثير واسر العسكر الخوارزميّ من امرآء خلاط جماعة وقُتل منهم كثير وترجّل الحاجب علىّ ووقف فى نحر العدوّ وابلى بلآء عظيمًا ثمّ انّ جلال الدين استراح عدّة ايّام وعاود الزحف مثل اوّل يوم فقاتلوه حتّى ابعدوا عسكره عن البلد وكان اهل خلاط مجدّين فى القتال حريصين على المنع عن انفسهم لما راوا من سوء سيرة الخوارزميّين ونهبهم البلاد وما فيهم من الفساد فهم يقاتلون قتال من يمنع عن نفسه وحريمه وماله ثمّ اقام عليها الى ان اشتدّ البرد ونزل شئٌ من الثلج فرحل عنها يوم الثلاثآء لسبع بقين من ذى الحجّة من السنة وكان سبب رحيله مع خوف الثلج ما بلغه عن التركمان الايوائيّة من الفساد ببلاده ❁

ذكر ايقاع جلال الدين بالتركمان الايوائيّة

كان التركمان الايوائيّة قد تغلّبوا على مدينة اشنو وأُرمية من نواحى اذربيجان واخذوا الخراج من اهل خُوىّ ليكفّوا عنهم واغترّوا باشتغال جلال الدين بالكرج وبعدهم بخلاط وازداد طمعهم وانبسطوا باذربيجان ينهبون ويقطعون الطريق والاخبار تاتى الى خوارزم شاه جلال الدين وهو يتغافل عنهم لاشتغاله بما هو اهمّ عنده وبلغ من طمعهم انّهم قطعوا

الطريق بالقرب من تبريز واخذوا من تجار اهلها شيئاً كثيراً ومن جملة ذلك انّ منهم اشتروا غنماً من ارزن الروم وقصدوا بها تبريز فلقيهم الايوائيّة قبل وصولهم الى تبريز فاخذوا جميع ما معهم ومن جملته عشرون الف راس غنم فلمّا اشتدّ ذلك على الناس وعظم الشرّ ارسلت زوجة جلال الدين ابنة السلطان طغرل ونوّابه فى البلاد اليه يستغيثون ويعرّفونه انّ البلاد قد خرّبها الايوائيّة ولين لم يلحقها والّا هلكت بالمرّة فاتّفق هذا الى خوف الثلج فرحل عن خلاط وجدّ السير الى الايوائيّة وهم امنون مطمينون لعلمهم انّ خوارزم شاه على خلاط وظنّوا انه لا يفارقها فلو لا هذا الاعتقاد لصعدوا الى جبال لهم منيعة شاهقة لا يُرتقى اليها الّا بمشقّة وعناء فانّهم كانوا اذا خافوا صعدوا اليها وامتنعوا بها فلم يرعهم الّا والعساكر الجلاليّة قد احاطت بهم واخذهم السيف من كلّ جانب فاكثروا القتل فيهم والنهب والسبى واسترقّوا الحريم والاولاد واخذوا من عندهم ما لا يدخل تحت الحصر فراوا كثيراً من الامتعة التى اخذوها من التجار بحالها فى الشدات لم تحل هذا سوى ما كانوا قد حلّوه وفصّلوه فلمّا فرغ عاد الى تبريز ❁

ذكر الصلح بين المعظّم والاشرف

نبتدى بذكر سبب الاختلاف فنقول لمّا توفّى الملك العادل ابو بكر بن ايوب اتّفق اولاده الملوك بعده اتّفاقاً حسناً وهم الملك الكامل محمّد صاحب مصر والملك المعظّم عيسى صاحب دمشق والبيت المقدّس وما يجاورها من البلاد والملك الاشرف موسى وهو صاحب ديار الجزيرة وخلاط واجتمعت كلمتهم على دفع الفرنج عن الديار المصريّة ولمّا رحل الكامل عن دمياط لمّا كان الفرنج يحصرونها صادفه اخوه المعظّم من الغد وقويت نفسه وثبت قدمه ولو لا ذلك لكان الامر عظيماً وقد ذكرنا ذلك مفصّلاً ثمّ انه عاد من مصر وسار الى اخيه الاشرف ببلاد الجزيرة مرّتين يستنجده على الفرنج ويحثّه على مساعدة اخيهما الكامل ولم يزل به حتّى اخذه وسار الى مصر وازالوا الفرنج عن الديار المصريّة كما ذكرناه قبلُ فكان اتّفاقهم سبباً لحفظ بلاد الاسلام وسُرّ الناس اجمعون بذلك فلمّا فارق الفرنج مصر وعاد كلّ من الملوك اولاد العادل

الى بلده وبقوا كذلك يسيرًا ثمّ سار الاشرف الى اخيه الكامل بمصر فاجتاز باخيه المعظّم بدمشق فلم يستصحبه معه واطال المقام بمصر فلا شكّ انّ المعظّم ساءه ذلك ثمّ انّ المعظّم سار الى مدينة حماة وحصرها فارسل اليه اخواه من مصر ورحّلاه عنها كارهًا فازداد نفورًا وقيل انّه نقل اليه عنهما انّهما اتّفقا عليه والله اعلم بذلك ثمّ انضاف الى ذلك انّ الخليفة الناصر لدين الله رضى الله عنه كان قد استوحش من الكامل لما فعله ولده صاحب اليمن بمكّة من الاستهانة بامير الحاجّ العراقىّ فاعرض عنه وعن اخيه الاشرف لاتّفاقهما وقاطعهما وراسل مظفّر الدين كوكبرى بن زين الدين علىّ صاحب اربل لعلمه بانحرافه عن الاشرف واستماله واتّفقا على مراسلة المعظّم وتعظيم الامر عليه فمال اليهما وانحرف عن اخوته ثمّ اتّفق ظهور جلال الدين وكثرة مُلكه فاشتدّ الامر على الاشرف بمجاورة جلال الدين خوارزم شاه ولاية خلاط ولانّ المعظّم بدمشق يمنع عنه عساكر مصر ان تصل اليه وكذلك عساكر حلب وغيرها من الشام فراى الاشرف ان يسير الى اخيه المعظّم بدمشق فسار اليه فى شوّال واستماله واصلحه فلمّا سمع الكامل بذلك عظم عليه وظنّ انّ اتّفاقهما عليه ثمّ انّهما راسلاه واعلماه بنزول جلال الدين على خلاط وعظّما الامر عليه واعلماه انّ هذه الحال تقتضى الاتّفاق لعمارة البيت العادلىّ وانقضت السنة والاشرف بدمشق والناس على مواضعهم ينتظرون خروج الشتآء ما يكون من الخوارزميّين وسنذكر ما يكون سنة اربع وعشرين وستّمائة ان شآء الله تعالى ❊

ذكر الفتنة بين الفرنج والارمن

فى هذه السنة جمع البرنس الفرنجىّ صاحب انطاكيّة جموعًا كثيرة وقصد الارمن الذين فى الدروب [من] بلاد ابن ليون فكان بينهم حرب شديدة وسبب ذلك انّ ابن ليون الارمنىّ صاحب الدروب توفّى قبلُ ولم يخلّف ولدًا ذكرًا انّما خلّف بنتًا فملّكها الارمن عليهم ثمّ علموا انّ المُلك لا يقوم بامراة فزوّجوها من ولد البرنس فتزوّجها وانتقل الى بلادهم واستقرّ فى الملك نحو سنة ثمّ ندموا على ذلك وخافوا ان يستولى الفرنج على بلادهم فثاروا بابن البرنس فقبضوا عليه وسجنوه فارسل ابوه يطلب ان يطلق ويعاد فى الملك فلم يفعلوا فارسل الى بابا ملك الفرنج

برومية الكبرى يستاذنه فى قصد بلادهم وهذا ملك رومية امره عند الفرنج لا يخالف فمنعه عنهم وقال انهم اهل ملّتنا ولا يجوز قصد بلادهم فخالفه وارسل [الى] علآء الدين كيقباذ ملك قونية وملطية وما بينهما من بلاد المسلمين وصالحا ووافقه على قصد بلاد ابن ليون والاتّفاق على قصدها فاتّفقا على ذلك وجمع البرنس عساكره ليسير الى بلاد الارمن فخالف عليه الداوية والاسبتار وهما جمرة الفرنج فقالوا انّ ملك رومية نهانا عن ذلك الّا انّه اطاعه غيرهم فدخل اطراف بلاد الارمن وهى مضايق وجبال وعرة فلم يتمكّن من فعل ما يريد ، وامّا كيقباذ فانّه قصد بلاد الارمن من جهته وهى اسهل مدخلًا من جهة الشام فدخلها سنة اثنتين وعشرين وستمائة فنهبها واحرقها وحصر عدة حصون ففتح اربعة حصون وادركه الشتآء فعاد عنها ، فلمّا سمع بابا ملك الفرنج برومية ارسل الى الفرنج بالشام يعلمهم انّه قد حرّم البرنس فكان الداوية والاسبتارية وكثير من الفرسان لا يحضرون معه ولا يسمعون قوله وكان اهل بلاده وهى انطاكية وطرابلس اذا جآءهم عيد يخرج من عندهم فاذا فرغوا من عيدهم دخل البلد ثمّ انّه ارسل الى ملك رومية يشكوا من الارمن وانّهم لم يُطلقوا ولده فارسل الى الارمن يامرهم باطلاق ابنه واعادته الى الملك فان فعلوا والّا فقد اذن له فى قصد بلادهم ، فلمّا بلغتهم الرسالة لم يُطلقوا ولده فجمع البرنس وقصد بلاد الارمن ، فارسل الارمن الى الاتابك شهاب الدين بحلب يستنجدونه ويخوّفونه من البرنس ان استولى على بلادهم لانّها تجاور اعمال حلب فامدّهم بجند وسلاح ، فلمّا سمع البرنس ذلك صمّم العزم على قصد بلادهم فسار اليهم وحاربهم فلم يحصل على غرض فعاد عنهم ، حدّثنى بهذا رجل من عقلآء النصارى ممّن دخل تلك البلاد وعرف حالها وسالتُ غيره فعرف البعض وانكر البعض ❊

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة انخسف القمر مرّتين اولاهما ليلة رابع عشر صفر ، وفيها كانت عجوبة بالقرب من الموصل حامّة تعرف بعين القيّارة شديدة الحرارة تسمّيها الناس عين ميمون ويخرج مع المآء قليل من القار فكان الناس يسبحون فيها دايمًا فى الربيع والخريف لانّها تنفع من الامراض

البارِدة كالفالج وغيره نفعًا عظيمًا فكان من يَسبَح فيها يجد الكرب الشديد من حرارة المآء ففى هذه السنة برد المآء فيها حتّى كان السابح فيها يجد البرد فتركوها وانتقلوا الى غيرها ٭ وفيها كثرت الذياب والخنازير والحيات فقُتل كثير فلقد بلغنى انّ ذيبًا دخل الموصل فقُتل فيها وحدّثنى صديق لنا له بستان بظاهر الموصل انّه قتل فيه فى سنة اثنتين وعشرين وستّمائة جميع الصيف حيتَين وقتل هذه السنة الى اوّل حزيران سبع حيات لكثرتها ٭ وفيها انقطع المطر بالموصل واكثر البلاد الجزريّة من خامس شباط الى ثانى عشر نيسان ولم يجر شئ يعتدّ به لكنّه سقط اليسير منه فى بعض القرى فجآءت الغلّات قليلة ثمّ خرج الجراد الكثير فازداد الناس اذًى وكانت الاسعار قد صلحت شيأً فعادت لكثرة الجراد غلَتْ ونزل ايضًا فى كثير من القرى بَرَدٌ كبير اهلك زروع اهلها وافسدها واختلفت اقاويل الناس فى اكبره كان وزن بَرَدة مايتى درهم وقيل رطل وقيل غير ذلك الّا انّه اهلك كثيرًا من الحيوان وانقضت هذه السنة والغلآء باقٍ واشتدّ بالموصل ٭ وفيها اصطاد صديق لنا ارنبًا فرءاه وله انثيان وذكر وفرج انثى فلمّا شقّوا بطنها راوا فيها حريفين سمعتُ هذا منه ومن جماعة كانوا معه وقالوا ما زلنا نسمع انّ الارنب يكون سنة ذكرًا وسنة انثى ولا نصدق بذلك فلمّا راينا هذا علمنا انّه قد حمل وهو انثى وانقضت السنة فصار ذكرًا فان كان كذلك فيكون فى الارانب كالخنثى من بنى آدم يكون لاحدهم فرج الرجل وفرج الانثى فانى كنتُ بالجزيرة ولنا جارٌ له بنت اسمها صفية فبقيت كذلك نحو خمسة عشرة سنة واذا قد طلع لها ذكر رجل ونبتت لحيته فكان له فرج امراة وذكر رجل ٭ وفيها ذبح انسان عندنا راس غنم فوجد لحمه مُرًّا شديد المرارة حتّى راسه واكارعه ومعلاقه وجميع اجزآيه وهذا ما لم يُسمع بمثله ٭ وفيها يوم الاربعآء الخامس والعشرون من ذى القعدة ضحوة النهار زلزلت الارض بالموصل وكثير من البلاد العربيّة والعجميّة وكان اكثرها بشهرزور فانها خرب اكثرها لا سيّما القلعة فانّها اجحفت بها وخرب من تلك الناحية ستّ قلاع وبقيت الزلزلة تتردّد فيها نيّفًا

وثلاثين يومًا ثمّ كشفها الله عنهم وامّا القرى بتلك الناحية فخرب اكثرها ، وفيها فى رجب توفّى القاضى حجّة الدين ابو منصور المظفّر بن عبد القاهر بن الحسن بن علىّ بن القاسم الشهرزورىّ قاضى الموصل بها وكان قد اضرّ قبل وفاته بنحو سنتَيْن وكان عالمًا بالقضاء عفيفًا نزهًا ذا رياسة كثيرة وله صلات دارّة للقيم والوارد رحمه الله فلقد كان من محاسن الدنيا ولم يُخلّف غير بنت توفّيت بعده بثلاثة اشهر ۞

ثم دخلت سنة اربع وعشرين وستّمائة

سنة ٦٢٤

ذكر دخول الكرج مدينة تفليس واحراقها

فى هذه السنة فى ربيع الاوّل وصل الكرج مدينة تفليس ولم يكن بها من العسكر الاسلامىّ مَن يقوم بحمايتها وسبب ذلك انّ جلال الدين لمّا عاد من خلاط كما ذكرنا قبلُ واوقع بالايوائيّة فرّق عساكره الى المواضع الحارّة الكثيرة المرعى ليشتّوا بها وكان عسكره قد اساءوا السيرة فى رعيّة تفليس وهم مسلمون وعسفوهم فكاتبوا الكرج يستدعونهم اليهم ليملكوهم البلد فاغتنم الكرج ذلك لميل اهل البلد اليهم وخُلُوّه من العسكر فاجتمعوا وكانوا بمدينتى قرس وآنى[1] وغيرهما من الحصون وساروا الى تفليس وكانت خالية كما ذكرناه ولانّ جلال الدين استضعف الكرج لكثرة مَن قُتل منهم ولم يظنّ فيهم حركة فملكوا البلد ووضعوا السيف فيمن بقى من اهله وعلموا انّهم لا يقدرون على حفظ البلد من جلال الدين فاحرقوها جميعها ، وامّا جلال الدين فانّه لمّا بلغه الخبر سار فيمن عنده من العساكر ليدركهم فلم ير منهم احدًا كانوا قد فارقوا تفليس لمّا احرقوها ۞

ذكر نهب جلال الدين بلد الاسماعيليّة

فى هذه السنة قتل الاسماعيليّة اميرًا كبيرًا من امرآء جلال الدين[2] وكان قد اقطعه جلال الدين مدينة كنجة واعمالها وكان نعم الامير كثير الخير حسن السيرة ينكر على جلال الدين ما يفعله عسكره من النهب وغيره من الشرّ فلمّا قُتل ذلك الامير عظُم قتله على جلال الدين واشتدّ عليه فسار فى عساكره الى بلاد الاسماعيليّة من حدود الموت

---

1) قرس وادى

2) Ups. addit: اسمه

الى كردكوه بخراسان فخرب الجميع وقتل اهلها ونهب الاموال وسبى الحريم واسترق الاولاد وقتل الرجال وعمل بهم الاعمال العظيمة وانتقم منهم وكانوا قد عظم شرّهم وازداد ضررهم وطمعوا مذ خرج التتر الى بلاد الاسلام الى الآن فكفّ عاديتهم وقمعهم ولقاهم الله ما عملوا بالمسلمين ۞

ذكر الحرب بين جلال الدين والتتر

لمّا فرغ جلال الدين من الاسماعيليّة بلغه الخبر انّ طايفة من التتر عظيمة قد بلغوا الى دامغان بالقرب من الريّ عازمين على بلاد الاسلام فسار اليهم وحاربهم واشتدّ القتال بينهم فانهزموا منه فاوسعهم قتلاً وتبع المنهزمين عدّة ايّام يقتل ويأسر فبينما هو كذلك قد اقام بنواحى الريّ خوفًا من جمع اخر للتتر اذا اتاه الخبر بانّ كثيرًا منهم واصلون اليه فاقام ينتظرهم وسنذكر خبرهم سنة خمس وعشرين وستّمايّة ۞

ذكر دخول العساكر الاشرافيّة الى اذربيجان ومُلك بعضها

فى هذه السنة فى شعبان سار الحاجب علىّ حُسام الدين وهو النايب عن الملك الاشرف بخلاط والمقدّم على عساكرها الى بلاد اذربيجان فيمن عنده من العساكر وسبب ذلك انّ سيرة جلال الدين كانت جايرة وعساكره طامعة فى الرعايا وكانت زوجته ابنة السلطان طغرل السلجوقىّ وهى التى كانت زوجة اوزبك بن البهلوان صاحب اذربيجان فتزوّجها جلال الدين كما ذكرناه قبلُ وكانت مع اوزبك تحكم فى البلاد جميعها ليس له ولا لغيره معها حُكم فلمّا تزوّجها جلال الدين اهملها ولم يلتفت اليها فخافته مع ما حرمته من الحكم والامر والنهى فارسلت هى واهل خُوَىّ الى حسام الدين الحاجب يستدعونه ليسلّموا البلاد فسار ودخل البلاد بلاد اذربيجان فملك مدينة خوىّ وما يجاورها من الحصون التى بيد امراة جلال الدين وملك مرند[1] وكاتبه اهل مدينة نقجوان فمضى اليهم فسلّموها اليه وقويت شوكتهم بتلك البلاد ولو داموا لملكوها جميعها انّما عادوا الى خلاط واستصحبوا معهم زوجة جلال الدين ابنة السلطان طغرل الى خلاط وسنذكر باقى خبرهم سنة خمس وعشرين ان شآء الله تعالى ۞

1) مرند

ذكر وفاة المعظّم صاحب دمشق ومُلك ولده

فى هذه السنة توفّى الملك المعظّم عيسى بن الملك العادل ابى بكر بن ايّوب صاحب دمشق يوم الجمعة سلخ ذى القعدة وكان مرضه دوسنطاريا وكان مُلكه لمدينة دمشق من حين وفاة والده الملك العادل عشر سنين وخمسة اشهر وثلاثا وعشرين يومًا وكان عالمًا بعدّة علوم فاضلًا فيها منها الفقه على مذهب ابى حنيفة فانّه كان قد اشتغل به كثيرًا وصار من المتميّزين فيه ومنها علم النحو فانّه اشتغل به ايضًا اشتغالًا زايدًا وصار فيه فاضلًا وكذلك اللغة وغيرها وكان قد امر ان يُجمع له كتاب فى اللغة جامع كبير فيه كتاب الصحاح للجوهرىّ ويضاف اليه ما فات الصحاح من التهذيب للازهرىّ والجمهرة لابن دريد وغيرهما وكذلك ايضًا امر بان يُرتب مسند احمد بن حنبل على الابواب ويردّ كلّ حديث الى الباب الذى يقتضيه معناه مثاله ان يجمع احاديث الطهارة وكذلك يفعل فى الصلاة وغيرها من الرقايق والتفسير والغزوات فيكون كتابًا جامعًا وكان قد سمع المسند من بعض اصحاب ابن الحصين ونفق العلم فى سوقه وقصده العلمآء من الافاق فاكرمهم واجرى عليهم الجرايات الوافرة وقرّبهم ويجالسهم ويستفيد منهم ويفيدهم وكان يرجع الى علم وصبر على سماع ما يكره لم يسمع احد ممّن يصحبه منه كلمة تسوءه وكان حسن الاعتقاد يقول كثيرًا انّ اعتقادى فى الاصول ما سطّره ابو جعفر الطحاوىّ ووصّى عند موته بان يكفن فى البياض ولا يُجعل فى اكفانه ثوب فيه ذهب وان يُدفن فى لحد ولا يُبنى عليه بنآء بل يكون قبره فى الصحرآء تحت السمآء ويقول فى مرضه لى عند الله تعالى فى امر دمياط ما ارجوا ان يرحمنى به ولمّا توفّى ولى بعده ابنه داود ويلقّب الملك الناصر وكان عمره قد قارب عشرين سنة ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة دام الغلآ فى ديار الجزيرة ودامت الاسعار تزيد قليلًا وتنقص قليلًا وانقطع المطر جميع سباط وعشرة ايّام من ادار فازداد الغلآء فبلغت الحنطة كلّ مكوكين بالموصلىّ بدينار وقيراطين بالموصل والشعير كلّ ثلاثة مكاكيك بالموصلىّ بدينار وقراطين ايضًا وكلّ شئ بهذه النسبة

فى الغلاء ، وفيها فى الربيع قلّ لحم الغنم بالموصل وغلا سعره حتّى بيع
كلّ رطل لحم بالبغدادىّ بحبّتين بالصنجة وربّما زاد فى بعض الايّام على
هذا الثمن وحكى لى مَن يتولّى بيع الغنم بالموصل انّهم باعوا خروفًا واحدًا
لا غير وفى بعضها خمسة اروس وفى بعضها ستّة واقلّ واكثر وهذا
ما لم يسمع بمثله ولا رايناه فى جميع اعمارنا ولا حُكى لنا مثله لانّ الربيع
مظنّة رخص اللحم لانّ التركمان والاكراد والكيلكان ينتقلون من الامكنة
التى شتوا بها الى الزوزان فيبيعون الغنم رخيصًا وكان اللحم كلّ سنة
فى هذا الفصل يكون سعره كلّ ستّة ارطال وسبعة بقيراط صار هذه
السنة الرطل بحبّتين ، وفيها عاشر اذار وهو العشرون من ربيع الاوّل
سقط الثلج مرّتين وهذا غريب جدًّا لم يُسمع بمثله فاهلك الازهار التى
خرجت كزهر اللوز والمشمش والاجّاص والسفرجل وغيرها ووصلت الاخبار
من العراق جميعه مثل ذلك فهلكت به ازهار الثمار ايضًا وهذا اعجب
من حال ديار الجزيرة والشام فانّه اشدّ حرًّا من جميعها ، وفيها ظفر
جمع من التركمان كانوا باطراف اعمال حلب بفارس مشهور من الفرنج
الداويّة بانطاكيّة فقتلوه فعلم الداويّة بذلك فساروا وكبسوا التركمان
فقتلوا منهم واسروا وغنموا من اموالهم فبلغ الى اتابك شهاب الدين المتولّى
لامور حلب فراسل الفرنج وتهدّدهم بقصد بلادهم واتّفق انّ عسكر حلب
قتلوا فارسَين كبيرَين من الداويّة ايضًا فاذعنوا بالصلح وردّوا الى التركمان
كثيرًا من اموالهم وحريمهم واسراهم ، وفيها فى رجب اجتمع طايفة كثيرة
من ديار بكر وارادوا الاغارة على جزيرة ابن عمر وكان صاحب الجزيرة قد
قُتل فلمّا قصدوا بلد الجزيرة اجتمع اهل قرية كبيرة من بلد الجزيرة
اسمها سلكون ولقوهم من ضحوة النهار الى العصر وطال القتال بينهم ثمّ حمل
اهل قرية على الاكراد فهزموهم وقتلوا فيهم ونهبوا ما معهم وعادوا سالمين ✿

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وستّماية ،

سنة ٦٢٥

ذكر الخلف بين جلال الدين واخيه

فى هذه السنة خاف غياث الدين بن خوارزم شاه وهو اخو
جلال الدين من ابيه [اخاه][1] وخافه معه جماعة من الامراء واستشعروا

[1]) 740 omittit من

منه وارادوا الخلاص منه فلم يتمكّنوا من ذلك الى ان خرجت التتر واشتغل بهم جلال الدين فهرب غياث الدين ومن معه وقصدوا خوزستان وهى من بلاد الخليفة فلم يمكنهم النايب بها من الدخول الى البلد خوفًا ان تكون هذه مكيدة فبقى هناك فلمّا طال عليه الامر فارق خوزستان وقصد بلاد الاسماعيليّة فوصل اليهم واحتمى بهم واستجار بهم ٭ وكان جلال الدين قد فرغ من امر التتر وعاد الى تبريز فاتاه الخبر وهو بالميدان يلعب بالكرة انّ اخاه قد قصد اصفهان فالقى الجوكان من يده وسار مجدًّا فسمع انّ اخاه قد قصد الاسماعيليّة ملتجيًا اليهم ولم يقصد اصفهان فعاد الى بلاد الاسماعيليّة لينهب بلادهم ان لم يسلّموا اليه اخاه وارسل يطلبه من مقدّم الاسماعيليّة فاعاد الجواب يقول انّ اخاك قد قصدنا وهو سلطان بن سلطان ولا يجوز لنا ان نُسلمه لكن نحن نتركه عندنا ولا نمكنه ان يقصد شيأً من بلادك ونسألك ان تشفعنى فيه والضمان علينا بما قلنا ومتى كان منه ما تكره فى بلادك فبلادنا حينئذ بين يديك تفعل فيها ما تختار ٭ فاجابهم الى ذلك واستحلفهم على الوفآء بذلك وعاد عنهم وقصد خلاط على ما نذكره ان شآء الله تعالى ٭

ذكر الحرب بين جلال الدين والتتر

فى هذه السنة عاود التتر الخروج الى الرىّ وجرى بينهم وبين جلال الدين حروب كثيرة اختلف الناس علينا فى عددها كان اكثرها عليه وفى الاخير كان الظفر له وكانت اوّل حرب بينهم عجايب غريبة وكان هولآء التتر قد سخط ملكهم جنكزخان على مقدّمهم وابعده عنه واخرجه من بلاده فقصد خراسان فرءاها خرابًا فقصد الرىّ ليتغلّب على تلك النواحى والبلاد فلقيه بها جلال الدين فاقتتلوا اشدّ قتال ثمّ انهزم جلال الدين وعاود ثمّ انهزم وقصد اصفهان واقام بينها وبين الرىّ وجمع عساكره ومن فى طاعته فكان فيمن اتاه صاحب بلاد فارس وهو ابن اتابك سعد ملك بعد وفاة ابيه كما ذكرناه وعاد جلال الدين الى التتر فلقيهم فبينما هم مصطفّون كلّ طايفة مقابل الاخرى انفرد غياث الدين اخو جلال الدين فيمن وافقه من الامرآء على مفارقة جلال الدين واعتزلوا وقصدوا جهة ساروا اليها فلمّا رءاهم التتر قد فارقوا العسكر ظنّوهم يريدون

ان ياتوهم من ورآء ظهورهم ويقاتلوهم من جهتَيْن فانهزم التتر لهذا الظنّ وتبعهم صاحب بلاد فارس ، وامّا جلال الدين فانّه لمّا راى مفارقة اخيه ايّاه ومَن معه من الامرآء ظنّ انّ التتر قد رجعوا خديعة ليستدرجوه فعاد منهزمًا ولم يجسر يدخل اصفهان لئلّا يحصروه فمضى الى سميدم ، وامّا صاحب فارس فلمّا ابعد فى اثر التتر ولم ير جلال الدين ولا عسكره معه خاف التتر فعاد عنهم ، وامّا التتر فلمّا لم يروا فى اثارهم احدًا يطلبهم وقفوا ثمّ عادوا الى اصفهان فلم يجدوا فى طريقهم من يمنعهم فوصلوا الى اصفهان فحصروها واهلها يظنّون انّ جلال الدين قد عُدم فبينما هم كذلك والتتر يحصرونهم اذ وصل قاصد من جلال الدين اليهم يعرّفهم سلامته ويقول انى متعوّق او يجتمع الىّ من سلم من العسكر واقصدكم ونتّفق انا وانتم على ازعاج التتر وترحّلهم عنكم فارسلوا اليه يستدعونه اليهم ويَعدونه النصرة والخروج معه الى عدوّه وفيهم شجاعة عظيمة فسار اليهم واجتمع بهم وخرج اهل اصفهان معه فقاتلوا التتر فانهزم التتر اقبح هزيمة وتبعهم جلال الدين الى الرىّ يقتل ويأسر فلمّا ابعدوا عن الرىّ اقام بها وارسل اليه ابن جنكزخان يقول انّ هولآء ليسوا من اصحابنا انّما نحن ابعدناهم عنّا فلمّا امن جانب جنكزخان امن وعاد الى اذربيجان ❁

ذكر خروج الفرنج الى الشام وعمارة صيدا

وفى هذه السنة خرج كثير من الفرنج من بلادهم التى هى فى الغرب من صقليّة وما ورآءها من البلاد الى بلادهم التى بالشام عكّا وصور وغيرها من ساحل الشام فكثر جمعهم وكان قد خرج قبل هولآء جمع اخر ايضًا الّا انّهم لم تمكنهم[1] الحركة والشروع فى امر الحرب لاجل انّ ملكهم الذى هو المقدّم عليهم هو ملك الالمان ولقبه انبرور[2] قيل معناه ملك الامرآء ولانّ المعظم كان حيًّا وكان شهمًا شجاعًا مقدامًا فلمّا توفّى المعظم كما ذكرناه وولى بعده ابنه وملك دمشق طمع الفرنج وظهروا من عكّا وصور وبيروت الى مدينة صيدا وكانت مناصفة بينهم وبين المسلمين وسورها خراب فعمروها واستولوا عليها وازالوا عنها حكم المسلمين وانّما تمّ لهم

---

1) 740: يُمكنهم 2) امبرور

ذلك بسبب تخريب الحصون القريبة منها تبنين وهونين[1] وغيرهما وقد تقدّم ذكر ذلك قبلُ مستقصى فعظمت شوكة الفرنج وقوى طمعهم واستولى فى طريقه على جزيرة قبرس وملكها وسار منها الى عكّا فارتاع المسلمون لذلك والله تعالى يخذله وينصر المسلمين بمحمّد وآله ثمّ ان ملكهم انبرور وصل الى الشام ۞

ذكر مُلك كيقباذ ارزنكان

وفى هذه السنة ملك علآء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قلج ارسلان وهو صاحب قونيّة واقصرا وملطيّة وغيرها من بلاد الروم ارزنكان وسبب مُلكه ايّاها انّ صاحبها بهرام شاه كان قد طال مُلكه لها وجاوز ستّين سنة توفّى ولم يزل فى طاعة قلج ارسلان واولاده بعده فلمّا توفّى ملك بعده ولده علآء الدين داود شاه فارسل اليه كيقباذ يطلب منه عسكرًا ليسير معه الى مدينة ارزن الروم ليحصرها ويكون هو مع العسكر ففعل ذلك وسار فى عسكره اليه فلمّا وصل قبض عليه واخذ مدينة ارزنكان منه وله حصن من امنع الحصون اسمه كماخ وفيه مستحفظ لداود شاه فارسل اليه ملك الروم بحصره فلم يقدر العسكر على القرب منه لعلوّه وارتفاعه وامتناعه فتهدّد دواد شاه ان لم يسلّم كماخ فارسل الى نايبه فى التسليم فسلّم القلعة الى كيقباذ واراد كيقباذ المسير الى ارزن الروم لياخذها وبها صاحبها ابن عمّه طغرل شاه بن قلج ارسلان فلمّا سمع صاحبها بذلك ارسل الى الامير حسام الدين علىّ النايب عن الملك الاشرف بخلاط يستنجده واظهر طاعة الاشرف فسار حسام الدين فيمن عنده من العساكر وكان قد جمعها من الشام وديار الجزيرة خوفًا من ملك الروم خافوا انّه اذا ملك ارزن الروم يتعدّا ويقصد خلاط فسار الحاجب حسام الدين الى [ارزن] الروم ومنع عنها ولمّا سمع كيقباذ بوصول العساكر اليها لم يقدم على قصدها فسار من ارزنكان الى بلاده وكان قد اتاه الخبر انّ الروم الكفّار المجاورين لبلاده قد ملكوا منه حصنًا يسمّى صنوب وهو من احصن القلاع مطلّ على البحر بحر الخزر[2] فلمّا

---

1) وهرىمن 2) الخرر

وصل الى بلاده سيّر العسكر اليه وحصره برًّا وبحرًا فاستعاده من الروم وسار الى انطاكيّة ليشتّى بها على عادته ٭

ذكر خروج الملك الكامل

فى هذه السنة فى شوّال سار الملك الكامل محمّد بن الملك العادل صاحب مصر الى الشام فوصل الى البيت المقدّس حرسه الله تعالى وجعله دار الاسلام ابدًا ثمّ سار عنه وتوقّى بمدينة نابلس وشحّن على تلك البلاد جميعها وكانت من اعمال دمشق وهو الى الملك المعظّم خافه ان يقصده ويأخذ دمشق منه فارسل الى عمّه الملك الاشرف يستنجده ويطلبه ليحضر عنده بدمشق فسار اليه جريدة فدخل دمشق فلمّا سمع الكامل بذلك لم يتقدّم اليه انّ البلد منيع وقد صار به من يمنعه ويحميه وارسل اليه الملك الاشرف يستعطفه ويعرفه[1] انّه ما جآء الى دمشق الّا طاعة له وموافقة لاغراضه والاتّفاق معه على منع الفرنج عن البلاد فاعاد الكامل الجواب يقول انّنى ما جيتُ الى هذه البلاد الّا بسبب الفرنج فانّهم لم يكن فى البلاد من يمنعهم عمّا يريدونه وقد عمروا صيدا وبعض قيساريّة ولم يُمنعوا وانت تعلم انّ عمّنا السلطان صلاح الدين فتح البيت المقدّس فصار لنا بذلك الذكر الجميل على تقضّى الاعصار وممرّ الايّام فان اخذه الفرنج حصل لنا من سوء الذكر وقبح الاحدوثة ما يناقض ذلك الذكر الجميل الذى ادّخره عمّنا واىّ وجه يبقى لنا عند الناس وعند الله تعالى ثمّ انّهم ما يقنعون حينئذ بما اخذوه ويتعدّون الى غيره وحيث قد حضرت انت فانا اعود الى مصر واحفظ انت البلاد ولستُ بالذى يقال عنّى انى قاتلتُ اخى او حصرتُه حاشى الله تعالى ، وتاخّر عن نابلس نحو الديار المصريّة ونزل تلّ العجول فخاف الاشرف والناس قاطبةً بالشام وعلموا انّه ان عاد استولى الفرنج على البيت المقدّس وغيره ممّا يجاوره لا مانع دونه فترددت الرسل وسار الاشرف بنفسه الى الكامل اخيه فحضر عنده وكان وصوله ليلة عيد الاضحية ومنعه من العود الى مصر فاقاما بمكانهما ٭

[1] ويعرفنا

ذكر نهب جلال الدين بلاد ارمينيّة

فى هذه السنة وصل جلال الدين خوارزم شاه الى بلاد خلاط وتعدّى خلاط الى صحرآء موش وجبل جور ونهب الجميع وسبى الحريم واسترقّ الاولاد وقتل الرجال وخرّب القرى وعاد الى بلاده ولمّا وصل الخبر الى البلاد الجزريّة حرّان وسروج وغيرهما انّه قد جاز خلاط الى جور وانّه قد قرب منهم خافه اهل البلاد ان يجئ اليهم لانّ الزمان كان شتآء وظنّوا انّه يقصد الجزيرة ليشتّى بها لانّ البرد بها ليس بالشديد وعزموا على الانتقال من بلادهم الى الشام ووصل بعض اهل سروج الى منبج من ارض الشام فاتاهم الخبر انّه قد نهب البلاد وعاد فاقاموا وكان سبب عوده انّ الثلج سقط ببلاد خلاط كثيرًا لم يُعهد مثله فاسرع العود ✿

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة رخصت الاسعار بديار الجزيرة جميعها وجآت الغُلّات التى لهم من الحنطة والشعير جيّدًا الّا انّ الرخص لم يبلغ الاوّل الذى كان قبل الغلآء انّما صارت الحنطة كلّ خمس مكاكيك بدينار والشعير كلّ سبعة عشر مكوكًا بالموصلىّ بدينار ✿

ثم دخلت سنة ستّ وعشرين وستمائة ؞

سنة ٦٢٦

ذكر تسليم البيت المقدّس الى الفرنج

فى هذه السنة اوّل ربيع الاخر تسلّم الفرنج لعنهم الله البيت المقدّس صلحًا اعاده الله الى الاسلام سريعًا وسبب ذلك ما ذكرناه سنة خمس وعشرين وستّمائة من خروج الانبرور[1] ملك الفرنج من بلاد الفرنج داخل البحر الى ساحل الشام وكانت عساكره قد سبقته ونزلوا بالساحل وافسدوا فى تجاورهم من بلاد المسلمين ومضى اليهم وهم بمدينة صور طايفة من المسلمين يسكنون الجبال المجاورة لمدينة صور واطاعوهم وصاروا معهم وقوى طمع الفرنج بموت الملك المعظّم عيسى بن الملك العادل ابى بكر بن ايّوب صاحب دمشق ولمّا وصل الانبرور[1] الى الساحل نزل بمدينة عكّا وكان الملك الكامل صاحب مصر قد خرج من الديار المصريّة يريد الشام

---

1) الانبرور

بعد وفاة اخيه المعظّم وهو نازل بتلّ العجول يريد ان يملك دمشق من صلاح الدين داود بن المعظّم وهو صاحبها يومئذ وكان داود لمّا سمع بقصد عمّه الملك الكامل له قد ارسل الى عمّه الملك الاشرف صاحب البلاد الجزريّة يستنجده ويطلب منه المساعدة على دفع عمّه عنه فسار الى دمشق وتردّدت الرسل بينه وبين اخيه الملك الكامل فى الصلح فاصطلحا واتّفقا وسار الملك الاشرف الى الملك الكامل واجتمع به فلمّا اجتمعا تردّدت الرسل بينهما وبين الانبرور[1] ملك الفرنج دفعات كثيرة فاستقرّت القاعدة على ان يسلّموا اليه البيت المقدّس ومعه مواضع يسيرة من بلاده ويكون باقى البلاد مثل الخليل ونابلس والغور وطبريّة وغير ذلك بيد المسلمين ولا يسلم الى الفرنج الّا البيت المقدّس والمواضع التى استقرّت معه وكان سور البيت المقدّس خرابًا [قد][2] خرّبه الملك المعظّم وقد [ذكرنا][3] ذلك وتسلّم الفرنج البيت المقدّس واستعظم المسلمون ذلك واكبروه ووجدوا له من الوهن والتألّم ما لا يمكن وصفه يسّر الله فتحه وعوده الى المسلمين بمنّه وكرمه امين ۞

ذكر مُلك الملك الاشرف مدينة دمشق

وفى هذه السنة يوم الاثنين ثانى شعبان ملك الملك الاشرف بن الملك العادل مدينة دمشق من ابن اخيه صلاح الدين داود بن المعظّم وسبب ذلك ما ذكرناه انّ صاحب دمشق لمّا خاف من عمّه الملك الكامل ارسل الى عمّه الاشرف يستنجده ويستعين به على دفع الكامل فسار اليه من البلاد الجزريّة ودخل دمشق وفرح به صاحبها واهل البلد وكانوا قد احتاطوا وهم يتجهّزون للحصار فامر بازالة ذلك وترك ما عزموا عليه من الاحتياط وحلف لصاحبها على المساعدة والحفظ له ولبلاده عليه وراسل الملك الكامل واصطلحا وظنّ صاحب دمشق انّه معهما فى الصلح وسار الاشرف الى اخيه الكامل واجتمعا فى ذى الحجّة من سنة خمس وعشرين يوم العيد وسار صاحب دمشق الى بيسان واقام بها وعاد الملك الاشرف من عند اخيه واجتمع هو وصاحب دمشق ولم يكن الاشرف

---

[1] الادمرور [2] 740. [3] 740.

في كثرة من العسكر فبينما هما جالسان في خيمة لهما واذ قد دخل عزّ الدين ايبك مملوك المعظّم الذى كان صاحب دمشق وهو اكبر امير مع ولده فقال لصاحبه داود قم اخرج والّا قُبضت الساعة فاخرجه ولم يمكن الاشرف منعه لانّ ايبك كان قد اركب العسكر الذى لهم جميعه وكانوا اكثر من الذين مع الاشرف فخرج داود وسار هو وعسكره الى دمشق وكان سبب ذلك انّ ايبك قيل له انّ الاشرف يريد القبض على صاحبه واخذ دمشق منه ففعل ذلك فلمّا عادوا وصلت العساكر من الكامل الى الاشرف وسار فنازل دمشق وحصرها واقام محاصرًا لها الى ان وصل اليه الملك الكامل فحينئذ اشتدّ الحصار وعظم الخطب على اهل البلد وبلغت القلوب الحناجر وكان من اشدّ الامور على صاحبها انّ المال عنده قليل لانّ امواله بالكرك ولوثوقه بعمّه الاشرف لم يحضر منها شيئًا فاحتاج الى ان باع حليّ نسآئه وملبوسهم وضاقت الامور عليه فخرج الى عمّه الكامل وبذل له تسليم دمشق على ان يُبقى عليه الكرك وقلعة الشوبك والغور ونابلس وتلك الاعمال وان يُبقى على ايبك قلعة صرخد واعمالها وتسلّم الكامل دمشق وجعل نايبه بالقلعة الى ان سلّم اليه اخوه الاشرف حرّان والرُّها والرقّة وسروج وراس العين من الجزيرة فلمّا تسلّم ذلك سلّم قلعة دمشق الى اخيه الاشرف فدخلها واقام بها وسار الكامل الى الديار الجزريّة فاقام بها الى ان استدعى اخاه الاشرف بسبب حصر جلال الدين خوارزم شاه مدينة خلاط فلمّا حضر عنده بالرقّة عاد الكامل الى ديار مصر وامّا الاشرف فكان منه ما نذكره ان شآء الله تعالى

ذكر القبض على الحاجب عليّ وقتله

وفى هذه السنة ارسل الملك الاشرف مملوكه عزّ الدين ايبك وهو امير كبير في دولته الى مدينة خلاط وامره بالقبض على الحاجب حسام الدين عليّ بن حمّاد وهو المتولّي لبلاد خلاط والحاكم فيها من قبل الاشرف ولم نعلم شيئًا يوجب القبض عليه لانّه كان مشفقًا عليه ناصحًا له حافظًا لبلاده وحسن السيرة مع الرعيّة ولقد وقف هذه المدّة الطويلة في وجه خوارزم شاه جلال الدين وحفظ خلاط حفظًا يعجز غيره عنه وكان مُهتمًّا بحفظ بلاده وذابًّا عنها وقد تقدّم من ذكر قصده بلاد

جلال الدين والاستيلآء على بعضها ما يدلّ على همّة عالية وشجاعة تامّة وصار لصاحبه به منزلة عظيمة فانّ الناس يقولون بعض غلمان الملك الاشرف يقاوم خوارزم شاه وكان رحمه الله كثير الخير والاحسان لا يمكّن احدًا من ظلم وعمل كثيرًا من اعمال البرّ من الخانات فى الطرق والمساجد فى البلاد وبنى بخلاط بيمارستانًا وجامعًا وعمل كثيرًا من الطرق واصلحها كان يشقّ سلوكها، فلمّا وصل ايبك الى خلاط قبض عليه ثمّ قتله غيلة لانّه كان عدوّه ولمّا قتل ظهر اثر كفايته فانّ جلال الدين حصر خلاط بعد قبضه وملكها على ما نذكره ان شآء الله ولم يمهل الله ايبك بل انتقم منه سريعًا فانّ جلال الدين اخذ ايبك اسيرًا لمّا ملك خلاط مع غيره من الامرآء فلمّا اصطلح الاشرف وجلال الدين اطلق الجميع وذكر انّ ايبك قُتل وكان سبب قتله انّ مملوكًا للحاجب علىّ كان قد هرب الى جلال الدين فلمّا اسر ايبك طلبه ذلك المملوك من جلال الدين ليقتله بصاحبه الحاجب علىّ فسلّمه اليه فقتله وبلغنى انّ الملك الاشرف راى فى المنام كانّ الحاجب عليًّا قد دخل الى مجلس فيه ايبك فاخذ منديلًا وجعلها فى رقبة ايبك واخذه وخرج فاصبح الملك الاشرف وقال قد مات ايبك فانى رايتُ فى المنام كذا وكذا ۞

ذكر مُلك الكامل مدينة حماة

وفى هذه السنة اواخر شهر رمضان ملك الملك الكامل مدينة حماة وسبب ذلك انّ الملك المنصور محمّد بن تقى الدين عمر وهو صاحب حماة توفّى على ما نذكره ولمّا حضرتْه الوفاة حلّف الجند واكابر البلد لولده الاكبر ويلقّب بالملك المظفّر وكان قد سيّره ابوه الى الملك الكامل صاحب مصر لانّه كان قد تزوّج بابنته وكان لمحمّد ولد اخر اسمه قلج ارسلان ولقبه صلاح الدين وهو بدمشق فحضر الى مدينة حماة فسُلّمت اليه واستولى على المدينة وعلى قلعتها فارسل الملك [الكامل] يامره ان يسلّم البلد الى اخيه الاكبر فانّ اباه اوصى له به فلم يفعل وتردّدت الرسل فى ذلك الى الملك المعظّم صاحب دمشق فلم تقع الاجابة، فلمّا توفّى المعظّم وخرج الكامل الى الشام وملك دمشق سيّر جيشًا الى حماة فحصرها ثالث شهر رمضان وكان المقدّم على هذا الجيش اسد الدين

شيركوه صاحب حمص وامير كبير من عسكره يقال له فخر الدين عثمان ومعهما ولد محمّد تقى الدين الذى كان عند الكامل فبقى الحصار على البلد عدّة ايّام وكان الملك الكامل قد سار عن دمشق ونزل على سلميّة يريد العبور الى البلاد الجزريّة حرّان وغيرها فلمّا نازلها قصده صاحب حماة صلاح الدين ونزل اليه من قلعته ولم يكن لذلك سبب الّا امر الله تعالى فانّ صلاح الدين قال لاصحابه اريد النزول الى الملك الكامل فقالوا له ليس بالشام احصن من قلعتك وقد جمعت من الذخاير ما لا حدّ عليه فلاىّ شئ تنزل اليه ليس هذا براى فاصرّ على النزول واصرّوا على منعه فقال فى اخر الامر تتركونى انزل والّا القيت نفسى من القلعة فحينئذ سكتوا عنه فنزل فى نفر يسير ووصل الى الكامل فاعتقله الى ان سلّم مدينة حماة وقلعتها الى اخيه الاكبر الملك المظفّر وبقى بيده قلعة بارين حسب فانّها كانت له وكان هو كالباحث بظلفه على حتفه ٭

ذكر حصر جلال الدين خلاط وملكها

وفى هذه السنة اوايل شوّال حصر جلال الدين خوارزم شاه مدينة خلاط وهى للملك الاشرف وبها عسكره فامتنعوا بها واعانهم اهل البلد خوفًا من جلال الدين لسوء سيرته واسرفوا فى الشتم والسفه فاخذه اللجاج معهم واقام عليهم جميع الشتاء محاصرًا وفرّق كثيرًا من عساكره فى القرى والبلاد القريبة من شدّة البرد وكثرة الثلج فانّ خلاط من اشدّ البلاد بردًا واكثرها ثلجًا وابان جلال الدين عن عزم قوى وصبر تحار العقول منه ونصب عليها عدّة منجنيقات ولم يزل يرميها بالحجارة حتّى خرّبت بعض سورها فاعاد اهل البلد عمارته ولم يزل مصابرهم وملازمهم الى اواخر جمادى الاولى من سنة سبع وعشرين فزحف اليها زحفًا متتابعًا وملكها عنوةً وقهرًا يوم الاحد الثامن والعشرين من جمادى الاولى سلّمها اليه بعض الامرآء غدرًا فلمّا ملك البلد صعد من فيه من الامرآء الى القلعة التى لها وامتنعوا بها وهو منازلهم ووضع السيف فى اهل [البلد] وقتل من وجد به منهم وكانوا قد قلّوا فانّ بعضهم فارقوه خوفًا وبعضهم خرج منه من شدّة الجوع وبعضهم مات من القلّة وعدم القوت فانّ الناس فى خلاط اكلوا الغنم ثمّ البقر ثمّ الجواميس ثمّ الخيل

ثمّ الحمير ثمّ البغال والكلاب والسنانير وسمعنا انّهم كانوا يصطادون الفار
وياكلونه وصبروا صبرًا لم يلحقهم فيه احد ولم يملك من بلاد خلاط
غيرها وما سواها من البلاد لم يكونوا ملكوه وخربوا[1] خلاط واكثروا
القتل فيها ومن سلم هرب فى البلاد وسبوا الحريم واسترقّوا الاولاد وباعوا
الجميع فتمزّقوا كلّ ممزق وتفرّقوا فى البلاد ونهبوا الاموال وجرى على اهلها
ما لم يُسمع بمثله لا جرم لم يمهله الله تعالى وجرى عليه من الهزيمة
بين المسلمين والتتر ما نذكره ان شآء الله تعالى ☆

ذكر عدّة حوادث

فى اواخر هذه السنة قصد الفرنج حصن بارين بالشام ونهبوا بلاده
واعماله واسروا وسبوا ومن جملة مَن ظفروا به طايفة من التركمان كانوا
نازلين فى ولاية بارين فاخذوا الجميع ولم يسلم منهم الّا النادر الشاذّ والله اعلم ☆

سنة ٦٢٧

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وستّمائة

ذكر انهزام جلال الدين من كيقباذ والاشرف

فى هذه السنة يوم السبت الثامن والعشرين من رمضان انهزم
جلال الدين خوارزم شاه من علآء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن
قلج ارسلان صاحب بلاد الروم قونيّة واقصرا وسيواس وملطيّة وغيرها
ومن الملك الاشرف صاحب دمشق وديار الجزيرة وخلاط وسبب ذلك
انّ جلال الدين كان قد اطاعه صاحب ارزن الروم وهو ابن عمّ علآء
الدين ملك الروم وبينه وبين علآء الدين عداوة مستحكمة وحضر صاحب
ارزن الروم عند جلال الدين على خلاط واعانه على حصرها فخافهما
علآء الدين فارسل الى الملك الكامل وهو حينئذ بحرّان يطلب منه ان
يُحضر اخاه الاشرف من دمشق فانّه كان مقيمًا بها بعد ان ملكها
وتابع علآء الدين الرسل بذلك خوفًا من جلال الدين فاحضر الملك
الكامل اخاه الاشرف من دمشق فحضر عنده ورسل علآء الدين اليهما
متتابعة بحثّ الاشرف على المجئ اليه والاجتماع به حتّى قيل انّه فى
يوم واحد وصل الى الكامل والاشرف من علآء الدين خمسة رسل وبطلب

---

[1]) 740. Ups.: وجزيرة

مع الجميع وصول الاشرف اليه ولو وحده فجمع عساكر الجزيرة والشام وسار الى علآء الدين فاجتمعا بسيواس وسارا نحو خلاط فسمع جلال الدين بهما فسار اليهما مجدًّا فى السير فوصل اليهما بمكان يعرف بماسى حمار[1] وهو من اعمال ارزنجان فالتقوا هناك وكان مع علآء الدين خلق كثير قيل كانوا عشرين الف فارس وكان مع الاشرف نحو خمسة الاف الّا انّهم من العساكر الجيّدة الشجعان لهم السلاح الكثير والدوابّ الفارهة من العربيّات وكلٌّ منهم قد جرّب الحرب وكان المقدّم عليهم امير من امرآء عساكر حلب يقال له عزّ الدين عُمر بن علىّ وهو من الاكراد الهكّاريّة ومن الشجاعة فى الدرجة العليا وله الاوصاف الجميلة والاخلاق الكريمة فلمّا التقوا بهت جلال الدين لما راى من كثرة العساكر لا سيّما لمّا راى عسكر الشام فانّه شاهد من تجمّلهم وسلاحهم ودوابّهم ما ملأ صدره رُعبًا فانشب عزّ الدين بن علىّ القتال ومعه عسكر حلب فلم يقم لهم جلال الدين ولا صبر ومضى منهزمًا هو وعسكره لا يلوى الاخ على اخيه وتفرّقت اصحابه وتمزّقوا كلّ ممزق وعاد الى خلاط فاستصحبوا معهم من فيها من اصحابهم وعادوا الى اذربيجان فنزلوا عند مدينة خوىّ ولم يكونوا قد استولوا على شئٍ من اعمال خلاط سوى خلاط ووصل الملك الاشرف الى خلاط فرءاها خاوية على عروشها خالية من الاهل والسكّان قد جرى عليهم ما ذكرناه قبلُ ۞

ذكر مُلك علآء الدين ارزن الروم

قد ذكرنا انّ صاحب ارزن الروم كان مع جلال الدين على خلاط ولم يزل معه وشهد معه المصاف المذكور فلمّا انهزم جلال الدين أُخذ صاحب ارزن الروم اسيرًا فأُحضر عند علآء الدين كيقباذ ابن عمّه فاخذه وقصد ارزن الروم فسلّمها صاحبها اليه هى وما يتبعها من القلاع والخزاين وغيرها فكان كما قيل خرجت النعامة تطلب قرنين فعادت بلا اذنَيْن وهكذا هذا المسكين جآء الى جلال الدين يطلب الزيادة فوعده بشئٍ من بلاد علآء الدين فأُخذ ماله وما بيديه من البلاد وبقى اسيرًا فسبحان من لا يزول مُلكه ۞

1) بماسى حماك .740

ذكر الصُلح بين الاشرف وعلآء الدين وبين جلال الدين

لمّا عاد الاشرف الى خلاط ومضى جلال الدين منهزمًا الى خوىّ ترددت الرسل بينهما فاصطلحوا كلّ منهم على ما بيده واستقرّت القواعد على ذلك وتحالفوا فلمّا استقرّ الصلح وجرت الايمان عاد الاشرف الى سنجار وسار منها الى دمشق فاقام جلال الدين ببلاده من اذربيجان الى ان خرج عليه التتر على ما نذكره ان شآء الله تعالى ✿

ذكر مُلك شهاب الدين غازى مدينة ارزن

كان حسام الدين صاحب مدينة ارزن من ديار بكر لم يزل مصاحبًا للملك الاشرف مناصحًا له مشاهدًا جميع حروبه وحوادثه وينفق امواله فى طاعته ويبذل نفسه وعساكره فى مساعدته فهو يُعادى اعدآه ويوالى اوليآه ومن جملة موافقته انه كان فى خلاط لمّا حصرها جلال الدين ولقى من الشدّة والخوف ما لقيه بها وصبر الى ان ملكها جلال الدين فاسره جلال الدين واراد ان ياخذ منه مدينة ارزن فقيل له انّ هذا من بيت قديم عريق فى المُلك وانّه ورث هذه ارزن من اسلافه وكان لهم سواها من البلاد فخرج الجميع من ايديهم فعطف عليه ورقّ له وابقى عليه مدينته واخذ عليه العهود والمواثيق انّه لا يقاتله فعاد الى بلده واقام به، فلمّا جآء الملك الاشرف وعلآء الدين محاربين لجلال الدين سار شهاب الدين غازى بن الملك العادل وهو اخو الاشرف وله مدينة ميّافارقين ومدينة حانى وهو بمدينة ارزن فحصره بها ثمّ ملكها صلحًا وعوّضه عنها بمدينة حانى من ديار بكر وهذا حسام الدين نعم الرجل حسن السيرة كريم جوادٌ لا يخلوا بابه من جماعة يردون اليه يستمنحونه وسيرته جميلة فى ولايته ورعيّته وهو من بيت قديم يقال لهم بيت طغان ارسلان كان لهم مع ارزن بدليس[1] ووسطان وغيرهما ويقال لهم بيت الاحدب ولهذه البلاد معهم من ايّام ملكشاه ابن الب ارسلان السلجوقىّ فاخذ بكتمر صاحب خلاط منهم بدليس[1] اخذها من عمّ هذا حسام الدين لانّه كان موافقًا لصلاح الدين يوسف

---

1) بدلس.

بن ايّوب فقصده بكتمر لذلك وبقيت ارزن بيد هذا الى الآن فاخذت منه ولكلّ اوّلٍ اخرٌ فسبحان من لا اوّل له ولا اخر لبقآيه ۞

ذكر مُلك صونج قشبالوا[1] قلعة روبندز[2]

وفى هذه السنة ظهر امير من امرآء التركمان اسمه صونج ولقبه شمس الدين واسم قبيلته قشبالوا وقوى امره وقطع الطريق وكثر جمعه وكان بين اربل وهمذان وهو ومَن معه يقطعون الطريق ويفسدون فى الارض ثمّ انّه تعدّى الى قلعة منيعة اسمها سارو وهى لمظفر الدين وقتل عندها اميرًا كبيرًا من امرآء مظفر الدين يعرف بعزّ الدين الحميدى فجمع مظفر الدين واراد استعادتها منه فلم يمكنه لحصانتها ولكثرة الجموع مع هذا الرجل فاصطلحا على ترك القلعة بيده وكان عسكر لجلال الدين خوارزم شاه يحصرون قلعة روبندز وهى من قلاع اذربيجان من احصن القلاع وامنعها لا يوجد مثلها وقد طال الحصار على مَن بها فاذعنوا بالتسليم فارسل جلال الدين بعض خوصّ اصحابه وثقاته ليتسلّمها وارسل معه الخلع والمال لمن بها فلمّا صعد ذلك القاصد الى القلعة وتسلّمها اعطى بعض مَن بالقلعة ولم يُعطِ البعض واستذلّهم وطمع فيهم حيث استولى على الحصن فلمّا راى مَن لم ياخذ شيأً من الخلع والمال ما فعل بهم ارسلوا الى صونج يطلبونه ليسلّموا اليه القلعة فسار اليهم فى اصحابه فسلّموها اليه فسبحان مَن اذا اراد امرًا سهّله هذه قلعة روبندز لم تزل تتقاصر عنها قدرة اكابر الملوك وعظمآيهم من قديم الزمان وحديثه وتُضرب الامثال بحصانتها لمّا اراد الله سبحانه وتعالى ان يملكها هذا الرجل الضعيف سهّل له الامور فلكها بغير قتال ولا تعب وازال عنها اصحاب مثل جلال الدين الذى كلّ ملوك الارض تهابه وتخافه وكان اصحاب جلال الدين كما قيل رُبَّ ساعٍ لقاعدٍ فلمّا ملكها صونج طمع فى غيرها لا سيّما مع اشتغال جلال الدين بما اصابه من الهزيمة ومجىء التتر فنزل من القلعة الى مراغة وهى قريب منها فحصرها فاتاه سهم غرب فقتله فلمّا قُتل ملك روبندز اخوه ثمّ انّ هذا الاخ الثانى نزل من القلعة وقصد

[1]) Cod. 740 h. l. قشبالوا; postea سوبح قسيلوا Ups.: سوبح قسبالوا

[2]) 740: jam روندز jam روبدر Ups.: رونذر

اعمال تبريز ونهبها وعاد الى القلعة ليجعل فيها من ذلك النهب والغنيمة ذخيرة خوفًا من التتر وكانوا قد خرجوا فصادفه طايفة من التتر فقتلوه واخذوا ما معه من النهب ، ولمّا قُتل ملك القلعة ابن اخت له وكان هذا جميعه فى مدّة سنتين فأُفٍ لدنيا لا تزال تُتبع فرحة بترحة وكلّ حسنة بسيّئة ☆

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وستمائة ،

سنة ٦٢٨

ذكر خروج التتر الى اذربيجان وما كان منهم

فى اوّل هذه السنة وصل التتر من بلاد ما وراء النهر الى اذربيجان وقد ذكرنا قبلُ كيف ملكوا ما وراء النهر وما صنعوه بخراسان وغيرها من البلاد من النهب والتخريب والقتل واستقرّ ملكهم بما وراء النهر وعادت بلاد ما وراء النهر انعمرت وعمروا مدينة تقارب مدينة خوارزم عظيمة وبقيت مُدن خراسان خرابًا لا يجسر احد من المسلمين يسكنها وامّا التتر فكانوا تغير كلّ قليل طايفة منهم ينهبون ما يرونه بها فالبلاد خاوية على عروشها فلم يزالوا كذلك الى ان ظهر منهم طايفة سنة خمس وعشرين فكان بينهم وبين جلال الدين ما ذكرناه وبقوا كذلك فلمّا كان الآن وانهزم جلال الدين من علاء الدين كيقباذ ومن الاشرف كما ذكرناه سنة سبع وعشرين ارسل مقدّم الاسماعيليّة الملاحدة الى التتر يعرّفهم ضعف جلال الدين بالهزيمة الكاينة عليه ويحثّهم على قصده عقيب الضعف ويضمن لهم الظفر به للوهن الذى صاروا اليه وكان جلال الدين سيّئ السيرة قبيح التدبير لملكه لم يترك احدًا من الملوك المجاورين له الّا عاداه ونازعه الملك واساء مجاورته فمن ذلك انّه اوّل ما ظهر فى اصفهان وجمع العساكر قصد خوزستان فحصر مدينة ششتر وهى للخليفة فحصرها وسار الى دقوقا فنهبها وقتل فيها فاكثر وهى للخليفة ايضًا ثمّ ملك اذربيجان وهى لاوزبك فملكها وقصد الكرج وهزمهم وعاداهم ثمّ عادى الملك الاشرف صاحب خلاط ثمّ عادى علاء الدين صاحب بلاد الروم وعادى الاسماعيليّة ونهب بلادهم وقتل فيهم فاكثر وقرّر عليهم وظيفة من المال كلّ سنة وكذلك غيرهم فكلّ من الملوك تخلّى عنه ولم ياخذ بيده ، فلمّا وصلت كتب مقدّم الاسماعيليّة الى التتر يستدعيهم الى قصد جلال الدين بادر طايفة

منهم فدخلوا بلاده واستولوا على الرىّ وهمدان وما بينهما من البلاد ثمّ قصدوا اذربيجان فخربوا ونهبوا وقتلوا مَن ظفروا به من اهلها وجلال الدين لا يقدم على ان يلقاهم ولا يقدر على منعهم عن البلاد قد مُلئ رعبًا وخوفًا وانضاف الى ذلك انّ عسكره اختلفوا عليه وخرج وزيره عن طاعته فى طايفة كثيرة من العسكر وكان السبب غريبًا اظهر من قلّة عقل جلال الدين ما لم يُسمع بمثله وذلك انّه كان له خادم خصىّ وكان جلال الدين يهواه واسمه قلج فاتّفق انّ الخادم مات فاظهر من الهلع والجزع عليه ما لم يُسمع بمثله ولا لمجنون ليلى وامر الجند والامرآء ان يمشوا فى جنازته رجّالة وكان موته بموضع بينه وبين تبريز عدّة فراسخ فمشى الناس رجّالة ومشى بعض الطريق راجلًا فالزمه امرآوه ووزيره بالركوب فلمّا وصل الى تبريز ارسل الى اهل البلد فامرهم بالخروج عن البلد لتلقّى تابوت الخادم ففعلوا فانكر عليهم حيث لم يُبعدوا ولم يُظهروا من الحزن والبكآء اكثر ممّا فعلوا واراد معاقبتهم على ذلك فشفع فيهم امرآؤه فتركهم ثمّ لم يُدفن ذلك الخصىّ وانّما يستصحبه معه اين سار وهو يلطم ويبكى فامتنع من الاكل والشرب وكان اذا قُدّم له طعام يقول احملوا من هذا الى قلج ولا يتجاسر احد يقول انّه مات فانّه قيل له مرّة انّه مات فقتل القايل له ذلك انّما كانوا يحملون اليه الطعام ويعودون يقولون انّه يقبّل الارض ويقول انّنى الآن اصلح ممّا كنتُ فلحق امرآه من الغيظ والانفة من هذه الحالة ما حملهم على مفارقة طاعته والانحياز عنه مع وزيره فبقى حيران لا يدرى ما يصنع لا سيّما لمّا خرج التتر فحينئذ دفن الغلام الخصىّ وراسل الوزير واستماله وخدعه الى ان حضر عنده فلمّا وصل اليه بقى ايامًا وقتله جلال الدين وهذه نادرة غريبة لم يُسمع بمثلها ۞

ذكر مُلك التتر مراغة

وفى هذه السنة حصر التتر مراغة من اذربيجان فامتنع اهلها ثمّ اذعن اهلها بالتسليم على امان طلبوه فبذلوا لهم الامان وتسلّموا البلد وقتلوا فيه الّا انّهم لم يُكثروا القتل وجعلوا فى البلد شحنة وعظم حينئذ شان التتر واشتدّ خوف الناس منهم باذربيجان فالله تعالى ينصر الاسلام والمسلمين نصرًا من عنده فما نرى فى ملوك الاسلام مَن له رغبة

فى الجهاد ولا فى نصرة الدين بل كلّ منهم مُقبلٌ على لهوه ولعبه وظُلم رعيّته وهذا اخوف عندى من العدوّ وقال الله تعالى وَٱتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً[1]۞

ذكر وصول جلال الدين الى آمد وانهزامه عندها وما كان منه

لمّا راى جلال الدين ما يفعله التتر فى بلاد اذربيجان وانّهم مقيمون بها يقتلون وينهبون ويخربون السواد ويجبون الاموال وهم عازمون على قصده وراى ما هو عليه من الوهن والضعف فارق اذربيجان الى بلاد خلاط وارسل الى النايب بها عن الملك الاشرف يقول له ما جينا للحرب ولا للاذى انّما خوف هذا العدوّ حملنا على قصد بلادكم وكان عازمًا على ان يقصد ديار بكر والجزيرة ويقصد باب الخليفة يستنجده وجميع الملوك على التتر ويطلب منهم المساعدة على دفعهم ويحذرهم عاقبة اهمالهم فوصل الى خلاط فبلغه انّ التتر يطلبونه وهم مجدّون فى اثره فسار الى آمد وجعل اليزك فى عدّة مواضع خوفًا من البيات فجآت طايفة من التتر يقصدون اثره فوصلوا اليه على غير الطريق الذى فيه اليزك فاوقعوا به ليلًا وهو بظاهر مدينة آمد فمضى منهزمًا على وجهه وتفرّق مَن معه من العسكر فى كلّ وجه فقصد طايفة من عسكره حرّان فاوقع بهم الامير صوّاب مقدّم الملك الكامل بحرّان ومعه العسكر فاخذوا ما معهم من مال وسلاح ودوابّ وقصد طايفة منهم نصيبين والموصل وسنجار واربل وغير ذلك من البلاد فتخطّفهم الملوك والرعايا وطمع فيهم كلّ احد حتّى الفلّاح والكردى والبدوىّ وغيرهم وانتقم منهم وجازاهم على سوء صنيعهم وقبيح فعلهم فى خلاط وغيرها وبما سعوا فى الارض فسادًا والله لا يحبّ المفسدين فازداد جلال الدين ضعفًا الى ضعفه ووهنًا الى وهنه بمن تفرّق من عسكره وبما جرى عليهم فلمّا فعل التتر بهم ذلك ومضى منهزمًا منهم دخلوا ديار بكر فى طلبه لانّهم لم يعلموا اين قصد ولا اىّ طريق سلك فسبحان من بدّل امنهم خوفًا وعزّهم ذُلًّا وكثرتهم قلّة فتبارك الله ربّ العالمين الفعّال لما يشآء۞

---

[1]) Cor. 8, 25.

ذكر دخول التتر ديار بكر والجزيرة وما فعلوه فى البلاد من الفساد

لمّا انهزم جلال الدين من التتر على آمد نهب التتر سواد آمد وارزن وميّافارقين وقصدوا مدينة اسعرد فقاتلهم اهلها فبذل لهم التتر الامان فوثقوا منهم واستسلموا فلمّا تمكّن التتر منهم بذلوا فيهم السيف وقتلوهم حتّى كادوا ياتون عليهم فلم يسلم منهم الّا مَن اختفى وقليل ما هم حكى لى بعض التجار وكان قد وصل آمد انّهم حرزوا القتلى ما يزيد على خمسة عشر الف قتيل وكان مع هذا التاجر جارية من اسعرد فذكرت انّ سيدها خرج ليقاتل وكان له امّ فنعته ولم يكن لها ولد سواه فلم يصْغ الى قولها فمشت معه فقُتلا جميعًا وورثها ابن اخ للامّ فباعها من هذا التاجر وذكرت من كثرة القتلى امرًا عظيمًا وانّ مدّة الحصار كانت خمسة ايام ثمّ ساروا منها الى مدينة طنزة ففعلوا فيها كذلك وساروا من طنزة الى واد بالقرب من طنزة يقال له وادى القُريشيّة فيه طايفة من الاكراد يقال لهم القريشيّة وفيه مياهٌ جارية وبساتين كثيرة والطريق اليه ضيّق فقاتلهم القريشيّة فمنعوهم عنه وامتنعوا عليهم وقُتل منهم كثير فعاد التتر ولم يبلغوا منهم غرضًا وساروا فى البلاد لا مانع يمنعهم ولا احد يقف بين ايديهم فوصلوا الى ماردين فنهبوا ما وجدوا من بلدها واحتمى صاحب ماردين واهل دنيسر بقلعة ماردين وغيرهم ممّن جاور القلعة احتمى بها ايضًا ثمّ وصلوا الى نصيبين الجزيرة فاقاموا عليها بعض نهار ونهبوا سوادها وقتلوا مَن ظفِروا به وغلقت ابوابها فعادوا عنها ومضوا الى بلد سنجار ووصلوا الى الجبال من اعمال سنجار فنهبوها ودخلوا الى الخابور فوصلوا الى عرابان فنهبوا وقتلوا وعادوا ومضى طايفة منهم على طريق الموصل فوصلوا الى قرية تسمّى المونسة وهى على مرحلة من نصيبين بينها وبين الموصل فنهبوها واحتمى اهلها وغيرهم بخان فيها فقتلوا كلّ من فيه وحُكى لى عن رجل منهم انّه قال اختفيت منهم ببيت فيه تبن فلم يظفروا بى وكنتُ اراهم من نافذة فى البيت فكانوا اذا ارادوا قتل انسان فيقول لا بالله فيقتلونه فلمّا فرغوا من القرية ونهبوا ما فيها وسبوا الحريم رايتهم وهم يلعبون على الخيل ويضحكون ويُغنون بلغتهم يقول لا بالله ومضى طايفة منهم الى نصيبين الروم وهى

على الفراة وهى من اعمال آمد فنهبوها وقتلوا فيها ثمّ عادوا الى آمد ثمّ الى بلد بدليس[1] فتحصّن اهلها بالقلعة وبالجبال فقتلوا فيها يسيرًا واحرقوا المدينة وحكى انسان من اهلها قال لو كان عندنا خمس مايئة فارس لم يسلم من التتر احدٌ لانّ الطريق ضيّق بين الجبال والقليل يقدر على منع الكثير ثمّ ساروا من بدليس الى خلاط فحصروا مدينة من اعمال خلاط يقال لها باكرى وهى من احصن البلاد فلكوها عنوةً وقتلوا كلّ من بها وقصدوا مدينة ارجيش[2] من اعمال خلاط وهى مدينة كبيرة عظيمة ففعلوا كذلك وكان هذا فى ذى الحجّة ولقد حُكى لى عنهم حكايات يكاد سامعها يكذب بها من الخوف الذى القى الله سبحانه وتعالى فى قلوب الناس منهم حتّى قيل انّ الرجل الواحد منهم كان يدخل القرية او الدرب وبه جمع كثير من الناس فلا يزال يقتلهم واحدًا بعد واحد لا يتجاسر احد يمدّ يده الى ذلك الفارس ولقد بلغنى انّ انسانًا منهم اخذ رجلًا ولم يكن مع التترىّ ما يقتله به فقال له ضَعْ راسك على الارض ولا تبرح فوضع راسه على الارض ومضى التترى احضر سيفًا فقتله به ، وحكى لى رجل قال كنتُ انا ومعى سبعة عشر رجلًا فى طريق فجآءنا فارس من التتر وقال لنا حتّى يكتف بعضنا بعضًا فشرع اصحابى يفعلون ما امرهم فقلت لهم هذا واحد فلِمَ لا نقتله ونهرب فقالوا نخاف فقلتُ هذا يريد قتلكم الساعة فنحن نقتله فلعلّ الله يخلّصنا فوالله ما جسر احد يفعل ذلك فاخذتُ سكينًا وقتلتُه وهربنا فنجونا وامثال هذا كثير ✿

ذكر وصول طايفة من التتر الى اربل ودقوقا

فى هذه السنة فى ذى الحجّة وصل طايفة من التتر من اذربيجان الى اعمال اربل فقتلوا مَن على طريقهم من التركمان الايوائيّة والاكراد الجوزقان وغيرهم الى ان دخلوا بلد اربل فنهبوا القرى وقتلوا من ظفروا به من اهل تلك الاعمال وعملوا الاعمال الشنيعة التى لم يسمع بمثلها من غيرهم وبرز مظفّر الدين صاحب اربل فى عساكره واستمدّ عساكر الموصل فساروا اليه فلمّا بلغه عود التتر الى اذربيجان اقام فى بلاده

---

1) بدليس 2) ارجيس

[ولم يتبعهم][1] فوصلوا الى بلد الكرخينى[2] وبلد دقوقا وغير ذلك وعادوا سالمين لم يذعرهم احدٌ ولا وقف فى وجوههم فارس وهذه مصايب وحوادث لم ير الناس من قديم الزمان وحديثه ما يقاربها فالله سبحانه وتعالى يلطف بالمسلمين ويرحمهم ويردّ هذا العدوّ عنهم وخرجت هذه السنة ولم نتحقّق لجلال الدين خبرًا ولا نعلم هل قُتل او اختفى لم يُظهر نفسه خوفًا من التتر او فارق البلاد الى غيرها والله اعلم ✿

ذكر طاعة اهل اذربيجان للتتر

فى اوّل هذه السنة اطاع اهل بلاد اذربيجان جميعها للتتر وحملوا اليهم الاموال والثياب الخطابىّ والخويىّ والعتابىّ وغير ذلك وسبب طاعتهم انّ جلال الدين لمّا انهزم على آمد من التتر وتفرّقت عساكره وتمزّقوا كلّ ممزق وتخطّفهم الناس وفعل التتر بديار بكر والجزيرة واربل وخلاط ما فعلوا ولم يمنعهم احد ولا وقف فى وجوهم فارس وملوك الاسلام منجحرون فى الاثقاب وانضاف الى هذا انقطاع اخبار جلال الدين فانّه لم يظهر له خبر ولا علموا له حالاً سقط فى ايديهم واذعنوا للتتر بالطاعة وحملوا اليهم ما طلبوا منهم من الاموال والثياب من ذلك مدينة تبريز التى هى اصل بلاد اذربيجان ومرجع الجميع اليها والى مَن بها فانّ ملك التتر نزل فى عساكره بالقرب منها وارسل الى اهلها يدعوهم الى طاعته ويتهدّدهم ان امتنعوا عليه فارسلوا اليه المال الكثير والتحف من انواع الثياب الابريسم وغيرها وكلّ شئ حتّى الخمر وبذلوا له الطاعة فاعاد الجواب يشكرهم ويطلب منهم ان يحضر مقدّموهم عنده فقصده قاضى البلد ورئيسه وجماعة من اعيان اهله وتخلّف عنهم شمس الدين الطغرائىّ وهو الذى يرجع الجميع اليه الّا انّه لا يُظهر شيًا من ذلك فلمّا حضروا عنده سالهم عن امتناع الطغرائىّ فقالوا انّه رجل منقطع ما له بالملوك تعلّقٌ ونحن الاصل فسكت ثمّ طلب ان يحضروا عنده من صناع الثياب الخطابىّ وغيرها ليستعمل لملكهم الاعظم فانّ هذا هو من اتباع ذلك الملك فاحضروا الصنّاع فاستعملهم فى الذى ارادوا ووزن اهل تبريز الثمن وطلب منهم خركاة لملكهم ايضًا

---

[1] Cod. 740. [2] 740: الكرحمى Ups.: الكرجينى

فعملوا له خركاة لم يُعمل مثلها وعملوا غشاها من الاطلس الجيّد الزركش
وعملوا من داخلها السمور والقندر فجات عليهم بجملة كثيرة وقرّر عليهم
من المال كلّ سنة شيًا كثيرًا ومن الثياب كذلك وتردّدت رسلهم الى ديوان
الخلافة والى جماعة من الملوك يطلبون منهم انّهم لا ينصرون خوارزم شاه
ولقد وقفتُ على كتاب وصل من تاجر من اهل الرىّ كان قد انتقل
الى الموصل واقام بها هو ورفقآء له ثمّ سافر الى الرىّ فى العام الماضى
قبل خروج التتر فلمّا وصل التتر الى الرىّ واطاعهم اهلها وساروا الى
اذربيجان سار هو معهم الى تبريز فكتب الى اصحابه بالموصل يقول انّ
الكفر لعنه الله ما نقدر نَصِفُه ولا كثرة جموعه حتّى لا تنقطع قلوب
المسلمين فانّ الامر عظيم ولا تظنّون انّ هذه الطايفة التى وصلت الى
نصيبين والخابور والطايفة الاخرى التى وصلت الى اربل ودقوقا كان قصدهم
النهب انّما ارادوا ان يعلموا هل فى البلاد مَن يردّهم ام لا فلمّا عادوا
اخبروا ملكهم بخلوّ البلاد من مانع ومدافع وان البلاد خالية من ملك
وعساكر قوى طمعهم وهم فى الربيع يقصدونكم وما يبقى عندكم مقام
الّا ان كان فى بلد الغرب فانّ عزمهم على قصد البلاد جميعها فانظروا
لانفسكم ء هذا مضمون الكتاب فانّا لله وانّا اليه راجعون ولا حول ولا قوّة الّا
بالله العلى العظيم ء وامّا جلال الدين فالى اخر سنة ثمان وعشرين لم يظهر له
خبر وكذلك الى سلخ صفر سنة تسع لم نقف له على حال والله المستعان ۞

ذكر عدّة حوادث

فى هذه السنة قلّت الامطار بديار الجزيرة والشام لا سيّما حلب
واعمالها فانّها كانت قليلة بالمرّة وغلت الاسعار بالبلاد وكان اشدّها غلآء
حلب الّا انّه لم يكن بالشديد مثل ما تقدّم فى السنين الماضية فاخرج
اتابك شهاب الدين وهو والى الامر بحلب والمرجع الى امره ونهيه وهو
المدبّر لدولة سلطانها الملك العزيز بن الملك الظاهر والمربّى له من المال
والغلات كثيرًا وتصدّق صدقات دارّة وساس البلاد سياسة حسنة بحيث
لم يظهر للغلآء اثر فجزاه الله خيرًا ء وفيها بنى اسد الدين شيركوه
صاحب حمص والرحبة قلعة عند سلمية وسمّاها سميمس وكان الملك الكامل

لمّا خرج من مصر الى الشام قد خدمه اسد الدين ونصح له وله اثر عظيمٌ فى طاعته والمقاتلة بين يديه فاقطعه مدينة سلميّة فبنى هذه القلعة بالقرب من سلميّة وهى على تلّ عالٍ ، وفيها قصد الفرنج الذين بالشام مدينة جبلة وهى بين جملة المدن المضافة الى حلب ودخلوا اليها واخذوا منها غنيمة واسرى فسيّر اتابك شهاب الدين اليهم العساكر مع امير كان اقطعها فقاتل الفرنج وقتل منهم كثيرًا واستردّ الاسرى والغنيمة ، وفيها توفّى القاضى ابن غنايم ابن العديم الحلبىّ الشيخ الصالح وكان من المجتهدين فى العبادة والرياضة والعاملين بعلمه فلو قال قايل انّه لم يكن فى زمانه اعبد منه لكان صادقًا فرضى الله عنه وارضاه فانّه من جملة شيوخنا سمعنا عليه الحديث وانتفعنا برويته وكلامه ، وفيها ايضًا فى الثانى عشر من ربيع الاوّل توفّى صديقنا ابو القاسم عبد المجيد بن العجمىّ الحلبىّ وهو واهل بيته مقدّموا السُّنّة بحلب وكان رجلًا ذا مُروّة غزيرة وخلق حسن وحلم وافر ورياسة كثيرة يحبّ اطعام الطعام واحبّ الناس اليه من ياكل طعامه ويقبل برّه وكان يلقى اضيافه بوجه منبسط ولا يقعد عن ايصال راحة وقضاء حاجة فرحمه الله رحمة واسعة ٥

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وستمايةٍ ،

تمّ المجلد الثانى عشر

P. ٦٥ l. 16: + فتثبّط   P. ٦٦ l. 4: + فضعُف
P. ٧٠ l. 5: + البهلوان   L. 13: + والعشرين   P. ٧١ l. 16: + مدينة   L. 2 inf.: والغور
P. ٧٣ l. 17: + وعسكره   L. 4 inf.: + الخوارزميون
P. ٧٤ l. 8: + بما انزل   P. ٧٧ l. 8: + وهم المعروفون   P. ٧٩ l. 17: + وثوقه

P. ٨٤ l. 11: + فزوّجوه   P. ٨٩ l. 4 inf.: + غيبات
P. ٩٣ l. 5 inf.: + فقال   P. ٩٥ l. 5: + المماليك   L. 4 inf.: + وانزهها
P. ٩٩ l. 7: عن ماردين   P. ١٠٣ l. 3 inf.: + بن ملكشاه
P. ١٠٤ l. 9: + الى جقر   L. 7 inf.: الاوباش

P. ١٠٧ l. 11: + علمتَ   P. ١١٠ l. 6 inf.: ارسلا   P. ١١٢ l. 3 inf.: + محمّد بن محمّد
P. ١١٤ l. 3: + النقرس   P. ١١٥ l. 5 inf.: + واطمعاه   L. 3 inf.: + مفاتح

P. ١١٨ l. 7 inf.: + واخاها   P. ١٢١ l. 13: + فلمّا   P. ١٢٧ l. 14: + انهزم

P. ١٢٩ l. 19: + وقتلهم انّه   P. ١٣٠ l. 7 inf.: + مُغْنٍ

P. ١٣٢ l. 8: + قيسارية[2]   L. 14: + بن محمّد
P. ١٣٣ l. 15: + فتنة   P. ١٥١ l. 7 inf.: + فصار
P. ١٥٥ l. 14: + فسجد   P. ١٦٧ l. 5: + شاه

P. ١٧٩ l. 6 inf.: + الغوريّة   P. ١٨٧ l. 7: + مساكنهم
P. ١٨٨ l. 7 inf.: + فوقف   P. ١٩٠ l. 16: + ٩٠٧

P. ١٩٥ l. 7 inf.: + الاسماعليّة   P. ١٩٧ l. 8 inf.: + لما

P. ١٩٩ l. 17: + حتّى   P. ٢٠٦ l. 11 inf.: + يهزمهم

P. ٢١٦ l. 5 inf.: + المشطوب   P. ٢١٧ l. 5 inf.: + مقبلًا
P. ٢١٩ l. 8 inf.: + والزوزان   P. ٢٢٠ l. 8 inf.: + بحضور
P. ٢٢٧ l. 18: + فاطمعاه   P. ٢٣٩ l. 5: + ودخل
P. ٢٤١ l. 14: + يدخلها   P. ٢٤٥ l. 9 inf.: + العراق

P. ٢٤٨ l. 9 inf.: + المدّة   P. ٢٥٧ l. 4 inf.: فقُتل
P. ٢٧١ l. 15: + عليه   P. ٢٧٦ l. 4: + يشتغل
P. ٩٧٧ l. 10: + الدين   P. ٢٨٢ l. 23: + تجاور   P. ٢٨٦ l. 3 inf.: ولبس

P. ٢٨٧ l. 17: + واحصر   P. ٢٩٣ l. 18: + قلوبهنّ

P. ٢٩٩ l. + فامر ان +   P. ٣١٣ l. 16: + مُر   P. ٣١٥ l. 4: الجزيرة

P. ۲۵۲ l. ult.: + وقالوا   P. ۲۵۴ l. 3: فتخطّفوا
P. ۲۵۷ l. 10 inf.: ماسبذان   P. ۲٦۰ l. 12: + الفصل
P. ۲٦۴ l. 13 inf.: لو ان صبرى يوم كاظمة et in hemist. poster. وكظمت
C. P.   L. 10 inf.: بقاوه ib.   L. 8: فى هوى لى ib.
L. 7: لى فى القدود ib.
P. ۲٦۷ l. 4: + الكثيرة
P. ۲٦۹ l. 7 inf.: + فعلوه ويبذل   L. 5 inf.: + شريف
P. ۲۷۰ l. 2: + فاحترق   L. ۲۷۱ l. 1: ونجاح
P. ۲۷۲ l. 2 inf.: + الى
P. ۲۸۲ l. 12 inf.: بعد القصور C. P.   P. ۲۸۳ l. 5 et 13: + عساكره
P. ۲۸۷ l. 10 inf.: + جلال الدين   L. 9 inf.: + ابوه جمال الدين
L. 6 inf.: + خمسًا
P. ۲۸۸ l. 14: حتى اشاهدَ C. P.   L. 3 inf.: تغنى C. P.
P. ۲۸۹ l. 9 inf.: + الى مصر
P. ۲۹۰ l. 3: + عين الجرّ فى   L. 3 inf.: + ارتفاعًا
P. ۲۹۱ l. 11: inf.: + واجتمع
P. ۲۹۲ l. 9: + الاولى   L. 10 inf.: + المحرّم
P. ۲۹۴ l. 13: + شديدًا   P. ۳۰۰ l. 11 inf.: + مشهور
P. ۳۰۱ l. 6: + وخيله   L. 11: + المسلمين
P. ۳۰۲ l. 11: + ذراعًا   P. ۳۰۹ l. 9: الدزدار
P. ۳۱۱ l. 7: + فقبيل
P. ۳۱۲ l. 10: + عماد الدين   L. 16: + وان ملكها   L. 17: + فاستحسنرا
P. ۳۱۳ l. 8: + سلمتم   P. ۳۱۴ l. 15: + مريضة
P. ۳۱۵ l. 1: + صلاح   P. ۳۱۷ l. 9 inf.: + الجزريّة
P. ۳۱۹ l. 10: + بجزيرة   P. ۳۲۴ l. 14: + ودُفن
P. ۳۲۹ l. 6 inf.: + الجزريّة
P. ۳۳۵ l. 3: + بعده   L. 6: + وكان
P. ۳۳۸ l. ult.: + زبن   P. ۳۴۰ l. 8: + فخذ
P. ۳۴۳ l. 9: بقوتهم   P. ۳۵۱ l. 5 inf.: + ونزل

In Volumine XII.

P. ۲ l. 5 inf.: + عند   P. ۱۰ l. 20: + النقّابون
P. ۱۸ l. 17: + عنه   P. ۳۱ l. 4: + الخندق   L. 2 inf.: + العهد
P. ۳۴ l. 3 inf.: + الظافر خضر   P. ۳٦ l. 1: + السمين   P. ۳۸ l. 17: + نعوف
P. ۴۷ l. 2: + تسمع   P. ۴۸ l. 9: + الاوحال   P. ٦۱ l. 3: + فقال

P. ١٦٤ l. 12 et 13 infra cum C. P. deleas verba inde ab عليها usque ad داخل السور P. ١٦٥ l. 4: + واسر وزيره

P. ١٦٦ l. 9: + شيئا P. ١٦٧ l. 9: + حرّان L. 17: + مالًا
P. ١٦٩ l. 11: + خلافته P. ١٧٠ l. 6: + وارسلت
P. ١٧١ l. 3: + الى اجنحته P. ١٧٢ l. 13 inf.: + وبين L. 8 inf.: + وابيورد
P. ١٧٣ l. 7 inf.: + وفاة P. ١٧٧ l. 9: + يطمعه
P. ١٨١ l. 7 inf.: الا أن يديين C. P. L. 5 inf.: آلندى بالناس Ib. L. 3 inf.: اننا فى الحلم ib.

P. ١٨٢ l. 11 inf.: تخالُسك C. P. Hemist. poster.: الانقضا ib. L. 5 inf.: + والحلة

P. ١٩٠ l. 9 inf.: + يصلّى P. ١٩١ l. 12 inf.: [امارات] وظهرت عليهم

P. ١٩٢ l. 9: + عاقلًا L. 2 inf.: + هو الذى

P. ١٩٣ l. 3 inf.: + قُتل P. ١٩٤ l. 5 inf.: + استظلّ
P. ١٩٥ l. 7: + تخطى L. 8 inf.: + فاستسلموا

P. ١٩٦ l. 7: فلا C. P. L. 9: بلى ib. L. 10: مُحال ib.

P. ١٩٨ l. 6: فصيل L. 10 inf.: + حتى L. 2 inf.: على الافرنج C. P. Hemist. poster.: وقلتم لاردى ib.

P. ٢٠١ l. 16: وحصر بانياس P. ٢٠٣ l. 2 inf.: + فصيلًا
P. ٢٠٩ l. 13: + قد L. 4 inf.: + اخواه
P. ٢١٠ l. 4: + وتقسم P. ٢١٢ l. 3 inf.: + على

P. ٢١٤ l. 9: + انهزمنا P. ٢٢١ l. 5: نتقوّى L. 8 inf.: + كان
P. ٢٢٣ l. 3 inf.: نفعل P. ٢٢٤ l. 12: + اعلموا

P. ٢٢٥ l. 12 inf.: + فلمّا P. ٢٢٩ l. 1: + الخطر L. 6: تردّدت

P. ٢٢٩ l. 10: + اخراجه L. 18: + فتغيّرت بواطن

P. ٢٣٠ l. 8: يركب فيها L. 11: بابن السيبى C. P. L. 12 inf.: آسى ib. L. 8 inf.: والياس ib. L. 7 inf.: + لمانعه L. 2 inf.: على الحاضر (cfr. *Abulfedæ* Annales III p. 624).
P. ٢٣٥ l. 7: + السماء L. 2 inf.: + واستنقذوا
P. ٢٣٨ l. 1: + برآته L. 15: + اولى
P. ٢٤٠ l. 12 inf.: + الاخر P. ٢٤١ l. 14: + لاعزاز

P. ٢٤٣ l. ult.: + الفقه P. ٢٤٤ l. 8 inf.: + ايّوب

P. ٢٤٥ l. 4: + تقول P. ٢٤٦ l. 9 inf.: + ربّما
P. ٢٤٨ l. 8: + يختارون L. 11: + عليهم
P. ٢٤٩ l. 14: المشارب L. 16: ايل ارسلان L. 3 inf.: بادغيس

P. ٩٧ l. 2: تطلّعت C. P.
P. ٩٨ l. 8 inf.: طابت نجومك فوقها ولربما C. P. L. 6 inf.: تستغلى ib.
L. 2 inf.: الجلالقة Ib.
P. ٩٩ l. 1: جعل مقدمهم C. P. L. 12: السليطين ما اقلع ib.
L. 13: كان فيه الى الجبل ib.
P. ١٠٢ l. 4: طغا وبغا عدوا على علايه فاوبقه C. P. L. 6: فسرّ واملاء
C. P. L. 7: لا قُلّ ib. P. ١٠٤ l. 7. inf.: + جيشا
P. ١٠٥ l. 10 inf.: + عليه
P. ١٠٧ l. 12: فتوح النبى C. P. L. 13: فواطات يا حبذا حدها ابدارها (fort. احديها *Defrémery*) ib. L. 14: وانصار رايك انصارها ib. L. 16: كذلك . . . بالنوع ib. L. 17: + اذابت
P. ١٠٨ l. 10 inf.: فاخذوه بغير قتال C. P. et 740.
P. ١١٢ l. 3 inf.: + فلكباها P. ١١٣ l. 4: + تاريخها
P. ١١٥ l. 5: + قتله L. 7 inf.: + يعتذر
P. ١١٧ l. 14: لابرشهر ومصباحًا لداجيه C. P. Lin. 18: + تنهبه
P. ١١٨ l. 3: + اسبيرين P. ١٢٠ l. 1: + فوق
P. ١٢٢ l. 8 inf.: والابنج P. ١٢٦ l. 7 inf.: + فاتّفقا
P. ١٢٧ l. 13 pro واجلس cum Abùlfeda legerim واحضر
P. ١٢٨ l. 12: + والجدود L. 14: فاهلك اهلها
P. ١٢٩ l. 12 et p. ١٤٢ l. 13: بعقوبا L. 22: الماهكى
P. ١٣٠ l. 14: أُبق ابن P. ١٣٢ l. 9 inf.: ولى الخليفة C. P.
P. ١٣٣ l. 5: ملكشاه [ابن] محمود P. ١٣٥ l. 1: ايرجع
P. ١٣٧ l. 5 inf.: ما زلت تمسكه بمناد . . . عوده بالمناد C. P. L. 4 inf.: عددا ib.
P. ١٣٨ l. 1: حوض C. P. L. 2: حرمًا ib. L. 3: ينسف السيل الرتى ib.
P. ١٤٠ l. 9 inf.: + العساكر P. ١٤١ l. 8 inf.: + الحصر
P. ١٤٢ l. 12 inf.: + وابلدكز P. ١٤٤ l. 5 inf.: + فولّاها اخاه
P. ١٤٥ l. 6 hemist. poster.: الّا تنباهيا C. P. Lin. 13: لغظ مفوّق ib.
L. 17: وقربك منهم جوفة تنابيا ib.
P. ١٤٧ l. 9 inf.: + الجزيرة P. ١٤٨ l. 6 inf.: + وقتلوا
P. ١٤٩ l. 5 inf.: فعادا P. ١٥٠ l. 6 inf.: تابوتًا
P. ١٥١ l. 7 inf.: + واخذ P. ١٥٢ l. 7 inf.: + وتفرّقهم
P. ١٥٥ l. 9 inf.: + خبتلان L. 4 inf.: + فيمَنْ
P. ١٥٩ l. 3 inf.: ولا نغدر به
P. ١٦٠ l. 5: + على مَن بها P. ١٦٣ l. 12 inf.: جمهور [من]

Addenda et Corrigenda.

Signum + errores notat typothetarum.

In Volumine XI.

Pag. ٣ lin. 4 infra: + تسليم
P. ٤ l. 8: تجمعوا نفوسهم ورجعوا على حامية C. P. L. 15: اسوار C. P.
P. ٥ l. 11: والاشتغال بامر اخرته C. P. L. 5 inf.: وحشد

P. ٦ l. 11: بقلعة روئين دز وكان قد تحصّن C. P.

P. ٧ l. 5 et nota 1): + الكفرتوثيّ

P. ١٠ l. 5: + التجانس L. 9: وهمّتى سجانى et hemist. poster.
والعوائل بالملام قد سجّانى C. P. L. 11: ببعاد بينهم ib.
L. 14: ينسف الجبال ib. Lin. 16: صار صغار فى ib.

P. ١٢ l. 4 inf.: + جدّه
P. ١٣ l. 2: (leg. فصالحه (فصالحهم عنها فصالحهم بمصالحة صاحب دمشق والرحيل
وخطب بدمشق للملك الب ارسلان ... لليلتين بقيتا C. P.
L. 16: فصبر تحت C. P.

P. ٢٣ l. 7 inf.: البندنيجيْن P. ٢٧ l. 3: البقشلاميّ C. P.

P. ٢٩ l. 11 inf. et p. ٣١ l. 3: الدركزينيّ

P. ٣٤ l. 2 inf.: انطاليّة P. ٣٩ l. 7: يطبّق C. P.
P. ٤٢ l. 1: C. P. verba ويلبس سراويل فتوة منه omittit et pro اليه habet عليه

P. ٤٤ l. 4: بغير عناء C. P.

P. ٤٨ l. 10: الى دمشق L. 8 inf.: + ظنًّا
P. ٥٢ l. 9: طغرل P. ٥٩ l. 16: الامير تتر C. P.

P. ٦٤ l. 9: + مهاجرًا L. 14: خربًا C. P. L. 16: مما تكتب ib.

P. ٧٠ l. 4: حجّ L. 8: وباجة L. 4 inf.: + ثمّ

P. ٧١ l. 3 inf.: + عنّي P. ٧٢ l. 5 inf.: + الشيب

P. ٧٤ l. 11 inf.: بلد P. ٧٦ l. 10 inf.: + وتحدّث
P. ٨٥ l. 4 inf.: فوالله لا اقيله ولا استقيله يعنى C. P.

P. ٨٧ l. 1, 2, 5 et 8: العريمة L. 10: + الدُّبيسىّ
P. ٨٩ l. 12: لانثنى C. P. P. ٩١ l. 4 inf.: وقد تحلت C. P.

P. ٩٥ l. 4 et 6: انّب Lin. 10: + فتزوّجت Lin. 17 وللخطب
Lin. 20: راجفة C. P.



B. L.

Quae de scriptore, ratione operis, variis ejus recensionibus et codicibus, qui in Europa exstant, hîc mihi erant dicenda, ea in aliud tempus commodius eo potius differo, quo certius mecum constitui, hanc Ibn-el-Athîri editionem aliquando continuare, vel, si id non licuerit, saltem partem jam editam, totius chronici fere sextam, in latinam convertere linguam. Id solummodo jam animadverto, haec duo volumina, quae, quum neque codices ipsius chronici neque varia Hadji Khalifae exemplaria in libro in tomos dividendo conspirent, cum d'Ohssonio undecimum et duodecimum appellavi, ad manuscripta upsaliensia (catalogi mei CCXXIX et CCXXX) ita exprimenda curavi, ut omnes fere locos, ubi librarius aliquid omiserit aut aperte distorserit, ad codices Parisinos, tam Constantinopolitanum (C. P.) quam cod. 740 collectionis veteris castigarem, adjuvante clarissimo Carolo Defrémery, *qui, quae sua est humanitas et benevolentia, operam et consilium mihi numquam recusavit. Quamobrem de hoc libro vir amicissimus, id quod legentes facillime perspicient, optime meruit. Multa quidem adhuc restant quae non, nisi continua omnium codicum collatione diligenter instituenda, rite sanari possunt; at quamvis editio multis ideo quodammodo manca videatur, tamen momenti, credo, erit haud exigui ad historiam Orientis illustrandam.*

Index errores typothetarum et lectiones variantes, quae post absolutum volumen undecimum mihi Parisiis perveniebant, indicabit. Si quem offenderit numerus erratorum justo major, sciat librum, Upsaliae impressum, non sine magno meo negotio Lundae esse correctum.

Scribebam Lundae mense Aprilis MDCCCLIII.

C. J. Tornberg.

6

IBN-EL-ATHIRI

CHRONICON

QUOD PERFECTISSIMUM INSCRIBITUR.

VOLUMEN DUODECIMUM IDEMQUE ULTIMUM,

ANNOS H. 584—628 CONTINENS,

AD FIDEM CODICIS UPSALIENSIS, COLLATIS PASSIM PARISINIS

EDIDIT

CAROLUS JOHANNES TORNBERG

L. L. O. O. PROFESSOR R. ET O. LUNDENSIS,
REG. ACAD. LITT. HUMM. HISTORIÆ ET ANTIQUITT. HOLM., REG. SOC. SCIENT. UPSAL.,
SOC. PHYSIOGR. LUND., REG. SOC. SCIENT. NORVEG., SOC. ASIAT. PAR.
ET SOC. ORIENT. GERM. MEMBRUM., NEC NON SOC. ORIENT.
AMERICANÆ SOD. HONORAR.

PUBLICO SUMTU.

UPSALIÆ 1853

EXCUDEBAT C. A. LEFFLER.

PROSTAT APUD T. O. WEIGEL LIPSIÆ.



<36618439

